

تراثنا

مختار الأغانى

في

الأخبار والنهائى

اختيار

ابن منظور محمد بن فخر

٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ

الجزء الخامس

تحقيق

عبد العزيز أحمد

دار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هذا الكتاب بالتعاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة

١٩٦٦-١٣٨٥ م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

٠٢٠٤٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حرف العين

ذكر عبید الله بن قیس الرقیات (١)

هو عبید الله بن قیس بن شریح بن مالک بن ربیعة بن إهاب (٢) بن صاب (٣)
ابن حُجیر بن عبد بن بغيض (٤) بن عامر بن لؤی بن غالب .
وأمه قتيلة بنت وهب بن عبد الله بن ربیعة بن طریف بن عدی بن مسمر (٥) بن
لیث بن بكر بن عبد مناة (٦) بن کنانة .
كان يقال لبني بغيض (٤) بن عامر بن لؤی وبني محارب بن فهر الأجران ، من
أهل تهامة ، وكانا متحالفين .
وإنما قيل لها الأجران من شدة بأسهما وعرَّها من ناوأهما كما يُعرُّ البعير
الجر (٧) .
وإنما لُقِّب عبیدُ الله بن قیس الرقیات لأنه شبَّ بثلاث نسوة ، تسمين جميعا
رُقِيَّة .

(١) أغاني ٥ : ٧٣ دار الكتب .

(٢) أهيبي ٥ : ٧٣ .

(٣) في ب : صاب أيضا وفي الأغاني ضباب .

(٤) في ا ، ب وفي بعض نسخ الأغاني : معيس وفي بعضها معيض .

(٥) سعد (أغاني) .

(٦) مناف في ب وفي الأغاني مناه .

(٧) في الأصل كأمير وفي الأغاني كما بعير الجرب .

منهم رُقِيَّة بنت عبد الواحد بن^(١) أبي قيس بن وهب^(٢)، وابنة عم لها يقال لها رُقِيَّة أيضا .

وامرأة أخرى من بني أمية يقال لها رُقِيَّة أيضا .

وكان هواه في رُقِيَّة بنت عبد الواحد وإياها عنى ابن قيس بقوله :

ما خَيْرُ عَيْشٍ بِالْجَزِيرَةِ بَعْدَ مَا غَبَرَ^(٣) الزَّمَانُ وَمَاتَ عَبْدُ الْوَاحِدِ

وله في الرقيات عدة أشعار .

وأما أبياته التي منها :

مَنَعَ اللِّهْوَ وَالْهَوَى وَسَرَى اللَّيْلَ مُصْعَبُ

وسياطٌ على أَكْفَفٍ^(٤) رجالٍ تَقَلَّبُ

يقولها في مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، وكان صاحب شرطة

مروان بن الحكم ، ولاء مروان المدينة فقال : إني لا أضبط المدينة بحرس المدينة ،

فأبغني رجالا من غيرها ، فدعا له^(٥) بمائة رجل من أهل أيلة ، فضبطها ضبطا شديدا ،

فدخل السور بن محرمة على مروان ، فقال : أما ترى ما يشكو الناس من مصعب ؟

فقال :

ليس بهذا من سياقٍ عَتَبُ يمشى القَطُوفُ^(٦) وينام الركبُ

وقيل : إنه ولي^(٧) إلى أن ولي عمرو بن سعيد المدينة ، وخرج الحسينُ

(١) ابن أبي سعد بن أبي قيس (أغانى) .

(٢) ابن أهبان (أغانى) .

(٣) عثر (أغانى) .

(٤) في الأصل ألف والتصويب عن الأغانى .

(٥) فأعانه بمئتي • : ٧٤ .

(٦) القطوف من الدواب : التي تسمى السير وتبطل .

(٧) بقى (أغانى) .

وعبدُ الله بن الزبير ، فقال له عمرو : اهدِمِ دُورَ بنى هاشم وآل الزبير ، فقال : لا أفعل . فقال : انتفخ سَحْرُك يا ابن أم حريث !! ألقى سيفنا . فألقاه ، ولحق بابن الزبير ، وولى عمرو بن سميد شرطته عمرو بن الزبير بن العوام ، وأمره بهدم دور بنى هاشم وآل الزبير ، ففعل ، وبلغ منهم كل مبلغ ، وهدم دار ابن مُطِيع التي يقال لها العنقاء ، وضرب محمد بن النذر بن الزبير مائة سوط . ثم دعا بعروة بن الزبير ليضربه . فقال له محمد : أنضرب عروة ؟ قال : نعم ياسبيلان إلا أن تحتمل ذلك عنه ، فقال : أنا أحتمله ، فضربه مائة سوط أخرى ، ولحق عروة بأخيه ، وضرب عمرو الناس ضرباً شديداً ، فهربوا منه إلى ابن الزبير ، وكان المسور بن غرمة أحد من هرب منه ، ولما أفضى الأمر إلى ابن الزبير أقاد منه ، وضربه بالسوط ضرباً مبرحاً ، فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين ، وقال للناس : إن عمراً مات مرتداً عن الإسلام .

قال الزبير : سألت عمي مصعباً ومحمد بن الضحاك ومحمد بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام ، فكلهم قال ^(١) : قيس الرقيات .

وجاء ابن قيس إلى طلحة بن عبد الرحمن بن عوف فقال : يا عم إني قلت شعراً فاسمعه ، فإنك تنصح لقومك ، فإن كان خيراً قلت ، وإن كان رديئاً كفت . قال : أنشدني ، فأشده قصيدته التي يقول فيها :

منع الله والهوى وسرى الليل مصعب ^(٢)

فقال : قل يا ابن أخي فإنك شاعر .

وكان عبيدُ الله بن قيس زبيرى الهوى .

(١) قالوا : ابن قيس (أغانى) .

(٢) حال دون الهوى ودون سرى الليل مصعب (تجريد ١ : ٦٣٢) .

وخرج مع مصعب على عبد الملك ، فلما قُتل مصعب وعبد الله لجأ إلى عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبد الملك في أمره فأمنه . قال عبيد الله بن قيس الرقيات : خرجت مع مصعب حين بلغه شخصُ عبد الملك بن مروان إليه ، فلما نزل مصعب مسكن ورأى معالم^(١) الغدر ممن معه دعاني ، ودعا بجال ومناطق ، فلاً المناطق مآلاً^(٢) وألبسني منها ، وقال : انطلق حيث شئت ، فإني مقتول . فقلت : والله لا أرى حتى أرى سيديك ، فأقت معه حتى قتل ، ثم أقبلت^(٣) إلى الكوفة فأولُ بيت صرتُ إليه دخلته ، فإذا فيه امرأة لها ابتان كأنهما ظيبتان ، فرقيت إلى مشربة فقعدت فيها فأمرت لي المرأة بما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء ، فكثت كذلك عندها أكثر من حول ، تقتم^(٤) لي بما يصلحني ، وتغدو عليّ في كل صباح ، فتسألني بالصباح والحاجة ، ولا تسألني من أنا ولا أسألها من هي . وأنا مع ذلك أسمع الصياح في الجمل ، فلما طال المقامُ وفقدت الصياح في غرضت^(٥) مكاني غدت عليّ تسألني الصباح والحاجة فأعلمتها أنني قد غرضتُ وأحببت الشخصَ إلى أهلي . فقالت لي : يأتيك^(٦) ما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى ، فلما أمسيت رقت إلى وقات : إذا شئت فانزل [فنزلت]^(٧) وقد أعدت راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ، ومعهما عبد ، وأعطت العبد نفقةً لطريقه وقالت : العبد والراحتان لك . فركبنا حتى طرقتُ أهلي بمكة ، فدققت منزلي ، فقالوا لي : من هذا؟

(١) معالم في ب والأغانى ، وكأنها مسلم في الأصل .

(٢) من ذلك المال (أغانى) .

(٣) مضيت (أغانى) .

(٤) تقيم لي ما يصلحني (أغانى) .

(٥) يقال : غرض من المكان : مل وضجر .

(٦) تأتيك بما (أغانى) .

(٧) ما بين القوسين (أغانى) .

قلت : عبیدُ الله، فَبَكَوْا وَوَلُّوْا، وقالوا : ما فارقنا طلبك إلا في هذا الوقت .
فَأَمْتُ عَنْدَهُمْ حَتَّى اسْحَرَتْ ، ثم نهضت ومي العبد فأتيت ^(١) المدينة فُجِئْتُ عبد الله بن
جعفر بن أبي طالب عند المساء ، وهو يُعَشِّي أصحابه فجلست معهم ، وجمعت أتعاجم ،
فلما خرج أصحابه كشفتُ عن وجهي ، فقال : ابنُ قيس !؟ فقلت : ابنُ قيس ،
جِئْتُكَ عَائِذَا بِكَ ، فقال : ويحك ، ما أَجَدَّهُمْ في طلبك ، وأحرصهم على الظفر بك .
ولكني سأكتب إلى أمِّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان ، فهي زوجة الوليد بن
عبد الملك ، وعبدُ الملك أرقُّ شيء عليها ، فكتب إليها يسألها أن تشفع لي إلى
عمِّها ، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتابا يسألها فيه الشفاعة . فدخل إليها
عبد الملك كما كان يفعل ، وسألها : ألك حاجة ؟ فقالت : نعم لي إليك حاجة . فقال :
قضيتُ كل حاجة لك إلا ابنَ قيسِ الرقيات . فقالت : لا تَسْتَبِينَ عَلَيَّ شَيْئًا . فنفخ
بيده فأصاب وجهها فوضعت يدها على خدها فقال : يا بنتي ^(٢) ارفمي يدك فقد قضيت
كل حاجة لك وإن كان ابنُ قيسِ الرقيات . فقالت : إن حاجتي ابنُ قيس ، تؤمنه
فقد كتب إلي يسألني أن أسألك ذلك . قال : فهو آمن فمرِّبه أن يحضر مجلسي
المشيئة ، فحضر ابن قيس ، وحضر الناس ، حين بلغهم مجلس عبد الملك وأخر
الإذن ، ثم أذن للناس ، وأخر إذن ابن قيس الرقيات حتى أخذوا مجالسهم ، ثم
أذن له ، فلما دخل عليه قال عبد الملك : يا أهل الشام أتعرفون هذا ؟ فقالوا : لا ،
قال : هذا عبیدُ الله بن قيسِ الرقيات الذي يقول :

كيف نومي على الفراش ولما
تُدْهِلُ الشَّمِخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي
تشمَلُ الشَّامَ غَارَةً شِعْوَاءَ
عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةِ الْمَذْرَاءِ

(١) حتى قدمت المدينة (أغانى) .

(٢) في الأصل ا، ب : يا أمي .

فقالوا : يا أمير المؤمنين اسقنا دمَ هذا المنافق . قال : الآن ، وقد أمّنته وصار
في منزلي [وعلى بساطي] ^(١) وقد أخرجت الإذن ليمقتلوه فلم يفعلوا ، فاستأذنه ابنُ
قيس الرقيات أن يُنشدَه مديحه فأذن له فأنشده :

عادَ له عن ^(٢) كثيرة الطربُ فعيّنه بالدموع تنسكبُ
حتى قال فيها :

إن الأغرَّ الذي أبوه أبو الـ ماصى عليه الوقارُ والحجُبُ
يمتدُّلُ التاجُ فوق مفرِّقه على جيبٍ كأنه ذهبٌ ^(٣)

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس ، تمدحني بالتاج كأنني من المعجم ، وتقول
في مصعب :

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللـ تَجَلَّتْ عن وجهه الظلمة
مُلْكُهُ مُلْكُ عِزَّةٍ ليس فيه جَبْرَتٌ منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاءً أبداً . قال :
فقال ابن قيس لعبدالله بن جعفر : ما ينفعني أمانى ، تُرَكْتُ حياً كميّتٍ لا آخذ مع الناس
عطاءً أبداً ، فقال له عبد الله بن جعفر : كم بلغت من السن ؟ قال : ستين سنة . قال :
فممرٌ نفسك . قال : عشرين ، فذاك ثمانون سنة . قال : كم عطاؤك ؟ قال : ألفاً درهم .
فأمر له بأربعمين ألف درهم . وقال ذلك [لك] علىّ حتى تموت على تمميرك نفسك
فقال عبيد الله يمدحه :

تَقَدَّتْ ^(٤) بي الشهباء نحو ابن جعفر سواها عليها ليؤها ونهارها

(١) الزيادة عن الأغاني .

(٢) في ١ ، ب عن ، وفي الأغاني من .

(٣) الذهب (أغاني) .

(٤) تقدمت : سارت سيرا ليس بهجلاً ولا مبطلًا .

تَزورُ امرأً قد يعلم الله أنه تجودُ له كفٌ قليلٌ غرارها
أُتيناك نُثنِي بالذي أنت أهله عليك كما أثنَى على الروض جارها
ووالله لولا أن تزورَ ابنَ جعفر لكان قليلاً في دمشقَ قرارها
إذا متَّ لم يُوصلْ صديقٌ ولم تقم طريقٌ من المعروف أنت منارها
ذُكرتْك إذا فاض الفرات بأرضنا وفاض بأعلى الرقتين^(١) بحارها
وعندي ممَّا حوَّلَ اللهُ هجمةً^(٢) عطاؤك منها شولها وعشارها
مباركة كانت عطاءً مُبارك منأخ كبرها وتنمى صنارها

قال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس: [ويحك يا بن قيس]^(٣) أما اتقيت الله

تعالى حين تقول لابن جعفر:

تَزورُ امرأً قد يعلم الله أنه تجودُ له كفٌ قليلٌ غرارها
الأقلت: قد يعلم الناس، ولم تقل: قد يعلم الله... فقال ابن قيس: قد والله
علمه الله وأنت وأنا والناس.

ومما عيب على ابن قيس الرقيات هذا المعنى:

تَقَدَّتْ بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها
وذلك أنه نقض صدره بمجزئه، لأن (تَقَدَّتْ) أى سارت سيرا غير عجل، ثم قال
(سواء عليها ليلها ونهارها) وهذا غاية الدأب في السير، فناقض المعنى في بيت
واحد.

(١) الرقتين (أغانى).

(٢) الهجمة من الإبل ما بين الأربعين أو السبعين إلى المائة والشول: جمع شائلة وهى من الإبل

التي تشول بذنبها للقاح ولا ابن لها.

(٣) ما بين القوسين (أغانى) ٥ : ٨١.

وقال الأصمى (كثيرة) التي ذكرها في شعره :

عاد له من كثيرة الطرب

هي المرأة التي آوته بالسكوفة ، لما أقام عندها سنة . فلما كان بعد سنة إذ أشرف من جناح إلى الطريق . فإذا منادى عبد الملك ينادى ببراءة الذمة ممن أصيب عنده ، فأعلت المرأة أننى الرجل . فقالت لى : لا يرُعك^(١) ما سمعت ، فإن هذا نداء شائع منذ نزلت بنا . فإن أردت المقام فى الرحب والسمة ، وإن أردت الانصراف فأعلمنى . فقلت : لا بد من الانصراف ، فلما أحضرت لى الراحلتين والعبد قلت لها : من أنت لأكافئك ؟ قالت : ما فعلت هذا لتكافئنى ، فانصرفت ولا أعرفها ، إلا أنى سممتها تدعى بكثيرة فذكرتها فى شعرى .

وقيل : إن ابن قيس لما منعه عبد الملك بن مروان عطاءه وطلبه ليقته ، واستجار بمبد الله بن جعفر ، دخل عليه وعرفه خبره فدعا بطبيرة^(٢) فيها دنانير ، وقال لسائب خازر : عد له منها ، فجعلت أعد وأطرب بجهدى ، حتى بلغت ثلاثمائة دينار ، وسكت . فقال لى عبد الله بن جعفر : مالك ، ويحك ، سكت !! ما هذا وقت قطع الصوت الحسن . فجعلت أعد حتى نفذ ما كان فى الظبية ، وفيها ثمانمائة دينار ، فدفعها إليه . فلما قبضها قال لابن جعفر : سل أمير المؤمنين فى أمرى ، قال : قم^(٣) فإذا دخلت ودخلت معى إليه ، ودعا بالطعام ، فكل أكلا فاحشا ، فركب ابن جعفر فدخل معه على عبد الملك ، فلما قدم الطعام جعل يسيء الأكل . فقال عبد الملك لابن جعفر : من هذا ؟ قال هذا إنسان لا يجوز^(٤) إلا أن يكون صادقا إن استبقى ، وإن قتل كان أكذب الناس . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه يقول :

(١) لا يروعنك (أغانى) .

(٢) الظبية : الجراب ، أو الصغير خاصة .

(٣) نعم فى اوفى الأغانى .

(٤) لا يجوز (أغانى) .

ما نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ^(١) الْمَلُوكِ فَمَا تَصْلِحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

فَإِنْ قَتَلْتَهُ لَغَضَبِكَ عَلَيْهِ أَكْذَبْتَهُ فِيمَا مَدَحَكُم بِهِ . قَالَ : هُوَ آمَنُ ، وَلَكِنْ لَا أُعْطِيهِ
عَطَاءً مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . قَالَ : وَلَمْ ؟ وَقَدْ وَهَبْتَهُ لِي ، وَأَحَبُّ أَنْ تَهَبَ عَطَاءَهُ لِي أَيْضًا ،
كَأَوْهَبْتَ لِي دَمَهُ وَغَفَرْتَ ذَنْبَهُ ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : وَتُعْطِيهِ مَا فَاتَهُ مِنَ الْمَطَاءِ .
قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَأَمْرٌ لَهُ بِذَلِكَ .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ قَدْ فَرَضَ عَلَى نَفْسِهِ عَطَاءَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ،
وَأَعْطَاهُ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ عَطَايَا ، أَكْثَرَ مِنْهَا ثُمَّ جَاءَتْهُ صِلَةٌ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَابْنُ قَيْسٍ
غَائِبٌ ، فَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ جَارِيَةً^(٢) لَتَخْبِيَا لَهُ صِلَتَهُ مِنْهَا . فَلَمَّا قَدِمَ دَفَعَهَا إِلَيْهِ
[وَأَعْطَاهُ]^(٣) جَارِيَةً حَسَنَاءَ فَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ :

إِذَا زَرْتِ عَبْدَ اللَّهِ تَفْسِي فِدَاؤُهُ رَجَعْتُ بِفَضْلٍ مِنْ نِدَاءِ وَفَائِلِ
وَإِنْ غَبْتُ عَنْهُ كَانَ لِلوَدِّ حَافِظًا وَلَمْ يَكْ عَنِي فِي الْغَيْبِ بِغَافِلِ
تَدَارَكْنِي عَبْدُ الْإِلَهِ وَقَدْ بَدَتْ لَدَى الْحَقْدِ وَالشَّكَّانِ مَنَى مِقَاتِلِي
فَأَتَقَدَّنِي مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ حِيَاضَ الْمَوْتِ حُمْرًا^(٤) الْمَنَاهِلِ
اعْتَرَضَ الرَّشِيدُ جَارِيَةً فَغَنَّتْ :

... .. مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ إِلَّا

فَلَمَّا ابْتَدَأَتْ بِهِ تَغْيِيرَ وَجْهِ الرَّشِيدِ ، وَعَلِمَتْ أَنَّهَا قَدْ غَلَطَتْ وَأَنَّهَا إِنْ مَرَّتْ فِيهِ قَتِلَتْ
فَاتَّهَمَتْ وَقَالَتْ :

... .. أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ النِّفَاقِ فَلَا تَقْسُدُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

(١) سَادَةٌ (أَغَانِي) .

(٢) خَازِنَةٌ نَخِبًا لَهُ صِلَتُهُ (أَغَانِي ٥ : ٨٢) .

(٣) عَنِ الْأَغَانِي . (٤) جَم (أَغَانِي ٥ : ٨٢) .

فقال الرشيد ليحيى بن خالد : سمعت يا أبا علي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تبتاعُ هذه وتُسنى لها الجائزة ويُمَجَّلُ لها الإذن^(١) ليسكن قلبها . قال : ذاك جزاؤها ، قومي فأنت منى بحيث تحبين ، فأغمى على الجارية . فقال يحيى بن خالد :

جُزيتَ أميرَ المؤمنين بأمنِها من الله جناتٍ تفوزُ بَمدَنِها

مر عبد الله بن قيس بن أبان أبي عتيق ، فسلم عليه ، فقال : عليك السلام يا فارس العمياء . فقال له : ما هذا الاسم الحادثُ يا أبا محمد؟ قال : سميت به نفسك حيث تقول :
... ..
سواءً عليها ليلها ونهارها

فما يستوى الليل والنهار إلا على الأعمى . قال : إنما عذبت التعب . قال : فيبتك يحتاج إلى ترجمان يُترجمُ عنه .

أنشد كثيرٌ ابن أبي عتيق كتمته التي يقول فيها :

واستُ براضٍ من خليلٍ بنائل قليل ولا أرضى له بقليل

فقال له : هذا كلامٌ مكافٍ وليس بعاشق . القرشيان^(٢) أصدق وأنعم منك :
ابن أبي ربيعة حيث يقول :

ليت حظي كطرفة العين منها وكثيرٍ منها القليلُ المهني
وقوله :

فعدى نائلا وإن لم تُنبلي إنه يُفنعُ الحبُّ الرجاءُ
وابن قيس الرقيات حيث يقول :

رُقيَّ بعيشِكُم لا تهجرينا ومَنينا المنى ثم امطينا
عدينا في غد ما شئت إنا نحبُّ وإن مَطَلتِ الواعدينا
فإما تُنجزِي وَعَدِي وإما نعيشُ بما نُؤمِّلُ منك حيناً

(١) في الأصل الآت .

(٢) في الأصل القرشيات .. من كابن أبي ربيعة .

أَعْرَكَ أُنْبَى لَا صَبْرَ عِنْدِي عَلَى هَجْرٍ وَأَنْتَ تَصْبِرِينَا
فَذَكَرَ ذَلِكَ لِأَبِي السَّائِبِ الْخَزَوِيِّ فَقَالَ : صَدَقَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ وَفَقَهُ اللَّهُ ، أَلَا قَالَ
الْمَذْنُوبُ كَمَا قَالَ الْمَجْنُونُ حَيْثُ يَقُولُ :

وَأَبْكِي فَلَا لَيْلِي بَكَتْ مِنْ صَبَابَةٍ لِبَاكِ وَلَا لَيْلِي لَدَى الرَّزءِ ^(١) تَبْدَلُ
وَأَفْنَعُ بِالْمُعْتَبِي إِذَا كُنْتُ مُذْنِبًا وَإِنْ أَذْنَبْتُ كُنْتُ الَّذِي أَنْتَصَلَ
حَدَّثَ فِندٌ ^(٢) قَالَ : حَجَّتْ رَقِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْعَامِرِيَّةُ . فَكُنْتُ آتِيهَا
وَأَحَدْتُهَا فَتَسْتَظَرُّ حُدَيْثِي وَتَضْحَكُ مِنِّي ، وَطَافَتْ لَيْلَةً بِالْبَيْتِ ، ثُمَّ أَهْوَتْ لِتَسْتَلِمَ
الرَّكْنَ الْأَسْوَدَ وَتَقْبَلَهُ ، وَقَدْ طُفَّتْ مَعَ عَمِيدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ ، فَصَادَفَ فِرَاعِنَا
فِرَاعِنَا ، وَلَمْ أَشْعُرْ بِهَا فَأَهْوَى ابْنُ قَيْسٍ يَسْتَلِمُ الرَّكْنَ الْأَسْوَدَ [وَيَقْبَلُهُ] ^(٣) فَصَادَفَهَا
قَدْ سَبَقَتْهُ إِلَيْهِ فَنَفَّحَتْهُ بُرْدَهَا فَارْتَدَعَ . وَقَالَ لِي : مِنْ هَذِهِ ؟ فَقُلْتُ : أَوَّلًا تَعْرِفُهَا ؟ هَذِهِ
رَقِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْوَاحِدِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ :

مَنْ عَذِيرِي مِمَّنْ يَضُنُّ بِمَبْذُو لِقِرِّي عَلَى عِنْدِ الطَّوَافِ
يُرِيدُ أَنَّهَا تَقْبَلُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَتَضُنُّ عَلَيْهِ بِقَبْلَتِهَا ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

حَدَّثُونِي هَلْ عَلَى رَجُلٍ عَاشِقٍ فِي قَبْلَةِ حَرَجٍ

كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ قَدْ أَرَادَ الْبَيْعَةَ لِابْنِهِ الْوَلِيدِ ، بَعْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ،
فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ ذَلِكَ ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ لَهُ : لِي ابْنٌ وَوَلَدٌ
ابْنُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَّا يُفَرِّقَ بَيْنَنَا الْمَوْتَ ، وَأَنْتَ قَاطِعٌ لِي فَاغْفِرْ ،
فَرَّقَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ فَكَفَّ عَنْ ذَلِكَ فَمَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ .

(١) لَدَى الْوَدِّ (أَغَانِي) .

(٢) فِندٌ مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ٥ : ٩٦ .

(٣) عَنِ الْأَغَانِي : ٥ : ٩٦ .

ذِكْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ دَحْمَانَ (١)

دَحْمَانُ لِقَبِّ غَلَبَ عَلَيْهِ ، وَاسْمُهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو ، مَوْلَى بَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرِ
ابْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ، مِنْ كِفَانَةَ . وَيَكْنَى أَبُو عَمْرٍو ، وَيُقَالُ لَهُ دَحْمَانُ الْأَشْقَرُ . وَكَانَ مَعَ شَهْرَتِهِ
بِالْفَنَاءِ صَالِحًا كَثِيرَ الصَّلَاةِ مُمَدِّلَ الشَّهَادَةِ مُدْمِنًا لِلْحَجِّ . وَكَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ بِاطْلَا
أَشْبَهَهُ بِحَقِّ مِنَ الْفَنَاءِ .

وَشَهِدَ دَحْمَانَ لِرَجُلٍ عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ (٢) عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ حَنْطَبٍ ، وَهُوَ بَعِي
الْقَضَاءِ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ بِشَهَادَةٍ ، فَأَجَازَهَا وَعَدَّلَهُ فَقَالَ لَهُ الْعِرَاقِيُّ : إِنَّهُ دَحْمَانُ .
قَالَ : أَعْرِفُهُ ، وَلَوْ لَمْ أَعْرِفْهُ لَسَأَلْتُ عَنْهُ . قَالَ : إِنَّهُ يَفْنَى وَيُمَكِّمُ الْجَوَارِيَّ الْفَنَاءَ . قَالَ :
غَفَرَ اللَّهُ لَنَا ذَلِكَ ، وَأَيْتُنَا لَا يَتَفَنَّى ؟ أَخْرُجْ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ حَقِّهِ .

وَكَانَ دَحْمَانُ مِنْ رُوَاةِ مَعْبُدٍ ، وَمِنْ جَمَلَةٍ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُدَّلِّينَ مِنَ الْمَغَانِي مَعْبُدٍ
فَإِنَّهُ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ ، فَلَمَّا خُصَّ بِالْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ وَعَاشِرَهُ عَلَى تِلْكَ
الْمَهْنَاتِ (٣) ، وَغَنَى لَهُ ، أَسْقَطَتْ شَهَادَتَهُ ، وَعَدَّالَتَهُ ، لِأَنَّ شَيْثًا بَانَ عَلَيْهِ مِنْ دَخُولِ
فِي مَحْظُورٍ ، وَلَكِنْ لِأَنَّهُ اجْتَمَعَ مَعَ الْوَلِيدِ عَلَى مَا كَانَ يَسْتَعْمَلُهُ .

قِيلَ إِنْ الْمَهْدَى أَعْطَى دَحْمَانَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةً خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (٤) وَذَلِكَ لِمَا غَنَّاهُ
فِي شِعْرِ الْأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدٍ :

قَطُوفُ النَّشَى إِذَا تَمَشَّى تَرَى فِي مَشِيهَا خَرَفًا
وَتُثْقِلُهَا عَجِزَتِهَا إِذَا وَلَتْ لَتَنْطَلِقَا

(١) الأغانى ٦ : ٢١ ، في الأصل رحمان والتصويب عن الأغانى .

(٢) ابن المطلب بن عبد الله بن حنطاب ٦ : ٢١ .

(٣) في الأصل المهنات .

(٤) دينار (أغانى ٦ : ٢٣) .

فاستخفه السرور والطرب ، حتى قال لدحمان : سَلْنِي . قال : ريان ^(١) وغالب - ضيمتان بالمدينة - فأقطمهُ إياها ، فلما خرج التوقيع بذلك إلى [أبي] ^(٢) عبيد الله وعمر راجعا المهدي ، وقال له : إن هاتين ضيمتان لم يملكهما قط إلا خليفة ، وقد استقطمهما ولاية المهود في أيام بني أمية [فلم يقطموها] ^(٣) . فقال : والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى ، فصولح على خمسين ألف درهم ^(٤) .

كان دَحْمَانُ جَمَالًا يُكْرِي إِلَى الْمَوَاضِعِ وَيَتَجَرُّ ، وَكَانَتْ لَهُ مَرْوَةٌ ، فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ أَكْرَى وَأَخَذَ مَالَهُ إِذْ سَمِعَ رَنَّةً ، فَاتَّبَعَهَا فَوَجَدَ جَارِيَةً تَبْكِي ، فَقَالَ لَهَا : أَمْلُوكِي أَنْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : لِمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : لِفَلَانَةَ امْرَأَةٍ مِنْ قَرِيشٍ [وَسَمَّيْتُهَا] ^(٥) فَدَخَلَ فَاشْتَرَاهَا مِنْهَا بِمِائَتِي دِينَارٍ وَتَقَدَّهَا الثَّمَنُ . قَالَ : وَأَخَذْتُهَا وَانصرفتُ بِهَا . فَأَقَامَتْ عِنْدِي مُدَّةً أَطْرَحُ عَلَيْهَا أَنَا وَمَعْبِدُ وَالْأَبْحَرُ وَغَيْرُنَا ، ثُمَّ خَرَجْتُ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الشَّامِ ، وَقَدْ حَذَقْتُ ، وَكَانَتْ لَا أَزَالُ إِذَا نَزَلْنَا أَنْزِلُ الْجَمُولَ نَاحِيَةً وَأَنْزِلُ بِهَا مَعِيَ ، مَعْتَرِلًا نَاحِيَةً فِي مَحْمِلٍ ، وَأَطْرَحُ عَلَى الْمَحْمِلِ مِنْ أَعْيِيَةِ الْجَمَالِينَ ، وَأَجْلِسُ أَنَا وَهِيَ تَحْتِ ظِلِّهَا . فَأُخْرِجُ شَيْئًا آكَلُهُ وَأَضَعُ زُكْرَةَ ^(٦) فِيهَا شَرَابٌ فَنَشْرَبُ وَتُعْنِينِي حَتَّى زُرْحَلُ ، فَلَمْ نَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَرُبْنَا مِنَ الشَّامِ ، فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ نَازِلٌ وَأَنَا أَلْقَى عَلَيْهَا لِحْنِي فِي شَعْرِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ يَسَارٍ :

(١) في الأصل ديار والتصويب عن الأغاني والتجريد .

(٢) الزيادة عن الأغاني . والنس فيه . . إلى أبي عبيد الله وعمر بن بزيع .

(٣) الزيادة عن الأغاني ٦ : ٢٣ والتجريد .

(٤) دينار (أغاني) .

(٥) الزيادة عن الأغاني .

(٦) الزكوة بالضم : زق للخبز و الخل كافي القاموس . وفي الأغاني زكوة وهي لئاء صغير

من جلد يشرب فيه الماء .

لوردَ ذو شققِ حَمَامٍ مَنِيَّةٍ لردَدْتُ عن عبد العزيزِ حَمَامَا
صلى عليك اللهُ من مستودِع جاورت رمسا في القبور وهامَا^(١)

فبينما هي تغنيه وإذا براكبٍ قد طلع فسلم علينا ، فرددنا عليه السلام ، فقال :
أتأذنون لي أن أنزل تحت ظلكم هذا ساعة ؟ قلنا : نعم ، فنزل وعرضنا عليه طعاما
وشرابا ، فأجاب . فقدمنا إليه الشفرة والزُّكْرَةَ ، فأكل وشرب واستعاد الصوتَ
مرارا ، ثم قال للجارية : أنتنين لدحمان شيئا ؟ قالت : نعم . فقال : غنّيني من
صنعتي شيئا ، فغنته أصواتا ، وغمزتها ألا تعرّفه أنني دحمان ، فطرب وامتلا فرحا
وسرورا وشرب أقداحا ، والجارية تغنيه ، حتى قرّب وقت الرحيل ، فأقبل عليّ
وقال : أتبيمنى هذه الجارية ؟ فقلت : نعم . قال : بكم ؟ فقلت كالماث : بمشرة
آلاف دينار . فقال : قد أخذتها ، فهلم قرطاسا ودواة ، فجئتُ بذلك . فكتب : ادفع
لحامل كتابي هذا ساعةً تقرّاه عشرة آلاف دينار ، واستوص به خيرا وأعلمني
مكانه ، وختم الكتاب . ثم قال : أندفعُ إلىّ الجارية أم تكونُ معك لتقبضَ
مالك ، فقلت : بل أدفعها إليك . فحملها وقال : إذا جئت البحرَ أقبلِ على فلانٍ
وادفع كتابي هذا إليه ، واقبض منه مالك . ثم انصرف بالجارية ومضيتُ فدلت على
الرجل فإذا داره دارٌ مُلك فدخلتُ عليه ، ودفعت التوقيعَ إليه فقبّله ووضعه على
عينيه ، ودعا بمشرة آلاف دينار ، ودفعتها إليّ ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين .
وقال : اجلس حتى أعلم أمير المؤمنين بك . فقلت له : حيث كنت فأنا عبدك^(٢) ،
وبين يديك ، وقد كان أمر لي بأنزال^(٣) وكان بخيلا فاغتمت ذلك فارتحلت وكنت

(١) ينسب الشعر في الأغاني لكثير يرثي عبد العزيز بن مروان وزعم بعض الرواة أنه
لعبد الصمد بن علي الهاشمي يرثي ابنه له ، وهو في تجريد الأغاني منسوب إلى ابن يسار وقد كانت في
الأصل ابن بشار .

(٢) في الأصل أنا عندك . والتصويب عن الأغاني .

(٣) الأتزال : جمع نزل وهو ما يهيا للضيف أن ينزل عليه .

أَصِبتُ بِجَمَلين ، وَكَانَتِ عِدَّةُ جَمَالِي خَمْسَةَ عَشْرَ فَصَارَتِ ثَلَاثَةَ عَشْرَ . قَالَ : وَسَأَلُ عَنِ الْوَالِيدِ بْنِ يَزِيدٍ فَلَمْ يَدْرِ الْقَهْرْمَانُ أَيْنَ يَطْلُبُنِي . فَقَالَ لَهُ الْوَالِيدُ : عِدَّةُ جَمَالِهِ خَمْسَةُ عَشْرَ جَمَالًا ، وَلَمْ يَعْرِفْ اسْمِي . وَأَقَامَتِ الْجَارِيَةُ عِنْدَهُ شَهْرًا ، لَا يَسْأَلُ عَنْهَا ، ثُمَّ دَعَاهَا بَعْدَ أَنْ اسْتَبْرَأْتُ ، وَأَصْلَحَ مِنْ شَأْنِهَا فَظَلَّ مَعَهَا يَوْمَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ نَهَارِهِ قَالَ لَهَا : غَنِي لِدَحْمَانَ ، فَضَنْتُ . فَقَالَ لَهَا : زَيْدِي ، فَزَادَتْ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ مَا سَمِعْتَ غِنَاءَ دَحْمَانَ مِنْهُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ . فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ وَيَحْكُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي اشْتَرَيْتَنِي مِنْهُ هُوَ دَحْمَانٌ ، قَالَ : أَوْ ذَلِكَ هُوَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ [هُوَ هُوَ] ^(١) قَالَ : وَكَيْفَ لَمْ أَعْلَمْ ؟ قَالَتْ : غَمَزَنِي بِالْأُفْعَلِ . فَكَتَبْتُ إِلَى عَامِلِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ دَحْمَانَ ، فَحَمَلَ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ أَثِيرًا .

وَكَانَ دَحْمَانٌ طَيِّبًا ظَرِيفًا . قَالَ ابْنُ جَامِعٍ : تَذَاكَرُوا يَوْمًا كَبِيرَ الْأَيُّورِ بِمَحْضَرَةِ بَعْضِ الْأَسْرَاءِ فَأَطَالُوا الْقَوْلَ ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا كَبِيرُ أَيْرِ الرَّجُلِ فِي مَقْدَارِ حَرِّ أُمِّهِ ، فَالْتَفَتَ الْأَمِيرُ إِلَى دَحْمَانَ فَقَالَ : يَا دُحَيْمُ كَيْفَ أَيْرُكَ ؟ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّكَ لَمْ تَرِدْ أَنْ تَعْرِفَ كَبِيرَ أَيْرِي وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تَعْرِفَ مَقْدَارَ حَرِّ أُمِّي .

وَأَوَّلُ مَا عَرِفَ مِنْ ظَرْفِ دَحْمَانَ أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بِهِ فَقَالَ لَهُ : أَيْرُ حِمَارِي فِي حَرِّ أُمِّكَ يَا دُحَيْمُ . فَلَمْ يَفْهَمْ مَا قَالَهُ لَهُ ، وَفَهَمَ رَجُلٌ كَانَ حَاضِرًا مَعَهُ فَضَحَكَ . فَقَالَ لَهُ : حَمَّ ضَحَكَتُ ؟ فَلَمْ يَخْبِرْهُ . فَقَالَ لَهُ : أَفَسَمِعْتَ عَلِيَّكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي . فَقَالَ : شَتَمْتُكَ بِمَا لَا أَحِبُّ أَنْ أَلْفَاكَ بِهِ . قَالَ : وَاللَّهِ لَتُخْبِرُنِي بِهِ كَأَنَّكَ مَا كَانَ . قَالَ : قَالَ كَذَا وَكَذَا مِنْ ^(٢) حِمَارِي فِي حَرِّ أُمِّكَ . فَضَحَكَ ثُمَّ قَالَ : أَعْجِبُ وَاللَّهِ مِنْ شَتْمِهِ كُنْيَتُكَ عَنْ أَيْرِ حِمَارِهِ وَتَصْرِيحُكَ بِحَرِّ أُمِّي .

(١) عَنِ الْأَغَانِي .

(٢) فِي الْأَصْلِ : أَيْرُ حِمَارِي وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْأَغَانِي وَهُوَ بِالصَّوَابِ أَشْبَهَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْكِنَايَةِ الْمَشَارِ

إِلَيْهَا بَعْدَ .

ذكر عبد الرحمن أعشى همدان^(١)

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جُشم بن عمرو بن الحارث ابن مالك بن عبد الحق^(٢) بن جشم بن حاشد بن خَيْرَان بن نَوْف بن همدان بن مالك ابن زيد بن أَوْسَلَة بن ربيعة بن الجَنَاب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْحَب ابن يعرب بن قحطان .

ويكنى أبا المصَّبَح ، شاعرٌ فصيحٌ كوفيٌّ من شعراء الدولة الأموية .
وكان زوجَ أختِ الشَّعْبِيّ الفقيهِ عامرِ بنِ شراحيل ، والشَّعْبِيُّ زوجُ أخته .
وكان أحدَ القراء والفقهاء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر ، وآخى أحمد النَّصْبِيّ بالعشيرية [والبلدية] ^(٣) وكان إذا قال شعراً غنى فيه أحمد ، وخرج مع ابن الأَشمث فأتى به الحجاج [أسيراً] فقتله صبوا .

وكان الأعشى قد أتى إلى الشَّعْبِيّ فقال له : إنى رأيت كأنى أدخلت بيتا فيه حنطة وشعير ، وقيل لى : خذا يههما شئت ، فأخذت الشعير . فقال له الشَّعْبِيّ : إن صدقت رؤياك تركت القرآن وقراءته ، وقلت الشعر ، فكان كما قال .

روى حماد الراوية قال : كان أعشى همدان أبو المصَّبَح ممن أغزاه الحجاج بَلَدَ الدليم ، فأسر فلم يزل أسيراً مدة ، ثم إن بنتا للعلاج الذى أسره هَوَيْتَه وصارت إليه ليلا ، فأمكنته من نفسها ، فأصبح وقد واقعا ثماني مرات فقالت له الديلمية :

(١) أغاني ٦ : ٣٣ .

(٢) فى ١ ، ب الحق ولعلها محرفة . وفى الأغاني : الحر . وفى التجريد : الجن .

(٣) فى الأصل العشرة ، والعشيرية وما بين القوسين عن الأغاني ٦ : ٣٣ .

يا معشر المسلمين؛ أهكذا تفعلون بفنائكم؟ فقال: هكذا تفعل كلنا، فقالت: بهذا العمل نصرتهم، أفرأيت إن خلصتكم أتصطفيني لنفسك؟ فقال: نعم، وعاهدها، فلما كان الليل حلت قيوده وأخذت به طريقاً تعرفها حتى خلصته فقال شاعر من أسرى^(١) المسلمين:

فن كان يفديه من الأسر ماله فهدان يفديها الغداة أيورها
وقال قصائد يذكُر فيها ما لحقه من أسر الديلم.

وأخرجه الحجاج أيضاً على جيش الكوفة إلى مكران^(٢) فطال مقامه بها وعمل فيها شعراً.

وكان خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي يمدد الأعشى ويمنيه ويقول له: إن وُلّيت عملاً كان لك ما دون الناس جميعاً، فنتى استعملت فخذ خاتمي واقض في الأمور كيف شئت. فاستعمل خالد على أصفهان وسار معه الأعشى، فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة، وهجاه بأبيات منها:

تمنيتني إمارتها تميمٌ وما أمي وأمُّ^(٣) بني تميم
وكان أبو سليمان أخاً لي ولكن الشراك من الأديم

وأعطى خالد الناس عطاء كثيراً، وجمل الأعشى في أقلها وفضل عليه آل عطار، فهجاه فحبسه مدة ثم أطلقه.

وكان الأعشى يمدح ابن الأشعث لما خرج ويحرض أهل الكوفة، وكان له مع ابن الأشعث مواقف محمودة.

(١) في الأصل: أشداء والتصويب عن الأغاني.

(٢) مكران: ولاية واسعة تشمل على عدة مدن وقرى، وهي بين كرمان من غربها وسجستان

شمالها والبحر جنوبيها والهند شرقيها (مراسد الاطلاع).

(٣) بأم.

وكان الأعشى من أخواله لأن أمَّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أمُّ عمرو بنتُ سميد^(١) بن قيس الهمداني .

ومن مدائح ابن الأشعث من قصيدة طويلة :

يأبي الإلهُ وعزةُ ابنِ محمد وخلود^(٢) ملك قبل آلِ تمود
إن يأنسوا بمذمِّمينَ عروقهم في الناس إن نُسبوا عروقُ عبِيد
فلما صار ابنُ الأشعث إلى سِجِسْتَانَ جَبِي مالا كثيراً فسأله أعشى همدان أن
يمطيه [منه] زيادة على عطائه فامتنع فقال الأعشى في ذلك يعدد عليه أموراً :

هل تعرف الدارَ عفاً رسمُها بالخضر^(٣) فالرَّوضة من آمدِ
نحن حَمِينُكَ وما تَحْتَمِي في الرَّوعِ من مَثْنِي ولا واحدِ
يومَ اتصرنا لك من عابِدِ ويوم أنجيناك من خالدِ
ووقعة الرِّىِّ التي نلتها يجفُّ من خيلنا عاقدِ
وكم لَقِينَا لك من وائرِ يصرفُ نَابِي حَنِيقِ حارِدِ
ثم وَطِئْنَاه بأقدامنا وكان مثل الحَيَّةِ الراصدِ
إلى بلاءِ حسنٍ قد مَضَى وأت في ذلك كالأزهدِ
فأذكر أبادينا وآلانا ودعوة^(٤) من حَبْلِكَ الراشدِ
ويومَ الأهُوازِ فلا تَنَسَّه^(٥) ليس النثا^(٦) والقول بالبايدِ

(١) في الأصل سعد وما أثبتناه عن الأغاني ٤٦:٦ .

(٢) وجدود (أغاني ٤٦:٦) .

(٣) الخضر : مدينة يازاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات .

(٤) بعوده من حملك الراشد (٦ : ٤٧) .

(٥) في الأصل : تثنه .

(٦) في الأصل : التنا - والتنا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أوسى .

إنا لَنرَجُوكَ كما نَرْتَجِي
فانْفَحْ بِكَفِّكَ وما ضَمَّتْما
ما لَكَ لا تَعطى وَأنتَ امرؤٌ
تَجَبِّي سَجِسْتانَ وما حوَلْها
لا تَرهبُ الدهرَ وأيامَه
إن يَكُ مَكروءٌ تَهَجَّنْنا له
ثم تَرى أنا سَنرضى بِذا
وَحُرْمَةَ البیتِ وأَسْتِمارَه
تلكَ لَكم أُمْنِيَّةٌ باطلِ
ما أنا إن هاجَكَ مِن بَمدِها
ولا إذا ناطوكَ^(٥) في حَلَقَةٍ
فأعط ما أعطيتَه طَيِّباً
نَحْنُ ولدناكَ فلا تَجفُنْنا
إن تَكُ مِن كِنْدَةَ في بَيتِها
شَمُّ العَرائِنِ وأهلُ الندى
كَم فيهِمُ من فارسِ مُعَلَمِ

صوبَ الغَمامِ البارِقِ^(١) الرامِدِ
وافعلَ فَعالَ السَيدِ الماَجِدِ
مُثَرِّ من الطَرافِ والتالِدِ
ممكنا^(٢) من عيشِكَ الراغِدِ
وتَجَرَّدُ الأَرْضَ مَعَ الجارِدِ
وأنتَ في المَروفِ كالرَاقِدِ
كلاًَّ ورَبُّ الرَابعِ الساجِدِ
[ومَن به من ناسِكَ عابِدِ]^(٣)
وغفوةً من حُلمِ الرَاقِدِ
هَيَّجْ بِأَتِيكَ ولا كابدِ^(٤)
بِحاملِ عَنكَ ولا ذائِدِ
لا خَيرَ في المَنكودِ والسناكِدِ
والله قَد أوصاكِ بالوالِدِ
فإن أخوالَكَ من حاشِدِ^(٦)
ومنتهى الضَيِّفانِ والرَائدِ
وسائِسِ^(٧) للجَيشِ أو قائِدِ

(١) المبرق (أغانى) ٦ : ٤٨ .

(٢) متكنا في عيشك .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني وهو بياض في الأصل .

(٤) يقال : كابد الأمر مكابدة : فاساه وتحمل المشاق في فعله ، والكابد : فاعل المكابدة .

(٥) في الأصل ولا أرانا طول ، وناطه : علقه .

(٦) حاشد : حى من همدان .

(٧) في الأصل ا ، ب كابس وفي الأغاني : سائس .

فَارْتَحَ^(١) لِأَخْوَالِكَ وَاذْكُرْهُمْ وَاَرْحَمُهُمْ لِّلسَّلَفِ الْعَائِدِ
فَإِنَّ أَخْوَالَكَ لَمْ يَبْرَحُوا يَرْبُونَ بِالرَّفْدِ عَلَى الرَّافِدِ
لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ بِأَحْسَابِنَا وَرَبِّ خَالٍ لَكَ فِي قَوْمِهِ
لَمْ يَبْرَحُوا يَوْمًا وَلَمْ يَجْبِنُوا فِي السَّلَفِ الْغَازِي وَلَا الْقَاعِدِ
وَرَبِّ خَالٍ لَكَ فِي قَوْمِهِ حَمَالٍ أَثْقَالٍ لَهَا وَاحِدِ
مُعْتَرِفٍ لِلْبِرِّ فِي مَالِهِ وَالْحَقِّ لِلسَّائِلِ وَالْقَاصِدِ^(٢)

خرج أَعشى هَمْدَانِ إِلَى الشَّامِ ، فِي وَلايَةِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَلَمْ يَنْتَلِ فِيهَا
حِطًّا ، فَجَاءَ إِلَى النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ فَسَلَّمَ الْيَمَانِيَّةَ ، فَقَالَ لَهُمْ : هَذَا شَاعِرُ الْيَمِينِ ، وَلِسَانُهَا
وَاسْتَأْجَبَهُمْ لَهُ ، فَقَالُوا : نَعَمْ ، يُعْطِيهِ كُلُّ رَجُلٍ مِئَةَ دِينَارٍ مِنْ عَطَائِهِ . فَقَالَ :
لَا ، بَلْ أَعْطُوهُ دِينَارًا دِينَارًا ، وَاجْمَعُوا ذَلِكَ مَعْجَلًا . فَقَالُوا : أَعْطَاهُ إِيَّاهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ،
وَاحْتَسَبْنَا عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْ عَطَائِهِ ، وَكَانُوا عَشْرِينَ أَلْفًا . فَفَعَلَ النُّعْمَانُ ذَلِكَ ، وَأَعْطَاهُ
عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَارْتَجَعَهَا مِنْهُمْ عِنْدَ الْمَطَاءِ ، فَقَالَ الْأَعشى يَمْدَحُ النُّعْمَانَ
ابنِ بَشِيرٍ :

[وَ] لَمْ أَرِ لِلْحَاجَاتِ عِنْدَ التَّمَاثِيهَا كَنُعْمَانَ نُعْمَانَ النُّدَى ابْنَ بَشِيرٍ
إِذَا قَالَ أَوْ قِي مَا يَقُولُ وَلَمْ يَكُنْ يَمْدُلُ إِلَى الْأَقْوَامِ حَبْلَ غُرُورٍ
وَلَهُ أَيْضًا :

إِنَّ يَكُ ذَا الدَّهْرِ قَدْ أَضْرَبْنَا مِنْ غَيْرِ رَحْلٍ فَرِيحًا نَقَعًا
أَبْكِي عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَلَا أَحْسَبُ شَيْئًا قَدْ فَاتَ مَرْتَجِمًا
إِذْ نَحْنُ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ سَلَفَتْ كَانَتْ لَهَا كُلُّ نِعْمَةٍ تَبَعًا

(١) فَارْتَحَ (أَغَانِي) وَفِي ١ ، ب تَقْرَأُ : فَارْعُ أَوْ فَادِعُ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : لِلرِّزْقِ (مَكَانَ لَبْرِ) وَالْعَامِدِ (مَكَانَ لِلْقَاصِدِ) ٦ : ٤٩ .

وقال :

الأمن لنفسٍ لا تموت فينقضى ۱۱ مناء ولا تحيا حياة لها طعمُ
أترُكُ إيمانَ الحبيبِ تأثُّماً ألا إن هجرانَ الحبيبِ هو الإثمُ
فدق هجرها إن كنت تزعم أنه رشاد ألا يا ربِّما كذبَ الزعمُ

وتوفى سنة [١٠٢ هـ] اثنتين ومائة .

وقيل : مات بالمدينة سنة [٩٨ هـ] ثمان وتسعين .

ذكر عمر بن عبد العزيز^(١)

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، ويكنى أبا حفص .

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وكان أحسن الناس صوتا ، حسن القراءة للقرآن .

قيل : إنه صنع الحانا ، والله أعلم .

قال محمد بن الحسن : رأيت عمر بن عبد العزيز في النوم ، وعليه عمامة ورأيت الشجة في وجهه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين صوت يزعم الناس أنك صنمته من شعر جرير :

قفا يا صاحبي نزر سعادا لوشك رحيلها وذر البعادا
فتبسم ولم يرد جوابا .

ذكر يحيى بن سعيد الأموي أن عبد الملك كان يؤثر عمر بن عبد العزيز ويرق له ويدنيه إذا دخل عليه ، ويرفعه فوق ولده جميعا إلا الوليد ، فعاتبه بمض بنيه على ذلك ، فقال له : أوما تعلم لم فعلت هذا ؟ قال : لا ، قال : إن هذا سبلى الخلافة وهو أشج بني مروان الذي يعلأ الأرض عدلا بعد أن تملأ جوراً ، فإلى لا أحبه وأدنيه ؟ وكان قد خرج يلعب فرمته بقله على جبينه ، فبلغ أمه ، أم عاصم ، فخرجت في خدمها ، وأقبل عبد العزيز بن مروان إليها ، فقالت : أما الكبير فيكرم وأما الصغير فيرحم وأما الأوسط فيضيع ، لم [لا]^(٢) تتخذ لابني حاضنا

(١) الأغاني ٩ : ٢٥٤ دار ، تجميد ج ١٣ : ١٠٨٥ .

(٢) الزيادة عن الأغاني والتجميد .

حتى أصابه ما ترى ؟ فحمل عبد العزيز يمسحُ الدم عن وجهه ثم نظر إليها وقال :
ويحك ، إن كان هو أشجَّ بنى مروان إنه لسعيد .

وكانت بنتُ لمبيدِ الله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نُمَيْمٍ (١) النَّحَّامِ فانت ،
فأخذ عاصم بيده ، فأدخله منزله ، فأخرج إليه بنتيه ؛ حفصة وأمَّ عاصم وقال له :
اختر ، فاختار حفصة ، فزوجه إياها ، فقيل له : تركت أمَّ عاصم وهي أجملهما فقال :
وأيتُ جارية رائحة ، وبلغني أن آل مروان ذكروها ، فقلت : لعلمهم أن يصيبوا
في (٢) دنياهم فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له أبا بكر وعمر ، فكانت عنده ،
وقُتل إبراهيم يوم الحرة ، وماتت أم عاصم عند عبد العزيز بن مروان ، فتزوج أختها
حفصة بعدها فحملت إليه إلى مصر فمرت بأبنة (٣) وبها معتوه أو مخنث ، وقد كان
أهدى لأُم عاصم فأثابته ، فلما مرت به حفصة أهدى لها فلم تُثبته فقال : ليست حفصةُ
من رجال أم عاصم ، فذهبت مثلاً . فلما وليَ عمر بن عبد العزيز [بدأ بلُحْمته] (٤)
وأهل بيته وأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم ، ففزع بنو أمية إلى فاطمة
بنت مروان عمته ، فأرسلت إليه أنه قد دعاني (٥) أمر لا بد من لقاءك فيه ، فأنته ليلاً ،
فأنزلهما عن دابتهما ، فلما أخذت مجلسها قال : يا عمه ، أنتِ أولى بالكلام ، لأن
الحاجة لك فتكلمي . فقالت : تكلم يا أمير المؤمنين ، فقال : إن الله تبارك وتعالى
بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة لم يبعثه عذاباً ، إلى الناس كافة ، ثم اختار له ما عنده
فقبضه إليه ، فترك لهم نهراً ، شربهم فيه سواء ، ثم قام أبو بكر ، رضی الله عنه ،

(١) في الأصل نعم والتصويب عن (أغانى ٩: ٢٥٥) .

(٢) من (أغانى) .

(٣) في الأصل : - بإبلة وهي مصحفة .

(٤) ما بين القوسين عن الأغاني وهو بياض في الأصل .

(٥) عناني (أغانى) .

فترك النهر على حاله ، ثم وَلِيَ عمرُ رضى الله عنه ، فعمل على أمر صاحبه ، فلما وَلِيَ
عثمانُ رضى الله عنه اشتق من ذلك النهر نهراً ، ثم وَلِيَ معاويةُ فشق منه الأنهار ،
ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أفضى
الأمر إلى وقد يَبَس ذلك النهر الأعظم [ولن يَرَوَى أصحاب النهر حتى يعود إليهم
النهر الأعظم إلى]^(١) ما كان عليه ، فقالت له : لقد أردتُ كلامك ومذاكرتك
فأما إذا كانت هذه مقاتلك فلست بذكرة لك شيئاً أبداً ، ورجعت إليهم فأبلغتهم
كلامه .

وقيل : إنها قالت لهم : ذوقوا مَعَبَّةَ أمرِك في تزويجِك إلى عمر بن الخطاب .
قال حماد الراوية : دخلت المدينة التمس العلم فكان أول من لقيت كُثِيرُ عزة ،
فقلت : يا أبا صخر ، ما عندك من^(٢) بضاعتي ؟ فقال : عندي ما عند الأحوص
ونُصيب ، فقلت : وما هو ؟ فقال : هما أحق بأخبارك ، فقلت : إننا لم نَحُثَّ المطىَّ
نحوكم شهراً نطلب ما عندكم إلا ليبق لكم [ذكر]^(٣) وقلَّ من فعل ذلك ، فأخبرني
عما سألتك ليكون ما تخبرني حديثاً آخذه عنك ، فقال : إنه لما كان من أمر عمر
ابن عبد العزيز ما كان قدمت أنا والأحوص ونُصيب وكل منا يُدِلُّ بسابقة عند
عبد العزيز [وإخائه لعمر]^(٤) ، فكان أول من لقينا مسلمةُ بن عبد الملك وهو يومئذ
فتى^(٥) العرب ، وكل منا ينظر في عِظْفَيْهِ ولا يشك أنه شريك الخليفة في الخلافة ،
فأحسن ضيافتنا وأكرم مثوانا ، ثم قال : [أما علمتم]^(٦) أن إمامكم لا يعطى

(١) الزيادة عن الأغاني ٩ : ٢٥٦ .

(٢) في الأصل : في .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٤) في الأصل وإحسانه وما بين القوسين عن الأغاني ٩ : ٢٥٧ .

(٥) في الأصل : في .

(٦) الزيادة عن الأغاني .

الشعراء شيئاً ؟ قلنا : قد جئنا الآن ، فافتح لنا في هذا الأمر فتحة ، فقال : إن كان ذو دين^(١) آل مروان قد ولي الخِلافة فقد بقي من ذى دنيا كم من يقضى^(٢) حَقَّكم ويهمل بكم ما أنتم له أهل ، فأقمنا على بابه [أربعة]^(٣) أشهر لا نصل إليه ، وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن له . فقلت : لو أتيت المسجد يوم الجمعة ، فتحفظت من كلام عمر شيئاً ، فأتيت المسجد ، فأنا أول من سمع كلامه ؛ سمعته يقول في خطبته : لكل سفرٍ زاد لا محالة ، فترودوا من الدنيا إلى الآخرة التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فعمل طلباً لهذا أو خوفاً من هذا ، ولا يطولنَّ عليكم الأمدُ فتتقَسُّ قلوبكم وتنفادوا لمدوكم ، واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من ورث بقاب النجاة من عذاب الله ، وأما من لا يداوى جُرْحاً إلا أصابه جُرْحٌ^(٤) من ناحية أخرى ، فكيف يطمئن بالدنيا ؟ أعود بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه ، فتخسر صفقتى [وتبدو عِلَّتى وتظهر مسكنتى]^(٥) وتجبر مسألتي يوم لا ينفع إلا الحق والصدق . فارتج المسجد بالكاء وبكى عمر حتى بلَّ ثوبه ، ووطننا أنه قضى نجبه ، فبلغت إلى صاحبي^(٦) فقلت : جدِّداً لعمر من الشعر مدحا غير ما أعددناه فليس الرجلُ بدنياً^(٧) .

ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم الجمعة بمد ما أُذِن للعامة ، فدخلنا كافة ، فسلمنا عليه بالخِلافة ، فرد علينا فقلت له : يا أمير المؤمنين ، طال الثواء وقلت الفائدة ، وتحدثتُ بجفائك إيانا وفودُ العرب . فقال : يا كُثير ، أما سمعت قول الله تعالى « إنما الصدقاتُ

(١) في الأصل دردير والتصويب عن الأغاني .

(٢) في الأصل نقص والتصويب عن الأغاني وهى فيه (يقضى حوائجكم) .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني :

(٤) في ١ ، ب : جارح .

(٥) الزيادة عن الأغاني .

(٦) بدنيوى (أغاني - تجريد) .

للفقراء والمساكين والماملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والفسارمين
وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم « أفن هؤلاء أنت ؟
فقلت له ؛ وأنا ضاحك : أنا ابن السبيل يا أمير المؤمنين ومُنْقَطَعٌ بِي . فقال : أولستَ
ضيفَ أبي سعيد ؟ قلت : بلى ، قال : ما أحسبُ من كان ضيفَ أبي سعيد ابنِ سبيل
ولامُنْقَطَعًا به .

ثم إنى استأذنته في الإنشاد فقال : قل ، ولا تقل إلا حقا ، فإن الله تعالى يُسألك .
فقلت :

وَلَيْتَ وَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تُخِفْ	رَبِيًّا وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ
وَقَلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قَاتَ بِالذِّى	فَعَلْتَ فَأَمْسَى رَاضِيًا كُلَّ مُسْلِمِ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفَوْا وَلَمْ يَكُنْ	أَطَالِبَ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمِ
رَكَتَ الَّذِي يَفْتَنِي وَإِنْ كَانَ مُوَفِّقًا	وَأَثَرْتَ مَا يَبْقَى بِرَأْيِ مُصَمِّمِ
فَأَضْرَرْتَ بِالْفَاقِي ^(١) وَشَعَرْتَ الَّذِي	أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الشَّرِّ ^(٢) مَظْلَمِ
وَمَا لَكَ إِذْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ	سَوَى اللَّهِ مِنْ مَالِ رَغِيبِ وَمِنْ دَمِ ^(٣)
سَمَا لَكَ هَمٌّْ فِي الْفَوَادِ مُورِقٌ	صَعِدَتْ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسُلْمِ
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالغَرْبِ كَلَّمَا	مَنَادٍ يَنَادِي مِنْ فَصِيحِ وَأَعْجَمِ
يَنَادِي ^(٤) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي	بِأَخْذِ لَدِينَارٍ وَ[لَا] أَخْذِ لَدَرْهَمِ
وَلَا بَسْطِ كَفِّ لَاهِرِي ظَالِمٍ لَهُ	وَلَا سَفْكَ مِنْهُ ظَالِمًا مِلءَ حِجْجَمِ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمَسْلُومُونَ لَقَسَمُوا	لَكَ الشُّطْرَ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ نُدَمِ

(١) تجريد ١٠٨٨ وفي الأصل : فأصدرت للفاقي .

(٢) أغاني (من الهول) .

(٣) في الأصل : رعيت وفي الأغاني والتجريد : رغيب ، ولادم .

(٤) يقول : (أغاني وتجريد) .

فَأَرْبَحُ بِهَا مِنْ صَفْقَةِ لِبَايِعٍ وَأَعْظِمُ بِهَا أَعْظِمَ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمُ
فقاله : يَا كَثِيرٌ ، إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يُسَائِلُكَ عَمَّا قَلْتَ كُلَّهُ .

ثم تقدم الأحوصُ فاستأذنه فقال : قل ولا تقل إلا حقا ، فإن الله عز وجل يسألك
فأنشده :

وما الشعر إلا خطبةٌ من مؤلِّفٍ بمنطقٍ (١) حقٍّ أو بمنطقٍ (١) باطلٍ
فلا تقبلن إلا الذي وافق الرضا ولا ترجعنا كالنساء الأراميل (٢)
رايئنا لم تعدل عن الحق يمناً ولا يسرةً فمل (٣) الظلوم الخائل
ولكن أخذت القصد جهداً كله وتقفو مثال الصالحين الأوائل
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا ومن ذا يرد الحق من قول قائل (٤)
ومن ذا يرد السهم بمد مروقه على فوقه إن عار (٥) من نزع نابل
ولولا الذي قد عودنا خلائفُ غطاريفُ كانوا كالليوث البواسل
لما أخذت شهرأٍ رَحلى جِسرةً (٦) تفلُّ متون البيد بين الرواحل
ولكن رجونا منك مثل الذي به صرِفنا قديما من ذوبك الأفاضل
فإن لم يكن للشعر عندك موضعُ وإن كان مثل الدرِّ من قول قائل
فإن لنا قربي وصدق (٧) مودة وميراث آباء نشوا (٨) بالمناصِلِ

(١) في الأصل : لمنطق .

(٢) أغاني وتجريد وفي الأصل : ولا ترجعن إلا نساء الأراميل .

(٣) في الأصل : إلا والتصويب عن الأغاني وفيه : الجادل مكان : الخائل .

(٤) عاذل (أغاني وتجريد) .

(٥) عار : طاش .

(٦) في الأصل : حرة .

(٧) ومحض (أغاني وتجريد) .

(٨) نشوا في ، ب وفي الأغاني : مشوا وفي اللغة : نسي بالشيء : عاوده مرة بعد مرة .

فدادوا عدو السلم عن عُمر دارم وأرسوا عمود الدين بمد تمايل^(١)
فقبلك ما أعطى الهنيذة جِلَّةً على الشعر كعبا من سديس وبازل^(٢)
رسول الإله المصطفى برسالة عليه سلام بالضحي والأصائل
فكلُّ الذي عدت يكفيك بعضه [ونيلك خير من بحور سوائل]^(٣)

فقال عمر : يا أحوص الله تعالى مسائلك عن كل ما قلت ، ثم تقدم نصيب^٤
فاستأذنه في الإنشاد ؛ فأبى أن يأذن له ، وغضب غضبا شديداً ، وأمره بالحقاق
بدايق ، وأمر لي وللأحوص لكل واحد منا بمائة وخمسين درهما ، وقيل إنه قال :
ما عندي ما أعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم . فانتظرناه^(٤) حتى خرج
عطاؤه فأمر لي وللأحوص لكل واحد منا بثلاثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة وخمسين
درهما ، فما رأيت أعظم بركة من الثلاثمائة درهم التي أعطاني ، ابتعتُ بها وصيفةً
فعلمتها الغناء ، فبعتها بألف دينار .

قال دُكين الراجز : امتدحت عمر بن عبد العزيز ، وهو والي المدينة ، فأمر لي
بخمسة عشرة^(٥) ناقةً كرائم فكرهت أن أرعى بهن الفجاج ولم تطب نفسي
بيمنهن ، فقدمت علينا رفقة من مِصر فسألتهن الصحبة ، فقالوا : ذاك إليك ، ونحن
نخرج الليلة ، فأتيته فودعته ، وعنده شيخان لا أعرفهما ، فقال لي : يا دكين ،
إن لي نفسا تواقفةً ، فإن صرتُ إلى أكثر ممّا أنا فيه ، فأنتي ، فلك الإحسان . فقلت :
أشهدُ لي بذلك . قال : أشهدُ الله عز وجل ، قلت : ومن خلقه . قال : هذين الشيخين

(١) في الأصل : ا ، ب التمايل .

(٢) الهنيذة : المائة من الإبل . السديس : ما دخل من الإبل في السنة الثامنة . والبازل من الإبل ما انشق نابه . وفي التجريد : فقبلك ما أعطى الرسول هنيذة بنبوبة (أغاني) .

(٣) الزيادة من الأغاني وهي بياض بالأصل ، وفيه وذلك مكان : ونيلك .

(٤) في الأصل : فانتظروه .

(٥) في الأصل : بخمسة عشرة ناقة .

فاستسميتهما ، فإذا هما سالمٌ بنُ عبد الله بن عمر ، وأبو يحيى مولى الأمير . فخرجت إلى بلدى بالنوقِ فرمى الله تعالى بالبركة في أذنانهن حتى اقتنيت^(١) منهن الإبل والعبيد، فإني لبصحاء فلج^(٢) ، إذا ناع يني سليمان ، فقلت : من القائمُ بمدّه ؟ قال : عمر بن عبد العزيز ، فتوجهتُ نحوه فلقيني جريرٌ منصوراً من عنده ، فقلت : يا أبا حَزْرَةَ من أين أقبلت ؟ قال : من عند من يعطى الفقراء ويمنعُ الشعراء . فانطلقتُ فإذا هو في عرصة الدار ، وقد أحاط به الناس ، فلم أخلصُ إليه فنادت :

يا عمرَ الخيراتِ والمسكارمِ وعمرَ الدسائِعِ^(٣) العظامِ
إني امرؤٌ من قطنِ بنِ دارمِ طلبتُ دَيْبِي من أخي مكارمِ
إذ تَنَحَّيَ واللهُ غيرُ نائمِ عند أبي يحيى وعندَ سالمِ

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين عندي لهذا البدوي شهادةٌ عليك . فقال : أعرفُها يا دكين ، أنا كما ذكرت لك ، إن نفسي لم تنل شيئاً إلا تآقتُ إلى ما هو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدنيا فنفسى تتوق إلى الآخرة ، والله ما رزأتُ من أموال المسلمين شيئاً ، وما عندي إلا ألفا درهم فخذ نصفها . قال : فوالله ما رأيت ألفاً كان أبركَ منها .

ودكين هو الذى يقول :

إذا المرء لم يدنس من اللؤمِ عِرْضَهُ فكل رداء يرتديه جميلُ
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حُسنِ الثناء سبيلُ^(٤)

(١) اعتقدت (أغاني) ويقال : اعتقد المال جمعه .

(٢) في الأصل أفلح - وفلج : بين البصرة وحى ضرية .

(٣) الدسائِع (جمع دسيعة) وهى العطايا والشهائم .

(٤) تروى الأبيات للموهل .

قال هارون بن صالح : حدثني أبي قال : كنا نعطى النَّسَّالَ الدراهمَ الكثيرةَ حتى يغسل ثيابنا في إثر^(١) عمر بن عبد العزيز من كثرة طيبها ومسكها ، ثم رأيتُه وقد ولى الخِلافةَ فرأيتُ غيرَ ما كنتُ أعرف .

دخل عبدُ الله بنُ حسنٍ على عمر بن عبد العزيز ، وهو حديث السن ، وله وَفْرَةٌ^(٢) فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ثم أخذ عُكْنَةَ^(٣) من عُكْنِهِ ، فغمزها حتى أوجعه ، وقال له : اذكرها عندك للشفاعة ، فلما خرج لامه قومه^(٤) . وقالوا : فعلت هذا بفلامٍ حديث السنِّ فقال : إن الثقة حدثني حتى كَأني أسمعه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [قال] : إنما فاطمة بضعة مني يسرُّني ما يسرُّها ، وأنا أعلم أن فاطمة عليها الرضوان ، لو كانت حيَّةً لسرَّها ما فعلتُ بابنها . قالوا : فما معنى غمزك بطنه وقولك ما قلت . قال : إنه ليس أحدٌ من بني هاشم إلا وله شفاعة ، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا .

قال يزيد بن علي بن فورك^(٥) : كنت بالشام زمن وليِّ عمر بن عبد العزيز ، وكان يمطى الغُرَبَاءَ^(٦) مائتي درهم ، فوجدته متكئاً على إزارٍ وكساء من صوف . فقال لي : مَنْ أنت ؟ فقلت : من أهل الحجاز . قال : من أيِّ الحجاز ؟ قلت : من المدينة . قال : من أيهم ؟ قلت : من قريش . قال : من أيِّ قريش ؟ قلت : من بني هاشم . قال : من أيِّ بني هاشم ؟ قلت : مولى عليّ . [قال : من عليّ]^(٧) فسكت .

(١) في الأصل في باب وهو تصحيف والتصويب عن الأغاني .

(٢) الوفرة - الشعر الكثير .

(٣) العكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن .

(٤) أهله (أغاني وتجريد) .

(٥) يزيد بن عيسى بن مورك (أغاني) يزيد بن عمر بن مورك (تجريد) .

(٦) في الأصل العرفاء وما نقل عن الأغاني والتجريد .

(٧) الزيادة عن الأغاني والتجريد .

قال : من ؟ قلت : علي بن أبي طالب . فجلس وطرح الكساء ، ثم وضع يده على صدره ، وقال : وأنا والله مولى علي ، ثم قال : أشهد على عدد ممن أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْتُ مَوْلَاهُ ، أين ^(١) مزاحم ؟ كم تُعْطِي مِثْلَهُ ؟ قال : مائتي درهم . قال : أَعْطَاهُ خَمْسِينَ دِينَارًا ، لولائه ^(٢) عليا . ثم قال : أَيْ فَرَضِ أَنْتَ ؟ قلت : لا . قال : فافرض له . ثم قال : فالحق ببلادك فسيأتيك إن شاء الله ما يأتي غيرك .

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله ، فلما رآهم استعبر ، ثم قال : بأبي وأمي من خلفتهم بمدى فقراء ، فقال مسلمة بن عبد الملك : فتمقب فملك ^(٣) وَأَغْنِيهِمْ فَمَا يَنْمُكُ أَحَدٌ فِي حَيَاتِكَ ، وَلَا يَرْجُمُهُ [الوالي] ^(٤) بحد وفاتك . فنظر إليه فَظَرَ مُغْضَبٌ مَتَعَجِبٌ ، ثم قال : يا مسلمة ، منعتهم إياه في حياتي وأسقى به بعد وفاتي ، إِنْ وَلَدِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ ؛ إِمَّا مَطِيعٌ لَلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاللَّهُ مُصْلِحٌ لَهُ شَأْنَهُ وَرَازِقُهُ مَا يَكْفِيهِ ، أَوْ عَاصٍ لَهُ فَمَا كُنْتُ لِأَعْيْنَهُ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ . يا مسلمة ، إني حضرتُ أباك لَمَّا دُفِنَ فحملتني عيني عند قبره ، فرأيتُه قد أفضى إلى أمر من أمر الله ؛ راغني وهالني ، فماهدت الله عز وجل ألا أعملَ بمثل عمله إن وُلِّيت ، وقد اجتهدت في ذلك طولَ حياتي ، فأرجو أن أفضيَ إلى عفو الله وغفرانه .

(١) في الأصل : أبا - وهو مزاحم بن أبي مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز .

(٢) من علي (أغاني وتجريد) .

(٣) في الأصل : لمع عقلك واعنهم - والتصويب عن الأغاني ٩ : ٢٦٤ .

(٤) الزيادة عن الأغاني .

قال مسلمة : فلما دُفنَ حضرتُ دفنَه فحملتني عيني ، فرأيتُه وهو في روضة خضراء
نضرة فيحاء ، وأنها رها مُطَرِّدَةٌ وعليه ثياب بيضٌ فأقبل عليّ فقال : يا مسلمة ، لمثل
هذا فليعملِ العالمون .

كتب عمرُ بن عبد العزيز إلى الأسارى بقسطنطينية : أما بعد فإنكم تمدُّون
أنفُسكم أسارى ، معاذَ الله ، أنتم الجبساء في سبيل الله تعالى ، واعلموا أني لست أقسمُ
شيئاً بين رعيّتي إلا خصصتُ أهلكم بأوفرِ ذلك وأطيبه وقد بعثت إليكم خمسة دنانير ،
خمسة دنانير ، ولولا أني خشيت إن زدتكم وكثرتكم [أن يحبسهم عنكم طاغية الروم]
لأعطيت ذكركم وأتاكم ومملوككم ما يسأل فأبشروا ثم أبشروا .

كتب الحسنُ البصريُّ إلى عمر بن عبد العزيز ، وقد كان يكاثبه فلما استخلف
كتب إليه كعادته فقيل له : إن الرجل قد ولى وتغيّر فقال : لو علمتُ أن غير ذلك
أحبُّ إليه لابتعت محبته ، ثم كتب : من الحسن إلى عمر بن عبد العزيز ، أما بعد ،
فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل .

قال سليمان بن أرقم : فضيت بالكتاب إليه ، فلما قدّمت عليه ، وإني لعنده
أتوقع الجواب ، إذ خرج يوماً غير الجمعة ، فصعد المنبر ، واجتمع الناس فلما كثروا
قام حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اعلموا أنكم لم تُخلقوا عبثاً ولم تُتركوا
سدى ، وإن لكم معادا يتولى الله ، عز وجل ، فيه الحكم فيكم والفصل بينكم .
نخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، التي وسعت كل شيء ، وحُرِمَ الجنة التي عرضها
السموات والأرض ، ثم إنكم في أسلاف الماضين وسيرتكم الباقون ، حتى تصيروا
إلى خير الوارثين . كلّ يوم تجهزون غاديا إلى الله ، ورائحاً قد حضر أجله ، وطوى
أمله ، وعان الحساب ، وخلع الأسباب ، وسكن التراب ، ثم تدعونه غير مؤسّد
ولا مُمهد ، ثم وضع يده على وجهه وبكى مَلِيّاً ، ثم رفعها ، وقال : أيها الناس

من وَصَلَ إلينا منكم بحاجته لم نأله خيرا ، ومن عجز فوالله لوددت أنه وآل عمر
في العَجْزِ سواء . ثم نزل وأرسل إلى فدخلت ، فكتب :
بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فكأنك [لست] ^(١) بأول من كُتِبَ عليه الموتُ
قدمات ، والسلام .

واشترى عمرُ بن عبد العزيز موضعَ قبره بعشرةِ دنانير .

قال مسلمة : كنا عند عمر بن العزيز ؛ أنا وفاطمة بنت عبد الملك ، فقلنا له :
يا أمير المؤمنين إنا قد منعناك النوم ، فلو تأخرنا عنك شيئا عسى أن تنام ، فقال :
ما أبالي لو فعلتما . فتَنَحَّيْنَا عنه ، وبيننا وبينه سِتْرٌ ، فلم نلبث أن سمعناه يقول :
حَيَّ الوجوه ، فابتدرناه أنا وهي ، فجئناه وقد أغمَضَ ، وإذا هاتف يهتف في البيت
لا نراه : « تلك الدارُ الآخرةُ نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ،
والعاقبة للمتقين » .

وقد رَوَى عمر بن عبد العزيز الحديثَ ورَوَى عنه .

روى عمر بن عبد العزيز عن أمه عن أبيها ؛ عاصم بن عمر ، عن أبيه ، عمر بن
الخطاب رضی الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ الأدمُ الخَلْقُ .

ذِكْرُ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ (١)

هو عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ بْنِ عَمْرِو (٢) بْنِ عُبَيْدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ
مَعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، وهو عاملة بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد .

وَأُمُّ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ عَامِلَةٌ بِنْتُ وَدِيمَةَ بْنِ قِضَاعَةَ ، وبها سُمُوا عاملة ، ونسبه
الناس إلى الرَّقَّاعِ وهو جَدُّ جَدِّهِ لَشُهْرَتِهِ .

كان شاعراً مقدماً عند بني أمية ، مداحاً لهم ، خاصاً بالوليد بن عبد الملك
وله بنتٌ شاعرة ، يقال لها سَلْمَى .

وجعله ابن سَلَامٍ في الطبقة الثالثة (٣) من شعراء الإسلام .

وكان منزله بدمشق وهو من [حاضرة] (٤) الشعراء لا من باديتهم .

وتعرض لجرير وناقضه ، ولم تتمّ بينهم مهاجاة ، إلا أن جريراً هجاه تعريضاً
في قوله :

* حَى (٥) الهدملة من ذاتِ المواعيس (٦) *

ولم يصرِّح لأن الوليد حلف له ، إن هجاه أسرَّجَه وأنجمَه وحمله على ظهره .

(١) الأغاني ٩: ٣٠٧ ، دار والتجريد .

(٢) ابن أعصر بن عك بن شمل بن معاوية بن الحارث ، أغاني .

(٣) في الأصل : الثانية والتصويب عن الأغاني والتجريد .

(٤) الزيادة عن الأغاني

(٥) في الأصل هي وهو تحريف .

(٦) الهدملة والمواعيس : مكان .

دخل جريرٌ على الوليد بن عبد الملك ، وهو خليفة ، وعنده عديُّ بن الرِّقاع
العامل ، فقال لجرير : أنعرف هذا ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين ، قال الوليد : هذا
عديُّ بن الرِّقاع ، قال جرير : [فشر الثياب الرقاع قال:]^(١) ممن هو؟ قال : من عاملة
قال جرير : الذي^(٢) يقول الله عز وجل : عاملةٌ ناصبةٌ تصلى ناراً حامية . ثم قال :
يَقْصُرُ باعِ الْعَامِلِيَّ عَنِ الْمَلَا وَلَكِنَّ أَيْرَ الْعَامِلِيَّ طَوِيلُ
فقال له عدي :

أأمك كانت أخبرتكَ بطوله أم أنت امرؤ لم تدّر كيف تقولُ

فقال : بل أدري كيف أقول ، فوثب العامل إلى الوليد ، فقبل رجله وقال :
أجرني منه ، فقال الوليد لجرير : لئن شتمته لأسرجنك وألجئنك حتى يركبك
فيميرك الشعراء بذلك . فكنى جريرٌ عن اسمه ثم قال :

إني إذا الشاعر المغرورُ جرّبي جازٌ لقلبي على مُرّانِ مرموسِ

قد كان أشوس^(٣) آباء فأورثنا شغباً على الناس في أيامه الشوسِ

أقصيرُ فإن زاراً لن^(٤) يفاخرهم فرعٌ لثيم وأصلٌ غيرُ مغروسِ

وابن اللبونِ إذا ما أُرّ في قرَنٍ لم يستطع صولةَ البزلِ المقاعيسِ^(٥)

وقيل : إنه لما قال له مقالته « عاملة ناصبة » قال الوليد : ليركبتك شاعرنا
ومادحنا ، ورائي أمواتنا ، تقول له هذه المقالة ، يا غلام عليّ يا كافٍ^(٦) ولجام ،

(١) الزيادة عن الأغاني .

(٢) هي التي يقول : (أغاني) .

(٣) في الأصل : أشرس وشعبا .

(٤) في الأصل : لم والتصويب عن الأغاني وفيه : يفاخرها .

(٥) القرن جبل يقرن به البعير - والمقاعيس جمع مقعنس : الشديد الممتنع . وفي الأغاني :

المقاعيس .

(٦) الإكاف : البرذعة .

فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعفيه ، فأعفاه . وقال : والله لئن هَجَوْتَهُ
لأفعلن بك وأفعلن ، فلم يُصرِّح بهجائه .

ذُكِرَ كَثِيرٌ وَعَدَىُّ بْنُ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِيُّ فِي مَجْلِسِ بَعْضِ خَلْفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ ، فامتروا
فيهما أيهما أشعر ، فقال جرير : لقد قال كَثِيرٌ بَيْتًا وَاحِدًا هُوَ أَشْهَرُ وَأَعْرَفُ فِي النَّاسِ
مِنْ عَدَىُّ بْنِ الرَّقَّاعِ نَفْسِهِ وَهُوَ :

أِنْ زُمَّ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِيرَةٌ وصاح غرابُ البينِ أنتَ حزينُ
قال : خلف الخليفة إن كان عَدَىُّ بْنُ الرَّقَّاعِ أَعْرَفَ فِي النَّاسِ مِنْ بَيْتِ كَثِيرٍ
لِئْسَرِ جَنَّ جَرِيرًا وَيُجَمِّنَهُ وَلِيَحْمِلَنَّ عَدَىُّ بْنُ الرَّقَّاعِ عَلَى ظَهْرِهِ . وَكُتِبَ إِلَى الْوَالِيهِ
بِالْمَدِينَةِ : إِذَا فَرَعْتَ مِنْ خُطْبَتِكَ فَسَلِ النَّاسَ مَنْ الَّذِي يَقُولُ :

أِنْ زُمَّ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِيرَةٌ وصاح غرابُ البينِ أنتَ حزينُ
وَسَلُّهُمْ عَنْ نَسَبِ عَدَىُّ بْنِ الرَّقَّاعِ ، فَلَمَّا فَرَعَ الْوَالِي مِنْ خُطْبَتِهِ قَالَ : إِنْ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُتِبَ إِلَيَّ أَنْ أَسْأَلَكُمْ ، مَنْ الَّذِي يَقُولُ :

أِنْ زُمَّ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِيرَةٌ الخ الخ
فابْتَدَرُوا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يَقُولُونَ : كَثِيرٌ كَثِيرٌ . قَالَ : وَأَمْرُنِي أَنْ أَسْأَلَكُمْ
عَنْ نَسَبِ عَدَىُّ بْنِ الرَّقَّاعِ ، فَقَالُوا : لَا نَدْرِي ، حَتَّى قَامَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ
فَقَالَ : مِنْ عَامِلَةٍ .

قال محمد بن موسى المُنَجِّمُ : مَا أَحَدٌ ذُكِرَ لِي أَحَبُّتُ أَنْ أَرَاهُ ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ
أَمَرْتُ بِصَفِّهِ إِلَّا عَدَىُّ بْنُ الرَّقَّاعِ ، فَقُلْتُ : وَلِمَ ذَاكَ ؟ قَالَ : لِقَوْلِهِ :

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا^(١) عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَسِي أَرْدَادَهَا
وَكَفْتُ أَعْرَضُ عَلَيْهِ أَصْنَافَ الْعُلُومِ ، فَكَلَّمَا مَرَّ بِهِ شَيْءٌ لَا يَحْسُنُهُ أَمَرْتُ بِصَفِّهِ .

(١) عالما (تجريد) .

كان عدى بن الرقاع ينزل الشام ، وكانت له بنتٌ تقول الشعرَ فأتاه قوم من الشعراء ليأتنوه^(١) ، وكان غائباً ، فسمعت ابنته وهي صغيرة ذرواً من وعيدهم فخرجت إليهم وأنشأت تقول :

تَجَمَّعْتُمُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَبِلَدَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لَا زِلْتُمُ قِرْنَ وَاحِدٍ
فأختمهم . ولمدى بن الرقاع :

أَلَمِمْ عَلَى طَلَلٍ عَفَا مَقَامِ بَيْنَ الدَّخِيلِ وَبَيْنَ عَتَبِ النَّاعِمِ
لَوْلَا الْحِيَاءُ وَأَنْ رَأَيْتُ قَدْعَسَا^(٢) فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
وَكَأَنَّهَا وَسَطَ النَّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ^(٣) جَاسِمِ
وَسَنَانُ أَقْصَدَةِ النَّعَاسِ فَرَنَّتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَبَلِيسُ بِنَائِمِ

جرت هذه الأبيات بحضرة أبي عمرو الشيباني . فاستحسنها ، وبالغ . فقال له رجل أعرابي كان بحضرته ، كأنه مدني : أما والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعة ، وقُضبانُ الدُّفَى^(٤) تأخذه لكنت له أشد استحساناً ، يعني إذا كان يعني به على العود . عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الأردن وضربه وأقامه للناس وقال للموكلين به : من أتاه مُتَوَجِّعاً أو أثنى عليه فأتوني به . فأتاه عدى بن الرقاع ، وكان عبيدة إليه محسناً ، فوقف عليه وأنشأ يقول :

فَا عَزَلُوكَ مَسْبُوقاً وَلَكِنْ إِلَى الْغَايَاتِ^(٥) سَبَّاقاً جَوَادَا
وَكَنتُ أَخِي وَمَا وَلَدْتُكَ أُمِّي وَصُؤلاً بَاذِلاً لِي مَسْتَرَادَا
فَقَدْ هَيِّضَتْ لِنِكَبَتِكَ الْقُدَامِي كَذَاكَ اللَّهُ يُفْعَلُ مَا أَرَادَا

(١) في الأصل : ليأتنوه . والتصويب عن الأغاني . والماتية : المعارضة .

(٢) عسا : اشتد ، وفي الأصل : فشا .

(٣) في الأصل ا - ب : طاسم وروى : عاسم والتصويب عن الأغاني .

(٤) الدفلى شجر حسن المنظر يكون في الأودية وهو مما يقدر به - وفي الأصل وقصبات .

(٥) الحيرات (أغاني) .

فوثب الموكلون به فأدخلوه إلى الوليد ، وأخبروه بما جرى فتعظف عليه الوليد ، وقال : أتمدح رجلاً قد فعلتُ به ما فعلتُ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه كان لكُ محبباً ولى مؤثراً ، ففى أى وقت كنتُ أكانته بمد هذا اليوم ؟ فقال : صدقت وكرمت ، قد عفوت عنك وعنه ، وهو لك فخذُه وانصرف . فأخذُه وانصرف به إلى منزله .

قال جرير : سمعت عدى بن الرقاع ينشد :

تُرْجى أَعْنى كأن إبْرَةَ رُوْفِهِ

فرحمته من هذا التشبيه وقلت : بأى شىء يُشَبَّهه ؟ فلما قال :

... .. قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

رحمت نفسى منه .

بلغ كثيرًا أن عدى بن الرقاع يطعن على بشره ويقول : هذا شعرٌ حجازى مقروءٌ إذا أصابته قرء الشام جمدٌ وهلاك ، فحضر يوماً مجلس الوليد وقد أنشد عدى ابن الرقاع قصيدته :

* عرفَ الديارَ توهُما فامتادها *

فلما أتى إلى قوله :

وقصيدة قد كنت أجمع بينها حتى أقومَ مئيلها وسنادها

فقال له كثير : لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً لم تأت فيها بميل ولا سناد فتحتاج إلى أن تقومها ثم أنشد قوله فيها :

وعلمت حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لى أزدادها

فقال له كثير : كذبت ورب الكعبة فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغير الأمور دون كبيرها حتى يبين جهلك وما كنت قط أحق منك الآن حين تظن هذا بنفسك، فضحك الوليد ومن حضره ، وقطع بمدى بن الرقاع حتى ما نطق .

ذكر عُليّة بنت المهدي^(١)

أُمها أُمّ ولد مغنية يقال لها مَكْنُونَة ، كانت من جواري الروائية المغنية ،
وليسَت من آل مروان بن الحكم ، وهي زوجة الحسين بن عبد الله بن العباس ،
مغنية ، وكانت أحسنَ جارية بالمدينة وجهاً وكانت رسحاء^(٢) ، وكانت حسنة الصدر
والبطن وكان من يمازحها يعثبُ بها فيصيح : طَسَّتْ طَسَّتْ ، فاشترت للمهدي في
حياة أبيه بمائة ألف درهم فغلبت عليه حتى كانت الخيزران تقول : ما مَلَكَ أُمَّةً أغلظ^(٣)
عليّ منها .

ولما اشتراها ستر أمرها عن المنصور حتى مات فولدت له عليّة ، وكانت عليّة من
أجمل الناس وأظرفهم تقول الشعر الجيد وتصوغ فيه الألحان الحسنة .

وكان بها عيب ، [كان]^(٤) في جبينها فضلُ سعة فأتخذت المصائب المكلّلة
بالجوهر لتستر بها جبينها ، فأحدثت ، والله ، شيئاً ما رُئِيَ فيما أعدّه النساءُ وأبتدَعنه
أحسنَ منه .

وكانت حسنة الدين لا تمنى ولا تشربُ النبيذَ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة ، فإذا
طمُرَّتْ أقبلت على قراءة القرآن والصلاة وقراءة الكتب ولم تك [تلذ]^(٥) بشيء غير
قول الشعر في الأحيان إلا أن يدعوها الخليفةُ إلى شيء فلا تقدر على خلافه .

(١) أغاني دار الكتب ١٠ : ١٦٢ - التجريد ٣ : ١٠٧١ .

(٢) الرسحاء : القليلة لحم العجز والفخذين .

(٣) في الأصل : أغلى والتصويب عن التجريد .

(٤) زيادة عن الأغاني والتجريد .

(٥) فلا تلذ بمعنى (أغاني) وما بين القوسين يقتضيه السياق .

وكانت ، رحمها الله تعالى تقول : ما حرّم الله شيئاً إلا وقد جعل فيها حلل منه عوضاً ، فبأى شيء يحتاج عاصيه والنهك لحرماته . وكانت تقول : لا غفر الله لى فاحشةً ارتكبتها قطُّ وما أقول^(١) فى شعرى إلا عبثاً . وكانت تحب أن ترسل بالأشعار من تحتصّه ، فاختصت خادماً من خدم الرشيد ، يقال له ظل ، فلم تره أباماً ، فشت على ميزابٍ وحدثته ثم قالت فى ذلك :

قد كان ما كلفته زماً يا ظلّ من وجد^(٢) بكم يكفى

حتى أتيتك زائراً عجلاً أمشى على حتفى إلى حتفى^(٣)

خلف عليها الرشيدُ ألا تكلمم طلا ولا تسميه باسمه ، فضمنت له ذلك ، فدخل

عليها يوماً وهى تقرأ^(٤) حتى بلغت إلى قوله تعالى « فإن لم يُصِبها وابلٌ فطلّ » ،

فأرادت أن تقول : « ظل » فقالت : فالذى نهى عنه أمير المؤمنين ، فدخل فقَبِلَ

رأسها ، وقال : قد وهبتُ لك طلاً ولا أمنعك بمد هذا من شيء تريدنه .

وكان ظلّ قد حُجِبَ عنها فقالت فيه وصحفتُ اسمه فى أول بيت :

أيا سرّوة البستانِ طال تشوّقى فهل لى إلى ظلّ إلمك سبيل^(٥)

متى يلتقى من ليس يُقبضى خروجه وليس لمن يهوى إليه رسول^(٦)

عسى الله أن نرتاح من كربةٍ لنا فيلقى اغتباطاً خلّةٌ وخليل

(١) ولا أقول (تجريد ١١٧٢) .

(٢) وجدى (تجريد) .

(٣) حتف إلى حتف (تجريد) .

(٤) تدرس آخر سورة البقرة (تجريد) .

(٥) لديك مقبل (أغانى وتجريد) .

(٦) سبيل (تجريد) .

ومما قالت عليّة أيضا في ظل وصحفت اسمه^(١) فيه قولها :

سَلِمَ عَلَى ذَاكَ الْغَزَالِ الْأَعْيِدِ الْحَسَنِ الدَّلَالِ
سَلِّمْ عَلَيْهِ وَقُلْ لَهُ يَاغُلُّ أَلْبَابِ الرِّجَالِ
خَلَيْتِ جِسْمِي ضَاحِيَا وَسَكَنْتِ فِي ظِلِّ الْحِجَالِ
وَبَلَنْتِ مِنِّي غَايَةً لَمْ أَدْرِ فِيهَا مَا احْتِيَالِ

وكانت لأُم جعفر جارية يُقال لها طُغْنِيَانُ فَوَسَّتْ بُعْلِيَّةً إِلَى رِشَاءٍ وَحَكَتْ عَنْهَا

مَا لَمْ تَقُلْ فَقَالَتْ عَلِيَّةُ :

لَطْفِيَانُ خُفُّ مِثْلَ ثَلَاثِينَ^(٢) حِجَّةً جَدِيدُهُ فَمَا يَبِيلُ وَلَا يَتَخَرَّقُ
وَكَيفَ بَلَى خُفِّ هُوَ الدَّهْرَ كُلَّهُ عَلَى قَدَمَيْهَا فِي السَّمَاءِ مُعَلَّقُ
فَمَا خَرَقَتْ خُفًّا وَلَمْ تُبَلِّ جَوْرَبًا وَأَمَا سَرَاوِيلَاتُهَا فَمُزَّقُ

وكانت عُليّة أيضا تقول الشعر في خادم اسمه رِشَاءٌ وَتَكْنَى عَنْهُ ، فَمَا قَالَتْ فِيهِ

مُصَحَّفًا :

وَجَدَ الْفَرَّادُ زَيْنِبَا وَجَدًّا شَدِيدًا مُتَعِيمَا
أَصْبَحْتُ مِنْ كَلْفِي بِهَا أَدْعَى شَقِيًّا^(٣) مُنْصَبَا
وَلَقَدْ كَنَيْتُ عَنْ اسْمِهَا عَمْدًا لِكَيْلَا تَفْضَبَا
وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُتْرَةً وَكَتَمْتُ امْرَأً مُعْجَبَا
قَالَتْ وَقَدْ عَزَّ الوَصَا لُ وَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبَا
وَاللَّهِ لَا نِلْتَ الْوَدَّ دَةً أَوْ تَفَالَ الْكُوكْبَا

(١) في الأصل : اسمها وهو تحريف .

(٢) في الأصل : ثلاثون .

(٣) سقيما (أغاني دار السكّاب ١٠ : ١٦٥) .

وحلَفَ رَشَاءً لَا يَشْرَبُ النَّبِيذَ فَقَالَتْ عَلَيَّةُ فِي ذَلِكَ :

قد ثَبَّتَ الخَاتَمَ فِي خَنْصَرِي إِذْ جَاءَنِي مِنْكَ تَجَنِّيكَ
حَرَمْتُ شُرْبَ الرَّاحِ إِذْ عَفَّتْهَا فَلَسْتُ فِي شَيْءٍ أُعَاصِيكَ
فَلَوْ تَطَوَّعْتَ لِعَوَضَتِي مِنْهُ رَضَابَ الرِّيقِ مِنْ فِيكَ
فِيهَا عِنْدِي مِنْ نِعْمَةٍ لَسْتُ بِهَا مَا عَشْتُ أُجْزِيكَ
يَا رَشَاءً^(١) قَدْ أَرَقَّتْ مُقَلَّتِي أَمْتَعْنِي اللَّهُ بِجُبِّيكَ

قال أحمد بن يزيد : حدثني أبي قال : كنا عند المنتصر فغناه بنان :

يَا رَبَّةَ الْمَنْزِلِ بِالْفَدِكِ^(٢) وَرَبَّةَ السُّلْطَانِ وَالْمُلْكِ
تَحَرَّجِي بِاللَّهِ مِنْ قَتْلِنَا لَسْنَا مِنَ الدَّيْلِمْ وَالتُّرْكِ

فَضِحِكْتُ ، فَقَالَ لِي : مِمَّ تَضْحَكُ ؟ قُلْتُ : مِنْ شَرَفِ قَائِلِ هَذَا الشَّعْرِ وَشَرَفِ
مَنْ لِحْنَهُ وَشَرَفِ مَنْ يَسْتَمِعُهُ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ : الشَّعْرُ لِلرَّشِيدِ ، وَالغِنَاءُ
لِأَمْلِيَّةِ بِنْتِ الْمَهْدِيِّ ، وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَمِعُهُ . فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ ، وَمَا زَالَ يَسْتَعِيدُهُ .

قال إسحاق الموصلي : عملت في أيام الرشيد لحنا في شعر بشار في النساء :

سَفِيًّا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نَمَّتْ نَبْهَنِي بَعْدَ الْهُدُوءِ بِهَا قَرَعُ النَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سَوَسْنَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ

فَأَعْجَبَنِي ، وَعَمَلْتُ [عَلَى] ^(٣) أَنْ أَبَاكَرَ بِهِ الرَّشِيدَ ، فَلَقَيْتَنِي فِي طَرِيقِ خَادِمِ
[لَعْلِيَّة] ^(٣) بِنْتِ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ : مَوْلَاتِي تَأْمُرُكَ بِدُخُولِ الدَّهْلِيزِ لِتَسْمَعَ مِنْ بَعْضِ جَوَارِيهَا
غِنَاءً أَخَذْتَهُ عَنْ أَبِيكَ وَشَكَكْتُ فِيهِ الْآنَ ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ إِلَى حِجْرَةٍ قَدْ أُفْرِدَتْ لِي كَأَنَّهَا كَانَتْ

(١) في الأغاني : يازينبا وبذلك كان الخطاب في الشعر لمؤنث والضمير يعود إليها .

(٢) بالبرك (أغاني) .

(٣) الزيادة عن الأغاني والتجريد .

مُعَدَّة ، فجلست ، وقُدِّمَ لى طعامٌ وشرابٌ فنلتُ حاجتى منهما ، ثم خرج إلى خادمٍ فقال : تقول لك مولاتى : أنا أعلمُ أنك قد غدوتِ إلى أمير المؤمنين بصوتٍ مُحدِّثٍ أعدَدته له فأسمِعْنِيه ، ولك جائزة سنِّيَّة تَمَعَّجُهَا ، ثم ما يأمرُك به أمير المؤمنين بين يديك ، ولعله لا يأمرُك بشيء ، أو لا يقعُ الصوتُ منه بحيثُ توخَّيتُ فيذهب سَمْعُكَ باطلا . فاندفعتُ ففغيتُها إياه ، ولم تزل تستعيدُه مراراً ثم أخرجتُ إلى عشرين ألفَ درهم ، وعشرين ثوبا ، وقالت : هذه جائزَتُك ثم قالت : اسمَعِ الآن ، فغنته غناء ما خَرَقَ سَمْعِي مثله ، ثم قالت : كيف ترى ؟ قلتُ : أرى ، والله ، ما لم أَرِ مثله . قالت : يا فلانة أعيدي له مثلَ ما أَخَذَ ، فأحضرتُ عشرين ألفا أخرى ، وعشرين ثوبا ، فقالت : هذا ثمنه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ، ولن أبدأ بفناء غيره وأخبره أنه من صنعتى ، وأعطى الله عهداً لئن نطقتُ بأن لك فيه صنعةٌ لأتقنَنَّك هذا إن نجوتُ منه ، إن عَلِمَ بعصيرك إلى . فخرجتُ من عندها فوالله إنى كاللوقر^(١) بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوتِ فاجسرتُ بعد ذلك أن أتَنفَّمَ به فى نفسى ، فضلا عن أن أظهره ، حتى ماتت ، فدخلتُ على المأمونِ فى أولِ مَجْلِسِ جَلَسَه للهو بعدها ، فبدأتُ به أولَ ما غنيتُ فتغير وجهُ المأمون وقال : من أين لك هذا ؟ قلتُ : ولى الأمانُ على الصَّدق ؟ قال : ذاك ، فحدثته الحديث . قال : يا بغيض ، فما كان لك فى هذا من النفاسة حتى شَمَرْتَه وذكرتُ هذا منه ، مع الذى أخذته من العوض . ووجَّهتُنِي فيه هُجْنَةٌ وِدِدْتُ معها أنى لم أذكره لك فأليتُ ألا أُغْنِيَه بعدها أبداً .

أهديتُ للرشيذ جارية فى غاية الجمال ، فخلا معها يوماً ، وأخرج كلَّ قَيْنَةٍ فى داره . واصطَبَحَ . وكان من حضر من جواريه للغناء والخدمَةِ فى الشراب

(١) لسكالوقن بما (أغانى) - تجريد - وفى الأصل كاللوقر ما .

زهاء ألقى جارية في أحسن زى من كل نوع من أنواع الثياب والجواهر .
وانصل الخبرُ بأُم جعفر فنُلظ عليها ذلك . فأرسلت إلى عُلَيَّة تشكو إليها .
فأرسلت إليها عليَّة : لا يَهُوَنَّكَ هذا ، والله لأرُدَّنَّه إليك ، قد عزمت أن أصنع
شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جَوَارِيٍّ فلا تَبْقَى عندك جاريةٌ إلا بعثت بها إلى
والبسِينِ أنواع^(١) الثياب ليأخذن الصوت مع جوارى ، ففعلت أم جعفر
ما أمرتها ، فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وعُلَيَّة وأُم جعفر قد خرجتا
إليه من حُجرتهما ، معهما^(٢) زهاء من ألقى جارية من جواريهما وسائر جوارى القصر
عليهن غرائب اللباس وكهَن في لَحْنٍ واحد هزج صنعته عليَّة وهو :

مُنْفَصِلٌ عَنِّي وَمَا قَلْبِي عَنْهُ مُنْفَصِلٌ
يَا هَاجِرِي^(٣) الْيَوْمَ لِمَنْ نَوَيْتَ بَعْدِي أَنْ تَصِلَ

فطرب الرشيدُ ، وقام على رجليه ، حتى استقبل أم جعفر وعُلَيَّة ، وهو على غاية
السرور ، وقال : لم أر كالِيَوْمِ قَطُّ ، يامسرورُ ، لا تَبْقِيَنَّ في بيت المال درهماً إلا نثرته .
فكان ما نثر يومئذ ستة آلاف ألف درهم ، وما سُمِعَ بمثل ذلك اليوم .

قال محمد بن يزيد المبرد : كانت عليَّة تقول : من لم يُطْرِبه الرملُ لم يطربه شيء ،
وكانت تقول : من أصبح عنده طباهجة باردة ولم يَصْطَبِحْ فعليه لعنة الله .

تمارت خشف الواضحية وعريب في غناء عُلَيَّة^(٤) بمحضرة المتوكل وغيره
من الخلفاء . فقالت خشف : هي ثلاثة وسبعون صوتاً وقالت عريب : اثنان وسبعون ،
فقال المتوكل : غَنَّا غَنَاءَهَا فلم يَزَلَا يُغْنِيَانِ حتى مضى اثنان وسبعون صوتاً ،
ولم تَعْرِفْ خشفُ الثالثَ والسبعين ، فقطع بها واستعملت عريبُ عليها ، وانكسرت ،

(١) ألوان (أغانى ١٠ : ١٧٢ تجريد).

(٢) في الأصل معها - وجواريهما .

(٣) في الأغاني : ياقاطعي .

(٤) في الأصل عريب والتصويب عن الأغاني والسياق يقتضيه .

فلما كان الليل رأيتُ عَلِيَّةَ في النوم . فقالت : يا خشف ، خالفتكِ عريبُ في غنائِي ،
قلت : نعم يا سيدتي ، قالت : الصوابُ معك ، فتدريين ما الصوت الذي نسيته ؟
قلت : لا ، والله ، ووددت أني فديتُ ما جرى بكلِّ ما أملك . قالت : هو :

بُنَى الحُبِّ على الجَوْرِ فلو أنصفَ المحبُوبُ^(١) فيه لَسَمِجُ
ليس يُسْتَحْسَنُ في وصفِ^(٢) الهوى عاشقٌ يُحْسِنُ تَأْلِيفَ الحُجَجِ
لا تَعْيِنَ من حُبِّ ذِلَّةٍ^(٣) العاشقُ مِفْتَاحَ الفرجِ
وقليل الحُبِّ صرفاً خالصاً^(٤) لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزِج

وكأها قد اندفعتُ تُغْنِي فيه فما سَمِعْتُ أحسنَ مما غَنَّتْهُ ، وزادتني فيه أشياء
في نومي لم أكنُ أعرفُها ، فانتَبَهْتُ ، وأنا لا أعقلُ فرحاً ، فباكرت الخليفةَ
وذكرت له القصةَ . فقالت عريب : هذا شيءٌ صنعته أنتِ لما جرى أمس ،
وأما الصوتُ فصحيحٌ . فلفتُ للخليفة بما رَضِيَ به أن القصةَ كما حكيتُ ، فقال :
رؤياكِ أعجبُ ، ورحم الله عَلِيَّةَ فما تَرَكتُ طرفها حية وميتة ، وأجازني جائزةً سَنِيَّةً .

قال مسرورُ الكبيرُ : اشتاق الرشيدُ إلى إبراهيم الموصلي يوماً ، فركب حماراً
يَقْرُبُ من الأرض ثم أمر بعضَ خَدَمِ الخِصَةِ بالسعى بين يديه ، وخرج من داره
فلم يزل حتى دخل على إبراهيم الموصلي فلما أحس به استقبله ، وقبَّلَ رجله ،
وجلس الرشيد ، فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ، ثم نهضوا ، ورأى عيداناً
كثيرةً . فقال : يا إبراهيم ما هذا ؟ فجعل يدافعُ ، فقال : ويليكَ أصدقني . فقال :
نعم ، يا أمير المؤمنين ، جاريتان أطرحُ عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين

(١) المشوق (الأغاني ١٠: ١٧٥ تجريد) .

(٢) في حكم (الأغاني) .

(٣) في الأصل زلة بالزاي ، والتصويب عن الأغاني .

(٤) في الأصل صرف خالص .

ظريفتين ، وكاتنا لُمَلِيَّة بنت المهدي بمتن بهما إليه ، يطارحهما . فقال الرشيد لإحداهما : غَنَى ، فنفت هذه الأبيات :

بِنِي الْحُبِّ عَلَى الْجَوْرِ فلو أنصف المحبوبُ فيه لَسَمَّجُ

فقال : أحسنت جدا . وقال : يا إبراهيم لمن الشعر ؟ ما أملهه ! لمن اللحن ؟ ما أطربه ! فقال : لا أعلم . فسأل الجارية فقالت : لسيدتي . فقال : ومن سيدتك ؟ قالت : غُلية أختُ أمير المؤمنين . قال : الشعر واللحن ؟ قالت : نعم ، فأطرق ثم رفع رأسه إلى الأخرى ، وقال : غنى فنمت :

تَحَبَّبُ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةٌ الْحَبِّ وكم من بعيدِ الدارِ مُستوجبُ القربِ
تَبَصَّرَ فَإِنَّ حَدِيثَ أَنْ أَخَا هَمَوَى (١) نجاسالما فارجُ النجاة من الحُبِّ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ سَخَطٌ وَلَا رِضًا فأين حلاواتُ الرسائلِ والكتِّبِ

فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر فقال : لا أعلم . فسأل الجارية فقالت : لسيدتي ، قال : ومن سيدتك ؟ قالت : غُلية أختُ أمير المؤمنين ، فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريقتين . [ومضى فركب حماره وانصرف إلى غُلية فقال : قد أحببت أن أشرب عندك اليوم فتقدَّمتُ فيما تُصلِّحُه] (٢) وأخذنا في شأنهما فلما كان في آخر الوقتِ حملَ عليها بالنبيذ ثم أخذَ العودَ من حجرٍ جارية فدفعه إليها فأكبرت ذلك فقال : بترُبة المهدي لتُغنيني ، قالت : وما أغنى ؟ قال : غنى :

بِنِي الْحُبِّ عَلَى الْجَوْرِ فلو أنصف المحبوبُ فيه لَسَمَّجُ

فعلمت أنه قد وقفَ على القصة فنفتُ ، فلما أنتَ عليه ، قال لها ، غنى :

تَحَبَّبُ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةٌ الْحَبِّ وكم من بعيدِ الدارِ مستوجبُ القربِ

(١) هوى (أغانى ١٠: ١٧٦ تجريد) .

(٢) يباس في الأصل وما بين القوسين عن الأغاني والتجريد .

فَلَجَّجَتْ^١ ثم غنت ، فقام فقبل رأسها ، وقال : ياسيدتى أهذا عندك ولا أعلم ؟
وتمَّ يومه عندها .

قال محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد : شهدت أبي جعفرا ، وأنا صغير ، يحدث يحيى ابن خالد جدى فى بعض ما كان يُخبرُهُ به مِنْ خَلَوَاتِهِ مع الرشيد . قال : يا أبة ، أخذ أمير المؤمنين بيدي ، وأقبل فى حُجْرَةٍ يَخْتَرِقُهَا حتى انتهى إلى حجرة مُغلقة ، ففتحها بيده ودخلها ، ودخلنا جميعاً ، وأغلق بابها من داخل بيده ، ثم صرنا إلى رواقٍ ففتح بيده ، وفى صدره مجلس مُملقٌ فقمعد على باب المجلس ، فنقر الباب بيده [نقرات]^(١) فسمعنا حساً ، ثم أعاد النقر ثانية . فسمعنا صوت عود . ثم أعاد النقر ثالثة . فغنت جارية ما ظننتُ أن الله عز وجل خلقَ مثلها فى حسن الغناء وجودة الضرب ، فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنت أصواتا : غنى صوتى :

وَمُحْنَتْ شِهْدَ الزَّفَافِ وَقَبْلَهُ	غَنَى الْجَوَارَى حَاسِرًا وَمُنْقَبًا
لِبَسِ الدَّلَالِ وَقَامَ يَنْقُرُ دُفَّهُ	نَقَرًا أَقْرَبَ بِهِ الْعِيُونَ وَأَطْرَبًا
إِنِ النَّسَاءَ رَأَيْنَهُ فَمَشِقْنَهُ	فَشَكُونَ شِدَّةَ مَا بِهِنَّ فَأَكْذَبًا

قال : فطربت طربا هممتُ معه أن أنطح برأسى الحائط ، ثم قال لها غنى فغنت :

طال تكذِيبى وتَصَدِيقى	لم أجد عهدًا لمخلوقِ
إن ناساً فى الهوى غَدَرُوا	حَسَنُوا نَقْضَ المَوَائِقِ
لا ترانى بدمهم أبداً	أَشْتكى عِشْقًا لِمَشْوِقِ

فرقص الرشيد ورقصتُ معه . ثم قال : امض بنا ، فإنى أخشى أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا . فلما صرنا إلى الدهلز قال ، وهو قابض على يدي : هل عرفت هذه المرأة ؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، فقال : إنى أعلم أنك ستسأل عنها ،

(١) ما بين القوسين (أغانى) .

ولا تكتم ذلك . وأنا أخبرك ، هذه عُلَيَّة بنت المهدي ، ووالله إن لَفَطْتَ به بين يدي أحدٍ ، وبلغني لأقتلنك . قال : فسمعت جدى يقول له : فقد ، والله ، لفظت به ، ووالله ليقتلنك ، فاصنع ما أنت صانع .

لما خرج الرشيد إلى الرى أخذ معه أخته عُلَيَّة ، فلما صار بالمرج^(١) عملت شعرا ، وصاغت فيه لحنا وغنّته :

وَمُعْتَرَبٍ بِالرَّجِ يَبْكِي لِشَجَرِهِ وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمُسْعِدُونَ عَلَى الْحَبِّ
إِذَا مَا أَنَاهِ الرَّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ^(٢) تَنَشَّقُ يَسْتَشْفِي بِرَأْحَةِ الرِّكْبِ^(٣)

فلما سمع الصوت علم أنها اشتاقت إلى العراق وأهلها به فردّها .

قال أبو عيسى بن الرشيد: غنّت عُلَيَّة الرشيد في يوم عيدٍ فِطْرَ :

طالَتْ عَلَى لَيَالِي الصَّوْمِ وَأَتَصَلْتُ حَتَّى لَقَدْ خَلَتْهَا زَادَتْ عَلَى الْأَبْدِ
شَوْقًا إِلَى مَجْلِسِ يَزْهَوِ^(٣) بِصَاحِبِهِ أُعِيدُهُ بِجَلَالِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

وُلِدَتْ عُلَيَّة سنة ستين ومائة وتوفيت سنة عشر ومائتين ولها خمسون سنة .

وقيل: ماتت سنة تسع وصلى عليها المأمون .

وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمها إليه وجعل يقبل رأسها ووجهها مُغَطَّى

فشرقت من ذلك ، وسمعت ثم مُحِتَّ بِمَقْبِ هَذَا أَيَّامًا كَثِيرَةً ، وماتت رحمها الله تعالى .

(١) هو مرج القلعة بينه وبين حلوان منزل إلى جهة همدان .

(٢) أرضهم . . . القرب (تجريد) .

(٣) يزهى (تجريد) .

ذكر علي بن الجهم^(١)

أبوه بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كراز [بن كعب]^(٢) بن مالك ابن عتبة^(٣) بن حار بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن أسامة^(٤) بن لؤي بن غالب. وقريش تدفع هذا النسب وتسميهم بني ناجية ينسبونهم إلى أمهم ، وهي امرأة أسامة^(٥) ابن لؤي بن غالب .

وكان أسامة خرج إلى البحرين مغاضبا لأخيه كعب بن لؤي في مَماظلة^(٥) فطأطأت ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئا من المشب فملق بمشفرها أفي ثم عطفت^(٦) على قتبها فحكته به فذب الأفي على القتب فنهش [ساق]^(٧) أسامة فقتله . فقال أخوه يرثيه :

عِنْ جودى لِسامةَ بنِ لُؤيِّ عَلَقَتْ ساقَ سامةَ العَلَّافَةَ
رُبَّ كَأْسٍ هَرَقتَها ابنُ لُؤيِّ^(٨) حَذَرَ الموتِ لم تَكُنْ مُهْرَاقَهُ

وقال من يدفع بني أسامة من نسابي قریش : إنه كانت معه امرأته ناجية ، فلما مات تزوجت رجلا من أهل البحرين فولدت منه الحارث . ومات أبوه وهو صغير ،

(١) الأغاني ١٠ : ٢٠٣ - التجريد ٣ : ١٩٣ .

(٢) الزيادة عن الأغاني وفي الأصل : كدار مكان : كراز .

(٣) ابن عيينة بن جابر (أغاني . تجريد) وفي الأصل : حار في النسختين كما هو مدون

٣ : ١١٩٣ .

(٤) ابن أسامة (أغاني) وستأتي كذلك . وفي الأصل : أسامة في النسختين .

(٥) في الأصل مماظلة ، والمماظلة الخاصة .

(٦) فعطفته (مكان ثم عطفت) أغاني ١٠ : ٢٠٣ .

(٧) الزيادة عن الأغاني والتجريد .

(٨) في الأصل من .

فلما ترعرع طَمِعَتْ أُمُّهُ أَنْ تُلْحِقَهُ بِقُرَيْشٍ ، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤى ، فرحل من البحرين إلى عمه كعب ، فأخبره ^(١) أنه ابن أخيه سامة فمرف كعبُ أُمِّهِ ، وظنَّ أنها صادقة ، فقَبِلَهُ وسَكَتَ ^(٢) فقدم مكة ركب من البحرين ، فأوا الحارث فسلموا عليه وحادثوه فسألهم كعب بن لؤى ومن أين يعرفونه ؟ فقالوا : هذا ابن رجل من بلادنا يقال له فلان ، وشرحوا له خبره فنفاه كعب هو وأمه فرجعا إلى البحرين فكانا هناك وتزوج الحارث فأعقب هذا العقب .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عَمَى سَامَةٌ لَمْ يُعَقِّبْ » وكان بنو ناجية ارتدوا عن الإسلام ، فلما وَلَّى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخِلَافَةَ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَسْلَمَ بَعْضُهُمْ ، وَأَقَامَ الْبَاقُونَ عَلَى الرَّدِّ فَسِيَّاهُمْ وَاسْتَرْقَهُمْ فَأَشْتَرَاهُمْ مَصْفَلَةً وَأَعْتَقَهُمْ وَهَرَبَ مِنْ تَحْتِ لَيْلِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَصَارُوا أَحْرَارًا ، وَلَزِمَهُ الثَّمَنُ فَنِيَمَتْ عَلَيْهِ دَارُهُ ، وَقِيلَ هَدَمَهَا . وَلَمْ يَدْخُلْ مَصْفَلَةُ الْكُوفَةِ حَتَّى قُتِلَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ .

وزعم ابن الكلبي أن سامة بن لؤى وَلَدَ ^(٣) غالب بن سامة ، وأمه ناجية ، ثم هلك سامة فخلف عليها ابنه الحارث بن سامة ثم هلك ابنا سامة ولم يعقبا وأن قوما من بني ناجية ^(٤) بنت جرم بن ربان بن علاف ادعوا أنهم بنو سامة بن لؤى وأن أمهم ناجية هذه وانتموا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من مصقلة ، ودليل ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جرم . قال علقمة الخصى التيمي أحد بني ربيعة بن مالك :

زعمت أن ناجية بن ^(٤) جرم عجزتُ بمد ما بلي السنامُ

(١) في الأصل : فأخبرته .

(٢) ومكث عنده مدة حتى قدم (أغانى) .

(٣) في الأصل : وإن .

(٤) . . ناجى بنت جرم (أغانى ١٠ : ٢٠٠) .

فإن كانت كذلك فاليسوها فإن الحلى للأنثى تمام

وهذا أيضا قول الهيثم بن عدى. فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وقال: هم قريش المازبة لأنهم عزبوا عن قومهم ونسبوا إلى أمهم ناجية بنت جرم ابن ربان وهم علاف وهم أول من اتخذ الرجال العلافية .

واسم ناجية ليلي، وإنما سميت ناجية لأنها سارت معه في مفازة فعمطت فاستسقته فقال لها: الماء بين يديك وهو يريها السراب حتى جاءت الماء فشربت فسميت ناجية .
والزبير في إدخالهم في قريش مذهب وهو مخالفة^(١) فعل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عليه وميله إليهم لاجتماعهم على بغضه عليه الرضوان حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك .

وكان علي بن الجهم شاعراً فصيحاً ، وخصّ بالتموكل حتى جالسه ثم أبغضه لما كان كثير السعاية إليه بندمائه وذكرهم بالقبيح عنده وإذا خلا به عرفه أنهم يعميونه ويذنبقصونه ويثلبونه فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقةً تحبسه مدة ونفاه .
وكان ينحو نحو ابن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب والإغراء بهم وهجاء الشيعة وهو القائل :

ورافضة تقول بشعب رضوى
إمامٌ خاب ذلك من إمام
إمامٌ من له عشرون ألفاً
من الأتراك مُشرعةُ السهام
وفيه يقول البحترى :

إذا ما حُصّات عليا قريش
فلا في المير أنت ولا النفير
ولو أعطاك ربك ما تمنى
ل زاد الخلق في عظم الأيور^(٢)

(١) في الأصل : هو حالفه (والتصويب عن الأغاني) .

(٢) في الأصل : الأمور .

عَلَامَ هَجَوْتَ مُجْتَهِدًا عَلِيًّا بِمَا لَفَّقْتَ مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ
أَمَّا لَكَ فِي اسْتِكَ الْوَجْمَاءُ شُغْلٌ^(١) يَكْفُكَ عَنْ أَدَى أَهْلِ الْقُبُورِ

وسمى أبو العيناء يوما يظن على عليّ كرم الله وجهه ، فقال له : أنا أدرى
لم تظن على أمير المؤمنين . فقال له : أتعنى قصّة بئمة أهلي من مصقلة بن هبيرة؟
قال : لا ، أنت أوضّع من ذلك ولكنه قتلَ الفاعل [فَعَلَ]^(٢) قوم لوط والمفمول
[به]^(٣) وأنت أسفلهما .

وكان عليّ بن الجهم قد هجا بختيشوع خبسه المتوكل . فقال عدّة قصاد
وكتب بها إلى المتوكل ، فأطلقه بعد سنة ، ثم نفاه بعد ذلك ، إلى خراسان ، فما
قاله هذه القصيدة وكتب بها إلى أخيه :

تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ
وَوَطَّنَّا عَلَى غَيْرِ اللَّيَالِي بِقَوْسَا أَسْمَحَتْ^(٣) بَعْدَ الْإِبَاءِ
وَأَفْنِيَةُ الْمُلُوكِ مُحَجَّجَاتُ وَبَابُ اللَّهِ مَبْذُولُ الْفِنَاءِ
هِيَ الْأَيَّامُ تَكَلَّمْنَا وَتَأْسُو وَتَأْتِي بِالسَّمَادَةِ وَالشَّقَاءِ
حَلْبِنَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَمَرَّتْ بِنَا عَقَبُ الشَّدَائِدِ وَالرِّخَاءِ
وَجَرَّبْنَا وَجَرَّبَ أَوْلُونَا فَلَا شَيْءَ أَعَزَّ مِنَ الْوَفَاءِ
وَلَمْ نَدْعِ الْحَيَاءَ لِمَسِّ ضَرْ وَبَعْضُ الضَّرِّ يَذْهَبُ بِالْحَيَاءِ
وَلَمْ نَحْزَنْ عَلَى دُنْيَا تَوَلَّتْ وَلَمْ نُسَبِّقْ إِلَى حُسْنِ الْعَزَاءِ
تَوَقَّ النَّاسَ يَا ابْنَ أَبِي وَأُمِّي فَهَمَّ تَبِعُ الْمَخَافَةِ وَالرَّجَاءِ

(١) في أوب : حقا والتصويب عن الأغاني والتجريد .

(٢) في الأصل : (ولكنه فعل الفاعل من قوم) وما بين القوسين عن الأغاني .

(٣) في الأصل أصبحت .

ولا يَغْرُرُكَ من وَعْدِ إِخَاءِ
ألم ترَ مُظْهِرِينَ على عَيْنِي^(١)
فلما أن بُلِيتُ غَدَوًا وراخُوا
وما حَسْبُ الخليفةِ لي بما رِ
أبت أخطارُهُمْ أن ينصروني
وخافوا أن يقال لهم خذلتُم
تضافرت^(٢) الروافضُ والنصارى
وعابوني وما ذنبي إليهم
إذا ما عُدَّ مثلكم رجالٌ
إذا سُمِّيْتُمْ في الناسِ قالوا
أنا التوكليُّ هوى ورأيا
لأمرٍ ما غدا حَسَنَ الإخاءِ
وهم بالأمسِ إخوانُ الصِّفاءِ
على أشدِّ أسبابِ البلاءِ
وليس بموئِسي منه التنايُ
بِمالٍ أو بِجاهٍ أو ثراءِ
صديقًا فادَّعَوْا قَدَمَ الجفاءِ
وأهلُ الإعتزالِ على هجائي
سوى علمي بأولادِ الزِّفَاءِ
فما فَضَّلُ الرجالِ على النساءِ
أولئك شرُّ مَنْ تحتَ السماءِ
وما بالوَأَثِقِيَّةِ من خفاءِ

وقيل كان سبب حبسه أن جماعة من الجلساء سمعوا به إلى التوكل وقالوا له إنه يُجَمِّسُ^(٣) الخدمَ ويعمزمهم ، وأنه يطعن عليك إذا غاب عنك ، ويعبثُ عليك ويرزى بك ، ولم يزالوا يوغرون صدره عليه حتى حبسه ، ثم أبلغوه أنه هجاه فنفاه إلى خراسان ، وكتب بأن يُصلَبَ إذا وَرَدَها يوماً إلى الليل . فلما وصل إلى الشاذيخ^(٤) حبسه طاهرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ طاهر ، ثم أخرج فصلب يوماً إلى الليل مجرداً ثم أُنزل فقال في ذلك :

(١) عتيا (في الأصل) .

(٢) تضافرت : تماونت وفي رواية: تظاهرت .

(٣) جمسه : قرصه ولاعبه .

(٤) الشاذيخ من ضواحي نيسابور كانت قديماً بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين فبنى هو

بها ثم عمرت حتى اتصل بناؤها بنيسابور (ياقوت) .

لم يصلبوا^(١) بالشاذياخ عشيّة الـ
نصبوا بحمد الله مِلءَ قلوبهم
ما ازداد إلا رِفْعَةً بُنكوله
هل^(٢) كان إلا الليثَ فارقَ غِيْلَه
لا يأمن الأعداء من شِدَاتِه
ما عابه أن بُرَّ عنه ثِيَابُه^(٣)
إن يُبتذل قابدرُ لا يُزري به
أو يَسْلُبوه المالَ يُحْزِنُ فقدهُ
أو يُجْبِسوه فليس يُجْبِسُ سائرُ
إن المصائبَ ما تَعَدَّتْ دِينَه^(٤)
والله ليس بفافل عن أمره
فلتَمَلَمَنَّ إذا القلوبُ تَكشَفَتْ

وكتب المتوكل إلى طاهرٍ بإطلاق علي بن الجهم فلما أطلقه قال :

أطاهر إني عن خراسان راحلُ
أصدق أم أكني عن الصدق^(٥) أيما
وسارت به الرُّكبانُ واصطفقتُ به
وَمُسْتَخْبَرٌ عنها فما أنا قائلُ
تَحَيَّرَتْ أَدْنَه إليك المحافلُ
أَكْفُ قِيَانٍ واجتلتته^(٦) القبائلُ

(١) لم ينصبوا (أغانى - تجريد) .

(٢) ما كان (أغانى - تجريد) .

(٣) لباسه .

(٤) ذنبه (أصل اء ب) .

(٥) الحق (تجريد) .

(٦) اجتنبته .

وإني بغايي الذمِّ والمدحِ عالمٌ
وحقاً أقولُ الصديقِ إني للمائلُ
الأحرمةُ تُرعى ألاَّ عقْدُ ذمَّةٍ
ألاَّ مُنصفٌ إن لم نجدْ مُتفضلاً
فلا تقطن (٣) غيظاً على أناملا
أطاهرُ إن تُحسنِ فإنِّي مُحسنٌ
فقال له طاهر : لا تقلْ إلا خيراً فإنِّي لا أفعلُ إلا ما تحب ، ووصله وحمله
وكساه .

وكان علي بن الجهم في مجلس فيه قينة فجمشها فباعده وأعرضت عنه فقال :
خفي الله فيمن قد سلبت (٤) فؤاده
دعى البخل لا أسمع به منك (٥) إنما
سألتك شيئاً ليس يُعمرى لكم ظهراً
فقلت : صدقت يا أبا الحسن ليس يُعمرى لنا ظهراً وإنما يملأ لنا بطننا .

أنشد رجل إبراهيم بن المدبر لعلي بن الجهم قوله :

أميلُ مع الذمامِ على ابن عمي
وإن ألفتني حراً مُطاعاً
وأخذ للصديق من الشقيقِ
فإنك واجدى عبدَ الصديقِ
أفرقُ بين معروفٍ ومي
وأجمعُ بين مالى والحقوقِ
فقال إبراهيم : كذب علي بن الجهم وأرهم ، والله أهذا الشعرُ أشبهُ بإبراهيم

ابن العباس .

(١) في الأصل : تأتي البرية فاضل ، والتصويب عن التجريد - أغاني .

(٢) في ابوب : تجار الاقوال لفعل يشاكل . وفي الأغاني والتجريد : لجار الافعال لقول مشاكل .

(٣) كذا في الأغاني وفي الأصل : الا تقطعا .

(٤) تبت (تجريد) .

(٥) في الأصل : بيومك - وفي الأغاني أمرا (مكان شيئاً) .

قال المتوكل : علي بن الجهم أ كذبُ خلق الله ، حَفِظْتُ عليه أنه أقام بخراسان ثلاثين سنة ، ثم مضت مدة فأخبرني أنه أقام بالشام ومصر ثلاثين سنة ، فيجب أن يكون عمره على هذا مائة وخمسين سنة ، وإنما نراه في سن الحسين ، فليت شعري أيُّ فائدة له في هذا الكذب ؟

قال إبراهيم بن المدبر : كتب صاحبُ الخبر إلى المتوكل أن أبا الحسن بن عبد الملك ابن صالح أُحرق فمات ، فقال له علي بن الجهم : قد بلغني أن العامل قتله ، وصانعُ صاحب الخبر حتى كتب بهذا ، وكان يسمى بالجلساء إلى المتوكل ، فأبضه وأزمه بيته وحبسه .

وأحسن شعر قاله في الحبس قوله :

قالتُ حِسْتُ فقلتُ ليس بضائري حبسى وأى مهنسد لا يُعْمَدُ
أو ما رأيت الليثَ يألفُ غِيَاهُ كِبْرًا وأوباشُ السباعِ تَرَدُّدُ
والبدرُ يدركه السرارُ فتَنجَلِي أيامه وكأنه يَتَجَدَّدُ
والشمس لولا أنها محجوبةٌ عن ناظريك

لما أصيب^(١) الفرقسُدُ
والزاعبية^(٢) لا يقيم كعوبها
والنار في أحجارها محبوةٌ
والحبس ما لم تَقْشِه لِذَنبِيَّةِ
بيتٌ يُجَدِّدُ للكريم كرامةً
لو لم يكن في الحبس إلا أنه
إلا النفاقُ وجدوة تتوقدُ
لا تُصْطَلِي إن لم تُتْرَها الأَزْدُ
شماء نَمِ المزلُّ المتوردُ^(٣)
ويزار فيه ولا يزور ويحمدُ
لا يَسْتَدْلِكُ بالحجاب الأعبدُ

(١) أضاء (الأغانى-التجريد).

(٢) الزاعبية : رماح تنسب إلى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأستنة .

(٣) المتورد : الذى يزار ويورد .

كم من عليل قد تخطاه الردى
يا أحمد بن أبى دؤاد إنما
أبلغ أمير المؤمنين ودونه
أنتم بنو عم النبي محمد
ما كان من كرمه فأنتم أهله
أمن السويبة يا ابن عم محمد
إن الذين سعوا إليك يباطل
شهدوا وغبنا عنكم ففتحكموا
لو يجمع الخصماء عندك مجلس
فبأى جرم أصبحت أراضنا
فنجبا ومات طبيبه والموءد
تدعى لكل عزيمة يا أحمد
خوف^(١) الردى ومخاوف لا تنفد
أولى بما شرع النبي محمد
طابت^(٢) مغارسكم وطاب المخد
خصم تقربه وآخر تبعد
حساد نعمتك التي لا تبعد
فيما وليس كغائب من يشهد
يوما لبان لك الطريق الأقد
نهباً تقسمها اللئيم الأوغد

وكان أحمد بن أبى دؤاد منحرفاً على علي بن الجهم لاعتقاده مذهب الحشوية فلم يشفع له وقدم عنه فلما نفى المتوكل أحمد بن أبى دؤاد شتمه على بن الجهم وهجاه فقال فيه من أبيات :

يا أحمد بن أبى دؤاد دعوة
ما هذه البدع التي سميتها
أفسدت أمر الدين حين وليته
بعثت إليك جنادلا وحديدا
بالجهل منك العدل والتوحيدا
ورميته بأبى الوليد وليدا

كتب علي بن الجهم إلى طاهري من الحبس :

إن كان لى ذنب فى حرمة
وحرمتى أعظم من زلتى
والحق لا يدفعه الباطل
لونا لى من عدلك^(٣) النائل

(١) خوض (أغانى) .

(٢) كرمت (أغانى - تجريد) .

(٣) عدلكم نائل (أغانى) .

ولى حقوقٌ غيرُ مجهولةٍ يعرفها العاقلُ والجاهلُ
وكل إنسانٍ له مذهبٌ وأهلُ ما يفعله الفاعلُ
وسيرةُ الأملِكِ منقولةٌ لا جائرٌ يخفى ولا عادلُ
وقد تمجّلتَ الذى خِفْتُهُ منك ولم يأتِ الذى آمَلُ

كان على بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أُطلقَ من حبسه ، وردَّ من النَّفى يتقاينون^(١) ببغداد ويلزمون منزلَ مَن^(٢) بالكرخ يقال له المفضل ، فقال فيه على بن الجهم :

زلنا بباب السَّكْرِخِ أَطِيبَ مَنزِلِ
فلا ابنُ سُرَيْجٍ والغريضُ ومعبدُ
أوانسُ ما للضيفِ مِنْهُنَّ حِشْمَةٌ
يُسْرُ إذا ما الضيفُ قَلَّ حياؤُهُ
ويُكثِرُ من دَمِّ الوقارِ وأهلُهُ
ولا يَدْفَعُ الأيدي المريبةَ غيرةً
ويطُرِقُ إطراقَ الشجاعِ مهابةً
أثيرٌ بيديٍّ وانغزٍ بطرفٍ ولا تخفُ
وأعرضُ عن المصباحِ والهَجِّ بدمه^(٣)
وسلٌ غيرُ ممنوعٍ وقُلٌّ غيرُ مُسَكَّتِ
لك البيتُ ما دامت هداياك حِمَّةً
فبادِرْ بأيامِ الشبابِ فإنها

على مُحسِناتٍ من قِيانِ المُفضَّلِ
بدائعُ في أسمعنا لم تُبَدَّلِ
ولا رَبُّهُنَّ بالجليلِ المُبَجَّلِ
ويَنفَلُ عنه وهو غيرُ مُعْغَلِ
إذا الضيفُ لم يَأْسُ ولم يَتَبَدَّلِ
إذا نالَ حظاً من لبوسٍ وما كلُّ
ليطلقَ طرفَ الناظرِ المتأملِ
رقيباً إذا ما كنت غيرَ مُبَخَّلِ
وإن حَمَدَ المصباحِ فاذنُ وقبَلِ
ونمٌ غيرُ مذعورٍ وقمٌ غيرُ مُعْجَلِ
وكنت مليئاً بالنبيذِ المُعْسَلِ
تَقْضَى وتَفْنى والغوايِبِ تَجَلِي

(١) أغاني وفي الأصل : يتناهبون .

(٢) مقين (أغاني) .

(٣) يمثله (أغاني) .

ودع عنك قولَ الناسِ أَتَلَفَ مَالَهُ
هل الدهرُ إلا لَيْلَةٌ طَرَحَتْ بنا
سقى الله بابَ الكرخِ من مُتَزَرِّهِ
مَسَاحِبُ أَذْيَالِ القِيَانِ وَمَسْرُحُ
لو أَنَّ امرأَ القيسِ بنِ حُجْرٍ يَحُلُّهَا
إِذَا لَرَأَى أَن يَمْنَحَ الوُدَّ شَادِنَا
إِذَا اللَّيْلُ أَدْنَى مَضْجَعِي مِنْهُ لَمْ يَقُلْ
فَلانٌ فَأَضْحَى مُدْبِرًا غَيْرَ مُقْبِلِـ
أَوَاخِرُهَا فِي يَوْمٍ لهُوَ مُعْجَلِـ
إِلَى قَصْرِ وَضَّاحٍ فَبِرْكَهَ زَلْزَلِ (١)
حِسَانٍ وَمَهْوَى كُلِّ خِرْقٍ مُعَدَّلِـ
لَأَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ خَوْفَ مَلِـ
مُشَمَّرِ (٢) أَذْيَالِ القَبَاغِ غَيْرِ مُسْبِلِـ
عَقَرْتُ بِعَيْرِي يَا امْرَأَ القَيْسِ فَأَنْزَلِـ

قال إبراهيم بن المدبر: أنشدني علي بن الجهم لنفسه:

وإذا جرى الله امرأً بفعاله

ناديته عن كربةٍ فكأنما

فقلت له: ويحك!! هذا لإبراهيم بن العباس، يقوله في محمد بن عبد الملك

الزيات، فجدني وكابر، فدخل يوماً علي بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده
فلما رأي قال: قد اجتمع الإبراهيمان، فتركته ساعة ثم أنشدت البيتين وقلت لإبراهيم:
إن هذا يزعم أن هذين البيتين له، فقال: كذب، هذان البيتان لي في محمد بن عبد الملك
الزيات.

فقال علي بن الجهم بقية: ألم أُنهَكَ أن تنتحلَ شعري؟ فغضب إبراهيم وجعل
يقول له بيده: سوءة عليك، سوءة لك، ما أوتحك! وهو لا يفكر في ذلك ولا ينجل. ثم
التقينا بمدمة فقال لي: أرايت كيف أخزيت إبراهيم بن العباس؟ فجعلت أعجب من صلابة
وجهه.

(١) قصر الوضاح: قصر بني المهدي قبل الرصافة بولاية الوضاح مولى المنصور (مراصد

الاطلاع) وبركة زلزل: ببغداد بين الكرخ والصراة.

(٢) مقصر أذيال القبا.

كان لسليمان بن وهب نديمٌ يُأْنَسُ به ويألفه فمر بدَّ ليلةً من الليالي عربدةً قبيحةً
فاطَّرَحَهُ وجفاه مدةً ، فوقف له على الطريق فلما مرَّ به وثبَ إليه ثم قال: أيها الوزير
الا تكون في أمرى كما قال علي بن الجهم :

القوم إخوانٌ صدقٍ بينهم نسبٌ من المودَّةِ لم يُعدَلْ بها نسبُ
راضعوا درَّةَ الصهباءِ بينهمو فأوجبوا لرضيع الكأسِ ما يجبُ
لا يحفظون ^(١) على السِّكران زلَّته ولا ترِيك ^(٢) من أخلاقه ريبُ

فقال له سليمان: رضيت عنك رضاء صحيحاً فعد إلى ما كنت عليه من ملازمتي.

وأول هذه القصيدة هو قوله :

الوردُ يضحك والأوتارُ تصطخبُ والناي يندب أحياناً ^(٣) وينتخبُ
والراح تُعرَضُ في نورِ الريحِ كما تجلَى العروسُ عليها الدرُّ والذهبُ ^(٤)
واللهوُّ يُلجِقُ مغبوقاً بمصطَبِحِ والدور سِيانِ محسوثٍ ومُنْتخبِ
وكما انسكبت في الكأسِ آوَنَةٌ أقسمتُ أنْ شَمَاعِ الشمسِ ينسكبُ

دخل علي بن الجهم يوماً على عبد الله بن طاهر في غداة من غدوات الربيع
وفي السماء غيم رقيق والمطر يجيء طلاً ^(٤) ويسكن قليلاً ، وقد كان عبد الله عزَمَ
على الصبوح ففاضتبه حَظِيَّةٌ له فتنغص عليه يومه وفتر فخبرَ علي بن الجهم وقيل له :
قل في هذا المعنى شيئاً لعله يُنشِط الأمير للصبوح ، فأنشده :

أما ترى اليوم ما أحلَى شمانه غيمٌ وصحوٌ وإبراق وإرعادُ
كأنه أنت يا مَنْ لاشييه له وصلٌ وهجرٌ وتقريبٌ وإبعادُ

(١) لا تحفظن ... ولا ترينك (أغاني) .

(٢) أشجانا (تجريد) ١٢٠٠ .

(٣) في الأصل : أزور ذم .

(٤) قليلاً (تجريد) .

فبَاكَرِ الرَّاحَ وَاشْرَبْنَا مُمْتَقَةً لَمْ يَدَّخِرْ مِثْلَهَا كِسْرَى وَلَا عَادُ
وَاشْرَبَ عَلَى الرَّوْضِ إِذْ لَاحَتْ زَخَارِفُهُ

زَهْرٌ وَنَوْرٌ وَأُورَاقٌ وَأُورَادُ

كَأَنَّمَا يَوْمُنَا فَعَلُ الْحَبِيبِ بِنَا بَدَلٌ وَبُخْلٌ وَإِعَادٌ وَمِيمَادُ
وَلَيْسَ يَذْهَبُ عَنِّي كُلُّ فِعْلِكُمْو غَيٌّ وَرُشْدٌ وَإِصْلَاحٌ وَإِفْسَادُ

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلاثمائة دينار ، وحمله وخلع عليه وأمر أن يُقَنَّنِي

في الأبيات واضطجح .

وُجِدَ عَلِيٌّ بِنَ الْجَهْمِ بَعْدَ أَنْ أُطْلِقَ مِنْ مَحْبَسِهِ جَالِسًا فِي الْمَقَابِرِ فَقِيلَ لَهُ :

مَا أَجْلَسَكَ هَاهُنَا ؟ فَقَالَ :

يَشْتَاقُ كُلُّ غَرِيبٍ عِنْدَ غُرْبَتِهِ وَيَذْكُرُ الْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ وَالسُّكُنَا

وَلَيْسَ لِي وَطَنٌ أَمْسَيْتُ أَذْكُرُهُ إِلَّا الْمَقَابِرَ إِذْ كَانَتْ لَهُمْ وَطْنَا (١)

ولعلِّي بن الجهم :

لَوْ تَنَصَّلْتَ إِلَيْنَا لَفَقَرْنَا (٢) لَكَ ذَنْبُكَ

يَا بِي مَا أَبْغَضَ الْعَيْدِ شَ إِذَا فَارَقْتُ قُرْبَكَ

لَيْتَنِي أَمَلِكُ قَلْبِي مِثْلَ مَا تَمَلِكُ قَلْبَكَ

أَيُّهَا الْوَائِقُ بِاللَّهِ هُ لَقَدْ نَاصَحْتَ رَبَّكَ

مَا رَأَى النَّاسُ إِمَامًا أَنَهَبَ الْأَمْوَالَ تَهْبِكَ

أَصْبَحْتَ حُجَّتَكَ الْمُدَّ يَا وَحِزْبُ اللَّهِ حِزْبَكَ

قال عبيدُ اللهِ بن عبد الله بن طاهر: دخل علينا علي بن الجهم عقيب موت أبي ،

والجلس حافل بالمرزبين فمَثَلَ قائمًا وأنشد مرثية :

(١) سَكَنَا (التجريد) .

(٢) لَوْهِنَا (أغاني) .

أى رُكْنٍ وهى من الإسلامِ
جَلَّ رِزْءُ الأَمِيرِ عن كلِّ رِزْءٍ
سَلَبْتُنَا الأَيَّامُ ظِلًّا ظَلِيمًا
يا بنى مُصَمَّبٍ حلَّتم من النا
فإذا رابكم من الدهرِ رَبِيبٌ
انظروا هل ترون إلا دموعا
من يداوى الدنيا ومن يكلا المَدَّ
نحن مِنْتَنَا بموته وأجلُّ الـ
لم يَمُتْ والأَمِيرُ طاهرٌ حَيٌّ
فهو من بدمه نظامُ المَعَالِي

قال: فما أذكر أنى بكيت أورأيت فى دورنا با كيا أكثر منه يومئذ .

قال أبو الدهقانة^(٢): دخلنا يوما إلى المَعْتَرِّ وهو مصطبح على صوتِ اختاره

لَعَلِيَّ بن الجهم اقترحه على عَرِيبٍ وهو:

العين بمدك لم تَنْظُرْ إلى حسنِ
كأن روحى إذا ما غبت غائبةٌ
والنفس بمدك لم تَسْكُنْ إلى سَكْنِ
حتى إذا عدت لى عادت إلى بدنى

فلم يزل يشرب عليه نهاره فلما سكر أمر لها بثلاثين ألف درهم وفرق على الجلساء
كلهم الجوائزَ والحلجَع والطيبَ .

ولملى بن الجهم، ويقال إنه آخر شعر قاله:

يارحمتا للغريب^(٣) فى البلد النا
فارق أحبابه فما انتقموا
زح ما ذا بنفسي صنفا
بالعيش من بدمه ولا انتقما

(١) العظام (تجريد) .

(٢) أغانى (والأصل الدهقان) .

(٣) يا رحمة ... بالبلد (تجريد) .

ولما حبس المتوكلُ على اللهِ عليّ بن الجهم واجتمع الجلساء على عداوته وإبلاغ
الخليفة عنه كلَّ مكروه ووصفهم مساوئِهِ، قال هذه القصيدة :

أقلني أقالك من لم يزلْ يقيك ويصرفُ عنك الردى
وتجرى مقاديرُهُ بالذى تريدُ إلى أن بلغتَ المدى
ويُملك حتى لو أن السماء تُنالُ لجاوزتها مُصعدا
فا بين ربك جَلَّ اسمه وبينك إلا نبىُّ الهدى
عفا الله عنك ألا حرمةُ تعودُ بفضلِكَ أن أبعدا
لئن جَلَّ خطب^(١) ولم اعتمد فأنتَ أَجَلٌّ وأعلىُّ يدا
ألم ترَّ عبدا عدا طوره ومولى عفا ورشيدا هدى
ومُفسد أمرٍ تلافيته فماد فأصلحَ ما أفسدا
فلا عدتُ أعصيك فيما أمرُ ت حتى أزورَ الثرى مُلحدا
وإلا خالفتُ ربَّ السماء وخنتُ الصديقَ وعبتُ^(٢) الندى
وكنتُ كمروان^(٣) أو كبن عمرو مبيحِ العيال لمن أولدا

ووجه بها إلى بيدون الخادم، فدخل بها إلى قبيحة^(٤) وقال لها: إن عليّ بن الجهم
قد لاذ بك، وليس له ناصر سواك، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب، لأنه رجل
من أهل السنة، وهم روافض، وقد اجتمعوا على الإغراء بقتله، فدعت

(١) ذنب (تجريد) .

(٢) وغفت (الأغانى)

(٣) كمزون (أغانى وتجريد)

(٤) فى الأصل منيعة والتصويب عن التجريد ١١٩٨ والأغانى .

بالمعز. وقالت: اذهب بهذه الرقعة يا بنى إلى سيدك ، وأوصلها إليه ، فجاه بها ووقف بين يديه ، فقال له : ما هذاممك ، فدَيْتَكَ؟ فدنا منه وقال: هذه رقعة دَفَعْتَهَا إِلَى أُمِّي ، فقرأها المتوكل ، وضحك ، ثم أقبل عليهم ، فقال: أصبح أبو عبد الله ، فدَيْتُهُ ، خَصَمَكُم . هذه رُقْعَةٌ عَلَى بِنِ الْجَهْمِ يَسْتَقِيلُ^(١) ، وأبو عبد الله شَفِيْعُهُ ، وهو من لا يُرَدُّ . وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله :

وكنت كروان أو كابن عمرو مبيح العيال لمن أولدا

وثب ابن حمدون ، ثم قال : يا سيدي من دَفَعَ هذه الرقعة إلى السيدة ؟ قال بيدون الخادم : [أنا]^(٢) . فقال : أحسنت ، تعادينا وتوصل رقعة عدونا في هجاننا ! وانصرف بيدون ، وقام المعز ، فانصرف ، فاستلب ابن حمدون قوله :

وكنت كروان أو كابن عمرو مبيح العيال لمن أولدا

فجعل يُنْشِدُهُمْ إياه وهم يشتمونه ، والمتوكل يضحك ، ويصفق ، ويشرب حتى سكر ، ونام ، وسرقوا القصيدة من بين يديه وانصرفوا ، ولم يُوقَّعَ بإطلاقه ونَسِيَهُ فقالوا لابن حمدون : ويحك ! تُمِيدُ هِجَاءَنَا وَتَشْتُمُنَا؟ فقال : يا حقي ! والله لو لم أفعل ذلك حتى ضحكك وشرب وسكر ونام ، لو قَعَّ بإطلاقه ولو قَمْنَا معه في كل ما نكره .

لما فتحت أَرْمِينِيَّةً وَقَتِلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ دَخَلَ عَلَى بِنِ الْجَهْمِ فَأَنشَدَ الْمُتَوَكَّلَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَمْدَحُهُ وَيَهْنِئُهُ بِالْفَتْحِ ، فَقَالَ فِيهَا ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الرَّسُولِ الْوَارِدِ بِالْفَتْحِ وَرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ :

أهلا وسهلا بك من رسولٍ جئتُ بما يشفي من الغليلِ

(١) يستقبل : يطلب الإقالة من ذنبه والعتو عنه .

(٢) زيادة يتم بها الكلام .

بِجُمْلَةٍ تُغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ بِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ
قَهْرًا بِلَا خَتَلٍ وَلَا تَطْوِيلِ

فاستحسن من حضر ارتجاله هذا وابتدأه ، وأمر له المتوكل بثلاثين ألف درهم ،

ثم تم القصيدة وقال فيها :

جَيْشٌ يَلْفُ الْحَزْنَ بِالسَّهْوِلِ كَأَنَّهُ مُعْتَلَجُ السِّمُولِ
يَسُوسُهُ كَهْلٌ مِنَ الْكُهُولِ لَا يَنْثَنِي ^(١) لِلصَّعْبِ وَالذَّلُولِ
عَلَى أَعْرَِّ وَاضِحِ الْحِجُولِ حَتَّى إِذَا أَصْحَرَ لِلخَذُولِ
نَاجِزَهُ بِصَارِمِ صَقِيلِ وَمَنْجَنِيْقٍ مِثْلَ حَلَقِ الْفِيلِ
يُرْقِلُ ^(٢) عَنِ خَرَطُوْمِهِ الطَّوِيلِ صَوَاعِقُ مِنْ حَجَرِ السَّجَّيْلِ
يَتْرِكُ كَيْدَ الْقَوْمِ فِي تَضْلِيلِ مَا كَانَ إِلَّا مِثْلَ رَجْعِ الْقَيْلِ
حَتَّى أَنْجَلْتَ عَنِ حِزْبِهِ الْمَقُولِ وَعَنْ نِسَاءِ حُسْرٍ ذَهُولِ
صَوَارِخٍ يَمَعُثُرْنَ فِي الذَّبُولِ ^(٣) ثَوَاكِلَ الْأَوْلَادِ وَالْبِعُولِ
لَا وَالَّذِي يُعْرَفُ بِالْعُقُولِ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ وَلَا تَمْنِيلِ
مَا قَامَ لِلَّهِ وَاللرَّسُولِ بِالذَّبْنِ وَالذَّنْيَا وَبِالتَّنْزِيلِ
خَلِيفَةٌ كَجَعْفَرِ الْمَأْمُولِ

قال محمد بن عبد السلام : رأيتُ مع علي بن يحيى المُنَجِّمَ قصيدةً لعلي بن الجهم
يمدح بها المتوكل ويصف الهاروني ^(٤) فقلت : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة ؟
فضحك ، وقال : قصيدةً لعلي بن الجهم سألتني أن أعرضها على أمير المؤمنين فعرَضْتُهَا .
فلما سمع قوله :

(١) في الأصل : لا ينسى الصعب .

(٢) يرقل : يسرع ، وفي رواية : ترفض .

(٣) في الأصل يصرن بالذبول

(٤) الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون بن الواثق بالله .

وَقُبَّةَ مُلْكٍ كَأَنَّ النُّجُومَ مَ تَصْفِي (١) إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
تَخِرُّ الْوُفُودَ لَهَا سُجُودًا إِذَا مَا تَجَلَّتْ لِأَبْصَارِهَا (٢)
وَفَوَّارَةَ نَارِهَا فِي السَّمَاءِ فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عَنْ نَارِهَا
تَرُدُّ عَلَى الْمُرْنِ مَا نَزَلَتْ (٣) إِلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ مَدَارِهَا

تهلل وجهه واستحسنها فلما انتهيت إلى قوله :

تَبَوَّأَتْ بِمَدَاكِ قَمَرِ السُّجُونِ وَقَدْ كُنْتُ أُرْثِي لِرُؤُوسِهَا

غضب واربدت وجهه وقال : هذا بما كسبت يداه ، ولم يسمع تمام القصيدة .

قال الحسن بن موسى : لما شاع في الناس مذهبُ علي بن الجهم وشركه وذَكَرَهُ كل أحدٍ بسوءٍ من صديقه وعدوه تحاماه الناس ، فخرج من بغداد إلى الشام ، فاتفقنا في القافلة إلى حلب ، وخرج علينا نفرٌ من الأعراب فتسرع إليهم قومٌ من المقاتلة ، وخرج فيهم فقاتل قتالا شديداً وهزَمَ الأعرابَ . فلما كان من الغد خرج علينا منهم خلقٌ كثيرٌ ، فتسرع إليهم المقاتلة ، وخرج فيهم فأصابته طمعة فجئنا إليه واحتملناه ينزف دمه فلما رأني بكى ، فقلت له : لا بأس عليك ، فلما أمسى قلقَ قلقاً شديداً وأحسَّ بالموت فجعل يقول :

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلُ أَمْ سَالَ بِالصُّبْحِ سَيْلُ

ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ وَأَيْنَ مِنِّي دَجِيلُ

وبكى فأبكى كلَّ من كان في القافلة . ومات مع السَّحَرِ ودفن في ذلك المنزلِ

على يومٍ من حَلَبِ .

(١) في بعض الأصول وفي التجريد (تفضى) .

(٢) عن الأغاني وفي الأصل لأسرارها

(٣) أنزلت (تجريد) .

ذكر عبد الله بن المعتز^(١)

أمره مشهور، في فضائله، وآدابه وجوده صَمَعْتِهِ، وحسن شعره، وإن كان في شعره رِقَّةُ الملوكية، وغَزَلُ الظرفاءِ وهَلَمَلَةُ المحدث، فإنه لا يَقْصُرُ عن مَدَى السابقين، ويكفيه أن قَتَلَ ودرَج، ولم يكن له خَلْفٌ يُقَرِّظُهُ ولا عَقِبٌ يَرْفَعُ منه وما يزدادُ تَأْدُبُهُ وفضله وشعره وتَصَرُّفُهُ في كلِّ فنٍّ من العلوم إلا رفعةً وعلواً. وانظر إلى أصداده لما طَعَنُوا عليه إذا وقع عليه المحقق عدلوا عن ملته في الأدب إلى الشناعةِ بأمرِ الدين وهجاء آل أبي طالب.

كان لعبد الله بن المعتز خادمٌ يُحِبُّه يقال له نَشْوَانُ، وكان يُعَنِّي غناءً صالحاً مُجْدِرٌ فَجَزِعَ عليه بمض أصحابه، وجاء يوماً فقال له ابن المعتز: قد عُوفِيَ نَشْوَانُ، وخرج أحسنَ مما كان عليه، وقد قلتُ فيه بيتين وَعَمَّتْ زرياب فيهما رَمَلاً ظريفاً فاسمعهما إنشاداً قبل أن تسمعهما غناءً، وأنشده:

لى قرءُ جُدْرٍ لما استوى فزاده حسناً وزالت همومُ
أظنه غنى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجوم

ثم خرجت زريابُ ففتته في الزريك^(٢) أحسن غناءً، فشرى عليه عامة يومهما. جاء عبدُ الله بن المعتز يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكل مُسَلِّماً وسنَّه، يومئذ، عشرون سنة، فدخل عليّ بن محمد بن أبي الشوارب القاضي فأكرمه أبو عيسى، ونهض له، فلما استقرَّ به المجلس قال لأبي عيسى: قد احتجتُ إلى معونتك

(١) أغاني دار الكتب ١٠ : ٢٧٤ ، وتجريد ١٢٢٤ .

(٢) الرمل ، أغاني ١٠ : ٢٨١ .

في أمر دُفِئَتْ إليه ، ولا غناء عن تكليفك المعاونة فيه ، قال : ماهو ؟ قال : زوّجْتُ ابنةً من بناتنا رجلا من أهلنا ، فخرج عن مذاهبنا وأساء عشرة^(١) أهله وجعل منزل عيسى بن هرون وطنه وتهدّدنا به وتوعدنا بسيره حتى بسط عيسى بن هرون يده ولسانه بالبيح والقول ، وكثرت معاونته له على ما يُزري بدينه ، وقد توعدنا بأنه يكشِف وجهه لنا في معاونة صهرنا العادي علينا ، ولولا نسبه الذي فخره لنا وعاره علينا لاتصفتنا منه بالحق ، إلا أني أستعهدك منه . فقال له أبو عيسى : أنا أوجه إليه فأراسله بما أنا التكلّف بدمه بأن لا يعود إلى عشرته ، والضامن أن أُرَدّ هذا الصهر إلى حيث تحبُّ ويقع بموافقتك . فشكره وانصرف . فقال أبو عيسى : أما ترون إلى هذا الرجل النبيه السريّ الشريف الفاضل يدفع إلى مثل هذا ؟ طوبى لمن لم تكن له بنت . فقال له عبد الله بن المعتز : إن لي في هذا المعنى بيتين^(٢) ، وقد استحسنتهما جماعة ممن يعلم الشعر ويقوله . فقال له هات ، فأنشده :

وَبِكْرٍ قَلْتُ مَوْتِي قَبْلَ بَمَلٍ وَإِنْ أَثْرَى وَعُدَّ مِنَ الصَّمِيمِ
أَمْزُجُ بِاللَّسَامِ دَمِي وَلَحْمِي فَمَا عُذْرِي إِلَى النَّسَبِ الْكَرِيمِ

قال جعفر بن قدامة : كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا النُمَيْرِيُّ ، وحضر وقت الصلاة ، فقام النُمَيْرِيُّ فصلى صلاة خفيفة جداً ، ثم دعا بعد الصلاة ، وسجد سجدة طويلة ، استنقله جميع من حضر ، وعبدُ الله ينظر إليه مُتَمَجِّبًا ، ثم قال :

صَلَاتِكَ بَيْنَ الْمَلَأِ^(٣) نَقْرَةٌ كَمَا اخْتَلَسَ الْجَعَّةُ الْوَالِغُ
وَتَسْجُدُ مِنْ بَعْدِهَا سَجْدَةٌ كَمَا خُتِمَ الْمِزْوَدُ الْفَارِغُ

(١) في الأصل تقرأ (ولنا عرة) والتصويب من الأغاني ١٠ : ٢٧٢ .

(٢) يروى أن سبب إنشادهما أن رجلا نبيها فاضلا احتاج إلى تزويج ابنته من ذئب ، فقال

ابن المعتز البيهتين (تجريد) .

(٣) الورى (تجريد) .

كانت بنتُ الكراعَة تآلف عبدَ الله بن المعتز ، وكان يحب غناءها ، ويستظرفها ،
ويواصل إحضارها ، ثم انقطعت عنه فقال :

ليت شعري بمن تشاغلت عني وهو لا شك جاهلٌ مغرورٌ
هكذا كنتُ مثله في سرورٍ وغداً بالهموم مثلي يصيرُ

قال جعفر بن قدامة : كنا عند ابن المعتز يوماً ، ومعنا النميري ، وعنده جاريةٌ لبعض
بنات الكوفة تغنيه ، وكانت محسنة إلا أنها في نهاية القبح . فجعل عبد الله يُجمِّسها
ويتماشقُ لها ، فلما قامت قال له النميري : سألتك الله ، أتمشقُ هذه التي ما رأيت أقبَحَ
منها ؟ فقال عبد الله ، وهو يضحك :

قلبي وثأبٌ إلى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيأباهُ
يهيم بالحسن كما يئبني ويرحمُ القبحَ فيهواهُ

قال عبد الله بن المعتز : كانت خزاي جارية الضَّبِط المغني (١) تفادمني وأنا حدثٌ ،
وكانت مغنيةً مُحسنةً شاعرةً ظريفةً ، ثم تركت النبيذَ وتابت فراسلتها مراراً ،
فتأخرت عني فكتبت إليها :

رأيتك قد أظهرت زهداً وتوبةً فقد سمجت من بعد توبتك الخمرُ
فأهديت لي ووردًا يذكُر عيشةً (٢) بمن لم يمتنعنا بيهجتها الدهرُ

فأجابني :

أنا نبي قريض يا أميري مُحبرٌ حكى لي نظم الدرِّ فصل بالشذر (٣)
أنكرت يا ابن الأكرمين إنابتي وقد أفصحت لي السنُّ الدهر بالزجرِ

(١) في الأصل ١ ، ب (الطط المتعين) والتنصوب عن الأغاني ٩ : ١٣٨

(٢) رواية الأغاني والتجريد « فأهديت وردًا كي يذكُر عيشة » .

(٣) الشذر : خرز تفصل به الجواهر في النظم .

وَأَدَّبَنِي ^(١) شَرَحُ الشَّبَابِ بَيْنَهُ فَيَالَيْتَ شَعَرِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا عُذِرِي

كَانَ مُؤَنِّسٌ قَدْ اسْتَخْلَفَ مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ يَهْنِئُهُ :

فَرَحْتُ بِمَا أضعَافُهُ دُونَ قَدْرِكُمْ وَقَلْتُ عَسَى قَدِ هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ الدَّهْرُ
فَتَرَجَّعَ فِينَا دَوْلَةٌ طَاهِرِيَّةٌ كَمَا بَدَأَتْ وَالدَّهْرُ مِنْ بَعْدِهِ الْأَمْرُ
عَسَى اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ وَلَا بَدَمَنْ يُسْرَى إِذَا مَا انْتَهَى الْعُسْرُ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَصِيدَةَ مِنْهَا :

وَنَحْنُ لَكُمْ إِنْ مَسَّنَا بَعْضُ جَفْوَةٍ ^(٢) فِينَا عَلَى لِأَوَائِهَا الصَّبْرُ وَالْمَعْدْرُ

وَإِنْ رَجَعَتْ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ دَوْلَةٌ إِلَيْنَا فِينَا عِنْدَهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

ثُمَّ جَاءَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ شَاكِرًا لَهُ .

وَجَفَاهُ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْمَعْتَرِ :

قَدْ جِئْنَا مَرَّةً وَلَمْ تَكْذِبْ فَلَمْ تَزُرْ ^(٣) بَعْدَهَا وَلَمْ تَعِدِ ^(٣)

لَسْتَ تَرَى وَاجِدًا بِنَا عِوَضًا فَاطْلُبْ وَجَرِّبْ وَاسْتَقِصْ وَاجْتَهِدْ

نَاوَلْنِي حَبْلَ وَضَلِهِ بِيَدِي وَهَجَرَهُ جَاذِبًا لَهُ بِيَدِي

فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ ذَا وَذَا أَمْدٌ إِلَّا كَمَا بَيْنَ لَيْلَةٍ وَعَدَدٍ

(١) وَأَدَّبَنِي (أغاني - تجريد) .

(٢) وَنَحْنُ إِذَا مَا نَالْنَا مَسَّ جَفْوَةٍ - أغاني ١٠ : ٢٨٦ .

(٣) فِي الْأَغَانِي تَعَدُّ بَعْضَ الْعَيْنِ مِنْ عَادِ يَعُودُ ، وَالثَّانِيَةَ بِكُسْرِهَا مِنْ وَعَدَّ يَعُدُّ .

ذِكْرُ عِمْلَاقِ الْمَلِكِ وَعَفِيرَةَ (١)

هِيَ عَفِيرَةُ بِنْتُ عِفَارٍ ، وَقِيلَ عَفِيرَةُ بِنْتُ عَبَّادِ الْجَدِيسِيَّةِ وَيُقَالُ لَهَا الشَّمُوسُ .

وَعِمْلَاقُ مَلِكُ طَسَمِ بْنِ لَوْذٍ (٢) بْنِ أَزْهَرَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ .

وَجَدِيسُ بْنُ عَابِرٍ (٣) بْنِ إِرْمِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ .

وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ فِي مَوْضِعِ الْيَمَامَةِ ، وَكَانَ الظُّلْمُ فِي أَيَّامِ عِمْلَاقٍ قَدِ تَمَادَى وَالغَشْمُ وَالشَّرُّ بِغَيْرِ الْحَقِّ . وَكَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ جَدِيسٍ يُقَالُ لَهَا هُرَيْلَةُ لَهَا زَوْجٌ يُقَالُ لَهُ قَرُقَسٌ ، فَطَلَّقَهَا وَأَرَادَ أَخْذَ وَلَدِهَا مِنْهَا ، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى عِمْلَاقٍ . وَقَالَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي حَمَلْتُهُ تَسْمَاءً ، وَوَضَعْتُهُ دُعْمًا ، وَأَرْضَعْتُهُ شَفْعًا ، حَتَّى تَمَّتْ أَوْصَالَهُ ، وَدَنَا فِصَالَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْ كَرِّهَا وَيَتْرَكُنِي مِنْ بَعْدِهِ وَلَهُي . فَقَالَ لَزَوْجِهَا : مَا حَجَّتُكَ ؟ قَالَ : حَجَّتُنِي ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَنِّي أُعْطِيتُ الْمَهْرَ كَامِلًا ، وَلَمْ أَصِبْ مِنْهَا طَائِلًا ، إِلَّا وَلِيدًا خَامِلًا ، فَافْعَلْ مَا كُنْتُ فَاعِلًا . فَأَمَرَ بِالْعِلَامِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُمَا جَمِيعًا وَيُجْعَلَ فِي غِلْمَانِهِ . وَقَالَ لَهُرَيْلَةُ : ابْنِيهِ وَلِدًا ، وَلَا تَتَكَلَّحْنِي أَحَدًا ، وَاجْزِيهِ صَفْدًا ، فَقَالَتْ هُرَيْلَةُ : أَمَا النِّكَاحُ فَإِنَّمَا يَكُونُ بِالْمَهْرِ ، وَأَمَا السَّفَاحُ فَإِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَهْرِ ، وَمَا أَرَى فِيهِمَا مِنْ أَمْرٍ . فَلَمَّا سَمِعَ عِمْلَاقُ ذَلِكَ أَمَرَ أَنْ تَبَاعَ [هِيَ] وَزَوْجُهَا فَيُعْطَى زَوْجُهَا خُمْسَ ثَمَنِهَا وَتُعْطَى هُرَيْلَةُ عَشْرَ ثَمَنِ زَوْجِهَا . فَقَالَتْ هُرَيْلَةُ :

أَيْنَا أَخَا طَسَمٍ لِيُحْكَمَ بَيْنَنَا فَاتَّقِذْ حِكْمًا فِي هُرَيْلَةَ ظَالِمًا

(١) أغانى ١١: ١٦٤ - تجريد ٣: ١٢٧٥ وفيهما: عفيرة وعمليق الملك، وهي في الأصل:

عقيرة بالالف وعملاق .

(٢) لاوذ بن إرم (أغانى) .

(٣) في الأصل: عامر والتصويب (عابر بن إرم) من الأغانى .

لَعَمْرِي لَقَدْ حُكِّمْتَ لَا مَتَوْرَعَا وَلَا كُنْتَ فِيمَنْ يُبْرِمُ الْحَكَمَ عَالِمَا
نَدِمْتُ وَلَمْ أَنْدَمْ وَأَتَى لَعَنَتِي وَأَصْبَحَ بَعْلِي فِي الْحَكُومَةِ نَادِمَا
فَلَمَّا سَمِعَ عَمَلِقَ قَوْلَهَا أَمْرَ الْأَتْرُوجِ بَكَرُهُ مِنْ جَدِيسٍ وَتَهَدَّى إِلَى زَوْجِهَا حَتَّى
يَفْتَرِعَهَا هُوَ قَبْلَ زَوْجِهَا . فَلَقُوا مِنْ ذَلِكَ بَلَاءً وَجَهْدًا وَذُلًّا فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى
زُوِّجَتْ الشَّمْسُ وَهِيَ عَفِيرَةٌ بِنْتُ عَبَّادِ الْجَدِيسِيَّةِ ، أُخْتُ الْأَسْوَدِ الَّذِي وَقَعَ
إِلَى جَبَلِي طَيِّبٍ فَفَقَلْتَهُ طَيِّبٌ ، وَسَكَنُوا الْجَبَلَ مِنْ بَعْدِهِ . فَلَمَّا أَرَادُوا حَمَلَهَا إِلَى زَوْجِهَا
انْطَلَقُوا بِهَا إِلَى عَمَلِقِ الْمَلِكِ لِيُنَالَهَا قَبْلَهُ وَمَعَهَا الْقِيَانُ يَتَفَنِّينَ وَيَقْلَنُ :

إِبْدَى بِعَمَلِيقٍ وَقَوْمِي وَارْكَبِي وَبَادِرِي الصَّبْحَ لِأَمْرٍ مُنْجِبِ
فَسَوْفَ تَلْقَيْنَ الَّذِي لَمْ تَطْلُبِي وَمَا لِي كَرِهَ عِنْدَهُ مِنْ مَهْرَبِ
فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَاقَعَهَا وَخَلَى سَبِيلَهَا نَخَرَجْتَ إِلَى قَوْمِهَا فِي دِمَائِهَا شَاقَّةً دِرْعَهَا
مِنْ قَبْلِ وَمِنْ دُبُرٍ ، وَالْدَمُ بَيْنُ وَهِيَ فِي أَفْبَحٍ مَنظَرُ وَهِيَ تَقُولُ :

لَا أَحَدٌ أَذَلَّ مِنْ جَدِيسٍ أَهْكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُرُوسِ (١)
لِلْأَخْذَةِ الْمَوْتِ كَذَا بِنَفْسِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُفْعَلَ ذَا بَعْرُسِهِ
وَقَالَتْ تَحْرَضُ قَوْمَهَا :

أَيُّجُمَلُ مَا يُؤْتَى إِلَى فَتْيَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فَيَكْمُو عِدُدُ النَّمْلِ
وَتَصْبِحُ تَمْشِي فِي الدِّيَارِ عَفِيرَةٌ عَفِيرَةٌ زُفَّتْ فِي النِّسَاءِ (٢) إِلَى بَعْلِ
فَلَوْ أَنْسَا كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْو نِسَاءً لَكُنَّا لَا نُقْرُ بِذَا الْفَعْلِ
فَقُوتُوا كِرَامًا أَوْ أَمِيتُوا عِدْوَكُمْ وَدَبُّوا النَّارَ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ

(١) بعده :

يَرْضَى بِهَذَا يَا قَوْمِي حُرُّ أَهْدَى وَقَدْ أَعْطَى وَسِيقَ الْمَهْرِ
أَغَانِي ١١ : ١٦٦

(٢) في الدماء إلى البعل - تجريد ١٢٧٦ .

وإلا غفلوا بطنها وتحملوا إلى بلد قفرٍ وموتوا من الهزلِ
فَلَلْبَيْنُ خَيْرٌ مِنْ مُقَامٍ عَلَى أذَى وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ مُقَامٍ عَلَى ذُلِّ
وإن أنتمو لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساءً لاتعاب^(١) من الكحل
ودونكمو طيبَ العروسِ فإعما خَلِقْتُمْ لِأَثْوَابِ الْعُرُوسِ وَلِلْفَسْلِ^(٢)
فبعدا وسُحْقًا لِلذَى لَيْسَ دَافِعًا وَيَحْتَالُ يَمْشِي بَيْنَنَا مِشْيَةَ الْفَحْلِ

وكان أخوها الأسودُ سيداً مُطاعاً ، فلما سمع مقالها ، قال لقومه : يامعشرَ جديس ،
إن هؤلاء القومَ ليسوا بأعزَّ منكم في داركم إلا بما كان من مُلكِ صاحبهم علينا
وعليهم ، ولولا عجزنا وإدھاننا^(٣) ما كان له فضلٌ علينا وعليكم ، ولو امتنعنا لكان لنا
منه النصف ، فأطيعوني فيما أمرُكم به فإنه عزُّ الدهرِ وذهابُ ذُلِّ العُمُر ، وأقبلوا رأبي .
وكان قوله^(٤) قد أحمى جديسا فقالوا : نطيعك ، ولكن القومَ أكثرُ وأقوى حمي .
قال : فإني أصنعُ للقومِ طعاما ثم أدعوهم إليه جميعا ، فإذا جاءوا يرفلون في الحلل
ثُرنا إلى سيوفنا ، وهم غارون^(٥) فأهمدناهم بها . قالوا : نفعل . ففصنع لهم طعاما
كثيراً ، وخرج بهم إلى ظَهْرِ بلدِهم ، وأتى عملاقا^(٦) يسأله أن يتعدى عنده هو
وأهلُ بيته فأجابه . وخرج معه أهله يرفلون في الحليِّ والحللِ حتى إذا أخذوا مجالسهم
ومدوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم فشدَّ الأسودُ على عملاق ،
وكل رجلٍ منهم على رَجُلٍ حتى أبادوهم ، فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السُّفلة ،
فلم يدعوا منهم أحداً . فقال الأسودُ في ذلك :

(١) في الأصل : لا تعب

(٢) في الأصل : للفل ، (والتصويب عن الأغاني) .

(٣) في الأصل : واهدائنا . والإدهان : المصانعة واللين ، مثل المداھنة .

(٤) في الأصل : قولها . وهى في الأغاني والتجريد : قوله ، والسياق يقتضيه .

(٥) غارون = غافلون .

(٦) عمليقا وسأله (أغاني) .

ذوقِ بِنْعَمِكَ يَا طَسْمُ ^{مُجَلَّلَةً}
فقد أتيتِ لعمري أعجبَ العَجَبِ
إنا أتينا فلم ننفل بقتلهمو (١)
والبغى هيج منا سورة الغضبِ
ولن يمسود علينا بغيهم أبدا
ولم يكونوا لدى أنفٍ ولا ذنبِ
فإن رعيتم لنا قربى مؤكدةً
كننا الأقارب في الأرحام والنسبِ

ولجأ بقية طسم إلى حسان بن تبع ففزا جديساً فقتلها وأخرّب بلادها ، فهرب
الأسود قاتل عملاق وأقام بجبلى طيبي قبل نزول طيبي إياها ، وكانت طيبي تسكن
الجرف من أرض اليمن ، وهى اليوم محل مراد وهمدان ، وكان سيدهم يومئذ سامة
ابن لؤى بن الغوث بن طيبي .

وكان الوادى مسبعة وهم قليل عددهم ، وكان يأتيهم بعير في زمان الحريف ولا
يرونه إلى قابل .

وكانت الأزد قد خرجت من اليمن أيام العرم ، فلما هموا بالظمن قالوا الأسامة : إن
هذا البعير يأتينا في كل خريف من بلد ريفٍ وخضبٍ وإنا نرى في بمره النوى ، فلو أننا
نتمهده عند انصرافه ، فشخصنا معه لعلنا نصيب مكاناً خيراً من مكاننا . فأجمعوا أمرهم
على ذلك .

فلما كان الحريف جاء البعير فضرب في إبلهم ، فلما انصرف احتملوا واتبعوه
يسرون [بسيره] حتى هبط على الجبدين فهجمت طيبي على الفحل في الشماب فإذا هم
رجل في شعب من تلك الشاماب وهو الأسود قاتل عملاق فهالهم مارأوا من عظم خلقته
وتخوفوه ، ونزلوا ناحية من الأرض فاستبروها (٢) هل يرون بها أحدا ، فلم يروا بها

(١) إنا أتينا فلم ننفك بقتلهم .

(٢) استبروها : اختبروها من السبر وهو الاختبار ، وفي الأصل : اسبروها .

أحدًا غيره ، فقال أسامة^(١) بن ثؤي لابن له يقال له النوث : إن قومك قد عرفوا فضلك عليهم ، ولو كفيتمنا هذا الرجل سُدَّتْ قومك آخر الدهر ، وكنت الذي أنزلتنا هذا البلد . فأتى إلى الأسود فكلمه وسأله ، فعجب الأسود من صغر خلق النوث وقال : من أين أقبلتم ؟ فقال : من اليمن . وأخبره خبر البعير ومجيئهم معه وأنهم رهبوا ما رأوا من عظم خلقه وصغرهم عنه ، وشغله بالكلام ، ورماه النوث بسهم فقتله . وأقامت طي بالجبيلين بمده ، فهم هناك إلى اليوم .

(١) كذا في الأصل وفي التجريد - وقد سبق أن ذكر في مواضع أخرى أن اسمه سامة من غير همز أوله (انظر ترجمة علي بن الجهم) .

ذِكْرُ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ^(١)

عائشة بنتُ طلحة بن عبّيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم . أمها أم كلثوم بنتُ أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه . كانت لا تَسْتُرُ وَجْهَهَا من أحد ، فعاتبها زوجها مصعبٌ في ذلك فقالت : إن الله تبارك وتعالى وَسَمَنِي بِعِيسَمِ الْجَمَالِ ، فَأَحْبَبْتَ أَنْ يَرَاهِ النَّاسُ وَيَعْرِفُوا فَضْلِي عَلَيْهِمْ ، وَمَا كُنْتُ لِأَسْتُرَهُ ، وَوَاللَّهِ مَا فِيَّ وَصْمَةٌ يُقَدَّرُ أَنْ يَذْكَرَنِي بِهَا أَحَدٌ . وَطَالَتْ مُرَادَةٌ مُصْعَبٍ لَهَا .
وكانت شرسة الخلق ، وكذلك نساء بني تميم هن أشرس خلق الله ، وأحظاهن عند أزواجهن .

وكانت أمُّ إسحق بنتُ طلحة عند سيدنا الحسن بن عليّ ، رضى الله عنهما . وكان يقول : والله لربما سمكت ووضعت وهي مُصَارِمَةٌ لا تكلمني .
آلت عائشة من مُصْعَبٍ أَنْ تُكَلِّمَهُ ، وَقَالَتْ : أَنْتِ عَلِيٌّ كَظَهَرِ أُمِّي . وَقَعَدْتُ فِي غُرْفَةٍ ، وَهِيَآتُ لَهَا مَا يُصَلِّحُهَا ، فَجُهِدَ مُصْعَبٌ أَنْ تُكَلِّمَهُ فَأَبَتْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا ابْنَ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ فَسَأَلَهَا كَلَامَهُ فَقَالَتْ : كَيْفَ بِيَمِينِي ؟ فَقَالَ : الشَّعْبِيُّ فُقِيهُ الْعِرَاقِ فَاسْتَفْتِيهِ . فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَأَخْبَرَتْهُ . فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ ، فَقَالَتْ : مَا تَخْرُجُ خَائِبًا . وَأَمَرَتْ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ .

وقال ابن قيس الرقيات لما رآها :

إِنَّ الْخَلِيظَ قَدْ أَرْمَعُوا تَرَكِي
فوقفتُ في عرصاتهم أبكي

(١) الأغاني ١١ : ١٧٦ (دار الكتب) والتجريد ٣ : ١٢٧٩ - مهذب الأغاني ٦ : ١٧٣

جَنِيَّةٌ بَرَزَتْ لَتَقْتُلَنِي (١) مَطْلِيَّةُ الْأَنْوَابِ (٢) بِالْمَسْكِ
عَجَبًا لِمَلِكٍ لَا يَكُونُ لَهُ خَرَجُ الْعِرَاقِ وَمَنْبَرُ الْمَلِكِ

وقيل إن مُصْعَبًا لما غَضِبَتْ عَلَيْهِ عَائِشَةُ أَنْفَذَ إِلَيْهَا أَشْعَبَ فَقَالَ لَهُ أَشْعَبُ (٣) :
مَا لِي إِنْ رَضَيْتُ؟ قَالَ : حُكْمِكَ . قَالَ : عَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ . قَالَ : هِيَ لَكَ . فَأَتَاهَا ،
فَقَالَ : جَمَلْتُ فِدَاكَ قَدْ عَلِمْتُ حُبِّي لَكَ وَمَيْلِي قَدِيمًا وَحَدِيثًا إِلَيْكَ مِنْ غَيْرِ مَنَالَةٍ (٤)
وَلَا فَائِدَةَ ، وَهَذِهِ حَاجَةٌ قَدْ عَرَضَتْ تَقْضِيْنَ بِهَا حَقِّي . قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : قَدْ جَمَلْتُ
لِي الْأَمِيرُ عَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ إِنْ رَضَيْتَ عَنْهُ . قَالَتْ : وَيْحَكَ ! لَا يُمْكِنُنِي ذَلِكَ .
قَالَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأَيُّ إِرْضَى عَنْهُ حَتَّى يُعْطِيَنِي الْمَالَ ، ثُمَّ عَوْدِي إِلَى مَا عَوَّدَكَ اللَّهُ
مِنْ سُوءِ الْخَلْقِ . فَضَحِكْتَ مِنْهُ ، وَرَضِيْتَ عَنْ مُصْعَبٍ ، وَأَخَذَ أَشْعَبُ الْمَالَ .

كان بالمدينة امرأة يقال لها عزة الميلاء تألفها الأشراف وغيرهم من أرباب
المروءات . وكانت من أطرف الناس ، وأعلمهم بأمر النساء ، فأتاها مصعب بن الزبير ،
وعبدُ الله بنُ عبد الرحمن بن أبي بكر ، وسعيد بن العاص ، فقالوا : إنا خَطَبْنَا
فَانظُرِي لَنَا . فقالت لمصعب : يا أبا عبد الله وَمَنْ خَطَبْتَ ؟ قال : عائشة بنت طلحة .
قالت : فانت يا ابن أحيحة . قال : عائشة بنت عثمان بن عفان . قالت : فانت
يا ابن الصديق . قال : أم الهيثم بنت زكريا بن طلحة . فقالت : يا جارية هاتِي مَنْقَلِي ،
تعني خُفِيَّتِي ، فلبستهما ، وخرجت ، ومعها خادم لها ، فبدأت بعائشة بنت طلحة ،
قالت : فديتك ، كفا في مَأْدُبَةٍ أَوْ مَأْتَمٍ لِقَرِيْشٍ ، فتذاكروا جمال النساء ، وخَلَقَهُنَّ
فذكروك ، فلم أَدْرِ كَيْفَ أَصِفُكَ ، فَأَلْقَى ثِيَابَكَ ، ففعلت ، فأقبلت وأدبرت فأرَّجَحَّ

(١) لتقتلنا (تجريد) .

(٢) الأقرب (تجريد) وهي جمع قرب بالضم : الحاصرة ، والجمع للتوسع .

(٣) في الأصل : فقال لأشعب ، والسياق غير هذا .

(٤) في الأصل : مقالة .

كلُّ شيءٍ منها . فقالت لها عَزَّةٌ : خذي ثوبَكَ ، فدَيْتُكَ . فقالت عائشةُ : قد قضيتُ
حَقَّكَ وبقيَ حَقِّي . قالت عزة : وما هو ؟ قالت عائشةُ : تمنيني صوتا ، ففتمتها :
خليلي عوجا بالحلة من جُمَلِ

فقامت عائشة فقبلت بين عينيها ودعت لها بعشرة أثوابٍ وطرائفٍ من أنواع
الفضة فأخذتها ، وأنت النسوة على مثل ذلك . وأنت القوم في السَّقِيفَةِ ، فقالوا :
ما صنعت ؟ فقالت : يا ابن أبي عبد الله ، أما عائشةُ فلا والله ما رأيت مثلها مُقْبِلَةً
ولا مدبرةً ، محظوظةُ المتَّعِنِينَ ، عظيمةُ العَجْزِ ، ممتلئةُ التَّرَائِبِ ، نقيبةُ الثَّغْرِ
وصفحةُ الوَجْهِ ، فرعاءُ الشَّعْرِ ، ممتلئةُ الصدرِ ، خميسةُ البطنِ ، ذاتُ عُكْنٍ^(١) ،
ضخمةُ الشَّرْكِ يَرْتَجِحُ ما بين أعلاها إلى قديمها ، وفيها عيبان ؛ أحدهما يواريه الخمارُ ،
والآخر يواريه الحُفْـُـفُ . أي عظيمةُ القَدَمِ والأذُنِ .

ثم قالت عزة : وأما أنت يا ابن [أبي] أُحْيِحَةَ ، فإني والله ما رأيت مثل خلق
عائشة بنت عثمان لامرأةٍ قط ، ليس فيها عيب ، كأنما والله أُفْرَعَتْ إفراغا ، ولكن
في الوجه رَدَّةٌ^(٢) وإن استشررتني أشرتُ عليك ، قال : هاتي . قالت : عليك بوجه
تستأنس به .

وأما أنت يا ابن الصَّدِّيقِ ، فوالله ما رأيت مثل أم المهيم كأنها خُوطُ بانٍ^(٣)
تَثْنِي ، أو كأنها جانٌ يَثْنِي على رَمَلٍ ، ولو شئت أن تَعْمِدَ طَرَفَاها لَفَعَلْتُ فَإِنها
سَخِئَةٌ^(٤) الصدرِ وأنت عريضُ الصَّدْرِ فإن كان كذلك كان قبيحا ، لا والله
حتى يملأ كلُّ شيءٍ مثله .

قال : فوصلها الرجالُ والنساءُ وتزوجوهن .

(١) العكن جمع عكنة وهو ما انطوى وتثنى من لحم البطن .

(٢) يقال في الوجه ردة : أي قبح مع شيء من الجمال .

(٣) الخوط : الغصن الناعم .

(٤) في الأصل : سخيقة والتصويب عن الأغاني ١١ : ١٧٩ .

وكانت عائشة بنت طلحة تُشَبَّه بِخَالَتِهَا عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وكانت عائشة قد زَوَّجَتْهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَهُوَ ابْنُ أُخِيهَا ،
وَإِبْنُ خَالِ عَائِشَةَ بِنْتُ طَلْحَةَ ، وَهُوَ أَبُو عُدْرَتَيْهَا ، وَلَمْ تَلِدْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَزْوَاجِهَا إِلَّا
مِنْهُ . وَوَلِدَتْ لَهُ عِمْرَانٌ وَبِهِ كَانَتْ تُكْنَى ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَبَا بَكْرٍ ، وَطَلْحَةَ ، وَنَقِيصَةَ
تَزَوَّجَهَا الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكُلُّهُمْ أَعْقَبَ ، وَكَانَ ابْنُهَا طَلْحَةُ أُجُودَ أَجُودِ قُرَيْشٍ
وَلَهُ يَقُولُ الْحَزِينُ (١) الدَّبْلِيُّ :

فَإِنْ تَكِ يَا طَلْحُ أُعْطَيْتَنِي عُدَا فِرَّةً (٢) تَسْتَخْفُ الضَّفَارَا
فَمَا كَانَ نَفْعُكَ لِي مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَكِنْ مَرَارَا
أَبُوكَ الَّذِي صَدَّقَ الْمُصْطَفَى وَسَارَ مَعَ الْمُصْطَفَى حَيْثُ سَارَا
وَأُمُّكَ بِيضَاءُ تَيْمِيمَةٍ إِذَا نُسِبَ النَّاسُ كَانَتْ نُضَارَا

فصارت عائشة زوجها عبد الله ، وخرجت من داره غضبي ، عليها ملحة تريد
عائشة أم المؤمنين ، فرآها أبو هريرة فسبح الله وقال : سبحان الله ، كأنها من الحور
العين ، فكثت عند عائشة قريبا من أربعة أشهر ، وكان زوجها قد آلى منها ، فأرسلت
عائشة : إني أخاف عليك [الإيلاء] (٣) ، فضمها إليه فقبل له : طلقها ، فقال من أبيات :

وَإِنْ فَرَّقَ أَهْلَ بَيْتِ أَحِبَّهُمْ لَهْمُ زَلْفَةٍ عِنْدِي لِأَحَدِي الْعِظَائِمِ

فتوفى عبد الله بعد ذلك ، وهى عنده فما فتحت فإياها عليه ، فكانت عائشة أم
المؤمنين تمد هذا عليها فى ذنوبها التى تعددها .

(١) فى الأصل : الحسن بن الدبلى ، وما أثبتناه عن الأغانى ١١ : ١٧٩ .

(٢) العذافر بالضم : العظيم الشديد من الإبل .

(٣) الزيادة عن التجريد .

ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير ، فمهرها خمسمائة ألف درهم ، وأهدى لها مثل ذلك ، فبلغ ذلك أخاه عبد الله . فقال : إن مصعبا قدم أيره وأخر خيرَه . فبلغ قوله عبد الملك بن مروان . فقال : لكنه هو آخر أيره وأخر خيرَه ، فكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب يُؤتبه على ذلك ، ويقسم عليه بأن يلحق به إلى مكة ، وكان لا ينزل بالمدينة ، ولا ينزل إلا البيداء . وقال له : إني لأرجو أن تكون الذي يُخسف^(١) به بالبيداء ، فما أمرتك نزولها إلا لهذا ، فصار إليه وأرضاه من نفسه فأمسك عنه .

وكان مصعبُ بن الزبير لا يقدر عليها إلا بتلاحٍ ينالها منه وبضربها ، فشكا ذلك إلى أبي فروة كاتبه . فقال له : أكفيك هذا إن أذنت لي . قال : نعم ، افعل ما شئت ، فإنه أفضل شيء تتأله في الدنيا . فأتاها إيلا ومعه أسودان فاستأذن عليها فقالت له : أفي مثل هذه الساعة ؟ قال : نعم ، فأدخلته . فقال للأسودين : احفرا هنا بئرا ، فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبئر ؟ قال : شوؤم مولاتك^(٢) ، أمرني هذا الظالم أن أدفنها حية ، وهو أسفك خلق الله لدم حرام . قالت عائشة : فأنظرنني أذهب إليه . قال : هيهاث لا سبيل إلى ذلك . وقال للأسودين : احفرا ، فلما رأته الجد منه بكت ، وقالت : يا ابن أبي فروة إنك لقاتلي^(٣) قال : نعم ، وإني لأعلم أن الله ، عز وجل ، سيجزيه بعدك ، ولكنه قد غضب ، وهو كافرُ الغضب ، قالت : وفي أي شيء غضبه ؟ قال : من امتناعك عليه ، وقد ظن أنك تبغضينه وتمتلعين إلى غيره ، فقد جن . فقالت : أشدك الله إلا عاودته . قال : أخاف أن أقتل ، فبكت وبكى جواريتها ، فقال : قد رقتُ إليك ، وحلف لها أنه يُفرر بنفسه . وقال لها : فما أقول ؟ قالت : تَضْمَنُ عني

(١) في الأصل : تخف والصواب عن الأغاني والمهذب

(٢) في الأصل : مواليك (تجريد) .

(٣) في الأصل : لتأتلي .

أني لا أعود أبدا. قال : فما لي عندك ؟ قالت : قتيابي بحقك ما عشتُ . فأخذَ الموائيقَ عليها ، وقال للأسودين : مكانكما ، وأتى مُصعبا فأخبره . فقال : استوثق منها بالأيمان ، قال : قد فعلت . وصاحت بمد ذلك لمصعب .

ودخل ، يوما عليها ، مصعب وهي نائمة ، ومعه ثمانى لؤلؤاتٍ قيمتهما عشرون ألفَ دينار ، فأنهبها ونثر اللؤلؤَ في حجرها ، فقالت له : نومتي كانت أحبَّ إلي من هذا اللؤلؤ .

وكان مصعب من أشد الناس إعجاباً بمائسة ، ولم يكن لها شبيه في زمانها حسنا ودماًةً وجمالا وهيئةً وشارةً وعِفَّةً .

وإنها دعت نسوة من قريش يوما ، وأجلستهن في مجلس ، قد نضد فيه الريحانُ والفواكهُ والطيبُ والحِمْرُ ، وخلعت على كل امرأةٍ منهن خِلمةً من الوشْي والحبر ونحوهما ، ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضمقته لها ثم قالت لعزة : هاتي يا عزة فغنيننا ، فغتمهن لامرئ القيس :

وتَعَرَّيْ أَغْرَّ شَتِيَّتِ النَّبَاتِ لَدَيْدِ الْمُقْبَلِ وَالْمُبْتَسِمِ
وَمَا ذُقْتُهُ غَيْرَ ظَنِّ بِهِ وَبِالظَّنِّ يَقْضِي عَلَيْكَ الْحَكْمِ

وكان مصعب قريبا منهن ومعه إخوان له فقام حتى دنا منهن والستور مسجلة فصاح بها : يا هذه إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت فبارك الله فيك يا هزة .

ذکر علویہ^(۱)

هو علی بن عبد الله بن سیف .

وكان جده سيف من الصُّفد الذين سبهم الوليد بن عثمان بن عفان ، واسترق منهم جماعة ، اختصمهم بخدمته ، وأعتق بعضهم ولم يُعتق الباقين ، فقتلوه .

وقيل : إنه من أهل يثرب ، مولى لبني أمية ، وكنيته أبو الحسن .

كان مغنياً حاذقاً وضارباً متقدماً مع خفة رُوح وطيبِ مجالسة وملاحة نوادر .

غنى لحمد الأمين ، وعاش إلى أيام المتوكل ، ومات بعد إسحاق الموصلي بمدة

يسيرة .

وكان سبب موته أنه خرج عليه جربٌ فشكاه إلى يحيى بن ماسويه فبعث إليه

بدواءٍ مُسهلٍ وطلاءٍ فشرِبَ الطلاءُ واطلى بالدواءِ فقتله ذلك .

وكان الواصل يقول : غناء علويه مثل نقر الطست ، يبقى ساعة في السمع بعد

سكوته . وكان مع هذا أعسر . وكان عودُه مطرباً في يد غيره . البتم أسفل الأوتار ،

والثلثُ فوقه ، والثنى فوقه ، والزيرُ فوقه . وكان العود في يده اليمنى ، ويضربُ باليسرى .

كان عبد الله بن محمد الخلدنجي القاضي بن أخت علويه المغنى وكان تياها صليفاً ،

فتقلد في خلافة الأمير قضاء الشرقية^(۲) وكان يجلس إلى أسطوانة من الأساطين

فيستند إليها بجميع جسده ، فإذا جاءه الخضم ترك الاستناد حتى يفصل بينهما ،

(۱) أغاني (دار الكتب) ۱۱ : ۳۳۳ .

(۲) الشرقية : محلة بقرى بغداد ، شرقي باب البصرة (مرصد) .

ثم يعود إلى حالته . فعمد بمض الحُجَّانِ إلى رُقْمَة من الرِّقَاع فألصقها في موضع ذَنْبته بالدَّبْقِ (١) ومكن منها الدبق . فلما جاء وقعد وجلس إليها على عادته والتصقت ذَنْبَتُهُ بالدَّبْقِ تقدم إليه خصمان ، فأقبل عليهما على عادته بجميع جسده فانكشَفَ رأسه وبقيت الذَّنْبَةُ ملصوقة فقام الخلفجى مُغْضِبًا ، وعلم أنها حيلة وقعت عليه ، فغطى رأسه بطيلسانه ، وقام وانصرف وتركها مكانها حتى جاء بعض أعوانه فأخذها . وقال فيه الشعراء :

إِنِ الْخَلْفَجَىَّ مِنْ تَتَائِبِهِ أَثْقَلُ بِإِدِّ لَنَا بِطَلْعَتِهِ
يَصَالِحُ الْخَصْمُ مِنْ يُخَاصِمُهُ خَوْفًا مِنَ الْجَوْرِ فِي قَضِيَّتِهِ
لَوْ لَمْ تُدْبِقْهُ كَفَّ قَانِصِهِ لَطَارَ تَيْهَا عَلَى رَعِيَّتِهِ

واشتهرت الأبيات والقصة في بغداد ، وعمل له علويه حكاية أعطاها بعض الخنثين ، فأخرجوه فيها ، وكان علويه يعاديه لمنازعة كانت بينهما ، ففضحه ، فاستغى الخلفجى من القضاء ببغداد ، وسأل أن يولّى بعض الكور البعيدة فولّى جند دمشق أو حمص . فلما ولي المأمون الخلافة غناه علويه بشعر الخلفجى :

برئتُ من الإسلام إن كان ذا الذى أتاك به الواشون عني كما قالوا
ولكنهم لما رأوك غريبة بهجرى تواصلوا بالنيمة واحتالوا
وقد صرت أذنا للوشاة سميمة ينالون من عرضي ولو شئت مانالوا

فقال له المأمون : من يقول هذا الشعر ؟ قال : قاضى دمشق ، فأمر بإحضاره ، فوصل وجلس المأمون للشرب ، وأحضر علويه ودعا بالقاضى فقال : أنشدنى قولك :
برئتُ من الإسلام

(١) الدبق : غراء أخضر اللون ينشر على قضبان توضع في الأشجار فينخدع الطير بها ويحتم

عليها فتلصق به .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه آيات قلتها منذ أربعين سنة ، وأنا صبي ، ووالذي أكرمك بالخلافة ، وورثتك ميراث النبوة ، ما قلت شعراً من عشرين سنة إلا في زهد أو عتاب صديق ، فقال له : اجلس ، فجلس فناوله قدح نبيذ كان في يده ، وقال له : اشرب ، فأرعد وبكى وأخذ القدح من يده ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما غيرت الماء بشيء قط مما يُختلفُ في تحليله . فقال : لعلك تريد نبيذ التمر أو الزبيب ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئاً منهما ، فأخذ القدح من يده وقال : أم والله لو شربت شيئاً من هذا لضربت عنقك ، ولقد ظننت أنك صادق في قولك كله ولكن لا تتولى لي القضاء أبداً لأنك رجل بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام ، انصرف إلى منزلك . فانصرف وأمر علويه فغير الكلمة وجعل مكانها : حُرِّمَتْ مَرَامِيْ مِنْكَ .

كان علويه يوماً يغني بين يدي الأمين فغنى في بعض غنائه :

ليت هنداً أنجزتنا ما آمد وشقت أنفسنا مما تجد

وكان الفضل بن الربيع يطعن عليه عليه أشياء ، فقال للأمين : إنما يعرضُ بك ويستبطنُ المأمون في محاربتِهِ إياك ، فأمر به فضرب خمسين سوطاً ، وجُر برجله حتى أخرج ، وجفاه مدة حتى ألقى نفسه على كوتر فترضاه له ، وأقره على خدمته ، وأعطاه خمسة آلاف درهم . فلما قدم المأمون تقرب بذلك إليه ، فلم يقع بحيث يجب . وقال : إن الملك بمنزلة الأسدِ أو النارِ فلا تتعرضُ لما يفضبه ، فإنه ربما جرى عليك ما يُقلِّقُك ولا تقدر بعد ذلك على تلافٍ ما فرط منك . ولم يعطه شيئاً .

ومثل هذه الحكاية ما حكاه إسحاق الموصلي ، قال : دخلت يوماً على الأمين فرأيتُه مُغضباً كالحلأ ، فقلت : ما لأمر المؤمنين تم الله سروره ولا نغصه ؟ قال : أغاظني أبوك ، لارحمه الله ، والله لو كان حياً لضربته خمسمائة سوطاً ، ولولاك لنبشتُ عظامه ، وأحرقتها في قبره . فقممت على رجلٍ ، وقلت : أعود بالله من سُخْطِكَ

يا أمير المؤمنين ، ومن هو أبي ؟ وما مقداره حتى تتعاط منه ؟ وما الذي أغاظك ؟
فلعل أَعذر عنه . قال : شدةُ محبته للمؤمن وتقدمه على حتى قال في الرشيد شعراً
يُقدِّمه فيه على وغناه فيه ، وغنيتة الساعة ، فأفقد مني هذا الغيظ . فقلت : والله
ما سمعت بهذا قط ، ولا لأبي غناء إلا وأنا أرويه ، فما هو ؟ قال : قوله :

أبو المأمونِ فينا والأمينُ له كنفانٍ من كرمٍ ولينٍ

فقلت : يا أمير المؤمنين ، لم يُقدِّم المأمون في هذا للتقدمه إياه ، ولا لتفضيله
في الموالاتة ، ولكن الشعر لم يصح له وزنه إلا هكذا . فقال : ينبغي له إذا لم يصح له
إلا هكذا أن يدعه إلى لعنة الله . فلم أزل أداريه حتى سكَّت ، فلما قدم المأمون سألني
عن هذا الحديث ، فحدثته به فجعل يضحك ويمجج منه .

قال عبد الله بن طاهر : لو خُبِرْتُ لونا من الطعام لاخترتُ الدرَّاجة^(١) لأنني
إن زِدْتُ في خَلِّها صارت سِكِّباجةً^(٢) ، وإن زِدْتُ في ماؤها صارت إسفيدياجةً ،
وإن زِدْتُ في تشبيطها صارت مُطجَّنةً^(٣) . ولو اقتصرْتُ على رَجُلٍ واحد لاقتصرْتُ
على علويهِ ؛ لأنه إن حدثني الهاني ، وإن غناني أشجاني ، وإن رجعت إلى رأيه
كفاني .

قال علويهِ : أمرني المأمونُ يوماً أن نُبأ كرهه ليصطحب ، فلقيني عبدُ الله بن إمامعيلَ
المراكبي ، مولى عَرَبٍ ، فقال : أيها الظالم المعتدى ، أما ترحم ولا تترقُّ ؟ عَرَبٍ

(١) الدرَّاج : ضرب من طير العراق أسود باطن الجناحين وظاهرها أغبر ؛ على خَلقة القفا
إلا أنه أطفف . وفي الأصل : الدرَّاجة .

(٢) السكِّباج : مرق يعمل من اللحم والجل .

(٣) مطجَّنة : مقلوبة بالطاجن وكانت الكلمة في الأصل تقرأ (اسطفجحة) ، وما أنبتناه عن

هائمةً من الشوق إليك ، تدعو الله وتستحكه عليك ، وتحمُّ بك^(١) في يومها
وليلتها ثلاث مرات ، قال علويه : فقلت : أمرُ الخلافة^(٢) ومضيتُ معه ، فحين
دخلت عليها ، قلت : استوثقوا من الباب فإني أعرفُ الناسِ بفضولِ الحجابِ ،
وإذا عريبٌ جالسةٌ على كرسي تطبخ ثلاثَ قدورٍ من دجاج ، فلما رأته قامت ،
وعانقتني ، وقبلتني ، وقالت : أيُّ شيء تشتهي ؟ فقلت : قدراً من هذه القدور ،
فأفرغت بيني وبينها قدراً ، فأكلنا ، ودعت بالنبيذ فصبَّت رطلا ، فشربتُ نصفه
وسقتني نصفه ، فما زلتُ أشرب حتى كدتُ أسكر . فقالت : يا أبا الحسن ، غنيت
البارحة في شعرٍ لأبي العتاهية فأعجبني فاسمعه وأصلحه ، وغنت :

عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَا لِي ، وَلَا إِنْ صِرْتُ طَوَّعَ يَدِيهِ
وَإِنِّي لَمَشْتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ بَرَقٌ وَيَصْفُو إِنْ كَدُرْتُ عَلَيْهِ

فقلت : قد بقي فيه شيء ، فلم أزل أنا وهي حتى أصلحناه ، ثم قالت : أختارُ
أن تغني أنت أيضا فيه لحنا ، ففعلت ، وجعلنا نشرب على اللحنين مليا ، ثم جاء
الحجَّاب ، وكسروا الباب ، واستخرجوني ، ودخلتُ على المأمون ، وأقبلت أرقصُ
من أقصى الإيوان ، وأصفيق وأغني الصوت ، فسمع المأمون والمغنون ما لم يعرفوه
فاستظرفوه ، وقال المأمون : اذنُ يا علويته ورُدّه ، فرددته سبع مرات ، فقال لي
في آخرها عند قول الشاعر :

... .. بَرَقٌ وَيَصْفُو إِنْ كَدُرْتُ عَلَيْهِ

يا علويه خذ الخلافة وأعطني هذا الصاحب .

قال علويه : قال لي إبراهيم الموصلي يوما : إني صنعتُ صوتا ، وما سمعه مني أحد ،

(١) في الأصل : وتحكمه والتصويب عن الأغاني وفيه (نومها) مكان يومها ١١ : ٣٤٦ .

(٢) في الأغاني (أم الخلافة زانية) .

وقد أحببت أن أنعمك به وأرفع منك ، بأن أقيم عليك وأهبه لك ، والله ما فعلتُ
هذا بإسحاق قط ، وقد خصصتك به فأنقله وأدعه ، فليست أنسبه لنفسى ،
وستكسب به مالا .

فالتقى عليّ في شعرٍ حاتم الطائي :

إذا كان لي نفسان يا أمّ مالك فإن لجارى منهما ما تَخَيَّرَا

فأخذته عنه ، وأدعيتَه ، وسترته ، طول أيام الرشيد والأمين ، خوفاً من أن
أتهم فيه ، فلما حدث ما حدث وقدم المأمونُ من خراسان كان يخرج إلى الشامية^(١)
دائماً يتنزّه ، فركبت يوماً في زلال^(٢) وجئتُ أتبعه فرأيت حراقة^(٣) على بن هشام
فقلت للملاح : اطرّد زلالاً لي على الحراقة ، ففعل ، واستؤذن ، فدخلتُ ، وهو يشرب
مع الجوارى ، وما كانوا يحبون جواريتهم ، فغفنته الصوت فاستحسنه جداً
وطرب عليه ، وقال : لمن هذا ؟ فقلت : هذا صوت صنّعتَه وأهديته لك ، ولم يسمعه
أحد قبلك ، فازداد به عجباً وطرباً ، وقال لجواريه : خذنه عنه ، فألقيته عليهن
حتى أخذه فسرّ بذلك وطرب ، وقال : ما أجد لك مكافأة على هذه الهدية إلا أن
أحوّل عن هذه الحراقة بما فيها وأرسلها إليك . فتحوّل إلى أخرى وسلّمت إلى
بما فيها ، وجميع آلائها ، فبعت من ذلك بمائة وخمسين ألف درهم ، واشترت به
ضيعتى الصالحية .

كان المعتصمُ يوماً يشرب ، والخيّل تُعرّضُ عليه ، فعرض عليه فرسٌ كميّتُ
أحمرٌ لم ير مثله ، وبين يديه علويه ومخارق فتغامزا على الفرس فغنى علويه :

(١) الشامية : صحراء كانت في أعلى بغداد .

(٢) الزلال : ضرب من الزوارق .

(٣) الحراقة : السفينة فيها مرامي نيران يرمى بها العدو .

إذا ما شربوها وانتشروا وهبوا كل جوادٍ وطيرٍ
فغافل عنه ، ففنى مَخارق :

يهب البيض كالظباء وجرِّداً تحت أجلالها وعُسن الركاب
فضحك ثم قال : اسكتا يا ابني الزواني فليس يملكه أحدٌ منكما .
ثم دار الدور ففنى علويه :

وإذا ما شربوها وانتشوا وهبوا كل ينالٍ ومجرٍ
فضحك وقال : أما هذا فنعم . وأمر لأحدها بينغل والآخر بحمار .

قال محمد بن محمد الأزارى : كنت عند زليهدة^(١) النخاس ، وكانت عنده
جارية ، يقال لها خشف ، ابتاعها من علويه ، ومعنا رجل هاشمي من ولد عبد الصمد
ابن عليّ يقال له عبد الصمد ، وإبراهيم بن عمر بن تهبون وكان يحبها ، وأعطى
زليهدة فيها أربعة آلاف درهم ، فلم يبعها منه وبقيت عنده ، حتى توفيت ، ففنتنا
أصواتا ، ونحن عندها في رمضان فكان من غنائها :

أشارتُ بطرفِ العين خيفةً أهلبها إشارةً محزونٍ ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرفَ قد قال مرَّحبا وأهلا وسهلا بالحبيبِ التميمِ
وأبرزتُ طرفي نحوها لأجيبها وقلت لها قولَ امرئٍ غيرِ مُعجم
هنيئاً لكم قتلى وصفو مودتي وقد سيطَ في لَحْمي هواكم وفي دمي

ثم وثبتُ للانصرافُ ، فقال : قد اشتد الحر ، فأقيموا عندي ، فوجهت غلاما
معي ، وأعطيته دينارا ، وقلت له : اتبع لنا فراريج بعشرة دراهم ، وثلجا بخمسة
دراهم ، وعزمننا على الإفطار عندها ، فلما جاء الغلام بالفراريج والثلج دفعه إلى زليهدة ،
وأمرناه بإصلاح الفراريج ألوانا ، وكتبتُ إلى علويه فمرَّفته خبرنا نجاء ، وأقام معنا ،

(١) في الأغاني : زليهدة ١١ : ٣٥٣ وجاء في الأصل مرة زليهدة ومرة زلهدة .

وجاء العشاء ، وأفطرنا عند زهدة وشرب منا من استخار الشرب ، وغنى علويه ،
وقام عبدالصمد ليبول ، فقال علويه : كلُّ شيءٍ عرفت معناه ، أما أنت فصدیق الجماعة ،
وهذا يتعمش هذه ، وهذا مولاها ، وأنا رببتُها وعلمتها ، وهذا الهاشميُّ [أيشٍ معناه؟
فقلت لهم:] ^(١) دعوني أحكهُ وأخذ زهدة منه شيئاً. فقال: والله لأرید منه شيئاً فقال له:
أنت أحمق ، أنا آخذ منه شيئاً لا يستحي القاضی من أخذه. قال: إن كان هذا فنعم. فقال:
إذا جاء عبدالصمد فقل لي : ما فعل الآجرُ الذي وعدتني به ، فإن حاططي قد مال ، وأخاف
أن يقع ، ودعني والقصة. فلما جاء الهاشمي قال لي زهدة ما أمرته به. فقلت: ليس عندي
آجر ، ولكن اصبر حتى أطلب لك من بعض أصدقائي ، وجعلت أنظر إلى الهاشمي
نظراً متعريضاً به. قال الهاشمي : يا غلامُ دواءٌ ورقمةٌ ، فأحضر ذلك ، فكتب له بعشرة
آلاف آجرة إلى مُعاملٍ له ، وشربنا حتى السحور ، وانصرفنا . فحُت برقمته إلى
الآجري ، ثم قلت له : بكم تبيع الآجر؟ قال : بسبعة وعشرين درهماً الألف . قلتُ :
بكم تشتريه [مئى]؟ قال بنقصانٍ ثلاثة دراهم في الألف . قلت : هات ، فأخذت منه مائتين
وأربعين درهماً ، فاشتريت بها نبيذاً وفاكهة ولحماً وثلجاً ودجاجاً بأربعين درهماً ،
وأعطيت زهدة مائتي درهم ، وعرفته الخبر ، ودعونا علويه والهاشمي ، وأقمنا عند
زهدة ليلتنا الثانية فقال علويه : الساعة كما عرفت معنى الهاشمي ^(٢).

جرى حديثُ المأمونِ يوماً عند علويه فقال : كدتُ ، علم الله ، أهلك على يده دفعةً ،
لولا أن الله عز وجل سلمني ، ووهب لي حِلْمه . فقيل له : كيف كان السبب ؟ فقال :
لما خرج إلى الشام كنتُ معه فدخلنا إلى دمشق ، وطفنا فيها ، وجعلنا نطوف بقصور
بنى أمية ، وتبع آثارهم ، فدخلنا صحفاً من صحونهم ، وإذا هو مفروشٌ بالرخام الأخضر

(١) ما بين القوسين عن الأغاني ١١ : ٣٥٤ .

(٢) فقال علويه : نعم الآن صار للهاشمي عندكم موضع ومعنى (أغاني) ١١ : ٣٥٤ .

كلُّه وفيه بركة ماءٌ يدخل إليها الماء ويخرج منها ، وعين تصبُّ إليها ، وفي البركة مسار ، وبين يديها بستان ، على أربع زواياه أربع سرّوات (١) ، كأنها قصت بمقراض ، مارؤى أحسن من التفافها ، قدًّا وقدَّرًا . فاستحسن ذلك وعزم على الصبح وقال : هاتوا لي الساعةَ طعاما خفيفا . فأُتي ببزّ ماورد (٢) فأكل ودعا بالشراب ، وأقبل على وقال : غفني ونشّطني . فكان الله عز وجل أنساني كل غناء أعرفه إلا هذا الصوت لمبيد الله بن قيس الرقيات :

لو كان حوّلِي بنو أمية لم تنطقُ رجالٌ أراهمو نطقوا
من كل قرمٍ محضٍ ضرائبُه عن منكبَيْه القميصُ ينخرقُ

فنظر إلى غضبا وقال : عليك وعلى بني أمية لعنة الله ، ويحك ! ألم يكن لك وقتٌ تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت تُمرّضُ بي ؟ فتجلدت عليه ، وعلمت أني قد أخطأت ، فقلت : أتومني على أن أذكر بني أمية ؟ هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في ثلاثمائة مملوك ، ويملك ثلاثمائة ألف دينار ، سوى الضياع والخيل والرقيق ، وأنا عندكم أموت جوعا . فقال : ألم يكن لك وقتٌ تُدكّرني به نفسك غير هذا ؟ قلت : هكذا حضر في حين ذكّرهم . فقال : اعدل عن هذا ، وتنبه وغنّ . فأنساني الله عز وجل كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت في شعر عمرو الوادي :

الحينُ ساق إلى دمشق وما كانت دمشق لأهلنا بلدا
فادتك نفسك فاستقدت لها ورأيت أمرَ غوايبةٍ رشّدا

فرماني بالقده فأخطأني وانكسر القدح ، وقال : قم إلى لعنة الله وحرّ سميره . وقام فركب ، فكانت تلك الحال آخر عهدي به حتى مرض ومات .

(١) السروة : واحدة السرو وهو ضرب من الشجر حسن الهيئة قوم الساق .

(٢) البزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلّي بالزبد والبيض - أو هو الرقاق الملقوف باللحم .

قال علويہ : كنت أحفظ خمسة آلاف صوت وأغني ، والله ، أكثر من ذلك ، ذهب الجميع عني حتى كآني لم أعرف غير ما غنيتہ . ولقد ظننت أنه لو كانت لي ألف رُوحٍ ما نَجَّتْ لي واحدةٌ منها ، ولكنه كان حليماً وكان في العمر بقية .

قال إسحاق بن إبراهيم : دعاني الرشيد لما حج ، فقال : صر إلى موضع كذا وكذا من المدينة فإن هناك غلاماً مجنوناً يغني صوتاً حسناً وهو :

ها فتاتان لَمَّا يَعْرِفَا خُلُقِي وبالشباب على شَيْبِي يَدَّ لَانِ
كلُّ الفَعَالِ الذِي يَفْعَلُنَهُ حَسَنُ يُضْضِي فَوَادِي وَيُبْدِي سِرَّ أَسْجَانِي
بل أَحْذَرُ أَصُولَهُ مِنْ صَوْلِ شَيْخِكُمَا مهلاً عن الشيخ مهلاً يا فتاتان

وله أُمٌ قَصِرَ إِلَيْهَا . وَأَقِمَّ عِنْدَهَا ، وَاحْتَلَّ أَنْ تَأْخُذَهُ مِنْهُ ، قَالَ : فَجِئْتُ أَسْتَدِلُّ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى بَابِهَا ، فَخَرَجَتْ إِلَيَّ فَوَهَبَتْ لَهَا مَائَتِي دَرَاهِمَ . وَقُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ تَحْتَالِي لِي عَلَى ابْنِكَ حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الصَّوْتِ الْفَلَانِي . فَقَالَتْ : نَعَمْ ، وَأَدْخَلْتَنِي إِلَى مَنْزِلِهَا وَأَمَرْتَنِي فَصَعَدْتُ إِلَى عَلِيَّةٍ لَهَا ، فَلَمْ أَلِثْ أَنْ جَاءَ ابْنُهَا . فَقَالَتْ لَهُ : يَا سَلِيمَانَ فَدَنِّكَ أُمُّكَ قَدْ أَصْبَحَتْ الْيَوْمَ حَاسِرَةً مَهْمُومَةً فَأُحِبُّ أَنْ تَغْنِيَنِي :

ها فتاتان

فقال لها : ومتى حدث لك هذا الطرب ؟ قالت : ما طربت ، ولكنني أحببت أن تفرِّجَ من همي . فاندفع فغناه . فارأيت أحسن من غنائه . فقالت له أمه : فديتك قد كشفتَ قطعة من همي ، فأسألك أن تعيده ، فقال : لا ، والله ما بي نشاط ، ولا أشتري همي بفرحك . فقالت له : أعدده مرتين ولك درهم صحيح تشتري ناطفاً^(١) ، فقال : من أين لك درهم ؟ ومتى حدث لك هذا الطرب والسخاء ؟ فقالت : هذا فضول لا يحتاجُ إليه . وأخرجت إليه درهماً وغناه مرتين فدار لي وكاد يستوي . فأومأت إليها من فوق

(١) الناطف : ضرب من الحلوى يقال لها القيطي .

أن تستريده ، فقالت له : بحق عليك يا بنى إلا أعدته . فقال : أظنك تريدن أن تأخذه وتصيري تمنينه ، قالت : نعم ، هكذا هو فقال : لا وحق القبر لا أعدته إلا بدرهم آخر . فأخرجت الدرهم فأخذه وقال : أظنك قد تزندقت وعبدت الكباش فهو ينقدك لك هذه الدراهم أو قد وجدت كنزا ، فغناه مرتين ، فأخذته واستوى لي ، ثم قام فخرج يعدو على وجهه ، فبئت الرشيد فغنيته وأخبرته القصة فضحك وأمر لي بألف دينار^(١) وقال : هذه عوض مائتي الدرهم .

ثم غناه إسحق بعد ذلك بين يدى الرشيد ، فطرب وأمر له بألف دينار ، فقال له ابن جامع ، وكان أحسد الناس : اسمع غناء العُقلاء ودع غناء المجانين ، وغنى :

ولقد قالت لأتراب لها كالمها يلمبن في حُجْرَتِها
خُذْنَ عني الظلَّ لا يَبْغِي وَعَدَّتْ تَسْمَى إلى قُبَّتِها

فطرب وأمر له بألف وخمسمائة درهم ، ثم تغنى :

يمشون فيها بحل سَابِغَةٍ أَحْكِمَ فِيها القَتِيرُ والحَلَقُ

فاستحسنه وأمر له بخمسمائة دينار ، ثم تغنى علويه :

وأرى الغواني لا يواصلن امرأً فَقَدَ الشَّبابَ وقد يَصِلْنَ الأَمْرَدا

فدعا به الرشيد وقال : يا عاض كذا وكذا من أمه ، تغنى في مدح المرء وذم الشيب ، وستارتى منصوبة ، وقد شئت كأنك تُعرضُ بي . ثم دعا بمسرور وقال : اضربه ثلاثين درة^(٢) ولا يرد إلى مجلسه ، ففعل ذلك . ولم ننتفع بالرشيد بقيسة يومنا ولا انتفع بنفسه ، وجفا علويه شهراً ، ولا أذن له حتى سألناه فيه فأذن له .

(١) بألف دينار (أغانى) ١١ : ٣٦٢ .

(٢) الدرة : السوط يضرب به .

عبد الله بن الحشرج^(١)

هو عبدُ الله بن الحشرج بن الأشهب^(٢) بن وَرْد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة
ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .
كان سيِّداً أميراً ، وَلِيَّ أ كثر أعمال خراسان وفارس وكرمان .
وكان جواداً مُمدِّحاً . وفيه يقول زياد الأعجم :
إذا كنتَ مرقاد السما خير رائد فسائلٌ تُخبرَّ عن ديار الأشاهب
نسبة إلى الأشهب جده .

وفي بني الأشهب يقول النابغة الجعدي :
أبمد فوارس يوم السدي ف أمسي وبعدي بني الأشهب
وكان أبوه الحشرج سيِّداً شاعراً ، وأميراً كبيراً .
وكان غلب على قهستان^(٣) في أيام المسيب بن أبي أوفى التمشيري فقتل الحشرج
وأخذ قهستان .

وكان عمُّه زياد بن الأشهب أيضاً سيِّداً شريفاً .
وكان قد صار إلى أمير المؤمنين ، عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، ليصلح بينه
وبين معاوية ، على أن يُولِّيَه الشام ، فلم يجبه ، وفي ذلك يقول نابغة بني جعدة يمتدِّ
على معاوية :

قام زيادٌ عند باب ابن هاشمٍ يريد الصلاح بينكم ويُقرِّبُ

(١) أغاني ١٠ : ١٢٤ - مهذب ٤ : ١٩٦ .

(٢) في الأصل الأشيب والتصويب عن الأغاني - المهذب .

(٣) ويقال قهستان : قصة من قصبات خراسان .

جاء قدامة بن الأحرز إلى عبد الله بن الحشرج وهو بقمستان فدخل عليه وامتحده
بآيات ، فأعطاه أربعة آلاف درهم . وقال : اعذرني فإنني في حالة الله بها عليهم
من كثرة الطلاب ، وأنت أحق من عذرني . فقال : والله لو لم تمنعني شيئاً مع ما أعلمه
من جهل رأيك في عشيرتك ، ومن انقطع إليك لمذرتك ، فكيف وقد أجزلت
العطاء وأرغمت الأعداء ؟

وقال عبد الله بن الحشرج في ابن عم له يماتبه :

أَطِلْ حَمَلَ الشَّاءِ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا سَنَتْ فَاظْطُرْ مِنْ تَضْيِرِ
فَمَا بِيَدِيكَ خَيْرٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صَدُودِكَ الْخَطْبُ الْكَبِيرِ
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
وَكَيفَ تَعِيبُ مَنْ يَمِثُّ إِلَيْهِ فَقِيرٌ حِينَ تَحْزُبُكَ الْأُمُورُ
وَمَنْ إِنْ بَعَثَ مَنْزِلَةً بِأُخْرَى حَلَّتْ بِأَمْرِهِ وَبِهِ بَشِيرِ

أعطى عبد الله بن الحشرج بخراسان ، حتى أعطى منشفة كانت عليه ، وفراسه
ولحافه ، فقالت امرأته : ما أشد ما تلاعب بك الشيطان ، فصرت من إخوانه مُبَدَّرًا
كما قال الله عز وجل « إِنْ الْمُبَدَّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ » فقال عبد الله بن الحشرج
لرفاعة بن دوى - وكان صديقاله وأخاً - ألا تسمع إلى ما تقول هذه النوكى ، وما تتكلم به ؟
فقال : صدقت وبررت ، إنك لمبدرٌ وإن المبدرين إخوان الشياطين . فقال عبد الله
ابن الحشرج :

سَأَجْمَلُ مَالِي دُونَ عِرْضِي وَقَايَةَ مِنْ الذَّمِّ إِنْ الْمَالُ يَفْنَى وَيَنْفَدُ
وَيُبْقِي لِي الْجُودُ اصْطِنَاعَ عَشِيرَتِي وَغَيْرِهِمْ وَالْجُودُ عِرْضُ مُحَمَّدٍ
وَمَتَّخِذِ ذَنْبًا عَلَيَّ سَمَاحَتِي بِمَالِي وَنَارُ الْبَخْلِ بِالذَّمِّ تَوْقَدُ
يَبِيدُ الْعَنَى وَالْحَمْدُ لَيْسَ بِيَأْتِدُ وَلَكِنَّهُ لَمَرَّةً فَضْلٌ مُؤَكَّدُ

ولا شيء يَبْتغى للفتى غيرُ جوده
ولا لئمة في الجودِ نهنتُ غرَبها
فلما ألحَّت في الملامةِ واعتَرَّتْ
عرَضتُ عليها خَصَلتينِ سماحتي
فلجَّتُ وقالت أنتِ غاويُّ مُبَدِّرُ
فقلت لها يَبني فما فيك رغبةٌ
وعيشٌ أنيقٌ والنساءُ معادنُ
لها كلُّ يومٍ فوق رأسي عارضُ
وأخرى يلدُ العيشُ منها ضجيجُها
فياراحلُ خُرَّ أخذَ القصدَ وأتركُ
فعمش واحداً وأتركُ مقالةَ لأم (١)
وجُدُّ بالهوى إن السباحةِ والندى
وحسبُ الفتى مجداً سماحةُ كفه

فقال له امرأته : والله ما وفقك الله لحظك ، أنهبت مالك وبدرته وأعطيته فلانا
وفلانا ، ومن لا تدرى من أى هاوية هو ، فنضب وطلَّقها . وكان لها محبا فعنفه
حنظلة بن الأشهب ابن عمه وقال له : نصحتك فكافأتها بالطلاق . فوالله ما وفقك
لرشدك ولا نلت حظك ، ولقد خاب سعيك بعدها عند ذوى الألباب ، فهلا مضيت
لطيبتك ورجعت على مبدئك ولم تلتفت إلى امرأة من أهل الجهالة والطيش لم تخلق
للمشورة ولا بمنزل رأيها يهتدى وإنما خلقت للباة ، وإن الرشد واليؤمن في خلاف
المرأة . فقال له الحشرج يخاطب حنظلة ويمدح بها محمد بن مروان :

(١) ناعما (مهذب) وعاذل مكان (لأم) .

أَحْظَلُ دَعَّ عَنْكَ الَّذِي نَالَ مَالَهُ
فَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ بَائِسٍ قَدْ جَبَرَتْهُ
وَمِنْ مُتَّعِفٍ عَنِ مَنَهِجِ الْحَقِّ جَائِرٍ
فَمَثَلُكَ قَدْ عَاصَيْتُ دَهْرًا وَلَمْ أَكُنْ
أَبِي لِي جَدِّي الْبَخْلَ مَذْكَتُ يَافِعَا
وَيَسْتَفِنُ عَنْهُ النَّاسُ فَارْكَبْ مَحَجَّةَ الْإِلَهِ
وَمُسْتَحَقٌّ غَاوٍ أُمَّتَهُ نَذِرْتِي
تَفَحَّتْ بَيْتٌ يَمْلَأُ الْفَمَ شَارِدٍ
وَأَيْلٌ دَجُوجِي كَأَنَّ ظِلَامَهُ
إِلَى مَلِكٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَاجِدٍ
لِيَحْمَدَهُ الْأَقْوَامُ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ
وَمِنْ عَائِلٍ أُغْنَيْتَ بَعْدَ التَّمَيُّلِ
عَلَوْتَ بِمَضْبِذِي غِرَارِينَ (١) مَفْصَلٍ
لَأَسْمَعَ أَقْوَالَ اللَّيْمِ الْمُبَخَّلِ
صَغِيرًا وَمَنْ يَبْخُلُ يُلَمُّ وَيُضَلَّلُ
كِرَامٍ وَدَعَّ مَا أَنْتَ عَنْهُ بِمَعزِلٍ
فَلَجَّ وَلَمْ يَعْرِفْ مَعْرَةَ مَقُولِي
لَهُ خَبْرٌ كَأَنَّهُ غَيْرُ مَقُولٍ
بِنَاجِيَةٍ كَالرِّيحِ وَجِنَاءِ عَيْهَلٍ
كَرِيمِ الْحَيِّ سَيِّدِ الْمُتَفَضَّلِ

عبد الله بن جعفر الطيار^(١)

[حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد : قال أخبرنا يحيى بن الحسن ، قال : بلغني أن أعرابيا وقف على مروان بن الحكم ، أيام الموسم بالمدينة يسأله ، فقال : يا أعرابي ما عندنا]^(٢) ما نصّلك به ، ولكن عليك بابن جعفر ، فأتى الأعرابيُّ بابَ عبد الله ابن جعفر ، فإذا بفتلةٍ بالباب عليها متاعها ، وسيفٌ مُعلّقٌ ، فخرج عبد الله من داره فأنشده الأعرابيُّ :

أبو جعفر من أهل بيتِ نُبُوَّةٍ صلاتهمُ للمسلمين طهورُ
أبا جعفر ضنَّ الأميرُ بماله وأنت على ما في يديك أميرُ
وأنت امرؤ في هاشمٍ من صميمها إليك يصيرُ المجدُ حيث تصيرُ
أبا جعفرٍ ما مثلك اليومَ أرْتَجِي فلا تتركُنِي في الفلاة أدورُ

فقال : يا أعرابي [سار الثقل]^(٣) فدونك الراحلة وما عليها ، وإياك أن تُخدع من السيف ، فإن أخذته بألف دينار . فأنشأ الأعرابي يقول :

حبانيَ عبدُ الله نفسي فداؤه بأعيسٍ موارٍ سباطٍ مشافره
وأبيض من ماء الحديد كأنه شهابٌ بدا والليلُ داج عساكره
وكلُّ امرئٍ يرجو نوالَ ابنِ جعفر سيُجزى له باليمنِ واليسر^(٤) طائرُه

(١) أغاني ١٢ : ٢١٥ - تجريد : ١٤٠٦ .

(٢) ما بين القوسين بياض في الأصل وما أثبتناه هو صدر الخبر الروي ووصل لما أقطع (أغاني ١٢ / ٢١٧) .

(٣) ما بين القوسين يوضح المعنى ويتفق مع السياق ، وهي عن الأغاني وجاءت الثقل بدل كلمة (البل) في الأصل .

(٤) والبشر (أغاني) .

فياخِرَ خَلْقِ اللَّهِ نَفْسًا وَوَالِدًا وَأَكْرَمَهُ لِلجَارِ حِينَ يُجَاوِرُهُ
سَأَسْتَبِي بِمَا جَاوَرْتَنِي ^(١) يَا ابْنَ جَعْفَرٍ وَمَا شَاكَرُهُ عُرْفًا كَمَنْ هُوَ كَا فِرُهُ
جاء شاعر إلى عبد الله بن جعفر فأنشده :

رَأَيْتَ أَبَا جَعْفَرٍ فِي الْمَنَامِ كَسَانِي مِنْ الْخَزِّ دُرَاعَهُ
شَكَوْتُ إِلَى صَاحِبِي أَمْرَهَا فَقَالَ سَتُوْنِي بِهَا السَّاعَةَ
سَيَكْسُوْكَهَا الْمَاجِدُ الْجَعْفَرِيُّ وَمَنْ كَفَّهُ الدَّهْرَ نَفَاعَهُ
وَمَنْ قَالَ لِلجُودِ لَا تَعُدَّنِي فَقَالَ لَهُ السَّمْعُ وَالطَّاعَهُ

فقال عبد الله لفلانم : ادفع إليه دراعتي الخز ، ثم قال له : كيف لم تر جُبَّتِي
المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلاثمائة دينار ، فقال له : دَعْنِي أُعْغِي غَفْوَةً أُخْرَى
لعل أراها فضحك منه ، وقال يا غلام : ادفع إليه جُبَّتِي الوَشِي .

كان أهل المدينة يتدأينون بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء عبد الله بن جعفر .
قال ابن سيرين : جَلَبَ رَجُلٌ إِلَى الْمَدِينَةِ سُكْرًا فَكَسَدَ عَلَيْهِ . فقيل له : لو
أهدَيْتَهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، لِيَقْبَلَنَّ مِنْكَ ، وَلِيُعْطِيَنَّكَ الثَّمَنَ ، فَأَتَى ابْنَ جَعْفَرٍ ،
فأخبره ، فأمره بإحضاره فَبُسِطَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُنْتِرَ ثُمَّ قَالَ انْتَهَبُوهُ . فقال صاحبه : جعلت
فداك ، آخِذْهُمْ مَعَهُمْ قَالَ : نَعَمْ ، فَجَمَلَ الرَّجُلُ يَهْبِيلُ فِي غَرَارَةٍ . ثم قال له عبد الله : كم
ثَمْنُ سُكْرِكَ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ . فأمر له بها فأخذها . ثم قال الرجل : إن
هَذَا لَا يَقْبَلُ أَحَدٌ أَمْ أُعْطِيَ ، لِأَطَالِبِنِّهِ بِالثَّمَنِ ، ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ثَمْنُ
سُكْرِي فَأُطْرَقَ ابْنُ جَعْفَرٍ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامُ أَعْطِهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، فَأَعْطَاهُ بِإِهَا
ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ثَمْنُ سُكْرِي فَأُطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : يَا غَلَامُ
أَعْطِهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، فَلَمَّا وُلِيَ لِيَقْبِضَهَا قَالَ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ : يَا أَعْرَابِي هَذِهِ تَمَامُ
اثنى عشر ألف درهم ، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله .

وروى مثل هذا عن أعرابي باع راحلته من عبد الله ، وعاوده في ثمنها ثلاثا ، وهو يأمر له به : فقال له الأعرابي :

لاخير في المُجْتَدِي في الحين^(١) يسأله فاستمطروا من قريش كل مُخْتَدِع
تخال فيه إذا حاورته بلهأ من جوده وهو وافي العقل والورع

وروى هذا الشعر لابن قيس الرقيات

لما وليَ عبدُ الملكِ الخلافةَ جفا عبدُ الله بن جعفر فراح يوماً إلى الجمعة ، وهو يقول :
اللهم إنك عودتني عادةً جريتُ عليها فإن كان ذلك قد انقضى ، فاقبضني إليك ،
فتوفني بمد الجمعة الأخرى وهو ابن تسعين سنة في عام ثمانين بالبحاف ، وهو
سبل كان بمكة ، أجصف بالناس ، فذهب بالإبل عليها الحمول .

وكان والي المدينة أبان بن عثمان ، وصلى عليه أبان وشهده أهل المدينة كلهم .
وكان رحمه الله ماوى الساكنين وملجأ الضعفاء فما تنظرُ إلى ذى حجابٍ إلا رأيتَه
مستمبراً قد أظهر الجزع والهلع عليه .

فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان على شفير القبر^(٢) وقال : رحمك الله
يا ابن جعفر ، فوالله إنك كنت لرحمك وصولاً ، ولأهل الشر مُبغضاً ولأهل الريبة
قالياً ، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى :

رَعَيْتَ الذِي [قد] كان بيني وبينكم من الودِّ حتى غيبتك المقابر
فرحمك الله يوم ولدت ، ويوم كنت رجلاً ، ويوم مت ، ويوم تبعث حياً ، والله
إن^(٣) كانت هاشمٌ أُصِيبَتْ بك ، لقد عم قريشا كلها هلكك ، فما يُظنُّ أن يرى
بعذك مثلك

(١) في الأصل (الحب) والتصويب عن الأغاني ١٢ : ٢٢٠ .

(٢) في الأصل المنبر والتصويب عن الأغاني .

(٣) لئن (أغاني) .

وقام عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق فقال : لا إله إلا الله ، الذي يرث الأرض
ومن عليها ، وإليه ترجعون . ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر ، وما أقبح ^(١)
ما أصبح بمدك ، والله لو كانت عيني دامعة على أحد لدمعت عليك . كان والله حديثك
غير مشرب بكذب وودك غير ممزوج بكدر .

فوثب ابن المغيرة بن نوفل فقال يا عمرو بمن [تَمَرَّضُ]؟ ^(٢) بمزج الود شوب الحديث
أفيا بنى فاطمة رضى الله عنهما ؟ فهما والله خير منك . فقال : على رسلك ، أردت
أن أدخلك معهم ، هيهات لست هناك ، والله لو مت أنت ، ومات أبوك ، ما مدحت
ولا ذممت ، فكلّم بما شئت فلست واجدا مجيبا فما هو إلا أن سمعها الناس يتكلمان
إذ حجزوا بينهما وانصرفوا .

وقال عبید الله بن قيس الرقيات في علة عبد الله التي مات فيها :

بات قلبي تشفه الأوجاع	من هموم تُجِنُّها الأضلاع
من حديث سمته مَنع النـو	مَ قلبي مما سمعتُ يُرَاعُ
إذ أنا بما كرهنا أبو اللّسلا	سِ كانت بنفسه الأوجاع
قال ما قال ثم راح سريما ^(٤)	أدركت نفسه المنايا السراع
قال يشكو الصداع وهو سقيم	بك لا بالذي عَينيت الصداع
ابن أسماء لا أباك تعنى	إنه غير هالك تقام

(١) ما أسمع (أغانى) .

(٢) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٣) فى الأصل اللباس وما أئبتناه عن الأغانى ج ١٢ : ٢٢٢ .

(٤) فى الأصل : (قال ما كان من أراح سريما . .) وما أئبتناه عن الأغانى والمهذب .

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار^(١)

[هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف] وأمُّ معاوية بن عبد الله بن جعفر أمُّ ولد ، ولم يكن في ولد عبد الله مثله . ولما ولد معاوية كان أبوه عبد الله عند معاوية ، فأناه البشير بذلك ، وعرف معاوية الخبر فقال له : سمَّه معاوية ، ولك مائة ألف درهم ، ففعل وأعطاه المال فأعطاه عبد الله الذي بَشَّرَ به .

قال المدائني : وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدب ولده ، ويقول : إن يرد الله بهم خيرا يتأدبوا ، فلم ينجب فيهم غير معاوية .

كان معاوية بن عبد الله صديقا ليزيد بن معاوية ، فسمى ابنه يزيد معاوية أيضا . ولما حضرت عبد الله الوفاة دعا ابنه معاوية ، فزرع شَنَفًا^(٢) كان في أذنه وأوصى^(٣) إليه ، وفي ولده من هو أسن منه ، وقال له : إني لم أزل أوهِّلك لها ، فلما توفي احتال لدين أبيه حتى قضاه ، وقسم أموال أبيه بينه وبين ولده ، ولم يستأثر عليهم بشيء .

وأم عبد الله بن معاوية أمُّ عون ، وهي أسماء بنت عياش^(٤) بن أبي ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب ، وعياش ممن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد معه حنيناً ، وثبت معه فيها .

(١) الأغاني ١٢ : ٢١٥ وما بين القوسين عنه وهو بياض في الأصل .

(٢) الشنف : القرط .

(٣) في الأصل : وأفضى : والتصويب عن الأغاني ١٢ / ٢٢٥

(٤) ويقال : بنت عباس (أغاني) .

وكان عبدُ الله من فتيةِ بني هاشم وأجوادهم وشعراءهم ، ولم يكن محمودَ المذهبِ في دينه ، وكان يُرعى بالزندقة ، واستولى عليه من يُعرفُ بها . استخدم عمارة ابن حمزة كاتباً ، وكان زنديقاً ، ونامد مطيعَ بنِ إياس ، وكان زنديقاً مأبوناً ، ونامد شخصاً يعرف بالبقلي ، وإنما سمي بذلك لأنه كان يقول الإنسان كالبقل ، فإذا مات لم يرجع ، فقتله المنصور لما ولي الخلافة ، [وكان هؤلاء الثلاثة خاصته] (١) وكان له صاحبُ سُرطة يقال له قيسٌ وكان دهريةً لا يؤمن بالله تعالى ، معروفًا بذلك ، وكان يمس (٢) بالليل فلا يلتقى أحداً إلا قتله ، فدخل على ابن معاوية يوماً فقال :

إِنْ قَيْسًا وَإِنْ تَقَنَّعَ شَيْبَا لَخَيْبٌ الْهُوَى (٣) عَلَى شَمَطِهِ
ابنُ تَسْعِينَ مَنْظَرًا وَمَشَيْبَا وَابْنُ عَشْرِ بَعْدُ فِي سَقَطِهِ

وأقبل على ابن مطيع فقال له : أجز ، فقال :

وَلَهُ سُرْطَةٌ إِنْ أَجَنَّهُ اللَّيْلُ فَمُودُوا بِاللَّهِ مِنْ سُرْطِهِ

وكان ابنُ معاوية أفسى خلقِ الله قلباً ، كان يأمرُ بالرجل فيضرب بالسياط ويتفائلُ عنه بالحديث حتى يموت ، تحت الضرب ، وضرب رجلاً فجعل يستغيثُ ولا يلتفت إليه . فقال له : يا زنديق ! أنت الذي تزعم أن الله يورحى إليك؟ فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات .

وغضب يوماً على غلام وهو في غرفة له بإصهبان ، فأمر أن يرمى به منها إلى أسفل ، ففعل به ذلك فسقط وتعلق بدرابزين كان على الغرفة ، فأمر فقطعت يده التي تعلق بها ، ومر الغلام يهوى إلى الأرض فمات .

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٢) عس يعس : طاف بالليل .

(٣) في الأصل : لخبيب .

وخرج بالكوفة في آخر أيام مروان ، ثم انتقل منها إلى نواحي الجبل ، ثم إلى خراسان فقتله أبو مسلم هناك .

وكانت كنية عبد الله بن معاوية أبا معاوية .

وكان عبدُ الله بنُ معاوية قدم زائراً ومستميحاً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فتزوج بالكوفة بنت الشَّرَقِ بن عبد المؤمن بن شيت^(١) بن رَبِيعِ الرياحي ، فلما وقعت العصبية أخرجته أهل الكوفة على بني أمية ، وقالوا له : أنت أحق بهذا الأمر ، واجتمع له جماعة ، فلم يشمر عبد الله بنُ عمر إلا وقد خرج عليه ، وبأبائه^(٢) جماعة من أهل الكوفة ولم يجتمع أهل المصر كلهم عليه ، وقالوا له : ما فينا بقية وقد قُتِلَ جمهورنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بقصد فارس ، ونواحي المشرق ، فجمع جموعاً وخرج معه عبد الله بن العباس التيمي ، ودس ابن عمر إلى رجل من أصحاب عبد الله بن معاوية يقال له [ابن]^(٣) حمزة وعدّه بمواعيد على أن ينهزم عنه ، وتنهزم الناس بانتهزاه ، فبلغ ذلك عبد الله بن معاوية ، فذكروه لأصحابه وقال لهم : إذا انهزم [ابن] حمزة فلا يهولنكم ذلك ، فلما التقوا انهزم [ابن] حمزة وانهزم الناس معه فلم يبق غيرُ عبد الله بن معاوية وحده ، فجعل يقاتل وحده ويقول :

فَفَرَّقَتِ الطَّبَاءُ عَلَى خِرَاشِ^(٤) فَمَا يَدْرِي خِرَاشُ مَا يَصِيدُ

ثم ولى وجهه منصرفاً ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي من أجابه ، حتى صار في عِدَّةٍ وَعَلَبَ عَلَى مِيَاهِ الْبَصْرَةِ ، وماء الكوفة^(٥) ، وأقام هو بإصبهان ،

(١) شيت (تجريد) ١٤١١ .

(٢) في الأصل : مانه .

(٣) زيادة (ابن) عن التجريد والأغاني .

(٤) خدش (التجريد) .

(٥) فغلب على ماء الكوفة وماء البصرة (تجريد) - وماء الكوفة : الدينور ، وماء البصرة :

وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محارب^(١) بن موسى ، موالي لبني يشكر ، فدخل دار الإمارة بنقل ورداء ، واجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة . فقالوا: عَلَامَ نُبَايعُ؟ فقال : على ما أحببتم وأردتم^(٢) . فبايعوه على ذلك .

وكتب إلى سائر الأمصار يدعو إلى نفسه ، لا إلى الرضا ، واستعمل أخاه الحسن على إصطخر ، وأخاه يزيد على شيراز ، وأخاه عليا على كَرْمَانَ وأخاه صالحا على قُمْمٍ ونواحيها ، وقصدَهُ بنو هاشم جميعا ، منهم السفاحُ والمنصورُ وعيسى^(٣) بن علي ، ووجوه بني أمية : سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وعمرو بن مهمل بن عبد العزيز ابن مروان ، فمن أراد صلته وصله ، ومن أراد عملا وآاه ، ولم يزل مقبيا بهذه النواحي حتى ولي مروانُ بن محمد الحمارُ ، فوجه إليه عامر بن ضَبَّارَةَ في عسكر كثيف ، فسار إليه حتى قرب من إصبهان ، فندب ابن معاوية أصحابه للخروج لقتاله ، فلم يفعلوا ، فخرج هو وإخوته على دَهَشٍ ، فاصدين خراسان وقد خرج أبو مسلم بها ، ونقى عنها نصر بن سيار ، فلما صار إلى بعض الطريق نزل على رجل من التناء^(٤) ذي مروءة ونعمة وجاء فسأل [ذلك الرجل] ابن معاوية . فقال له : أنت من ولد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . قال : فأنت إبراهيمُ الإمام^(٥) الذي يدعى إليه بخراسان ؟ قال : لا . قال : فلا حاجة لي في نصرتك ، فخرج إلى أبي مسلم فخبسه عنده ، وجعل عنده عينا عليه يرفع إليه أخباره ، فرَفَعَ إليه أنه يقول : ليس على وجه الأرض أحقُّ من أهل خراسان ، في طاعتهم لهذا الرجل ، وتسليمهم مقاليدهم إليه ،

(١) في الأصل محمد وما أثبتناه عن الأغاني والتجريد .

(٢) وكرهتم (تجريد) .

(٣) في الأصل : موسى وما أثبتناه عن الأغاني والتجريد .

(٤) التناء جمع تاني وهو الدهقان زعيم فلاحى المجرم أورئيس الإقليم .

(٥) في الأصل ابن الإمام والتصويب عن الأغاني والتجريد .

من غير أن يراجموه في شيء ، أو يسألوه عنه ، والله ما رضيَت الملائكةُ بهذا ، من الله عز وجل ، حتى راجعوه في آدم عليه السلام ، فقالوا : « أَتَجْمَلُ فِيهَا مِنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ » حتى قال لهم « إني أعلم ما لا تعلمون » .

ثم كتب عبدُ الله بن معاوية إلى أبي مسلم يستعطفه برسائته المشهورة ، التي يقول فيها : إلى أبي مسلم من الأسير في يده بلا ذنبٍ إليه ، ولا خلافٍ عليه ، أما بعد فإنك مُستودعٌ ودائعٍ وموكلٌ صنائع . وإن الودائعَ مرعيةٌ ، وإن الصنائعَ عاريةٌ ، فاذكر القصاصَ واطلب الخِلاصَ ، وأنبئه للفكر قلبك ، واتق الله ربك ، وآثر طاعته فيما يلقاك أبداً^(١) ، فإنك لاق ما أسلفت وغير لاقٍ ما خلفت . فلما قرأ كتابه رمى به ، ثم قال : لقد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا ، وهو محبوس في أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلكتنا . ثم أمضى تدبيره في قتله ، وقيل دس إليه سمات منه ، ووجه رأسه إلى ابن ضبارة ، فحمله إلى مروان .

ولما قاتل مروانُ عبدَ الله بن علي بقرب الزابِ سأل عنه ، فقيل : هو الشابُّ المُصفر^(٢) الذي كان يسبُّ عبدَ الله بن معاوية يوم جرى رأسه إليك ، فقال : والله لقد هممتُ بقتله مراراً ، كل ذلك يحال بيني وبينه ، وكان أمر الله قديراً مقدوراً . ومن شعر عبد الله بن معاوية في صديق له يقال له قصى بن ذكوان ، وكان قد عتب عليه فقال :

رَأَيْتُ قُصِيًّا^(٣) كَانَ شَيْئًا مُلَفَّفًا فَحَصَّه التَّكْشِيفُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا
فَلَا زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ مَا بَلَوْتُكَ فِي الْحَاجَاتِ إِلَّا تَعَادِيَا

(١) غدا .

(٢) المصفر (تجريد) وفي الأصل الأصفر .

(٣) حسينا (أغانى) ١٢ : ٢٣٣ .

وعين الرضا عن كليل عيب^(١) كليله
 وأنت أخي ما لم يكن لي حاجة
 وقيل : إن هذه الأبيات قالها الحسين بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكاننا
 متصافيين^(٢) فهاجرا وأن أولها :

وإن حسينا كان شيئا ملففا

ومن شعره :

إذا افتقرت نفسي قصر^(٣) افتقارها
 وإن تلقني في الدهر مندوحة الغنى
 عليها فلم يظهر لها أبدا فقري
 ولا اليسر يوزري بي إذا هو نالي
 يكن لأخلائى التوسع في اليسر
 ولا اليسر يوما إن ظفرت به فخري

قال إبراهيم الموصلي : بينا نحن عند الرشيد ، أنا وابن جامع ، وعمرو الغزال
 إذ قال صاحب الستارة لابن جامع : تغن في شعر عبد الله بن معاوية ، ولم يكن ابن جامع
 يُعنى في شيء منه ، فأرتج عليه وفطنت لما أراد من شعره ، فلما رأيت ما حل به اندفعت
 فغندت فيه :

الأترع القلب عن جهله
 فأبدل^(٤) بعد الصبا حلمه
 وعماتونب من أجله
 فلأتره كبن^(٥) الصنيع الذي
 وأقصر ذوالعدل عن عدله
 ولا يعجبك قول امرئ
 تلوم أخاك على فعله
 ولا تتبع الطرف ما لاتال
 يخالف ما قال في فعله
 ولكن سل الله من فضله

(١) في الأصل : سخط .

(٢) في الأصل : وكانا متصافين فيها خيرا ، والتصويب عن الأغاني .

(٣) في الأصل : فضرب .

(٤) تبدل (تجريد) .

(٥) في الأصل : تتركن - مثله : (مكان فعله) .

فكم من مُقِلِّ يَنالُ الغِنَى ويحمُدُ في رزقهِ كلَّهُ
يَهِيمُ بِجُمْلٍ وما إن يَرى له من سَيبِلٍ إلى جُمْلِهِ
كأن لم يَكن عَاشِقًا قَبْلَهُ وقد عَشِقُ الناسُ مِن قَبْلِهِ
فمنهم مَن الحُبُّ أودى به ومنهم [مَن] اشْفَى على قَتْلِهِ

فإذا يد قد رَفَعَتِ السِتارةَ فنظرَ إلى وقال : أحسنتَ والله فأعِدْ ، فأعدتُه ، ففعل ذلك ثلاثَ مرات ، ثم قال لصاحبِ السِتارةِ كلاماً ، فدعا صاحبُ السِتارةِ غلاماً فكلّمه ، فمرَّ الغلامُ يَسمي فإذا بَدَرَةٌ دنانير ، قد جاءت يحملها فرأش ، فوضعت تحتِ نَحْدِي اليُسرى ، وقال لى : اجعلها تكاءك ، فلما انصرفنا قال ابنُ جامع : هل كنتِ وضعتَ لهذا الشعرِ غناءً قبلَ يومك ؟ قلت : ما من شعرٍ قيل في الجاهلية والإسلام يَدخُلُ في الغناء إلا وضعتُ له لحناً خوفاً من أن ينزل بي ما نزل بك . فلما كان المجلسُ الثانى وحضرنا قال صاحبُ السِتارةِ : يا ابنُ جامع تَغَنِّ في شعرِ عبدِ الله ابنِ معاوية ، فوقع في مثل الذى وقع فيه بالأمس فلما رأيت ما حل به اندفعتُ أغنى :

يا قومُ كيف سِواغُ عَيْبٍ شئ ليس تُؤمِّنُ فاجعاته
ليست تَزالُ مُطَلَّةً تغدو عليك مُنغصَّاتُه
الموتُ هوْلٌ داخِلٌ يوماً على كُرهِ أُناتِه
لا بُدَّ لِلحَذرِ النَّفو رِ مِن أن تَقنَّصَه رُماتُه
قد أَمنَحُ الودَ الخَليـ ل بغير ما شئ رزاتِه
وله أَقيمُ قناتَةٌ ودُ دى ما استقامت لى قناتُه

قال : فأومأ إلى صاحبِ السِتارةِ أن أَمْسِكُ ووضع يده على عينيه كأنه يُورِى إلى أنه يبكي فأمسكتُ وانصرفنا ثم حضرنا بعد ذلك ، فلما اطمأن بنا المجلس ، قال ابنُ جامع بكلامِ خفى ، اللهم أُنسِه ذَكَرَ ابنُ جعفر . فقلت : اللهم لا تستعجب ، فقال صاحبُ السِتارةِ : يا ابنُ جامع تَغَنِّ في شعرِ عبدِ الله بنِ معاوية ، فقال ابنُ جامع :

لو كان في عبد الله بن معاوية خيرٌ لطار مع جدّه ولم يقل الشعرَ ، فسمعنا ضحكاً من وراء الستارة واندفعت أغنى :

سَلارِبَةٌ اِخْدَرِ مَا شَأْنُهَا	ومن أيّما شأناً تَعْجَبُ
فَلَسْتُ بِأَوَّلِ مَنْ فَاتَهُ	على رأيه (١) بِمَضٍ مَا يَطْلُبُ
وَكَأَنَّ تَمَرَّضَ مَنْ خَاطَبِ	فزَوْجٍ غَيْرِ الَّذِي يَخْطُبُ
وَكَنا حَدِيثًا صَفِيَّيْنِ لَا	نَخَافُ الوِشَاةَ وَمَا سَبَّبُوا
فَإِنْ شَطَّتِ الدَّارُ عَنَّا بِهَا	وَبَانَتْ فِي النَّاسِ مُسْتَعْتَبُ
فَأَصْبَحَ صَدْعُ الَّذِي يَبْنِنَا	كَصَدْعِ الرَّجَاةِ لَا يُشْعَبُ
وَكَالَّذِ لَيْسَتْ لَهُ رَجْمَةٌ	إِلَى الضَّرْعِ مِنْ بَعْدِ مَا يُجَلَّبُ

فقال صاحبُ الستارة: أَعِدْ ، فَأَعَدْتُ ، فَأَحْسِبُ الرَّشِيدَ نَظَرَ إِلَى ابْنِ جَامِعٍ كَأَسْفِ الْبَالِ فَأَمَرَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَمَرَ بِالْأَمْسِ ، فَجَاءُوا بِبَدْرَةٍ دَنَانِيرَ فَوْضِمَتْ تَحْتَ نَخْدِهِ الْيُسْرَى ، وَكَانَ ابْنُ جَامِعٍ حَسُودًا : فَلَمَّا انْصَرَفْنَا قَالَ : اللَّهُمَّ ارْحِنَا مِنْ ابْنِ جَعْفَرٍ هَذَا ، فَمَا أَشَدُّ بُغْضِي لَهُ وَلَقَدْ بَغِضَ إِلَى جَدِّهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَيْحَكَ مَا تَدْرِي مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : فَمَنْ يَدْرِي مَا يَقُولُ ؟ وَوَدِدْتُ أَنْ لَمْ أُرْ إِقْبَالَهِ عَلَيْكَ ، وَلَا عَلَى غَنَائِكَ فِي شَعْرِ هَذَا الْبَغِيضِ ، وَإِنِّي تَصَدَّقْتُ بِهَا - يَعْنِي الْبَدْرَةَ .

هذا الصوت الذي هو :

... .. سَلارِبَةٌ اِخْدَرِ مَا شَأْنُهَا

يقوله عبد الله بن معاوية في زوجته ، أمّ زيد بنت علي بن الحسين ، رضى الله عنهم ، فإنه كان خطب ربيحة بنت محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر ، وخطبها بكّار بن عبد الملك بن مروان فتزوجت بكّارا فشمّت أمّ زيد زوجها عبد الله بن معاوية ، فقال هذا الشعرَ فيها ، فقالت له : والله ما شمّت ، ولكنى نفستُ عليك . فقال لها : لا جرم والله لأسوء نكّ ما حييت .

(١) لربه (أغاني ومهذب) .

عَقِيلُ بنِ عُلْفَةَ^(١)

هو عَقِيلُ بنِ عُلْفَةَ بنِ الحارثِ بنِ معاوية بنِ ضِباب^(٢) بنِ جابر بنِ يربوع بنِ غَيْظِ بنِ مُرّة بنِ سعد بنِ ذبيان بنِ بَيْضِ بنِ الرَيْثِ بنِ غطفان بنِ سعد بنِ قيس ابنِ عيلان بنِ مضر .

ويكنى أبا العَمَلَسِّ وأبا الجَرْباء .

وأُمُّ عَقِيلِ بنِ عُلْفَةَ هي عَمْرَةَ العوراء بنت الحارث بنِ هوف بنِ أبي حارثة بنِ مرة ابنِ نُسْبة بنِ غَيْظِ بنِ مرة .

وأُمُّها زينب بنت حصن بنِ حُذَيْفَةَ .

وعَمْرَةُ العوراء هذه أُختُ البرِّصاء ، أُمُّ شَيْبِ بنِ البرِّصاء واسم البرِّصاء قرصافة . أُمُّها بنت نجبة بنِ ربيعة بنِ رباح بنِ مالك بنِ سَمْحِ .

وعَقِيلُ شاعر مجيد ، فصيح مقل ، من شعراء دولة بني أمية ، وكان أعرجَ جافيا شديد الهَوَجِ والفخر بنسبه من بني مرة ، لا يرى أن له كفتا . وهو في بيت شَرْفِ في قَوْمِهِ من كِلَاطِ طَرْفَيْهِ .

وكانت قريش ترغب في مصاهرته ، وتزوج إليه خُلُفاؤها وأشرافها .

تزوج يزيدُ بنِ عبد الملك ابنته الجرباء ، وكانت قبله مع ابن عمها مطيع بنِ قُطَمَةَ بنِ الحارث بنِ معاوية .

وولدت ليزيد .

وتزوج مَسْلَمَةُ بنِ عبد الله بنِ المغيرة ابنته عَمْرَةَ ، فولدت له يعقوب بنِ مسلمة ،

وكان [من] أشراف قريش وأجوادها .

(١) أغاني، ١٢ : ٢٥٤ تجريد ١٤٢١ .

(٢) أغاني وتجريد ، وفي الأصل : صاب .

وتزوج ابنته أم عمرة ثلاثة من بني الحكم بن أبي العاص؛ يحيى والحارث وخالده .
دخل عقيل بن علفة على عثمان بن حيان ، وهو يومئذ على المدينة ، فقال له عثمان :
زوجني ابنتك . قال : أبكره [من إيلي] تعنى ؟ فقال له عثمان : ويلك ! أمجنون
أنت ؟ قال : أى شىء قلت لى ؟ قال : قلت لك : زوجني ابنتك . قال : إن كنت
عنيّت بكره من إيلي فنعم . فأمر به فوجئت عنقه ، فخرج وهو يقول :

كفأ بنى غميط الرجال فأصبحت بنو مالك غميطا وصرنا كمالك
لحا الله دهرأ ذعذع^(١) المال كله وسود أشباه الإماء العوارك

كان لعقيل جار من بني سلامان بن سعد ، فخطب إليه ابنته فضيب عقيل وأخذ
السلاماني فكتفه ودهن استه بشحم وألقاه في قرية النمل ، فأكل النمل خضاه ،
وورم جسده ، ثم حله . وقال : خطب إلى عبد الملك فردذته وتجتري أنت على !!

أجدبت مراعى بنى مرة فانتجع عقيل أرض جذام ، وقربهم عذرة . قال
عقيل : نجأنى هنى مثل البعرة ، فخطب إلى ابنتي أم جعفر ، فخرجت إلى أكمة
قريبة من الحى ، فجعلت أنبج كما ينبج السكب ، ثم تحملت فخرجت ، فاتبني جمع
من حن من بطون عذرة فقالوا : اختر ؛ إن شئت حبسناك وإن [شئت] حدرناك
وبعرة من رأس الجبل ، فإن سبقتها خلمينا عنك ، فأرسلوا بعرة فسبقتها ، فخلوا
سبيل ، فقلت لهم : ما طمعتم بمثل هذا من أحد قط ، فقالوا : أردنا أن نضع منك
حيث رغبت عنا . فقال فيهم :

لقد هزئت حن بنا وتلاعبت وما لعيت حن بذى حسب قبلى
رويدأبى حن تسيحوا^(٢) وتأمنوا وتنتشر الأنعام فى بلد سهل
والله لأموتن قبل أن أضع كرائمى إلا فى الأكفاء

(١) ذعذع المال : فرقه وبدهه ، وسوده : جملة سيدها . والعوارك : الحيض .

(٢) فى الأصل تسيثوا وهذه عن الأغاني .

خرج عَقِيلُ بن عُلْفَةَ وابناه عُلْفَةَ وَجَثَامَةَ وابنته الجرباءُ حتى أتوا بنتا له [ناكحا] ^(١) بالجماء ، في بني مروان بالشامات ، ثم قفلوا بها فلما كانوا ببعض الطريق

قال عَقِيلُ :

قضت وطراً من دَيْرِ سَعْدٍ وطالما
إذا هَبَّطْتُ أرضاً يموتُ غرابُها
على عُرْضٍ ناطَحْنَهُ بالجماجم
بها عطشا أُعْطِينَهُ بالخزائم
ثم قال : أجز يا عُلْفَةَ . فقال :

فأصبحن بألوماءٍ يحملن فِتْيَةَ
إذا علم غادرنه بتنوفةٍ
نشاوى من الإدلاج ميلَ العائم
تذارعن بالأيدى لآخر طاسم
ثم قال : أجزى يا جرباء : قالت : وأنا آمنة؟ قال : نعم . قالت :

كأن الكرى سَقَّاهم صرَّخَدِيَّةً ^(٢) عَقَّاراً تَمْشِي في المطا والقوائم
فقال عَقِيلُ : شربتها وربُّ الكعبة ! ولولا الأمانُ لضربتُ بالسيف تحت
قُرْطَيْكِ ، أما وجدتِ من الكلام غير هذا ؟

فقال جَثَامَةُ : وهل أساءتُ؟ إنما أجازتُ ، وليس غيرى وغيركُ ، فرماه عَقِيلُ
بسهم فأصاب ساقه فأنفذَ السهمُ ساقه والرحلُ ثم شدَّ على الجرباء فمقر ناقتها ، ثم حملها
على ناقة جَثَامَةَ ، وترك جَثَامَةَ عقيراً مع ناقة الجرباء .

ثم قال : لولا أن تَسَبَّنِي مُرَّةً ماذقت الحياةَ بعد اليوم ، ثم توجه إلى أهله ، وقال :
إن أخبرتِ أهلكِ بشأنِ جَثَامَةَ ، أو قلتِ لهم إنه أصابه غير الطاعون لأقتلنك . فلما
قدموا على أهل أبيير ، وهم بنو القَيْنِ ، قالت لهم : الزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا

(١) عن الأغاني والذهب .

(٢) نسبة إلى صرخذ : قلعة ملاصقة لبلد حوران حصينة من أعمال دمشق وينسب إلى صرخذ

الحجر الجمد (مراسد) .

الجزور ، فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم فاحتملوه ،
وتقسّموا الجزور وأنزلوه عليهم ، وعالجوه حتى أحقوه بقومه ، فلما كان في الطريق
تغنى جثامة :

أيعدر لاهينا ويُلحّين في الصبا وما هُنَّ والفتيانُ إلا شقائق
فقال له القوم : إنما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك أنا ، وقد حاوَدت
ما يكرهه فأمسك عن هذا ونحوه إذا لقيته ، لا يَلحَقك منه شر ، فقال : إنما هي
خَطْرَةٌ خَطَرَتْ ، والراكب إذا سار تغنى .

قدم عقيل بن علفة المدينة ، فنزل على ابن بنته يعقوب بن سلمة المخزومي ،
فرض فأصابه القولنج ، فوصفت له الحُقنة فأبى ، وقدم ابنه عليه فبلغه ذلك فقال :

لقد سرني والله يكفيك شرها نجاؤك منها حين جاء يقودها
كفي خزيّة الأزراك مجنّباً على شكوة توكي وفي استك عودها

عدا عقيل بن علفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ، ثم رجع فإذا بنوه مع
بناته وأمهم فشد على عمّسٍ فخاد عنه وتغنى علفة :

قفي يا ابنة المرّى أسألك ما الذي تريدن فيما كنت تغشينا^(١) قبل
يُخبرك إن لم تنجزى الوعد أننا ذوا خلة لم يبق بينهما وصل
فإن شئت كان الصرم ماهبت الصبا وإن شئت لا يفنى التكارم والبذل

فقال عقيل : يا ابن اللخناء متى منمتك نفسك بهذا ؟ وشدّ عليه بالسيف ، وكان
عمّس أخا علفة لأمه فحال بينه وبينه ، فشد على عمّس بالسيف ، وترك علفة
لا يلتفت إليه ، فرماه بسهم ، فأصاب رُكبتَه فسقط عقيل يتممك بالتراب ،
ويقول :

(١) منيتنا (أغانى - مهذب) .

إِنَّ بَيْنِي وَزَمَلُونِي بِالْدمِ مِنْ يَلْتَقِ أَبطالِ الرِّجالِ يُكَلِّمُ
وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يُقَوِّمُ شَنْشِنَةَ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ
وَأَخْزَمِ فِجْلٍ مُنْجِبٍ ، كانَ لِرَجُلٍ مِنَ العَرَبِ ، فَضَرَبَ فِي إِبْلِ رَجُلٍ آخَرَ ،
وَلَمْ يَعْلَمْ صاحِبَهُ ، فَرَأى ذَلكَ فِي نَسَلِهِ فَقالَ :

شَنْشِنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

ولما رمى عمّاسُ أباه عقيلاً ، وأصاب رُكْبَتَهُ غَضِبَ ، وأقسم لا يساكن بنيه ،
فاحتمل ، وخرج إلى الشام ، وجرت بينهما مكاتبات ، ثم رضى عنهم وقدم عليهم .
عاب عمرُ بنُ عبد العزيز رجلاً من قرَيْشٍ ، أمُّهُ أُخْتُ عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ فقال له :
قَبَحَكَ اللهُ ، أشبهتَ خالِكَ في الجِفاءِ ، فَبَلَغْتَ عَقِيلاً ، فجاء حتى دخل على عمر ،
فقال له : ما وجدت لابن عمك شيئاً نُعِمَّ بِهِ إلا خُتِلَتْني فَبَسَّحَ اللهُ شَرَّ كَمَا خالا ،
فغضب عمر بن عبد العزيز ، فقال له صخر بن أبي الجهم المدوي : وأمه قرشية أيضاً :
يا أمير المؤمنين ، فَبَسَّحَ اللهُ شَرَّ كَمَا خالا وأنا ممكاً أيضاً ، فقال له عمر : إنك
لأهرا بى جِلْفٌ جافٌ ، أما لو كنتُ تقدمتُ إليك لَأَدْبَتُكَ ، والله ما أراك تقرأ من
كتاب الله شيئاً ، قال : بلى إني لأقرأ « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ، وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ » فقال له عمر : ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ ؟
فقال : أو لم أقرأ ؟ قال : لأنَّ الله عز وجل قدم الخَيْرَ ، وأنت قدمت الشر ، فقال
عقيل :

خِذا بَطْنِ هَرَشِي أَوْ قَفاها فَإِنَّه كِلا بَطْنِ هَرَشِي وَالقَفَاءُ طَريقُ^(١)
فضحك القومُ من عَجْرَتِهِ .

(١) كلا جانبي هرشي لمن طريق (أغانى) ١٢ : ٢٩١ .

قدم عقيلُ المدينة فدخل المسجدَ ، وعليه خفان غليظان ، فجعل يضربُ
رجليه فضحكوا منه ، فقال : ما يُضحِكُكم ؟ فقال له يحيى بن الحكم ، وكانت ابنة
عقيل تحته : إنهم يضحكون من خُفِّيك وضرِّ بكِ رجليك ، وشِدَّةِ جفائك . فقال
عقيل : لا ، ولكن يضحكون من إِمَارَتِكَ ، فإنها أعجب من خُفِّي . فجعل يحيى
يضحك منه .

قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن عُلفة : إنك تخرج إلى أفاصي البلاد وتدعُ
بناتك في الصحراء لا كالى لهن ، والناس ينسُبونك إلى الغيرة ، وتأبى أن تزوجهن
إلى الأكفاء . قال : إني أستمعن عليهن بخَلَّتَيْن تكلوهن وأستغنى عن سواهما
قال : وماها ؟ قال : العرْمى والجوعُ .

دخل عقيلُ بن عُلفة على يحيى بن الحكم ، وهو أميرُ المدينة ، فقال له يحيى :
أُنكِحُ ابنَ خالى ، يعنى ابنَ أبى أوفى ، فلانةَ ابنتَكَ . فقال له : إن ابن خالكِ
يرضى مِنى بدون ذلك . قال : وما هو ؟ قال : أن أكَفَّ عنه سنن الخيل إذا عُشِبَتْ
سَوامُه . فقال يحيى لِحَرسِيَّين بين يديه : أخرجاه ، فأخرجاه . فلما ولى قال : أعيدها ،
فأعادها . فقال : مالك تُكرِّرُنى تَكَرَّرَ الناصح ؟ قال : أمَ والله إني لأراك أهوجَ
جافيا . قال عقيل : كذلك قلت ، وأنشد قوله :

تَعَجَّبْتُ إِذ رَأَتْ رَأْسِي تَجَلَّلَهُ مِنْ الرِّوَائِعِ شَيْبٌ لَيْسَ مِنْ كِبَرِ
وَمِنْ أَدِيمٍ تَوَلَّى بِمَدِّ جِدَّتِهِ وَالْجَفْنُ يُخَلِّقُ فِيهِ الصَّارِمُ الدَّكْرَ
فقال له يحيى : أنشدنى هذه القصيدة كلها . قال : ما انتهيت إلا إلى ما سمعت .
قال : أمَ والله إنك لتقولُ تَتَقَصَّرُ^(١) فقال : إنما يكفى من القلادة ما أحاط بالرقبة : قال :
فأنكِحنى أنا إحدى بناتك . قال : أمَّا أنت فنعَم . قال : أمَ والله لأملأنك مالا وشرفا .

(١) يقال : قصر الشيء ، يقصره بكسر الصاد جعله قصيرا .

قال: أما الشرفُ فقد حَمَلَتْ رَكائِبِي مِنْهُ مَا أَطَاقَتْ ، وَكَلَفَتْهَا تَجَشُّمَ مَا لَا تَطِيقُ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِهَذَا الْمَالِ ، فَإِنْ فِيهِ صِلَاحُ الْأَيْمِ وَرِضَا الْأَبِيِّ . فَرُوجِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَهْدَاهَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَيْهِ ، بَعَثَ إِلَيْهَا يَحْيَى مَوْلَاةً لَهُ ، لَتَنْظُرَ إِلَيْهَا ، فَجَاءَتْهَا فَجَعَلَتْ تَفْمِزُ عَضُدَهَا ، فَرَفَعَتْ يَدَهَا فَدَقَّتْ أَنْفَهَا ، فَرَجَعَتْ إِلَى يَحْيَى وَقَالَتْ : بَعَثْتَنِي إِلَى أَعْرَابِيَةٍ مَجْنُونَةٍ فَصَنَعَتْ بِي مَا تَرَى ، فَهَضَّ إِلَيْهَا يَحْيَى ، فَقَالَ لَهَا يَحْيَى : مَا لَكَ ؟ فَقَالَتْ : مَا أَرَدْتُ بِمَا فَعَلْتُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَظْرُكَ إِلَيَّ قَبْلَ كُلِّ نَاطِرٍ ، فَإِنْ رَأَيْتَ حَسَنًا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ رَأَاهُ وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ وَاوَاهُ . فَسَرَّ بِقَوْلِهَا ، وَحَظِيَّتْ عِنْدَهُ .

خَطَبَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عَقِيلِ ابْنَتِهِ الْجُرْبَاءِ . فَقَالَ لَهُ عَقِيلُ : قَدْ زَوَّجْتُكَهَا عَلَى أَنْ لَا يَزِفُّهَا إِلَيْكَ أَعْلَاجُكَ بَلْ أَكُونُ أَنَا الَّذِي أُجِئُ بِهَا إِلَيْكَ . قَالَ : ذَلِكَ لَكَ . وَمَكْتُوبًا مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ دَخَلَ الْحَاجِبُ يَوْمًا عَلَى يَزِيدٍ فَقَالَ لَهُ : بِالْبَابِ رَجُلٌ عَلَى بَعِيرٍ مَعَهُ امْرَأَةٌ فِي هَوْدَجٍ فَقَالَ : أَرَاهُ وَاللَّهِ عَقِيلًا . قَالَ : فَجَاءَ بِهَا حَتَّى أَنَاخَ بِعِيرِهَا عَلَى بَابِهِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهَا فَأَذْعَنَتْ فَدَخَلَ بِهَا عَلَى الْخَلِيفَةِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ كُنْتُ بِهَا مُتَمَسِّكًا فَبَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَإِنْ كَرِهْتَ شَيْئًا فَضَعْ يَدَهَا فِي يَدِي كَمَا وَضَعْتَ يَدَهَا فِي يَدِكَ ، ثُمَّ بَرَّئْتُ ذِمَّتِكَ . فَجَعَلَتْ الْجُرْبَاءُ بِنْتَ فَرَحٍ بِهِ يَزِيدٌ وَنَحَلَهُ وَأَعْطَاهُ ، ثُمَّ مَاتَ الصَّبِيُّ فَوَرِثَتْ أُمُّهُ مِنْهُ الثَّلَاثَ ، ثُمَّ مَاتَ الْجُرْبَاءُ فَوَرِثَهَا زَوْجُهَا وَأَبُوهَا . فَكَتَبَ يَزِيدُ إِلَى عَقِيلِ : إِنْ ابْنُكَ وَابْنَتُكَ قَدْ هَلَكََا وَقَدْ حَسِبْتُ مِيرَاثَكَ مِنْهُمَا فَوَجَدْتَهُ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ فَهَلُمَّ فَاقْبِضْهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنْ مَصِيبَتِي بِابْنِي وَبِنْتِي تَشْغَلُنِي عَنِ الْمَالِ وَطَلِبِهِ ، فَلَا حَاجَةَ لِي فِي مِيرَاثِهِمَا ، وَقَدْ رَأَيْتَ عِنْدَكَ فَرَسًا سَبَقَتْ عَلَيْهِ النَّاسَ فَأَهْمُنِيهِ أَجْمَلَهُ فَجَلَا لِحَيْلِي . فَبَعَثَ إِلَيْهِ يَزِيدٌ بِالْفَرَسِ فَأَخَذَهُ ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِالْمَالِ .

خَطَبَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَرْوَةَ يَقَالُ لَهُ دَاوُدُ إِلَى عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ بِمَضَ بَنَاتِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَقِيلُ ، وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ ، فَإِذَا السَّيْفُ لَا يَنَالُهُ فَطَمَنَ نَاقَتَهُ بِالرَّمْحِ ،

فسقطت ، وصرعه وشد عليه عقيلُ فهرَّب ، وثار عقيل إلى ناقته ، فنحراها وأطمعها أصحابه وقال :

ألم تقل يا صاحب القلوصِ داودَ ذا الساجِ وذا القميصِ
كانت عليه الأرض حيصَ بيصِ حتى يلفَّ عيصَه بعيصي
ولست بالسنانِ ذا بغيصِ

فقال داود فيه من أبيات :

لثيمٌ يرى أن الحلالَ بينته حرامَ ويقرى الضيفَ عضباً مهندا
وخطب إليه رجل من بني مرة كثيرُ المالِ يُغمزُ في نسبه فقال :
لعمري لئن زوجتُ من أجلِ ماله هجينا لقد حُبتُ إلى الدراهمِ
أُنكحُ عبداً بمدِ يحيى وخالده أولئك أ كفاى الرجالُ الأكارمِ
أبى لى أن أرضى الدنيَّةَ أنى أمُدَّ عنانا لم تخنهُ الشكائمُ
لما نشبتِ الحربُ بين جوشنَ وبين بنى سهم ، وهم إخوة رهطِ عقيل بن علفة
المرى هو وبني غنيط بن مرة ، وسهم من بني مرة وإخوتهم واقتتلوا في أمر يهودى
خمارٍ كان جاراً لهم فقتله بنو جوشن من غطفان .
وكانوا متقاربى المنزل ، وكان عقيل بن علفة بالشام غائباً فكتب إلى بنى سهم
يُخبرُهم :

إما هلكتُ ولم آتكم فأبلغ أمانلَ سهمِ رسولا
بأن الذى ساءكم قومكم لقد جعلوها عليكم غدولا (١)
هوأن الحياة وضيمُ الماتِ وكلاً أراه طعاما وبيلا
فإن لم يكن غيرُ إحداهما فسيروا إلى الموت سيرا جميلا
ولا تقعدوا وبكم منة كنى بالحوادث للمرء غولا

(١) بأن التى ساءكم قومكم هم جعلوها عليكم دليلا (تجريد).

فلما وردت الأبيات تكفل بالحرب الحصين بن الحمام المرى أحد بني سهم
وقال: لي كتبَ وبى نوهَ فإنه خاطبَ أمائلَ بنى سهم ، وأنا من أمائلهم ، فأبلى في
تلك الحرب بلاء شديداً وقال من قصيدة طويلة :

تأخرتُ أستبق الحِياةَ ولم أجد لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدما

وكان عقيل في إبله وحده ، فرب به ناسٌ من بنى سلامان فأسرَّوه ومرَّوا به في
طريقهم على ناس من بنى القين فانزعوه منهم وخلَّوا سبيله .

ولما مات علفة قال أبو عقيل يرثيه لما أتاه خبره :

لعمري لقد جاءت قوافلُ خَبَرَتُ	بأمر من الدنيا علىَّ قَعِيلُ
وقالوا ألا تبكى لمصرعِ فارسٍ	نَمَتَهُ جنودُ الشامِ غيرِ ضئيلِ
كأن النسايا تبغى في (١) خيارنا	لها سببا (١) أو تهتدي بدليلِ
فأقسمتُ لا أبكى على هُلكِ هالكِ	أصاب سبيلَ اللهِ خيرَ سبيلِ
نخل (٢) المنايا حيث شاءتُ فإنها	مُحَلَّلَةٌ بمد الفتى ابنِ عقيلِ
فَتَى كان مولاها يَحُلُّ رِبَوَةَ	نَحْلَ الموالى بعده بمَسِيلِ

كان عقيل قد طرد بنيه ، ففرقوا في البلاد ، وبقي وحده ، ثم إن رجلا من بنى صرمة
يقال له بجيل ، وله ماشية ومال كثير ، فحطَّم بجيلُ هذا بيوتَ عقيلِ بماشيته ،
ولم يكن قبل ذلك أحدٌ يقربُ من بيوتِ عقيلِ إلا لَقِيَ شراً ، فطردتُ صافية ابنةُ
عقيلِ الماشيةَ فضرَّ بها بجيلُ بمصا كانت معه ، فشحَّها ، فخرج إليه عقيل وحده ،
وقد هَرَمَ يومئذ ، وكبرتُ سنَّه فزَجَرَه فضرَّ به بمصا واحتقره ، فجعل عقيلُ يصيحُ :
يا عُلْفَةَ يا عَمَّاسُ يا فلانُ بأسماءِ أولاده ، يستغِيثُ بهم ، وهو يحسبهم لهَرَمَهُ أنهم
معه ، فقال أرطاة بن سمية :

(١) من . . . نسا تجريد ١٤٢٧ .

(٢) نحل (تجريد) .

أَكَلْتَ بَنِيكَ أَكُلَ الصَّبِّ حَتَّى وَجَدْتَ مَرَارَةَ الْكَلِّ الْوَيْلِ
وَلَوْ كَانَ الْأَلَى غَابُوا شَهُودًا مَنَعَتْ فِئَاءَ يَبْتِكَ مِنْ بَجِيلِ
وَبَلَغَ خَبْرَ عَقِيلِ ابْنَةَ الْعَمَّاسِ ، وَهُوَ بِالشَّامِ ، فَأَقْبَلَ إِلَى أَبِيهِ حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهِ ،
ثُمَّ نَحَدَّ إِلَى بَجِيلٍ فَضْرَبَهُ ضَرْبًا مُبْرَحًا ، وَعَقَرَ عِدَّةً مِنْ إِبِلِهِ ، وَأَوْثَقَهُ بِجَبَلٍ وَجَاءَ
بِهِ يَقُودُهُ ، حَتَّى أَلْقَاهُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَعَادَ إِلَى الشَّامِ مِنْ وَقْتِهِ لَمْ
يَطْعَمْ لِأَبِيهِ طَعَامًا ، وَلَمْ يَشْرَبْ لَهُ شَرَابًا .

نَزَلَ أَعْرَابِي عَلَى الْمُعْتَشْرِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ فَشَرِبَا حَتَّى سَكِرَا وَنَامَا فَاتَّبَعَهُ الْأَعْرَابِيُّ
فِي اللَّيْلِ مُرَوِّعًا فَقَالَ لَهُ الْمُعْتَشَرُ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ رُوحِي ،
فَوَيْتَبُ ابْنِ عَقِيلِ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَا كِرَامَةَ وَلَا نِعْمَةَ عَيْنٍ ، أَيْقِبُضُ رُوحَكَ وَأَنْتَ
ضَيْفِي فِي بَيْتِي وَجَارِي ؟ فَقَالَ : بَأبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، طَالَمَا مَنَعْتُمْ عَنِ الضَّيْفِ الضَّيْفِ .
وَتَلَفَّفَ وَنَامَ .

العجيرة السلولى (١)

هو العجيرة بن عبيد الله بن عبيدة (٢) بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضبيط
ابن جابر بن عبد الله بن سلول .

وقيل العجيرة بن عبد (٢) الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سلول
ابن مرة بن صعصعة أخى عامر بن صعصعة .

شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأموية ، جعله ابنُ سَلَامٍ من طبقة أبي زُبَيْدِ
الطائي ، وهى الخامسة من طبقة شعراء الإسلام .

حما العجيرة قوما من بنى حنيفَةَ وسَبَّهم ، فأقاموا عليه البيئَةَ عند نافع بن علقمة
الكنانى ، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقم الحدَّ عليه . وقال لهم : إن وجدتموه أنتم
فأقيموا الحدَّ عليه ، وليكن ذلك فى ملاٍ يشهدون به ، لئلا يدعى عليكم تجاوز الحد ،
فهرب العجيرة منهم ليلا حتى أتى نافع بن علقمة ، فوقف له متنكراً حتى خرج
من المسجد ثم تعلق بثوبه فقال :

إليك سَبَقْنَا السَّوْطَ وَالسَّجْنَ تَحْتَنَا
حِيَالِ يُسَامِينِ الظَّلَالِ (٣) وَلُفْحُ
إلى نافعٍ لا نَزَّتْجى ما أصابنا
تَحْوُمُ عَلَيْنَا السَّانِحَاتُ وَتَبْرَحُ
فإن كنتِ مجلوداً فكنتِ أنتِ جالدى
وإن كنتِ مذبوحاً فكنتِ أنتِ تدبِّحُ
فسأله عن الطر كيف أثره فقال :

يا نافع يا أكرم البرية
والله لا أكذبك العشيّه

(١) أغانى ١٣/٥٨ - المهذب ٤ : ١٦٢ - التجريد ق ٢ ج ١ / ١٤٥٨ .

(٢) فى الأصل عبيد وما أثبتناه عن الأغانى والمهذب والتجريد .

(٣) فى الأصل الظلام وما أثبتناه عن الأغانى .

إنا لقينا سنةً قسيه (١) ثم مُطِرْنَا مَطْرَةً رَوِيَهُ

فنبت البقلُ ولا رعيه

يعني هلكت المواشي قبل نبات البقلِ .

فقال : أبح بنفسك فياني سأرضي خصومك ، ثم بعث إليهم فسألهم الصفع عن حقهم ، وضمن لهم ألا يُماود هجاءهم .

اصطحب العجيرُ وصاحبٌ من خِزاعة لودِّ كان بينهما ، فقصد الخزاعيُّ الحسنَ ابنَ الحسنِ بنِ علي رضي الله عنهم ، وقصد العجير رجلاً من بني عامر بن صعصعة ، كان قد نال سلطاناً ، فأما الحسن فإنه أعطى الخزاعيَّ وكساه ، وأما العجير فإنه أتى إلى صاحبه العامريِّ فما أعطاه شيئاً ، فلما التقيا قال الخزاعيُّ للعجير : أيُّ شيء كان منك مع العامريِّ ؟ قال : أتيت رجلاً حسنَ الزىِّ حسنَ الصورة له نعمةٌ ، فلم أشكَّ أن لي عنده ما أحبُّ ، وتلقاني بالرَّحْبِ وقربني وأدناني ، وقال : ما جاء بك يا عجير ؟ فقلت : شوقاً إلى الأميرِ ولأنشدته مديحاً فيه ، قال : هات ، فأشدته قصيـدتي ، فاستحسنها ، فلما فرغت سكت ساعة ، وأمر لي بشيء ، فقلت : أيها الأمير إن رأيت أن تأمر لي بما أنت أهله ؟ قال : وما هو ؟ قلت : شيءٌ أنفقته وأكتسى منه وأتجمل به في طريق . فقال : لا ، وحقك ما يحضرني في هذا الوقت شيء ، فوردَ عليَّ مورِدٌ عظيم ، وقلت له : فياني قد أتيتُ من طريق شاسع إليك وقد لزمته مؤونة غليظة . قال : فأى شيء يلزمي من ذلك ؟ فبقيت لا أحير جواباً ، وفرغت منه وانصرفت ، فأنت ما خبرك ؟ قال : أتيت الحسنَ فأصبت رجلاً كريماً جواداً . فقلت له : إني قد أتيت بأبيات أمدحُ بها سيدنا . فقال : هات ، فامتدحته فاستحسن ما أتيتُ وكساني وموآلني وما قصر في أمري ، وحملي على نجيب ، واعتذر إليَّ من تقصيره .

(١) يقال : عام قسي شديد من حر أو برد أو قحط .

فورد على العجبر من ذلك أمرٌ عظيم . وقال : لقد قصدتَ قوماً قلَّ من قَصَدَهم نخباً ،
وقصدتُ قوماً قلَّ من قصدهم فأفلح . ثم قال العجبر :

يا ليتنى يومَ حزمتُ القلوصَ له يَمْتُمُّها هاشمياً غيرَ مَمْدُوقِ (١)
مَحْضَ النَّجَارِ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي جُعِلَتْ فِيهِ النُّبُوَّةُ يَجْرِي غَيْرَ مَسْبُوقِ
لَا يُمَسِّكُ الْخَيْرَ إِلَّا رَيْثَ يُسْأَلُهُ وَلَا يُلَاظِمُ عِنْدَ اللَّحْمِ فِي الشُّوقِ

فبلغت أعيانه الحسن وقصته مع العامري ، فضحك وقال : لو أتانا لأعطيناه ،
وإذا لم يأتنا فإننا لا نحرمه ، ووجه إليه بصلة إلى محبة قومه وقال له ، قد أتاك
حظك ، ولم تقصده ، فورد على العجبر سرورٌ عظيم وقال : هل رأيتم أهل بيتٍ أكرم
من هؤلاء القوم ، وأجل فعلاً ؟ ومدحه بأبيات واعتذر من تأخره عنه . وقال :
أبيت يا ابن رسول الله إلا كراماً وجوداً .

مر العجبر بقوم يشربون فسقوه ، فلما انتشى قال : انحروا جملي وأطعمونا
منه . فقالوا : كُفَّ عن هذا . قال : لا والله لا بد لي من ذلك . ففعلوا ، ونحروا الجمل
وجعلوا يطعمونه ويسقونه فلما سكر أنشأ يقول :

عَلَّلَانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَّلُ وَاسْقِيَانِي عَلَّلًا بَعْدَ نَهْلِ
وَأَنْشَلًا مَا غَبَرَ (٢) مِنْ قَدْرِيكَمَا وَأَصْبَحَانِي أَيْمَدَ اللَّهِ الْجَلِ
أَحِبُّ الصَّاحِبَ مَا صَاحَبَنِي وَأَكْفُ اللُّومِ عَنْهُ وَالْعَذَلِ
وَإِذَا أَتَلَفَ شَيْئًا لَمْ أَقُلْ أَبَدًا يَا صَاحِبَ مَا كَانَ فَعَلْ

فلما أصبح وصحا سأله عن جملة فقيل له نحرته البارحة . فجعل يبكي ويصيح :
وأغرتهاه ! وبحكم نحرتم جملي ، فعلى أي شيء أركب ؟ ويطلب إليهم : أهل ذلك حق ؟

(١) غير ممدوق : غير مشوب وده بكدر .

(٢) وأنشأ لي اللحم من قدريكما (أغاني) ١٣ : ٧٦ .

فيقولون له : يا هَذَا ، وَاللَّهِ أَنْتَ حَمَلْتَنَا عَلَى نَحْرِهِ ، وَأَبْرَمْتَنَا ، وَمَا أَرَدْنَا ذَلِكَ .
فَيَلْطِمُ وَيَرْقُصُ ، وَيَقُولُ : هَلَكْتُ وَاللَّهِ ، وَأَيْنَ رَحْلُهُ ؟ هُوَ عِنْدَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ
فَيَقُولُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَأَعْرَبْتَاهُ ! فَلَمَّا رَأَوْهُ قَدْ كَادَ عَقَلَهُ أَنْ يَزُولَ
جَبَّوْا لَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ نَمَنَ جَمَلٍ ثُمَّ دَعَوْهُ وَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ رَجُلٌ جَاهِلٌ وَقَدْ حَذَرْنَاكَ فَأَيُّتَ
إِلَّا نَحْرَهُ وَقَدْ رَحِمْنَاكَ مِمَّا رَأَيْنَاهُ بِكَ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ :
هِيَ التَّوْبَةُ ، فَأَتَوْهُ بِجَمَلٍ فَرَكِبَهُ ، وَفَرِحَ وَسُرَّ وَارْتَحَلَهُ وَانصَرَفَ . وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَبِكْ
وَلَمْ يَبْصَحْ ، وَأَنَّهُ لَمَّا أَصْبَحَ سَاقَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ مَائَةَ بَعِيرٍ .

خرج العجير فنظر إلى امرأة وهي تلحظ رجلا من بُعْدٍ وتكلمه فقال فيها :

أيارب لا تغفر لعثمة ذنبها وإن لم يعاقبها العجير فعاقيب
أشارت وعقد الله بيني وبينها إلى راكب من دونه ألف راكب
حرام عليك الحج لا تقر به إذا حان حج المسلمات التوايب

قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : إذا رويتمهم الشعر فلا تروهم إلا مثل

شعر العجير :

يبين الجار حين يبين عنى ولم تأنس إلى كلاب جارى
وتظن جارتى من جنب بيتى ولم تستر بستر من جدارى
وتأمن أن أطلع حين آتى عليها وهي واضعة الحمار
كذلك هدى أبى قديما توارثه النجار^(١) عن النجار
فهدي هديهم وهم افتلوني^(٢) كما افتلني المتيق من الهار

كان العجير يتحدث إلى امرأة من بنى عامر ويفرح بحديثها وكان في نفسه

(١) النجار : احسب والأصل .

(٢) افتل الصبي أو المهر : فطمه وعزله عن أمه .

من حبها أمر عظيم ، وكان يقال لها جُمْل فألفها إلفاً عظيماً ، وكان ملازماً لها ، ثم اتجع أهلها نواحي نصيبين ، فتمتتها نفسه فسار إليهم ، فنزل فيهم مجاوراً ، ثم رأوه ملازماً محادثته تلك المرأة ، فهو عنها وقالوا : قد رأينا أمرك مع هذه المرأة ، وفي هذا علينا غصاصةٌ ، فإن ارتحلت أو انتهيت وإلا فأذن بحرب ، فقال : يا قوم ما بيني وبينها ما يُنكر ، وإنما كنت أحدثُ إليها كما يتحدثُ الرجل الكريمُ إلى المرأة الحرة الكريمة ، فأما الريبةُ فحاشَ لله منها ، فقالوا له : إنك ما تركتَ أهلَكَ ونساءهم وجئنا شئاً من الخير ، فإن انتهيت وإلا كان ما وعدناك . فرجع إلى نفسه فما وجدها تصبرُ على فراقها ، فعاودها وأتاها فلما رأوه انتهبوا ماله وطرده ، فاتى محمد بن مروان ، وهو يومئذ مُتَوَلَّى الجزيرة لأخيه عبد الملك ، مُسْتَعْدِياً على بنى عامر ، وقال : أيها الأمير خذ بيدي فإن الذى تولى أخذ مالى منهم حليفٌ فيهم من بنى كلاب ، يقال له ابنُ لِحَام . وأنشده من أبيات :

أحقا عبادَ الله [أن] لست ناظراً إلى وجهها إلا على رقيبُ
أبو كل مالى وابنُ مروان شاهدٌ ولم يقض لي وابنُ الحسام قريبُ
فتى محضُ أطرافِ العروقِ مساورٌ جبالَ الملا طلقُ اليمينِ وهوبُ

فقال محمد بن مروان ، وقد أعجبتُه القصيدة : إيش الذى تُحب؟ قال : تنتصفُ لى من خصمى أيها الأمير ، فأحضره محمد بن مروان فقال له : وبلك ما حملك على ظلم هذا ، وهو خادى وولّىي؟ فقال له : يا سيدى إنه قد أفسد امرأةً منا فنهيناه عنها ، مرتين وثلاثاً ، فلم ينته ، فلما كثر ذلك منه طردناه ، وأخذنا ماله على طريق التأديب له . فردّه عليه ، وأمره بالانصراف إلى بلده ونهاه عن النزول على المرأة والإلام بحميها .

عبدُ الله بن الحجاج^(١)

عبدُ الله بنُ الحجاج بنِ مُحْصَن بنِ جُنْدُب بنِ نصر بن عمرو بن عبد الله بن غنم
ابن جحاش بن بَجَالَة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن
غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر .
وكنيته أبو الأقرع .

شاعرٌ فاتِكٌ ، صعلوكٌ من صعاليك العرب ، شجاعٌ من معدودي فرسانِ مُضَرَ ،
ذو البأس والنجدة فيهم .

وهو ممن خرج مع عمرو بن سميد على عبد الملك بن مروان ، فلما قتلَ عبدُ الملك
عمراً هرب ، فلحق بابن الزبير ، فسكان معه إلى أن قُتِلَ ، ثم جاء إلى عبد الملك
ابن مروان متسكراً ، فقال : يا أمير المؤمنين صنعتُ ما صنعتُ ، وجنيتُ ما جنيتُ ،
وقد أتيتك مستجيراً ، إذ لا يحميني إلا الله ، فأقِلْنِي أَفَاكَ اللهُ ، وإلا فاصنع بي
ما بدالك ، فأمنه .

ثم قيل له بعدَ ذلك في أمره ، فقال : هذا رجل استجار بي ، ولم يتوسَّلْ إلى بسوايَ ،
وحقيق عليٌّ أن أغفر ذنبه ، وأقيله عثرته .

وقيل : إنه بعد أن قُتِلَ ابنُ الزبير وأمنه عبدُ الملك خرج مع نجدة بن عامر
الحنفي ، فلما انتضى أمره هرب ثم ظفر به الوليد بن عبد الملك فكلَّم فيه فأمنه .

وقيل : إنه لما قُتِلَ عبدُ الله بن الزبير هرب عبدُ الله بن الحجاج واحتال حتى دخل
على عبد الملك وهو يُطعمُ الناس فجلس حَجْرَةً^(٢) فقال له عبد الملك : مالك يا هذا

(١) أغاني ١٣/١٥٨ ، تجريد ق ٢ ج ١ : ١٤٨٧ ، مهذب ٤ : ١١٣ .

(٢) حجرة : ناحية .

لا تأكل؟ قال: استَحْيَيْتُ أَنْ أَكُلَ حَتَّى تَأْذَنَ لِي . قال : إني قد أذنتُ للناس جميعاً . قال :
لم أعلم ، أفأكلُ بِإِذْنِكَ ؟ قال : كُلْ . فَأَكَلَ وَعَبْدُ الْمَلِكِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَمَجَّبُ مِنْ فَعَالِهِ .
فلما أَكَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بَعْدَ أَنْ أَكَلَ النَّاسُ جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ وَجَلَسَ خِوَاصَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
وَتَفَرَّقَ النَّاسُ ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحِجَاجِ فَوْقَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنْشَادِ فَأْذَنَ لَهُ ،
فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

أبلغ أمير المؤمنين بأني مما لقيتُ من الحوادثِ مَوْجَعُ
مُنِعَ الْقَرَارُ فُجِئْتُ نَحْوَكِ هَارِباً جَيْشٌ يُجِيرُهُ وَمِقْنَبٌ (١) يَتَلَمَّعُ

فقال له عبد الملك: وما خوفك لا أم لك؟ لولا أنك مُرِيبٌ . فقال :

إن البلاد علىَّ وهي عريضةٌ وَعُورَتُ مَذَاهِبُهَا وَسُدُّ الْمَطْلَعِ

فقال عبد الملك: ذلك بما كسبت يداك ، وما الله بظلامٍ للعبيد ، فقال :

كنا نَنجَلُنَا الْبِصَائِرَ مَرَّةً وَإِلَيْكَ إِنْ عَمِيَ الْبِصَائِرُ نَرْجِعُ

إن الذي يَمُصِيكَ مَنْأَ بَعْدَهَا مِنْ دِينِهِ وَحَيَاتِهِ (٢) مُتَوَدِّعُ

آتِي رِضَاكَ وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا وَأَطِيعُ أَمْرَكَ مَا أَمَرْتَ وَأَسْمَعُ

أَعْطَى نَصِيحَتِي الْخَلِيفَةَ بَاخِماً (٣) وَخِزَامَةَ الْأَنْفِ الْمُقْوَدِ فَاتَّبَعُ

فقال عبد الملك: هذا لا يقبله منك إلا بعد المعرفة بك ، وبدنبك ، فإذا عرفنا

الْحَوْبَةَ (٤) قَبِلْنَا التَّوْبَةَ . فقال :

ولقد وَطَّئْتُ بَنِي سَعِيدٍ وَطَاءَةً وَابْنَ الزَّرِيرِ فَعَرَّشُهُ مُتَضَمِّعُ

فقال عبد الملك : لله رب العالمين الحمد والمنة على ذلك . فقال :

(١) القتب : جماعة الخيل زهاء الثلاثين - يتلمع : تشرق سيوفه ورماحه .

(٢) في الأصل : من ذنبه وجناته . وما ذكر عن التجريد .

(٣) باخما : مطيعاً ذليلاً . وفي المذهب والأغاني : ناجماً .

(٤) الحوبة : الإثم .

مازلت تَضْرِبُ مَنْكِبًا عَنْ مَنْكِبٍ تَعْلُو وَيَسْفُلُ غَيْرَ كَمِ (١) مَا يُرْفَعُ
وُضِعَتْ أُمِيَّةٌ وَأَسِطِينَ لِقَوْمِهِمْ وَوُضِعَتْ وَسَطُهُمْ فَنَمِ الْمَوْضِعُ
بَيْتُ أَبُو الْعَاصِي بِنَاءَ بَرَبَوَةٍ عَلَى الْمَشَارِفِ عِزَّهُ مَا يُدْفَعُ
فَقَالَ لَهُ عَبْدِ الْمَلِكِ: إِنْ تَوَرَيْتَكَ (٢) عَنْ نَفْسِكَ لَتَرَيْنِي ، فَأَيُّ الْفَسَقَةِ أَنْتَ ؟ وَمَاذَا
تُرِيدُ ؟ فَقَالَ :

حُرِمَتْ أَصْيَبِيَّتِي يَدُ أَرْسَلْتَهَا وَإِلَيْكَ بِمَدِّ مَعَادِهَا مَا تَرْجِعُ
وَأَرَى الَّذِي يَرْجُو تَرَاثَ مُحَمَّدٍ أَفَلَتَ نُجُومُهُمْ وَنَجْمَكَ يَسْطَعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: ذَلِكَ جِزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ . فَقَالَ :

فَانْعَشْ أَصْيَبِيَّتِي الْأَوْلَاءَ كَأَنَّهُمْ حَجَلٌ تَدْرَجُ بِالثَّوِيَةِ (٣) جُوعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: لَا تَعْشَهُمُ اللَّهُ ، وَأَجَاعَ أَكْبَادَهُمْ وَلَا أَبْقَى وَلِيدًا مِنْ نَسْلِهِمْ ،
فِيهِمْ نَسْلُ كَافِرٍ فَاجِرٍ لَا يَبَالِي مَا صَنَعَ . فَقَالَ :

مَالٌ لَهُمْ مِمَّا يُضْنُ جَمْعَتَهُ يَوْمَ الْقَلِيبِ فِخْرٌ (٤) عَنْهُمْ أَجْمَعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَخَذْتَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ، وَأَنْفَقْتَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَأَرْصَدْتَهُ لِمُسَاقَاةِ
أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، وَأَعْدَدْتَهُ [لِمَاعُونَةٍ] أَعْدَائِهِ (٥) فَزَعَهُ اللَّهُ مِنْكَ إِذْ اسْتَظْهَرْتَ بِهِ عَلَى
مَعْصِيَةِ اللَّهِ . فَقَالَ :

أَدْنُو لَتَرْحَمَنِي وَتَجْبُرُ فَاثَمِي وَأُرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمُدْفَعُ
فَقَبَسَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَقَالَ لَهُ : إِلَى النَّارِ الْأَوْصِدَةَ الَّتِي أُعِدَّتْ لَكَ ، وَلِأَشْبَاهِكَ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : غَيْرِ كَيْمَا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : تَوَرَيْتَكَ ، وَمَا أَثْبَتْنَاهُ عَنِ التَّجْرِيدِ .

(٣) بِالْأَشْرَبَةِ (تَجْرِيدِ) .

(٤) حَيْزٌ : أَبْعَدُ ، وَفِي الْأَصْلِ : فَعَيْنٌ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : لَا لِأَعْدَائِهِ وَمَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ وَالتَّصْوِيبِ عَنِ الْأَغَانِي .

هن أنت الآن ؟ قال : أنا عبدُ الله بن الحجاج التَّغَلَبِي وقد وطئتُ دارك وأكلت طعامك وأنشدتُك ، فإن قتلتنى بعد ذلك فأنت وما تراه ، وأنت عارف بما عليك في هذا ، وعاد إلى إنشاده فقال :

صاقت ثياب المُلبسين وفضلهم عني فألبسني فنوبك أوسع

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه ، لا لبست . فالتحف به . ثم قال له عند ذلك : أولى لك ، والله لقد طالوتك طعماً في أن يقوم إليك أحد هؤلاء فيقتلك ، فأبى الله ذلك ، ولا تجاورني في بلد وانصرف أماناً فأقم حيث شئت من بلاد الله ، فما أبقيت ، لعنك الله ، في ولاء ، وإني والله لمتعجب من عفوى عنك غير آمنك على ثلاثة ، يكون عفوى للطريق إلى أن تُصيها . فقال له : يا أمير المؤمنين فأين أذهب إذا طردتني ومفاتيح خزائن الله قد جملها الله إليك ، فأين المذهب ؟ ومن لصبتي الصغار ؟ قال : لك ولهم النار ، ويحك ! ما حدثت نفسك بهذا وأنت تحزب الأحزاب ، وتجمع على الجيوش ، أخرج عني فقد عفوت عنك . ويحك ! ما أصنع بعد أن تكون معي في دار مملكتي ؟ أما ترضى أنى قد جملت الفعل في عفوى عنك حتى تطالبني بما تجاورني في بلد ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين إن قتلى لأهون من حياتي فميراً لأشياء معي . فأمر له بشيء وصرفه وقال : لا ترني وجهك . فخرج من بين يديه .

ولما خرج على الوليد مع نجدة بن عامر الحنفي الشاري ، وهرب ، طلبه الوليد وقال : رأيتم إلى عدو الله عبد الله بن الحجاج كيف عفا عنه أبى مرة بعد مرة ، ولا يزيد ذلك إلا تمرداً علينا ، فلما انقضى أمر نجدة طلبه الوليد أشد طلب ، ووجه إلى سائر عماله أن يجتهدوا في طلبه ، وحيثما أصابوه قتلوه ، وأتوا برأسه ،

فبلغه هذا فضافت عليه الأرض ، ولم يدر أين يتوجه ، ولما يصنع فاستجَّار ببعض

العرب فأجاره ، فكان يأوى عنده على أشرف حال من الجزع ثم قال :

رأيت بلاد الله وهي عريضةٌ على الخائفِ المطلوبِ كفةً حابلٍ

تؤدي إليه أن كلَّ نبيَّةٍ تيممها ترمى إليه بقاتلٍ

ثم لجأ بعد ذلك إلى أحميح بن خالد بن عتبة بن أبي ربيعة ، فأطعمه وآواه أياماً ،

فلما استوطن كتب إلى الوليد : اعلم أمير المؤمنين أن عبد الله بن الحجاج عندي

وأنا محتفظٌ به إلى أن يحيى رسولك ، فأسلمه إليه ، فأتى الكتاب إلى الوليد بذلك

فسرَّ به ووجه في الوقت من أخذه وحمله إليه . فلما دخل سلم عليه فقال له الوليد :

لا سلم الله عليك ولا ملائكته ولا أنبيأؤه ولا رسله ، ولعنك في الدنيا والآخرة ،

وبلك ! ألسنت الموءب علينا عمرو بن سعيد بن العاص ؟ أو لست الموءب علينا عبد الله

ابن الزبير ؟ ثم عفا عنك أمير المؤمنين ، فما أفتنك ذلك حتى صرت مع الشراة

علينا . فقال له : يا أمير المؤمنين فأين عفوك ومغفرتك فإنك وأباك ما رأيتما في العفو

إلا خيراً . وما رأيت في الغدر إلا شراً فاعفُ عنى إذ قَطَعْنى العالمُ عفا الله تعالى

عنك . قال : هيئات . وأمر به إلى السجن ، وأمر أن يوضع في رجله الحديد الثقيل .

فقال وهو في الحبس أبياتا منها :

فإن يعرض أبو العباس عنى ويركب بي عروضا في عروض

ويجعل عرفه يوما لغيرى ويُبغضنى فإنى من بغيض

كأنى إذ فرغت إلى أحميح فزعت إلى مقوقية بيوض

قال : فدخل أحميح على الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن الحجاج

قد هجأك ، فقال : بماذا ؟ فأنشد البيتين الأولين ، فقال الوليد : وأى هجاء هذا ؟ هو

من بغيض إن أعرضت عنه أو أقبلت عليه أو أحببته أو أبغضته ، ثم ماذا ؟ فأنشد

البيت الثالث ، فضحك الوليد وقال : ما أراه هجأ غيرك فأردت أن تحرضنى عليه ،

لأخذ بئارك منه . فقال: يا أمير المؤمنين، أنت تعلم أنه ما هجاني إلا في رضاك ، ولو أردت أن أستره لسترته ، ولكن كان حقُّ أمير المؤمنين أوجبَ عليَّ ، وهذا رجل قد ثبتَ غدره وفِعله معك ومع أهلك . فقال : هذا مالا تشكُّ فيه منه . فلما خرج شاور الوليد في أمره من حضر مجلسه فحضره جليسٌ خَيْرٌ فقال : يا أمير المؤمنين إن الله قد ملكك وبلغك ما أردت ، ومارأيتَ أنت وأبوك من العفوق إلا خيراً فاهف عنه . فمنا عنه وخلاه .

وقال عبد الله بن الحجاج قصيدته التي منها :

نأتك ولم تحش الفراقَ جنوبُ وشطت نوًى بالطاعنين شعوبُ
كُمَيْتٌ إذا سُجِّتْ وفي الكاسِ وَرْدَةٌ ^(١)

لها في عظامِ الشاربين ديبُ

كان كثير بن شهاب بن الحصين على نَعْرِ الرَّيِّ ، وولاه إياه المشيرةُ بنُ شعبة إذ كان خليفة معاوية على الكوفة ، وكان عبدُ الله بن الحجاج معه فأغار الناس على الدليم ، فأصاب عبد الله بن الحجاج رجلاً منهم ، وأخذ سَلْبَهُ فانتزعه منه كثير وأمر بضربه فضرب مائة سوط وحُبِسَ فقال عبد الله بن الحجاج في ذلك وهو محبوس :

تَسَائِلُ سَلَمَى عَنْ أَبِيهَا صِحَابَةً وَقَدْ عَلِقَتْهُ مِنْ كَثِيرِ حَبَائِلُ
فَلَا تَسْأَلِي عَنْهُ الرَّفَاقَ فَإِنَّهُ بِأَبْهَرِ لَا غَازٍ وَلَا هُوَ قَافِلُ

فكث في الحبس مدة ثم خلى سبيله فقال :

سَأَتْرُكُ نَعْرَ الرَّيِّ مَا دَمَتْ وَالْيَا عَلَيْهِ لِأَمْرِ غَالِي وَشَجَانِي
فَإِنِ أَنَا لَمْ أُدْرِكْ بئَارِي وَاتَّدَّ فَلَا تَدْعُنِي لِلصَّيْدِ مِنْ غَطْفَانِ
تَمَنِّيْتَنِي يَا ابْنَ الْحَصِينِ سَفَاهَةً وَمَالِكَ لِي يَا ابْنَ الْحَصِينِ يَدَانِ

(١) جاء في التجريد مكان هذا الشطر :

فَبِتُّ أَسْقَاهَا سَلَا فَا مَدَامَةً

فلما عزل كثير ، وقدم الكوفة ، كمن له عبد الله بن الحجاج في سوق التمارين ، فكان كثير يخرج من منزله إلى القصر يُحدِّثُ المغيرة ، فخرج يوماً من داره فحادثه ، فأطال ، وخرج من عنده عشيماً يريد منزله ، فضربه عبدُ الله بن الحجاج بعمود حديد على وجهه فهشمَ مقاديمَ أسنانه كلها . وقال له : أنا عبد الله بن الحجاج صاحبك بالرى ، وقد قابلتُك بما فعلت بي ، ولم أكن لأكتُمَكَ نفسي ، وأقسم بالله لئن طالبت فيها بقود لأقتلنك ، فقال له : أنا أقتصُّ منك أو من مثلك ؟ والله لا أرضى بالقصاص إلا من أسماء بن خازجة . وتكلمت اليمانية ، وتجارَت الناسُ فكتب إلى معاوية فكتب إلى المغيرة : أحضِرْ كثيراً وعبد الله بن الحجاج ، ولا يبرحان من مجلسك حتى يقتصَّ كثيرٌ أو يمفو . فأحضرها المغيرةُ فقال : قد عفوتُ ، وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يفتاله . فقال له : والله يا أبا الأفرع لا نلتق ونحن جميعاً أهتان ، وقد عفوت عنك .

وكتب ناسٌ من أهل الكوفة إلى معاوية أن سيِّدنا ضربه خسيسٌ من غطفان ، فإن رأيت أن تُقيِّد فإنه من أسماء بن خازجة ، فلما قرأ معاوية الكتابَ قال : ما رأيت كالיום كتابَ قومٍ أحمقٍ من هؤلاء . وكتب : إن القود ممن لم يجنِّ محظورٌ فليقتصَّ من الجاني . فقال كثير بن شهاب : لا أستقيدها إلا من سيِّدٍ مضر ، فبلغ قوله معاوية فغضب وقال : أنا سيِّدُ مضر فليستقدها مني . وآمنَ عبد الله ابن الحجاج ، وأطلقه ، وأبطل ما فعله بابن شهاب ، فلم يقتصَّ ولا أخذَ منه عقلاً . وقال عبد الله بن الحجاج :

من مبلغ قيساً وخِندف أننى أدركتُ مظلمتى من ابنِ شهابِ
خُصتُ الظلامَ وقد بدتْ لى عورةً منه فأضرب به على الأنيابِ
وتركته يكبو لفيه وأنفه ذهلَ الجفانِ مضرَجَ الأنوابِ

وكان له ولدان يقال لهما حوَيْنٌ وجُنْدب ، فمات جُنْدب في حياته .

كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يعرفه آثار عبد الله بن الحجاج وبلاءه في محاربتة إياه ، وما حرض عليه مع ابن الزبير ، ويقول : يا أمير المؤمنين ، رجل قد أساء فيما بينك وبينه مرة ، فغفوت عن ذنبه ثم خرج ثانية مع ابن الزبير وما أبقى ، والله ، ولا وَزَرَ ، فلما قتل الله ابن الزبير ولم يكن له في الأرض مذهبٌ وافيٌ إليك ، فاعتصم بك ، والله ما يؤمنُ عبدُ الله بن الحجاج على قملةٍ نائلة ، هي أعظم من الأوليين ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُنفذه إلى لا تُوتى أسره وقتله فليفعل . وبلغ ذلك عبد الله بن الحجاج ، فجاء ووقف بين يدي عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل ساقني برحمته إليك ، إذ لم أجد في الأرض مذهباً حتى غفوت عن زللي وأصبتك^(١) أكرم من ولدته النساء وأعفى من نسائه الرجال ، وقد أعطيتني عهداً وموثقاً ، وقد بلغني أن عاملك الحجاج كتب إليك يحرضك عليّ ويعلمك من أموري أشياء أنت أعرف منه بها ، وأمير المؤمنين أولى الناس بالإقامة على العفو ، أو قتلي بين يديه ، وأنشد :

أعوذ بثوبَيْكَ اللذَيْن ارتداهما كريمُ الثنَّاءِ من جِيه المسكُ ينفحُ
فإن كنتُ ما كولا فكن أنت آكلي وإن كنت مذبوحة فكن أنت تدبجُ

فقال عبد الملك : ما صنعت شيئاً ، فقال من أبيات :

تداركني عفوُ ابنِ مروان بعد ما جرى لي من دون الحياة سنيح^(٢)
رَفَعْتُ مُرِيحاً ناظِريَّ ولم أكُ من الكَرْبِ والغَمِّ الشَّدِيدِ أُرِيحُ

فكتب عبد الملك إلى الحجاج : إني قد عرفتُ من أمر عبد الله بن الحجاج التغلبي ومن فسقه وإقدامه على المنكراتِ ما لا تزيدني علماً به ، إلا أنه اغتفلني

(١) يقال : أصبى الرجل : إذا كان له صبي .

(٢) السنيح : الساع مما يتفاهل به ، ورواية الأغاني (من بعد الحياة) .

مفتكراً ، فدخل داري ، وأكل طعامي ، واستكساني فكسوته ثوبا من ثيابي ،
وأنشدني وعاذ بي فأعدته ، وقلت له : من أنت ؟ فعرفني بنفسه ، فلما عرفته ورد
عليّ منه أمر عظيم ، ولم يحسن بي بعد ما جرى أن أقتله وفي دون هذا ما حظرت
عليّ دمه ، وعبد الله أفل وأذل من أن ينفكث عهدا ، فإن شكر على النعمة وأقام
على الطاعة فلا سبيل عليه ، وإن كفر ما أوتى وشاق الله ورسوله وأولياءه ، فالله
قاتله بسيف البغي الذي قتل به نظراؤه ، ومن هو أشد شكيمته منه من الملحدين .
فلا تعرض له ولا لأحد من أهله بسيئة إلا بخير ، والسلام .

فلما ورد الكتاب على الحجاج ورد عليه منه مورد عظيم ، وكان قد مد يده إلى
أسبابه فغلى يده عنهم . وقال : من يعف عنه أمير المؤمنين فلا سبيل لنا عليه ، وكف
عن أهله وأطلقهم .

عبد الصمد بن المعدل^(١)

هو عبدُ الصمد بن المُعدَّل بن غيلان بن الحكم بن البَحْتَرِيِّ بن المُختارِ بن ذَرِيحٍ وقيل دريخ بن أوس بن هام بن ربيعة بن بشر بن مُحَرَّان بن حِدرِجان بن عِساس ابن ليث بن حُدَاد بن ظالم بن زهر^(٢) بن عجل بن عمرو بن ودِيعَة بن لُكَيْز بن أفضى ابن عبد القيس بن أفضى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وقيل ربيعة بن الليث بن حمدان .

قال غيلانُ بن المُعدَّل أخو عبد الصمد : كان أبي يقول : أفضى أبو عبد القيس هو أفضى بن جديلة بن أسد ، وأفضى جديلة بن وائل هو أفضى بن دُعْمَى .
والنسابون يغلطون في قولهم عبدُ القيس بن أفضى بن دُعْمَى .
وكان عبد الصمد بن المعدل يُكَنَّى أبا القاسم .
وأمه أمُّ ولد يقال لها الزرقاء .
وهو شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الدولة العباسية .
بصرى المولد والنشأ .
هجاء خبيثُ اللسان ، شديد العارضة .

وأخوه أحمد أيضا شاعر ، إلا أنه كان عَفِيفًا ، ذا مروءة ودين ، وتقدّم في المعترلة ، وله جاه واسع في بلده ، وعند سلطانه ، لا يقارنُه عبدُ الصمد فيه .
وكان يَحْسُدُه ويهجوُه ، فيحلمُ أحمدُ عنه ، وعبد الصمد أشعرُهما .

(١) الأغاني ١٣ : ٢٢٦ والتجريد ق ٢ ج ١ : ١٥٠٧ .

(٢) (ذهل) تجريد ه أكبر .

وكان المعدل أبوه ، وغيلان جده ، شاعرين ، وقد روى عنهما شيء من الأخبار
واللغة والحديث ليس بالكثير .

والمعدّل بن غيلان هو الذي يقول :

أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
وذي رحم ما كان مثلي يضيعها
لفاض عليهم بالنوال ربيعها
وهو القائل أيضا :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنى

أرى خلة في إخوة وأقارب (١)

فلو ساعدتني في المسارم قدرة (٢)

إذا كانت العلياء في جانب الفقير
وحسبك أن الله أثنى على الصبر

ولست بميال إلى جانب الغنى
وإني لصبار على ما ينوبني

ها أبان اللاحق المعدل بن غيلان فقال :

ففسا فسوة فكدت أطيرو
من ورأى والأرض بي تستدير
صار ذلك الفساء منه يفور
رف هذا فيما أرى خنزير

كنت أمشي مع المعدل يوماً

فعلفت هل أرى ظربانا

فإذا ليس غيره وإذا إء

ففعجبت ثم قلت لقد أع

فأجابه المعدل فقال :

متك في المهدي أبانا

لم ترد إلا أنا

تاء والله عيانا

من مسميك اللسانا

صحفت أمك إذ سم

قد علمنا ما أردت

صيرت باء مكان ال

قطع الله وشيكا

(١) وقرابة (تجريد) .

(٢) إخوة (تجريد) .

مر المَعْدِلُ بن غيلان بعبد الله بن سَوَّارِ العَنْبَرِيِّ القاضى فاستغزاه عنده ، وكان من عادة المَعْدِلِ أن ينزل عنده ، فأنشده :

أمن حقَّ الودعة أن تُقضى ذمامكم ولا تقضوا الذماما
وقد قال الأديب مقالَ صدقٍ رآه الآخرون لهم إماما
إذا أكرمتمكم وأهنتُموني ولم أغضب لذالكُم فذاما

قال ، وانصرف ، فبكر إليه عبدُ الله بن سَوَّار فقال له : رأيتك يا عمُّ مُغضباً . فقال : أجل ، ماتت بنتُ أختي ، ولم تأتني . قال : ما علمتُ ذلك . قال : ذنبك أشدُّ من عُذرك ، وما لى أنا أعرف خبرَ حقوقك ، وأنت لا تعرفُ خبرَ حقوقى . فما زال عبد الله بن سوار يعتذر إليه حتى رضى عنه .

كان شروين المُننى حسن الغناء والضرب ، وكان من أراد أن يغنيه حتى يخرج من جلدِه جاء بجوْزِيَّة سوداء فأمرها أن تطالعه أو تلوِّح له بخَرْقة حمراء ليظنها امرأة تطالعه ، فكان حينئذ يغنى أحسن غناء ، يقدر عليه ، تصنعاً لذلك ، فغضب عليه عبد الصمد بن المعدل فى بعض الأمور ، لأنه دعاه يوماً فتمل عليه ، فقال : والله لأسمِّنه سمَّة لا يدعوه بعدها أحدٌ بالبصرة إلا بعد أن يبذلَ عِرْضه وحرَّيمه . فقال بهجوه :

من حلَّ شروينُ له منزلاً فالتنَّهه الأولى عن الثانية
فليس يسدعوه إلى بيتِه إلى فسَّى فى بيتِه زانية

فتحاماها أهل البصرة حتى اضطر إلى أن خرج إلى بغداد وسرَّ من رأى .

نظر عبد الصمد إلى جارٍ له فقير رثَّ الحال يخالُ فى مَشِيه ويخطر خَطرةً مُفكرةً ، فقال فيه :

يتمشى فى ثوب عصب من العُرِّ على عَظْمٍ ساقِه مسدولٍ

دب في رأسه خازن من الجو ع سرى خمره الرحيق الشمول
فبكي شكوة^(١) وحن إلى الخبز ز ونادي بزفرة وعويل
من قلب متيم برغيفه ن ونفس ناقت إلى التطفيل
ليس تسمو إلى الولا ثم نفسي جل قدر الأعراس عن تأميل
هات لونا وقل لتلك تمنى لست أبكي لدارسات الطلول

كان بالبصرة طفيلي^١ يكني أبا سلمة ، وكان إذا بلغه خبر وليمة ليس لبس
القضاء ، وأخذ بنيه معه ، عليهم القلائس الطوال والطياسة الرقاق ، فيقدم ابنه
فيدق أحدهما الباب ويقول : افتح يا غلام لأبي سلمة ، ثم لا يلبث البواب حتى يتقدم
الآخر فيقول : افتح وبلك فقد جاء أبو سلمة . ويتلوهم هو فيدقون جميعاً الباب ، ويقولون :
بادر ، وبلك ، فإن أبا سلمة واقف . فإن لم يكن يعرفهم فتح لهم ، وهاب منظرهم ،
وتركهم يدخلون ، وإن كان البواب قد تقدمت له بهم معرفة لم يلتفت إليهم ،
ويستخف بهم ويقول : انصرفوا فليست أفتح لكم . وكانوا إذا حضروا وليمة في بعض
هذه المواضع ، أخذوا معهم فهرين^(٢) مدورين يسمون كل واحد منهما كيسان ، فإذا
وافت أحد المدعويين وفتح له شد أحدهما على فهر فيحطه في دوار الباب عند العتبة
فلا يقدر البواب على غلقه ، فيجمعون على الدار فيدخلون ، وكان إذا رآهم أهل
الحق أعظمهم لموضع القضاء . لأنهم يرون زية القاضي ، ويرون خلفه اثنين ، فلا
يشكون أنه قاض فيوسع له إلى أن يصير في الصدر .

وكان أبو سلمة حسن الكلام عذب الألفاظ طيب المحادثة ، فكان إذا دخل
وجرى الحديث ، أتى بكل ظريفة ، وأقبل الناس عليه .

(١) شجوه (تجريد - أغاني) .

(٢) الفهر بالكسر : الحجر قدر ما يدق به الجوز أو ما يملأ الكف ، ويؤت .

وكان هذا أبو سلمة من عجائب الدهر ، ولم يكن في البصرة للظفيلية مثله ، فحضر يوماً من الأيام في عرسٍ من الأعراس فتخطى إلى أن صار في الصدر ، وأقبل يحدثُ الناس ، وهم مقبلون عليه إلى أن قرب الطشتُ فغسل الناسُ أيديهم وقدمت المائدة وعليها كلُّ طعامٍ فأكل الناسُ وأكل أبو سلمة أكلا عظيماً ، ثم قُرِبَت الحلواء فأول ما وافى الفالوجُ ضَرَبَ بيده إلى لُقمة حارّة ، وألقاها إلى فيه ، فأحرقت فيه ، فابتلعها لحرارتها ، فسقطت في جوفه ، فجمعت أحشائه فأت على المائدة ، فوردَ على الناسِ مَورِدٌ عظيم فأقبل ابناه يبكيان عليه ، والناس ينظرون إليهم ويهيجون مما تمَّ على الشيخ ، ومُحَمَّل إلى منزله وكُفِّن ودُفِن ، فقال عبد الصمد بن المذل يرثيه من أبيات :

أحزانٌ نفسى عليها غيرُ مُنصرِمه	وأدمى من جُفونى الدهرَ مُنسِجِه
على صديقٍ ومولى لى فُجعتُ به	ما إن له فى جميع الصالحين لُمة ^(١)
كم جفنةٍ مثل جوفِ الحوضِ مُترعةٍ	كوماءٍ جاء بها طبأُها رذِمة ^(٢)
قد كلتها شحومٌ من قايئها	ومن سنامِ جزورٍ عبطةٍ سنِمة
غُيبتَ عنها فلم تعرف لها خبرا	لَهفى عليك ووئلى أبا سلمه
ولو تكون لها حياً لما بعدت	يوما عليك ولو فى جاحِمِ الحطمة
قد كنت أعلم أن الأكل يفتله	لكننى كنت أخشى ذلك من تُخمة
إذا تعممَ فى شبلية ثم غدا	فإن حوزةً من يأتيه مُصطلِمة

كان عبد الصمد يمشق فتى من المغنين يقال له أحمد ، ففاضبه الفتى وهجره

فكتب إليه :

(١) اللمة : المثل والشكل .

(٢) الرذمة التى تسيل دسماً .

سَلْ جَزَعِي مَذْصَدَّتْ عَنْ حَالِي هَلْ خَطَرَ الصَّبْرُ لِي عَلَى بَالِ
لَا غَيْرَ اللَّهِ سَوْءَ فَعَلِكْ بِي إِنْ كُنْتُ أَعْتَبْتُ فِيكَ عُذَّالِي
وَلَا ذَمَّمْتُ الْبَكَاءَ عَلَيْكَ وَلَا سَحِمْتُ حَسْنَ السُّلُوبِ مِنْ سَالِي
لَوْ كُنْتُ أَبْنَى سِوَاكَ مَا جَهَلْتُ نَفْسِي أَنْ الصَّدُودَ أَعْفَى لِي

قال أبو شراعة: لما هجا الجَمَّازُ عبدَ الصمد بن المعدَّل جاءني وقال: أنقذني منه، فقلت له: أمثلك يفرُّق من الجَمَّاز؟ قال: نعم، لأنه لا يبالي بالهجاء، ولا عرض له، وشعره ينفق على من لا يدري. فلم أزل حتى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله في عبد الصمد وهو:

ابن المعدَّلِ مَنْ هُوَ ومن أبوه المعدَّلُ
سألت وهبان عنه فقال: بيضٌ محوَّلُ

وهبان هذا هو رجل يبيع الحمام، فيجمع جماعة من أصحابه وجعل يفتش المجالس والمحافل ويخلف لهم أن الجَمَّاز مأسأله عن عبد الصمد، وأنه ما قال: أنه بيضٌ محوَّل - ويسألهم أن يمتدروا إليه، وصار هذا منه نادرة وطرفة. فجاءني عبد الصمد يستغيث وقال: ألم أقل لك إن آفتي منه عظيمة، وأن دوران وهبان على الناس يخلف لهم أنه ما قال: بيضٌ محوَّل - أشد على من هجائه لي، فبمئت إلى وهبان فأحضرته، وقلت: يا هذا قد علمنا أن الجَمَّاز كذب عليك، وعذرتناك فنحبُّ ألا تتكلف العذر إلى الناس فإننا قد عذرتناك، فانصرف وقد لقي عبد الصمد منه بلاء.

كان عبد الصمد يقول: هجاني الجَمَّازُ بيتين مُنتَجِعَيْن فسار في أفواه الرجال حتى لم يبق حاضرٌ ولا بادٍ إلا رواها. فقلت أنا فيه شعراً تركته يتحاجي فيه كلُّ أحدٍ فما رواه أحدٌ وذلك لضعفه، وهو:

نَسَبُ الْجَمَّازِ مَقْصُودٌ رُّ إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ
 يَتَرَاءَى نَسَبُ النِّسَاءِ سِ فَسَا يَخْفَى سِوَاهُ
 يَتَحَاجِّي فِي أَبِي الْجَمِّ اَزْ مَنْ هُوَ كَاتِبَاهُ
 لَيْسَ يَدْرِي مِنْ أَبِيوَالِجِ اَزِ اِلَّا مَنْ يَرَاهُ

بَلَغَ أَبَا جَعْفَرَ مَضْرطَّانَ أَنَّ عَبْدَ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدِلِ هَجَاهُ ، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ أَبِي وَائِلَةَ
 السَّدُوسِيِّ فَقَالَ لَهُ مَضْرطَّانُ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ هَجَوْتَنِي فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الصَّمَدِ : مَنْ أَنْتَ حَتَّى
 أَهْجُوكَ ؟ قَالَ : هَذَا شَرٌّ مِنَ الْهَجَاءِ ، وَوَثِبَ إِلَى عَبْدِ الصَّمَدِ يَضْرِبُهُ ، فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ
 ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَمْدُويَةَ الْحَمْدُونِي :

أَلَدُّ مِنْ حَبَابَةِ الْقَنَانِي (١)
 لَكِزُّ قَتِيٍّ مِنْ بَنِي لُكَيْزِ
 يَهْوِي لَهُ بَازِلٌ خِدْبٌ (٢)
 يِنَالٌ مِنْهُ تُؤَوَّرُ قَوْمٌ
 وَكَانَ يَفْسُو فَصَارَ حَقًّا
 أَوْ اقْتَرَحَ عَلَى قِيَانِ
 يُهْدِي لَهُ أَهْوَنَ الْمَوَانِ
 يَطْحَنُ قَرْنِيهِ بِالْجِرَانِ
 بِالْيَدِ طَوْرًا وَبِاللِّسَانِ
 مُضْرطَّانِ خَوْفِ مَضْرطَّانِ

فَبَلَغَ عَبْدَ الصَّمَدِ شَمْرُ الْحَمْدُونِيَّ فَقَالَ : أَنَا لَهُ ، فَفَزِعَ الْحَمْدُونِيُّ مِنْهُ فَقَالَ :

تَرَحُّ طُعِنْتُ بِهِ وَهَمُّ وَارِدُ
 هِيَهَاتَ أَنْ أَجِدَ السَّبِيلَ إِلَى الْكَرَى
 وَأَنْ قِيلَ إِنْ ابْنِ الْمُعَدَّلِ وَاجِدُ
 وَابْنِ الْمُعَدَّلِ مِنْ مِزَاحِي حَارِدُ

وَكَانَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمَعْدِلِ يَعَاشِرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ السُّيَّبِ وَيَأْلَفُهُ فَيَبْلُغُهُ عَنْهُ أَنَّهُ
 اغْتَابَهُ يَوْمًا ، وَهُوَ سَكْرَانٌ ، وَعَابَ شَعْرَهُ ، وَقَالَ إِنْ عَبْدَ الصَّمَدِ يَأْتِي بِأَشْيَاءَ بَارِدَةٍ
 غَثَّةٍ لَيْسَتْ بِحَسَنَةٍ ، فَتَرَكَهَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِهَا . فَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ فِيهِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ
 مِنْ أَيْبَاتِ :

(١) الْأَصْلُ عِنَةَ الْقَنَانِ وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْأَغَانِي ١٣/٢٣٦ .

(٢) فِي الْأَغَانِي أَهْوَى ... خِدْبُ .

عتبي عليك مُقَارِنُ العُدْرِ قد زاد عنك حَفِيظَتِي صَبْرِي
لك شافع مني إِلَى فَا يَقْضِي عَلَيْكَ بِهَفْوَةٍ فِكْرِي
لَا أَنَانِي مَا نَطَقْتَ بِهِ فِي السُّكْرِ قَلْتَ جِنَايَةَ السُّكْرِ
حاشا لعبد الله يَذْكُرُنِي مُسْتَعْدِيَا بِنَقِيصَتِي ذِكْرِي
إِنْ عَابَ شِعْرِي أَوْ تَحَيَّفَهُ فَلَيْهِنَهُ مَا عَابَ مِنْ شِعْرِي
يَا ابْنَ الْمَسِيبِ قَدْ سَبَقْتَ بِنَا أَصْبَحْتُ مَرْتَهِنَا بِهِ سُكْرِي
فَمَيَّ حَمْرَتَ فَأَنْتَ فِي سَمَةِ وَمَيَّ هَفْوَتَ فَأَنْتَ فِي عُذْرِي
تَرَكَ الْعِتَابَ إِذَا اسْتَحَقَّ أَحْ مِنْكَ الْعِتَابَ ذَرِيمَةَ الْهَجْرِي

كان عبد الصمد بن الممدل قد وقع بينه وبين ابن رهم، فقال يهجو من أبيات:

هو والله مُنْصِفٌ زَوْجُهُ زَوْجُ زَوْجَتِهِ
يُقْسِمُ الْأَيْرَ عَادِلًا بَيْنَ حِرِّهَا وَفَقْحَتِهِ (١)

قال محمد بن يزيد المبرد: نظر عبد الصمد بن الممدل إلى الأفشين بسر من رأى، وهو غلام أمرد، وكان من أحسن الناس، وهو واقف على باب الخليفة، مع أولاد القواد، فأنشدنا لنفسه من أبيات:

أَيُّهَا اللَّاحِظِي بِطَرْفِ كَايِلِ هَلْ إِلَى الْوَصْلِ بَيْنَنَا مِنْ سَبِيلِ
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّنِي أْتَمَنِّي زُورَةً مِنْكَ عِنْدَ وَقْتِ الْمَقِيلِ
بِمَدْمَا [قَدْ] غَدُوتَ فِي الْقُرْطَقِ الْجَوْ نِ تَهَادَى فِي الْحُسَامِ الصَّقِيلِ
وَتَكَفَيْتِ فِي الْمَوَاكِبِ تَخْتَا لُ عَلَيْهَا تَمِيلُ كُلَّ تَمِيلِ
وَأَطَلْتَ الْوُقُوفَ مِنْكَ بِيَابِ الْ قَصْرِ تَلْهُو بِكُلِّ قَالٍ وَقِيلِ
وَتَحَدَّثْتَ فِي مَطَارِدَةِ الصَّيْدِ سِدِّ بِخُبْرِي بِهِ وَرَأْيِ أَصِيلِ

(١) الفححة حلقة الدبر.

ثم نازعت في السنان وفي الرُّم
وتكلمت في الطراد وفي الطغ
وإذا ماتفرق القوم أقبل
وقد كساك الغبار منه رداء
وبدت وُرْدَةُ البَشَامَةِ (٢) من خذ
يرشح المسك منه سالفَةُ الطَّبِّ
فأسوف (٣) الغبار ساعة ألقا
وأحلَّ القباء والسيف من خذ
ثم نُؤتَى بما هويت من التث
ثم أجلوك كالعروس على الشر
ثم أسقيك بعد شُرْبِي من ريب
وأغننيك إن هويت غناء
لا يزال الخلخال فوق الحشايا
فإذا ارتاحت النفوس اشتياقا
كان ما كان بيننا لا أسـ

ح (١) وعلم بمرفقات النصول
ن ووثب على صماب الخيول
ت كريحانة دنت لذبول
فوق صدغ وجفن طرف كحيل
دك في مشرق نقي أسيل
و جيد الأمانة المطبول
ك برشف الخدين والتقبيل
رك رفقا باللفظ والتعليل
ريف عندي والبر والتبجيل (٤)
ب تهادي في مجسد (٥) مصقول
تك كأسا من الرحيق (٦) الشمول
غير مستنكر (٧) ولا مملول
مثل أثناء حية مفقول
وتمنى الخليل قرب الخليل
يه ولكنه شفاء الغليل

(١) الدرع (تجريد) ١٥٠٩ .

(٢) القسامة (التجريد) - والوردة بالضم الحمراء والقسامة : الحسن - أسيل : أملس .

(٣) أسوف : أشم وكانت في الأصل : أسرق ، والتصويب عن التجريد .

(٤) التدليل (تجريد) .

(٥) المجسد : الثوب العصفر .

(٦) اللدام (تجريد) .

(٧) مستكره .

قال جامعُ هذا المُختار: سمعتُ بعضَ الفضلاءِ يحكي على أنه وجد في الأغاني عن ابن المُعدَّل أن زَوْجَتَهُ كلفته أن يتردّد إلى يحيى بن أكرم القاضي ، ويستمنحَه ويستغنيَه وهَوَّنتُ عليه ذلك ، فقال لها :

تُكَلِّفُنِي إِذْلالَ نَفْسِي لغيرِها وهان عليها أن أهان لتكرُّمًا
تقول سلِّ المعروفِ يحيى بن أكرم فقلت ساليه ربَّ يحيى بن أكرمًا
ومن شعره :

صرفت السودَّ فانصرفا ولم ترعَ الذي سلفا
وبنتَ فلم أمتُ كمدًا عليك ولم تمت أسفا
كلانا واجد في الناس ممن مله خلفا

كان لبعض وجوه أهل البصرة جارية يقال لها مُتَمِّمٌ فعَلِمَها عبدُ الصمد وكانت لا تخرج إلا مُتَحَجِّبَةً^(١) ، فخرج عبد الصمد يوما إلى نزهة وقدِمَت مُتَمِّمٌ إلى أبي عُبيدِ اللهِ بن الحسنِ القاضي ، فاحتاج أن يُشَهِدَ عليها ، فأمرها أن تُسَفِّرَ ، فلما قدم عبد الصمد قيل له : لو رأيت مُتَمِّمًا وقد أسفَرها القاضي لرأيت شيئًا حسنًا لم ير مثله . قال : فحدثوني كيف كان ؟ قال فحدثوه كيف أتى بها وأسفرت وأشهدت عليها ، فقال عبد الصمد : لقد جددتم عليّ أحزانًا ، وقال :

ولما سرتَ عنها القِنَاعَ مُتَمِّمٌ ترَوَّحَ منها العنبريُّ مُتَمِّمًا
رأى ابنُ عُبيدِ اللهِ وهو محكَّمٌ عليها لها طرفًا عليه مُحَكَّمًا
وكان قديمًا كالبحرِ الوجهِ عابِسًا فلما رأى منها السفورَ نَبَسِمًا
فإن يصبُ قَابُ العنبريِّ فقبَلَه^(٢) صبا باليتامى قلبُ يحيى بن أكرمًا

(١) منقبة (ب) .

(٢) فريما (تجريد) .

فبلغ قوله يحيى بن أكرم ، فكتب إليه : عليك لعنةُ الله ، أى شئٍ أردته منى ، حتى أتاني شعرك من البصرة ؟ وأين لك هذه الشهادة التي قطعتَ علىَّ بها في شعرك ؟ فقال لرسوله : قل له : مُتَمِّمٌ أَعَدَّكَ عَلَى طَرِيقِ الْقَافِيَةِ .

جَمَعَ بَيْنَ أَبِي تَمَّامِ الطَّائِيِّ وَعَبْدِ الصَّمَدِ مَجْلِسٌ ، وَكَانَ عَبْدُ الصَّمَدِ سَرِيعاً فِي قَوْلِ الشَّعْرِ ، وَفِي أَبِي تَمَّامٍ إِطْلَاءٌ ، فَأَخَذَ عَبْدُ الصَّمَدِ الْقِرَاسَ وَكَتَبَ فِيهِ :

أنت بين اثنتين تبرز للنساء س وكتماها^(١) بوجه مُذالِ
لست تفك طالبا لوصالٍ من حبيبٍ أو طالبا^(٢) لنوالِ
أى ماءٍ لحرٍّ وجهك يبقى بين ذلِّ الهوى وذلِّ السؤالِ

فأخذ أبو تمام القِرَاسَ وخلا طويلا وجاء به وقد كتب :

أفِي تَنْظِيمِ قَوْلِ الزَّوْرِ وَالْفَنَدِ وَأنت أَنْزَرُ من لا شئٍ في العَدَدِ
أَمْرَجْتَ قَلْبِكَ من بُغْضِي على حَرْقِ كأنها حركاتُ الرُّوحِ في الجَسَدِ
أَقْدَمْتَ وَيَحْكُ من هَجْرِي على خَطَرٍ كَالعَمِيرِ يَقدُمُ من خَوْفِ على الأَسَدِ

فقال له عبد الصمد : يا عاضَ بَطْرُ أمه ، يا غث ، أخبرني عن قولك :

... .. أَنْزَرُ من لا شئٍ في العَدَدِ

كيف يكون لا شئ في العَدَدِ - وأخبرني عن قولك : أَمْرَجْتَ قَلْبِكَ . قلبي مَفْرَشٌ أو عَيْبَةٌ أو حُرْجٌ فَأَمْرَجِهِ ، عليك لعنةُ الله فما رأيت أغثَ منك - فانقطع أبو تمام انقطاعا ما يرى أقبجُ منه وقام وانصرف وما راجعه بحرف .

(١) بكتيها (تجريد) .

(٢) أو راغبا في (تجريد) .

شرب علي بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدُهْن فدخل عليه عبد الصمد
بعد خروجه مما شر به فقال :

بأيمن طائرٍ وأسرَّ بالِ وأعلى رتبةٍ وأجلَّ حالِ
شربت الدُهْن ثم خرجت عنه خروج المشرقي من الصقالِ
تكشَّفَ عنك ما عاينت منه كما انكشف الغامُ عن الهلالِ
وقد أهديت ریحانا ظريفا به حاجيتُ مُستَمما سُوالِي
وما هو غيرُ ياءِ قبل (١) حاءِ وقد سبقا بيمينِ قبَلِ دالِ
وریحانُ النباتِ يعيشُ يوما وليس يموت ریحانُ المقالِ
ولم يك مؤثرا تَفَاحَ شمِّ على تَفَاحِ أسمعِ الرجالِ

ودخل رجل على أبي المُستَهَلِّ الاسكافي ، وكان عبد الصمد حاضراً ، فدفَع إليه

رقعة ، فدفَع أبو سهل الورقة إلى عبد الصمد فقرأها ، فإذا فيها :

هذا الرحيلُ فهل في حاجتي نَظَرٌ أولاً فأعلمُ ما آتَى وما أذُرُ

فقال : أجب عنها . فكتب عبد الصمد :

النفسُ تسخو ولكن يَمْنَعُ العسرُ والحُرُّ يَعدُرُ من بالعسرِ يَمْتَدِرُ

ثم قال عبد الصمد لأبي سهل هذا الجواب قولاً ، وعليك أعزك الله الجوابُ
فملا ونجح سعى الأملِ واجِبُ على مثلك . فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار .

كان لأحمد بن المُدَّالِ ابنُ تيماء شديد الذهبِ بنفسِه مَبْغَضٌ عند أهل البصرة ،

فمر يوماً بعمه عبد الصمد فقال :

لو كان يُعطى النبی الأعمامُ بابن (٢) أخٍ أصبحتُ في جوفِ قُرُقورٍ إلى الصينِ

(١) في الأغاني : بعد مكان قبل .

(٢) في ابن (أغاني ١٣ : ٢٥٧) والقرقور : السفينة .

قد كان ها طويلا لا يُقامُ له
فكيف بالصبرِ إذا أصبحتَ أَكْثَرَ في
يا أبيضَ الناسِ في عُسرٍ^(٢) وميسرةٍ
لو شاء رَبِّي لأضحى واهباً لأخي
وكان خيراً له لو كان مؤثراً
وقائلٍ لي : ما أضناك ؟ قلتُ له :
إن القلوبَ لتطوى منك يا ابن أخي

لو كان رؤيتنا إياك^(١) في الحينِ
بجالِ أعيننا من رملِ يبرينِ
وأقدرَ الناسِ في دنيا وفي دينِ
بمرُّ تُكلكَ أجراً غيرَ ممنونِ
في السالفاتِ على غرْمولِ عنيِّ
شخصٌ قرى وجهه عيني فيضني
إذا رأتكِ على مثلِ السكاكينِ

(١) قد كان هم طويل لا ينال له
(٢) فقر (أمالى) .
لو ان رؤيتنا ... (أمالى) .

عبدُ الرحمنِ بنُ الحَكَمِ (١)

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس .
وأمه ، أم أخيه مروان ، آمنَةُ بنتُ صفوان بن أمية بن مُحَرِّق بن شِقِّ
ابن رقية (٢) بن مذحج بن كنانة .
وكنيته عبد الرحمن أبو مُطَرِّف .
شاعر إسلامي متوسط الحال ، في شعراء زمانه .

وكان يهاجى عبدَ الرحمنِ بنَ حسانِ بنِ ثابتٍ فيقاومُهُ وينتصفُ كلُّ واحدٍ
منهما من صاحبه .

رأى مروانُ بنَ الحَكَمِ يطوفُ بالبيت وهو يقول : اللهم أَذْهِبْ عني الشُّعْرَ .
وأخوه عبد الرحمن ، يقول : اللهم إني أسألك ما استعاذ بك منه . فذهب الشعرُ
عن مروان وقاله عبدُ الرحمنِ .

لما عزلَ معاويةُ بنَ أبي سفيانِ مروانَ بنَ الحَكَمِ عن الحِجَازِ ، ووَلَّى سَعِيدَ
ابنَ العاصِ قَدِمَ عبدُ الرحمنِ بنَ الحَكَمِ على معاوية لأن أخاه قال له : إلقه أُمَامِي وَعَاتِيَه
لي واستصْلِحْهُ .

وقيل : بل كان عبدُ الرحمنِ في دمشق فلما بلغه خبرُ أخيه خرج إليه فتلَقَّاهُ
وقال له : أقيم حتى أدخل على الرَّجُلِ ، فإن كان عَزَلَكَ عن مَوْجِدَةٍ دخلتُ إليه
منفرداً وإن كان عن غير مَوْجِدَةٍ دخلتُ إليه مع الناسِ . فأقام ومضى عبد الرحمن
أمامه .

(١) أغاني ١٣ : ٢٥٩ والتجريد ١٥١٢ ومهذب ٤٣ : ٧ .

(٢) في الأغاني : شق بن رقية بن مخدج وفي الأصل ١ ، ب : ابن سوريقة .

فلما قدم على معاوية دخل إليه وهو يُعشى الناس فقال :

أَتَتَكَ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا تَكْشَفُ عَنْ مَنْكِبِهَا الْقَطُوعَ
بَأَبْيَضَ مِنْ أُمِيَّةٍ مَضْرَحِيٍّ (١) كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ مَنِيعٌ (٢)

فقال له معاوية: أزاراً أجت أم مفاخرأ أم مكأراً؟ قال : أى ذلك شئت . قال :
ما أشاء من ذلك شيئاً ، وأراد معاوية أن يقطع عن كلامه الذى عن له فقال : على
أى الظهر أتيئنا؟ قال : على فرس ، فقال : فما صنعت
غلالة أجش هزيم

يُعْرَضُ بِقَوْلِ النَّجَاشِيِّ لَهُ :

وَنَجِيَّ ابْنَ حَرْبٍ سَابِحٍ ذُو غَلَالَةٍ أَجَشُّ هَزِيمٌ وَالرَّمَاحُ دَوَانِي
إِذَا خَلَّتْ أَطْرَافَ الرَّمَاحِ تَنَالَهُ مَرَّتَهُ بِهِ السَّاقَانِ وَالْقَدَمَانِ

فغضب معاوية وقال: أما إنه لا ير كعبه صاحبه في الظلم إلى الرب ولا هو
ممن يتسور على جاراته ولا يتوثب على كنفائنه بعد هجعة الناس .

وكان عبد الرحمن متهما بذلك في امرأة أخيه ، فنجب عبد الرحمن وقال :
يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك ؟ الجنابة أوجبت سخطاً ؟ أم لراى
رأيتك وتديير أصلحتك ؟ قال : بل لراى رأيتك وتديير أصلحتك ، قال : فلا بأس بذلك .
فخرج فلقى أخاه مروان فأخبره بما جرى فاستشاط غيظاً . وقال لعبد الرحمن : فيحك
الله ما أضعفك ، عرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصف منك أحجمت عنه .
ثم لبس حلته وتقلد سيفه وركب فرسه ودخل على معاوية ، فقال له حين رآه
وتبين الغضب في وجهه : مرحباً بأبى عبد الملك ، لقد زرتنا بعد اشتياق منا إليك ،

(١) المضرحي : السيد الكريم .

(٢) صنيع (أغاني) .

فقال : لا والله ما زرتك لذلك ولا قدِمتُ عليك فألفيتُك إلا عاقاً قاطماً . والله ما أنصفتُنا ولا جزيتُنا جزاءنا . لقد كانت السابقةُ من بني عبد شمس لآل أبي العاصي والصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، والخلافةُ فيهم ، فوصلوكم يا بني حرب ، وشرفوكم وولّوكم فاعزّلوكم^(١) ولا آثروا عليكم حتى إذا وليتم وأفضى الأمرُ إليكم أبينتم إلا أثرةً وسوءَ صنيمةٍ وقُبْحَ قطيعةٍ ، فرويداً رويداً ، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفا وعشرين ، وإنما هي أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ، ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذ ، ثم هم للجزاء بالحسنى والسوءى بالمرصاد .

وقيل : قال له معاوية : عزّلتك ثلاث لو لم يكن إلا واحدةً منهن لأوجبتُ عزّلك ، إحداهن أني أمرتُك على عبد الله بن عامر ، وبينكما ما بينكما ، فلم تستطع أن تشتفي منه ، والثانية كراهيتك لأمر زياد ، والثالثة أن ابنتي رملة استعدتُك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعدها ، فقال مروان : أما ابن عامر فإني لأستنصرُ منه في سلطاني ولكن إذا تساوت الأقدامُ عَلِمَ أين موفِعُهُ . وأما كراهتي أمر زياد فإن سائرَ بني أمية كرهوه ، ثم جعل الله لنا في تلك الكراهة خيراً كثيراً ، وأما استمداء رملة على عمرو فوالله إنه لتأتني على سنة أو أكثر وعييتي^(٢) بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً يُعرّضُ بأن رملة إنما تستعدي عليه طلباً للنكاح . فقال له معاوية : يا ابن الوزغ ، لست هناك . فقال مروان : هوذاك الآن ، والله إني لأبوعشرة ، وأخوعشرة ، وقد كاد ولي أن يكملوا العدة - يعني أربعين - ولو قد بلغوها لعلت أين تقعُ مني . فأنجز معاوية ثم قال :

فإن أك في شراركمو قليلاً فإني في خياركمو كثيرُ
بناتُ الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلاتٌ نزورُ

(١) في الأصل (وعزّلوكم) والتصويب عن الأغاني وبه يستقيم المعنى .

(٤) عيبة الرجل : موضعه سره . وفي التجريد والأغاني (وعندي) .

فلما فرغ مروان من كلامه استخذى معاوية في يده وخضع له وقال : لك
المُتَّبِي وأنا رادُّك إلى عمِّك . فوثب مروان وقال : كلا ، والله . وعيشك ،
لا رأيتني عائداً إليه أبداً . وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت لك سقطةً
مثلها قط . ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأى شيء يكون منه ومن بنى أبيه إذا بلغوا
أربعين ؟ وأى شيء تخشاه منهم ؟ فقال : ادنُ مني أخبرك بذلك ، فدنا منه ، فقال له :
إن الحكم بن أبي العاصي كان أحد من وفد مع أختي أم حبيبة ، لما زُفَّت إلى النبي ،
صلى الله عليه وسلم ، وهو تولى نقلها إليه ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يحد النظر
إليه ، فلما خرج من عنده قيل له : يا رسول الله ، لقد حدت النظر إلى الحكم
فقال : ابن الخزومية ؟ ذلك رجل إذا بلغ ولده ثلاثين - أو قال أربعين - ملكوا
الأمربدى ، فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية . فقال له الأحنف : لا يسمعن
هذا منك أحد ، فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك ، وإن يقض الله عز وجل
أمراً يكن . فقال له معاوية : فاكتمها علي يا أبا بحر إذا فقد ، لعمري ، صدقت
ونصحت .

كان عبد الرحمن بن الحكم عند يزيد بن معاوية ، وقد بعث إليه عبيد الله
ابن زياد برأس الحسين بن علي ، رضى الله عنهما ، فلما وضع بين يدي يزيد في الطست
بكى عبد الرحمن ثم قال :

أبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا تَكُنْ كَمُوتِرِ أَقْوَاسٍ وَلَيْسَ لَهَا نَبْلُ
لَهَا مِ بَجَبِ الطَّفِّ أَدْنَى قَرَابَةٍ مِنْ ابْنِ زِيَادِ الْوَعْدَى الْحَسْبِ الرَّذْلِ
سُمِّيَةُ أَمْسَى نَسَلُهَا عَدَدَ الْحَصَى وَبَنَتْ رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لَهَا نَسْلُ
فصاح به يزيد : اسكت يا ابن الحمقاء ، وما أنت وهذا .

قال ابن أبي مليكة : رأيت بنى أمية يتتابمون نحو ابن عباس من حين نفي

ابنُ الزبيرِ بنى أُميَّةَ عن الحِجازِ ، فذهبت معهم ، وأنا غلام ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده ، فدخلنا عليه فقال له عُبيدُ بنُ عميرٍ : ما لي أراك تدْرِفُ عيناك ؟ فقال : إن هذا ، يعنى عبد الرحمن بن الحكم ، قال بيتا أبسكاني وهو :

وما كنتُ أخشى أن ترى الدُّلَّ نسوتى وعبدٌ منافٍ لم تغلها الغوائلُ
فذكرت قرابةً بيننا وبين بني عمنا بنى أُميَّة ، وأنا إنما كنا أهل بيت واحد في الجاهلية حتى جاء الإسلامُ فدخل الشيطان بيننا أيما مدخل .

كان عبد الرحمن بن الحكم مُولماً بجارية لأخيه مروان يقال لها شنباء ، ويهيمُ بحبها ، فيبلغ ذلك مروانَ فنهره وتوعده وتحفظ منه في أمر الجارية ، وحجبها عنه ، وقال عبد الرحمن فيها :

لعمروُ أبى شنباء إني بدكرها وإن شحطت دارٌ بها لحقيقُ
وإني لها ، لا ينزع الله ما لها لدى^(١) ، وإن لم ترعه ، لصديق
ولما ذكرت الوصل قالت وأعرضت متى أنت عن هذا الحديث مُفريقُ

لما ادعى معاوية زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك والناس ينسبونها إلى ابن مفرغٍ وذلك غلط :

ألا أبلغُ معاويةَ بنَ حرب مُغلغلةً من القرمِ الهجان^(٢)
أتغضبُ أن يقال أبوك عفاً وترضى أن يقال أبوك زانى
فأشهدُ أن رحمتك من زيادٍ كرحمِ الفيلِ من ولدِ الأنانِ
وأشهد أنها ولدت زياداً وصخرته من سُميَّة غيرِ دانِ

(١) على (أغانى) .

(٢) القرم: السيد العظيم - الهجان من كل شيء : خياره وخالصه ، ورجل هجان : كريم

فبلغ ذلك معاوية خلف ألا يرَضَى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد ، فخرج
عبد الرحمن إلى زيادٍ فلما دخل عليه قال : إيه يا عبد الرحمن ، أنت القائل :

ألا أبلغ معاوية بن حرب

فقال : لا أيها الأمير ما كذا قلت ولكني قلت :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عني زياداً مغلغلةً من القَرَمِ (١) الهجانِ
من ابن القَرَمِ قَرَمِ بنِ قُصَيِّ أبي العاصي بن آمنَةَ الحِصانِ
حلفت رَبِّ مَكَّةَ والمُصَلَّى وبالتوراة أحلفُ والقُرانِ
لأنت زيادَةٌ في آلِ حَرْبٍ أَحَبُّ إليَّ من وَسْطَى بنائِي
سُرِرْتُ بِقُرْبِهِ وفَرِحْتُ لما أتاني اللهُ منه بالبيانِ
وقلت له أخو ثِقَّةٍ وعمِّ بعون اللهُ في هذا الزَّمانِ
كذلك أراك والأهواءَ شَتَّى فما أدري بغيرِ ما ترائي

فرضي عنه زياد ، وكتب بذلك إلى معاوية ، فلما دخل عليه بالكتاب ، قال :

أنشدني ما قلت لزياد ، فأنشده فتبسم ثم قال :

قبح الله زياداً ما أجهله والله لما قلت له حيث تقول :

لأنت زيادة في آل حرب

شرُّ من القولِ الأولِ ولكنك خَدَعْتَهُ فجازَتْ خديعتُكَ عليه .

استعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غزاة
الْبَحْرِ فنكصَ واستمعني فوجهَ مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان وهو يومئذ
شاب ، فضى وأبلى بلاءً حسناً . فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث :

(١) الرجل (أغانى) .

شَنَانُكَ إِذَا رَأَيْتُكَ حُوتَكِيًّا^(١) قَرِيبَ الْخَصِيَّتَيْنِ مِنَ التُّرَابِ
كَأَنَّكَ قَمَلَةٌ لَفَحَتْ كَشَافًا لُبْرُغُوثٍ بِيَعْرَةَ أَوْ صُؤَابِ^(٢)
كَفَاكَ الْغَزْوُ إِذَا أَحْجَمَتْ عَنْهُ حَدِيثُ السِّنِّ مُقْتَبِلُ الشَّبَابِ
فَلَيْتَكَ حَيْضَةً ذَهَبَتْ ضَلَالًا وَلَيْتَكَ عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّرَابِ

نظر عبد الرحمن بن الحُكَم إلى قتل قريش يوم الجمل فبكى وأنشأ يقول :

أيا عين جودي بدمعٍ سَرِبَ على فتيةٍ من خيار العربِ
وما ضرَّهُم عند حينِ النفوسِ أئى أميرى قريشٍ غَلَبَ

عرض معاويةُ على عبد الرحمن بن الحُكَم حَيْلَهُ فمر به فرسٌ فقال له : كيف

تراه ؟ قال : ساجح . ثم عرض عليه آخر فقال : هذا ذو غلالة ، ثم مر به آخر فقال :

هذا أجشٌ هَزِيم . فقال له معاوية : قد علمتُ ما أردتُ إنما عَرَضْتَ بقول النجاشي في :

ونجى ابنَ حَرَبٍ ساجحٌ ذو غلالةٍ أجشٌ هَزِيمٌ والرماحُ دَوَانِي

سليمُ السَّطَا عَيْلُ الشَّوَيْ سَنَجُ النَّسَا كَسِيدِ الغَضَا باقٍ على النَّسَلَانِ

أُخرج عني ولا تساكِنِي في بلد ، فتلقى عبدُ الرحمن أخاه مروانَ فشكا إليه

معاويةَ فقال له عبدُ الرحمن : حتى متى نُسْتَدَلُّ ونُضَام ؟ فقال له مروان : هذا عَمَلُكَ

بنفْسِكَ فقال :

أَنْظُرُ آفَاقُ السَّمَاءِ لِنَسَا دَمًا إِذَا قَلْتَ هَذَا الطَّرْفُ أَجْرُدُ سَاجِحُ

فحتى متى لا نَرَفَعُ الطَّرْفَ ذِلَّةً وحتى متى تَعَيَا عليك المَنَاسِحُ

فدخل مروانُ على معاويةَ فقال له : حتى متى هذا الاستخفافُ بِآلِ أَبِي العاصِ ؟

أما والله إنك لتعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم فينا ، ونقل ما بقي من الأجل .

فضحك معاوية ، وقال : لقد عفوتُ لك عنه يا أبا عبد الملك .

(١) الحوتكي : القصير الضاوي (قاموس - حنك) وهي في الأصل حوبكيا .

(٢) الصؤاب جمع صؤابة وهي بيضة القمل .

ديك الجن^(١)

ديكُ الجنُّ لقبٌ غَلَبَ عليه .

وهو عبد السلام بن رَعْبَان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رَعْبَان^(٢)

ابن زيد بن تميم .

وكان جَدُّهُ تَمِيمٌ من أنعم الله ، عز وجل ، عليه بالإسلام من أهلِ مَوْتَةَ^(٣)

على يد حبيب بن مَسْلَمَةَ الفِهْرِيِّ .

وكان شديدَ التَّشَعُّبِ والعَصَبِيَّةِ على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضلٌ ،

جَمَعْنَا وإياهم وِلَادَةُ إبراهيمَ ، وأَسَلَمْنَا كما أَسَلَمُوا وَمَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ رجلاً قُتِلَ به ،

ولم نجد الله ، عز وجل ، فضَّلَهُم علينا إذ جَمَعْنَا الدين .

وهو شاعرٌ مُجِيدٌ ، يذهب مَذْهَبَ أبي تمام والشاميين في شعره .

من شعراء الدولة العباسية ، [وكان من] ساكني حِمص ولم يَبْرَحْ نواحي الشام

ولا وَفَدَ على العراق ، ولا على غيره منتجعاً بشعره إلى أحد .

وكان ماجناً خليعاً ، منمكفاً على اللهو والقصف ، متلافاً لما وَرِثَ عن أبيه .

وكان مُنَشِئاً مُنَشِئاً حَسَناً ، وله مراثٍ كثيرةٌ في الحسين ، رضى الله تعالى عنه ،

وعدة أشعار في هذا المعنى .

وكانت له جاريةٌ يهواها فاتَّهَمَهَا بفلانٍ له فقتلها ، واستنفذ شعره بمد ذلك

في مراثيها .

(١) أغاني ١٤: ٥١ - التجريد ق ٢ - ١ - ١٥٤١ .

(٢) في الأصل : عنان بن يزيد .

(٣) مَوْتَةَ : قرية من أرض البلقاء من الشام وكانت بها غزوة في جمادى الأولى سنة ثمان . التقى

فيها المسلمون بالروم . وكانت كلمة مَوْتَةَ في الأصل (بيته) .

ومن شعره :

أنتِ حديثي في النومِ واليقظةَ أتعبتُ مما أهدي بك الحفظَه
كم واعظٍ فيك لي وواعظَه لو كنتُ ممن تنهاه عنك عظه

وكان عبدُ السلام قد اشتهر بجارية نصرانية ، من أهل حمص هويها ، وغلبت عليه ، وذهبت به ، فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ، فأجابته لعلها برغبته فيها فأسلمت على يده فترَوَّجها وكان اسمها وَرْدًا في ذلك يقول :

انظر إلى شمسِ القصورِ وبدْرِها ولِلوْنِ مُحْرَتها^(١) وبهجة زهرها
لم تَبِكِ^(٢) عَيْنُكَ أبيضاً في أسودِ جمع الجمال كوجهِها في شعرها
وَرْدِيَّةُ الوجناتِ يَحْتَبِرُ اسمها من نعتها من لا يُحيطُ بخبرها
وتمايلتُ فضحكتُ من أردافها عجباً ولكني بَكَيْتُ نلصرها
تَسْقِيكَ كأسَ مدامةٍ من كَفِّها ووردية ومدامة من نثرها^(٣)

وكان قد أُعسرَ واختلَّت حاله فرحل إلى سلمية^(٤) فاصداً لأحمد بن علي الهاشمي ، فأقام عنده مدة طويلة وحمل ابن عمه على بغضه إياه [بعد مودته وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أنه أذاع على تلك المرأة التي تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاماً له ، وقرر ذلك جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه . . .]^(٥) فشاع الخبر حتى انتهى إلى عبد السلام فكتب إلى أحمد بن علي شعراً يستأذنه في الرجوع إلى حمص ، ويعلمه ما بلغه من خبرِ المرأة من قصيدة أولها :

(١) وإلى خزامها (أغاني ١٤ : ٥٥ وتجريد : ١٥٤٢) .

(٢) لم تبيل (تجريد) .

(٣) في الأصل تقديم وتأخير في وضع أشطر البيتين الأخيرين والتعديل عن التجريد .

(٤) سلمية من أعمال حماه .

(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل ، ونقلناه عن الأغاني لما يقتضيه السياق .

إِنْ رَبِّبَ الزَّمَانَ طَالَ انْتِكَائُهُ كَمْ رَمْتَنِي بِحَادِثٍ أَحَدَانُهُ
[يقول فيها] :

ظَنِّيُ إِسْ قَلْبِي مَقِيلُ ضُحَاه وَفُؤَادِي بَرِيرُهُ وَكِبَانُهُ (١)
[وفيها يقول] :

خِيفَةٌ أَنْ يَخُونَ عَهْدِي وَأَنْ يُضَى حَيِّ لِنَيْرِي حُجُوبُهُ وَرِعَانُهُ (٢)

ومدح أحمد فيها ، فأمره بالرجوع ، فرجع إلى حمص وفر ابن عمه ، وقت قدومه ، فأرصد له قوما يُعلمونه بموافاته باب حمص ، فلما وافاه ، خَرَجَ إليه مُسْتَقْبِلًا وَمُعْتَفًا عَلَى تَمَسُّكِهِ بِهَذِهِ الْمَرَأَةِ بَعْدَ مَا شَاعَ أَمْرُهَا بِالْفُسَادِ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِطَلَاقِهَا ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهَا أَحَدَتْتْ فِي مَغْيِبِهِ حَادِثَةً لَا يَجْمَلُ [به] مَعَهَا الْقِيَامُ عَلَيْهَا وَدَسَّ الرَّجُلَ الَّذِي رَمَاهَا بِهِ ، وَقَالَ : إِذَا قَدِمَ عَبْدُ السَّلَامِ فَقِفْ عَلَى بَابِهِ ، كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ بِقُدُومِهِ ، وَنَادِ بِاسْمِ وَرْدٍ فَإِذَا قَالَ : مَنْ أَنْتِ ؟ فَقُلْ : أَنَا فُلَانٌ ، فَلَمَّا نَزَلَ عَبْدُ السَّلَامِ مَتَرَلَهُ وَأَلْقَى نِيَابَهُ سَأَلَهَا عَنِ الْخَبْرِ وَأَعْلَظَ عَلَيْهَا ، فَأَجَابَتْهُ جَوَابَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ الْقِصَّةِ شَيْئًا ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ذَلِكَ إِذْ قَرِعَ الْبَابُ فَقَالَتْ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَنَا فُلَانٌ ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ السَّلَامِ : يَا زَانِيَةَ زَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَعْرِفِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا ، وَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَضَرَبَهَا فَقَتَلَهَا وَقَالَ :

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ لِعَطْفِكَ نِلْتُ وَإِلَى ذَلِكَ الْوَصَالِ وَصَلْتُ
فَالَّذِي مَنِي اشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ الْعَارُ مَا قَدَّ عَلَيْهِ اشْتَمَلْتُ
قَالَ ذُو الْجَهْلِ قَدَّ حَلَمْتُ وَلَا أَعْلَمُ أَنِّي حَلَمْتُ حَتَّى جِهَلْتُ

(١) البرير: من ثمر الأراك ، والكبات ما نضج منه .

(٢) الجحول جمع حجل : وهو الخنخال - والرعات : ما يعلق في أذن المرأة من القرطة

لأنهم لي بجهله ولماذا
سوف آسى طول الحياة وأبكى
أنا وحدي أحببت ثم قتلت
ك على ما فعلت لا ما فعلت
وقال أيضا فيها :

لك نفس مواتيه والنايا مُعَادِيَه
أيها القلب لا تمد لهوى البيض ثانية
ليس برق يكون أخ لب من برق غانية
خنت سرى ولم أخذك فموتى علانية

ثم بلغ السلطان خبره فطلبه ، فخرج إلى دمشق ، فأقام بها ، وكتب أحمد ابن علي إلى أمير دمشق يسأله أن يؤمنه ويحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوه جنايته ، فقدم حمص ، وبلغه الخبر على حقيقته وصححه فندم ، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ، ولا يطعم من الطعام إلا ما يمسك رقه .

وقال في ندمه عليها :

ياطلعة طلع الحمام عليها
رويت من دمها الثرى ولطالما
مكنت سيفي^(١) في مجال وشاحها
فوحق نعلها فما وطىء الحصى
ما كان مقلها^(٢) لأنى لم أكن
لكن ضننت على العيون بحسنها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
روى الهوى شفقتى من شفقتها
ومدامى تجرى على خديها
شىء أعز على من نعلها
أبكى إذا سقط الذباب عليها
وانفت من نظير الحسود إليها
وتروى هذه القصيدة لغيره .

(١) قد بات سبى (أغانى) .

(٢) قتلها (أغانى) .

قيل كان في غطفان فَنِي يقال له السُّلَيْكُ بن مجَّع ، وكان من الفرسان ، وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قوم قتلهم وكان يهوى بنت عم له ، فكان يخطبها مدة ، فيمنعها أبوها ، ثم زوجها خوفاً منه ، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بمد أسبوع إلى عسيرته ، فلقيه من فزارة ثلاثون فارساً كلهم يطلُّبه بدم فقاتلهم فقتل منهم عدداً ، وأُتخِنَ بالجراح آخرين وأُتخِنَ هو حتى أيقن بالموت ، فصاد إليها فقال : ما أسمح بكِ نفساً لهؤلاء ، وإني أُحبُّ أن أقدمك قبلي . قالت : افعل ، ولو لم تفعله لعمته أنا بدمك . فضربها بسيفه حتى قتلها وقال :

يا طلعة [طلعت] الحمام عليها الأبيات

ثم نزل إليها وتمرغ بدمها ، وتخضب به ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل . وبلغ قومه خبره فحملوه وابتة عمه ودفنوها وحفظت فزارة عليه الأبيات فنقلوها ، وقيل : إن قومه أدركوه وبه رمق فسمعوه يُردد الأبيات ففظوها ، وبقى عندهم يوماً ومات .

وقال ديك الجن في هذه المقتولة :

أشفقتُ أن يردَّ الزمانُ بغيره
 قرأنا استخرَجته من دُجنه
 فقتلته وبه على كرامة
 عهدى به ميتاً كأحسنِ نائمٍ
 لو كان يدري الميتُ ماذا بعمده
 غصصٌ تكاد تعيظُ منها نفسه
 أو أبتلى بمد الوصال بهجره
 لبليتي وجلوته من خدره
 مزلء الحشا . وله الوأد بأمره
 والحزن يسقى (١) عبرتي في نحره
 بالحي (٢) كان بكى له في قبره
 ويكاد يخرج قلبه من صدره

(١) يسفح دمعي (أغانى) .

(٢) بالحي حل (أغانى) .

كان ديك الجن يهوى غلاما من أهل حمص يقال له بكر بن رُم (١) ، وكان شديد التمتع والصون ، فاحتال عليه قوم من أهل حمص فأخرجوه إلى منزله لهم يعرف بمياس فأسكروه وفسقوا به جميعا ، وبلغ ذلك ديك الجن فقال فيه :

قل لهضم الكشح مياسٍ أنتفض المهد من الناسِ
ياطاقة (٢) الآس التي لم تمد إلا أذلت قصب الآس
ورثت بالكاس وشرا بها وحتف أمثالك في الكاس
وردت (٣) مياسا ويا بعد ما بين منيئك ومياس
تقطع أنفاسك في إثرهم ومذكمهم قطع أنفاسي
لا بأس مولاي على أنها نهاية المكروه والباس
بيننا أنافت وعلت بالفتى إذ قيل خطته على الراس
فاله ودع عنك أحاديثهم سيصبح الذاكِرُ كالنأسي

وقال فيه وقد جلسا يتحدان حتى غاب القمر :

دع البدر فليغرب فانت لنا بدرُ إذا ما تجلّى من محاسنك الفجرُ
إذا ما أنقضى سحرُ الذين يبايل فطر فك لي سحرُ وريقك لي سحرُ
ولو قيل لي قم فادع أحسن من ترى

لصحت بأعلى [الصوت] يا بكرُ يا بكرُ

وقال فيه أيضاً :

يا بدرُ ما فعلت بك الأرتال (٤)

(١) في الأغاني والتجريد : بكر بن دهمرد .

(٢) يا طلعة (أغاني) .

(٣) وحال ميماس (أغاني) .

(٤) في الأصل (الأبطال) والتصويب عن الأغاني ، ويريد بها أرتال الخمر .

في الدارِ بَعْدُ بَقِيَّةُ نَسْتَامِهَا
عَرَمَ الزَّمَانُ عَلَى الدِّيَارِ بِرَغْمِهِمْ
شغَلَ الظَّلَامُ كِرَاكُ عَنِ دِيْوَانِهِمْ^(١)
وقال فيه أيضاً :

عَسَا كُرُّ اللَّيْلِ بَيْنَ الطَّاسِ وَالْجَامِ
وَالْبَغْيِ وَالْمُجَبِّ إِفْسَادُ لَأَفْوَامِ
فَصِرْتَ غَيْرَ ذَمِيمٍ جَعْبَةَ الرَّايِ
فقد ذَلَّتْ لِإِسْرَاجِ وَالْجَامِ
أُمْسِي فَوَادِي عَلِيلٍ مَوْجِعٌ دَائِي^(٥)
وقال يُعَزِّي جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ الْهَاشِمِيَّ من قصيدة :

تَغْفُلُ وَالْأَيَّامُ لَا تَغْفُلُ
إِذَا عَفَا عَنْكَ وَأَوْدَى بِنَا
ثم مات جعفرُ بنُ عليٍّ فقال يرثيه :
على هذه كانت تدورُ النوائِبُ
ألا أيُّها الركبَانُ والرَّدُّ واجبٌ
إلى أي فتِيانِ الندى قَصَدَ الرَّدَى
وفي كلِّ جَمْعٍ لِلذَّهَابِ مَذَاهِبُ
قفوا حَبْرُونَا مَا تَقُولُ النَّوَادِبُ
وَأَيُّهُمْ نَابَتْ حِمَاهُ النَّوَابُ

(١) في ديوانه (أغاني) .

(٢) في الأصل : رهم والتصويب عن الأغاني .

(٣) مهلكة (تجريد) .

(٤) تفرق (تجريد) .

(٥) أمسي عليك وقلبي الموجه الدامي (أغاني - تجريد) .

فيا قَبْرَهُ جَدَّ كُلِّ يَوْمٍ بِجُودِهِ
فإنك لو تَدْرِي بما فيك من عُلاَّ
أَسْمَى لأَحْطَى فِيهِ بِالْأَجْرِ إِنَّهُ
وما الإِثْمُ إِلَّا الصَّبْرُ عَنْكَ وَإِنَّمَا
يَقُولُونَ مِقْدَارُ عَلَى الْمَرْءِ وَاجِبٌ
تَرَشَّفْتُ أَيامِي وَهُنَّ كَوَالِحٌ
فدافعتُ في صَدْرِ الزَّمانِ وَنَجَّيْتُهُ
لو أن يَدِي كانت شِفاءَكَ أَوْ دِي
لسلمت تسلِيمَ الرِّضا وَتَخَذْتُهَا
فتى كان مِثْلَ السَّيْفِ مِنْ حَيْثُ جِئْتُهُ

لِنائِبَةٍ نائِبَتِكَ فهو مُضَارِبٌ

بِكَأَخٌ لَمْ تَحْوِهِ بَقْرَابَةٍ
فَتَى هَمُّهُ مُحَمَّدٌ عَلَى الدَّهْرِ رَاجِحٌ
زَلْنَا عَلَى حُكْمِ الزَّمانِ وَأَمْرِهِ
شَمَائِلٌ إِنْ يَشْهَدُ فِهِنْ مَشَاهِدٌ
وَتَضْحَكُ سِنَّ الْمَرْءِ وَالْقَلْبُ مُوجِعٌ
وأظلمت [الدنيا] (٢) التي كنتَ جَارَها

كأنك للدنيا أخٌ ومناسبٌ

أرى زَمَنًا لَمْ تَبْقَ فِيهِ مَصائبٌ
مُبرِّدٌ نيرانَ المصائبِ أَنِّي

(١) يقضب القلب قاضب (أغانى) .

(٢) ما بين القوسين عن الأغاني .

كان خطيب حمص يُصَلِّي على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثلاثَ مراتٍ في
خُطْبَتِهِ ، وأهل حمص كلُّهم من اليمَن [لم يكن فيهم من مضر]^(١) إلا ثلاثة أبيات
فتمصّبوا على الخطيب وعزلوه فقال فيهم ديك الجن :

سَمِعُوا الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ تَوَالِي	فَتَفَرَّقُوا شِيَمًا	وَقَالُوا لَا لَا
ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى الصَّلَاةِ إِمَامُهُمْ	فَتَحَزَّبُوا وَرَمَى الرَّجَالَ رِجَالًا	
شَاهَتْ وُجُوهُكُمْ وَوُجُوهُ طَالِمَا	رَغِمَتْ مَعَاطِسُهَا وَسَاءَتْ حَالًا	

(١) ما بين القوسين من الأغاني .

علی بن الخلیل (۱)

مولی لمن بن زائدة الشيباني .

كوفي كنيته أبو الحسن .

كان يعاشر صالح بن عبد القدوس ، ولا يفارقه فأنهم بالزندقة وأخذ مع صالح

ثم أطلق لما انكشف أمره .

لما جلس الرشيد بالرافقة (۲) المظالم ، دخل عليه علي بن الخليل وهو متوكئي

على عصا وعليه ثياب نظافة ، وهو جميل الوجه والثياب وفي يده قصة فلما رآه أمر

بأخذ قصته . فقال : يا أمير المؤمنين أنا أحسن عبارة لها ، فإن رأيت أن تأذن لي

في قراءتها فعملت ، فقال : اقرأها ، فاندفع يُنشد ما فيها من الآيات :

إني لجأت إليك من رهب	قد كان شرّ دني ومن أبس
واخترت حكمك لا أجوزهُ	حتى أوسد في قرى رمسي
كم قد قطعت إليك مدرا	ليلاً بهم اللون كالنفس
إن هاجني من هاجس جزع	كان التوكّل عنده تربي
ما ذاك إلا أنني رجل	أصبو إلى بقر من الإنس
بقر أوانس لا قرون لها	نجل العميون نواجم لئس
ردع العبير على تراثيها	يقبلن بالتقبيل (۳) والجلس
وتشاهد الفقيمان بينهمو	صفراء عند المزج كالورس

(۱) أغاني ۱۴ : ۱۷۴ .

(۲) الرافقة بلد متصل البناء بالرقعة وهما على ضفة الفرات (مراسد) وكانت في الأصل:

بالرافقة . (۳) الترحيب (أغاني) .

لعماء في حافاتها حَبَبٌ
والله يَعْلَمُ في بَقِيَّتِهِ
يا خَيْرَ من وَحَدَّتْ بِأَرْحِلِهِ
تَطْوِي السَّبَابِيبَ في أَرْمَتِهَا
لما رَأَتْكَ الشَّمْسُ إِذْ طَلَعَتْ
خَيْرُ البرية أَنْتَ كُلُّهُمْ
لله ما هَارُونَ مِنْ مَلِكٍ
ملك عليه لِرَبِّهِ نَعَمٌ
تَحْكِي خِلافَتَهُ بِبَهْجَتِهَا
من عِتْرَةٍ طابَتْ أَرْوَمَتُهَا
نُطِقُ إِذَا احْتَضِرَتْ مَجَالِسُهُمْ
نَظْمٌ كَرَفَمٌ صَحَائِفِ الفُرْسِ
ما إِنِ أَضَعْتُ فُرَائِضَ^(١) الخُمْسِ
نُجِبٌ تَجِبُ بِمَهْمَةٍ جَلَسَ
طَىَّ التِّجَارِ عِمَائِمِ البُرْسِ^(٢)
كَسَفَتْ بِوَجْهِكَ طَلْعَةَ الشَّمْسِ
في يَوْمِكَ العَادِي وَفي أَمْسِ
بَرٌّ السَّرِيرَةِ طَاهِرِ النَّفْسِ
تَرْدَادُ جِدَّتِهَا عَلَيَّ اللَّبْسِ
أَنْقَ السَّرُورِ صَبِيحَةَ العُرْسِ
أَهْلُ العِنَافِ وَمُنْتَهَى القُدْسِ
وعن السَّفَاهَةِ وَالخَنَا خُرْسِ

فأطلقه الرشيد وقتل صالح بن عبد القدوس واحتج عليه في أنه لا تقبل له

توبة بقوله :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

وقال : إنما زعمت أنك لا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبداً .

وقال محمد بن الجهم الرملي : قال لي المأمون يوماً : أنشدني بيتاً جيداً في المدح

فاخراً عندياً المحدث حتى أولئك كورة تختارها قال قلت : قولُ علي بن الخليل :

فَمَعَ السَّمَاءُ فَرُوعٌ نَبَعَتِهِمْ
مُتَهَلِّينَ عَلَيَّ أَسْرَتِهِمْ
ومع الحضيض منابت الفرس
ولدى الهياج مصاعب الشمس^(٣)

(١) إقامة (الأغاني).

(٢) البرس بالكسر والضم : القطن أو شبيهه به .

(٣) الشمس (جمع شمس) من الرجال : الصعب الخلق .

فقال : أحسنتَ وليتُكَ الديّنور ، فأنشِدني بيتَ هجاءٍ على هذه الصّفة ، حتى أوليك كورةً أُخرى فأنشده :

قَبِحتُ مناظِرَهُم فحينَ خَبَرْتُهُم حَسَنَتُ مناظِرَهُم لُقُبحِ المخبِرِ
قال : أحسنتَ وليتُكَ همدان . فأنشِدني مرثيةً حتى أوليك كورةً أُخرى
فأنشده :

أرادوا ليُخفوا قَبْرَهُ عن عدوِّهِ فَطِيبُ ترابِ القَبْرِ دَلَّ على القَبْرِ
قال : أحسنتَ وليتُكَ نهاوند ، فأنشِدني بيتاً من الغزل ، على هذا النمط ، حتى أوليك كورةً أُخرى ، فأنشده :

تَمالَ نَجَدَدُ دارسِ العَمَدِ بيننا كَلانا على طولِ الجِفاءِ مَسلومُ
فقال : أحسنتَ قد جعلتَ الخيارَ إليك ، فاخترتَ السُّوسَ من كُورِ الأَحوالِ
فولاني ذلكَ أَجمَعُ ووجهتُ إلى السُّوسِ بعضَ أهلي .

نزل أبو دُلّامةٍ بدهقانٍ يقال له أبو بَشيرٍ فسقاه شراباً أعجَبَهُ فقال :
سَقاني أبو بَشيرٍ من الرّاحِ شَرَبَةً لها لَذَّةٌ ما ذُقْتُها بِشرابِ
وما طَبَخوها غيرَ أن غلامَهُم سَمى في نواحي كَرَمِها بِشهابِ
فأنشِد عَلِيَّ بنَ الخليلِ هذينَ البيتين ، فقال : أحرّقه العبدُ أحرّقه اللهُ تَعالَى .
ولد ليزيدَ بنَ مَزيدَ ابنِ ، فوافاه عَلِيُّ بنُ الخليلِ ، فقال : اسْمَعْ مِنّي أيها الأميرُ
تَهنئةً بالفارسِ الوارِدِ فتبسّم وقال : هات ، فأنشده :

يزيد يا ابنَ الفَرِّ^(١) من وائلٍ أهلِ الرِياسِ وأهلِ المَعالِ
يا خيرَ من أنجَبَهُ والدٌ ليَهَنِكَ الفارسُ ليثُ النَّزالِ
جاءتْ به غِراءُ ميمونةٌ والسعدُ يبدو في طُلوعِ الهلالِ

عليه من مَعْنٍ ومن وائلٍ سبها تباشير وسبها جلالٍ
فاللهُ يُبقيهِ لنا سيِّدا مُدافعاَ عناَ صروفَ الليالِ
حتى نراهُ قد علا منبرا وفاض في سؤاله بالتوالِ
وسدًّا ثغراً فسكفى شره وقارعَ الأبطالَ تحتَ العوالِ
كما كفانا (١) ذاك آباؤه فيحتدِّي أفعالهم عن مثالِ
فأمرَ له عن كلِّ بيتٍ بألف درهم .

دخل عليُّ بن الخليل على المهديِّ فقال له : يا عليُّ ، أنت على معاقرتك الحجرَ
وشرُّ بك لها ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : كيف ذلك ؟ قال : تُبْتُ منها . قال :
فأين قولك فيها :

أولمت نفسي بلدتها ما ترى عن ذلك إقصارا
وإن قولك :

إذا ما كنتَ شاربها فسرًّا ودع قول المواذلِ واللواحي
قال : هذا شيءٌ قتلته في شبابي يا أمير المؤمنين ، وأنا القائلُ بعد ذلك :

على اللذاتِ والراحِ السلامُ تقضى المهديُّ وانقطع الدمامُ
مضى عهدُ الصِّبا وخرَّجتُ عنه كما من غممه خرج الحسامُ
وقرتُ (٢) على المشيبِ فليس مني وصالُ الغانياتِ ولا المدامُ
وولَّى اللهوُ والقيَماتُ عنِّي كما ولي عن الصُّبحِ الظلامُ
حلبت الدهرَ أشطُرَه فمندی لصرفِ الدهرِ محمودٌ وذامُ

(١) في الأصل (كفتنا) وما أثبتناه عن الأغاني .

(٢) وقر على وزن كرم ووعد : رزن .

دخل علي بن الخليل ذات يومٍ على زائدة بن مَعْنٍ فخادته وناشده ، ثم قال له زائدة : هل لك في الطعام ؟ قال : إذا نَشِطَ الأميرُ ، فأُتِيَ بالطعامِ فأكلا ، ثم قال : هل لك في الشراب ؟ فقال : إن سقيتني [ما أريد شربت] ^(١) وإن سقيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه . فضحك ثم قال : قد عرفتُ الذي تريد ، وأنا أسقيك منه فأُتي شراب عتيق ، فلما شربَ منه ، وطابت نفسه أنشأ يقول :

يا صاحِ قد أنعمتَ إصباحي	فبادر ^(٢) السلسالَ بالراحِ
قد دارتِ الكأسُ برِراقَةٍ	حياةَ أبدانٍ وأرواحِ
تَجْرِي على أعْيِد ذِي رَوْتِ	مُهَذَّبِ الأخلاقِ جَجْجَاحِ
ليس بفحاشٍ على صاحبِ	ولا على الراحِ بِفَضاحِ
تَسْرُهُ الراحُ إذا أقبلتُ	بريحِ أترُجٍ وتَفاحِ
يسمى بها أزهرٌ في قرطقِ	مُقَلَّدِ الجيدِ بأوضاحِ
كأنها الزُّهْرَةُ في كَفِّهِ	أو شُعْلَةُ أو ضوءِ مِصْبَاحِ

كان لعلي بن الخليل صديقٌ من الدهاقين يُعاشِرُهُ ، فغاب عنه غيبةً طويلة ، وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالا فدفعه ، وقويت حاله وادعى أنه من بني تميم ، فجاءه علي بن الخليل فلم يأذن له ولقيته فقال يهجوهُ :

فرشتُ له قريحَ المسـ	كِ والنسرِينِ والعربا
فأمسك أنفه عنها	وقام مؤلِّياً هربا
يُشْمُ الشيوخَ والقيصو	مَ كي يَسْمَوِجِبَ النَّسبا
وقام إليه ساقينا	بكأسِ تَنْظِمِ الحَبِيبا

(١) الزيادة عن الأغاني ١٤ : ١٨٠ .

(٢) في الأغاني : يبادر .

مُمْتَقَةٌ مُرْقَرَةٌ (١) تَسْلَى هَمَّ مِنْ شَرِبَا
 فَآلَى لَا يُسَلِّسِلُهَا وَقَالَ أَصْبَبْ لَنَا حَلْبَا
 وَقَدْ أَبْصَرْتُهُ دَهْرًا طَوِيلًا يَشْتَهَى الْأَدْبَا
 يَرُوحُ بِنِسْبَةِ الْوَلَى وَيُصْبِحُ يَدَّعِي الرَّبَا
 فَلَا هَذَا وَلَا هَذَا كَ يَدْرِكُهُ إِذَا طَلَبَا
 أَتَيْنَاهُ بِشَبُوطٍ (٢) يَرَى فِي ظَهْرِهِ حَدَبَا
 فَقَالَ أَمَا لِي خَلِّكَ (٣) فِي طَعَامٍ يَذْهَبُ السَّغْبَا
 فَصِدِّ لِأَخِيكَ يَرْبُوعًا وَضَبَا وَاتْرَكَ اللَّعْبَا
 فَصَارَ تَشَبَّهًا بِالْقَوِّ مَ جِلْفًا جَافِيًا جَشْبَا (٤)
 إِذَا ذُكِرَ الْبَرِيرُ (٥) بِكَى وَأَبْدَى الشَّوْقَ وَالطَّرْبَا
 وَلَيْسَ ضَمِيرُهُ فِي الْقَوِّ مَ إِلَّا التَّيْنَ وَالْعِنْبَا
 جَحَدْتُ أَبَاكَ نَسْبَتَهُ وَأَرْجُو أَنْ تُفِيدَ أَبَا
 أَرْغَبَ عَنِ بَنِي كَسْرَى وَمَا عَنِ مِثْلِهِمْ رَغْبَا

كان علي بن الخليل جالسا مع ولد المنصور وكان الفتى يهوى جارياة لعقبة مولاة المهدي ، فرمت عقبة في مولاتها ، والجارياة معها فوقفت وسلمت وسالت عن خبره ، فلم يوقها حق الجواب لشغله (٦) بالجارياة فلما انصرف أنشده علي بن الخليل :

(١) مرقرة (أغاني) .

(٢) الشبوط : سمك نهري صغير الرأس عريض الوسط .

(٣) أَمَا لِي خَلِّكَ مِنْ (أغاني) .

(٤) الجشب : الحشن الغليظ .

(٥) في الأصل (الزبير) والتصويب عن الأغاني ، والبرير : ثمر الأراك .

(٦) لشغل قلبه (تجريد) .

راقِبْ بَطْرَفِكَ مِنْ تَخَا فُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْخَلِيلِ
فَإِذَا أَمِنْتَ مَخَافًا^(١) فَعَلَيْكَ بِالنَّظَرِ الْجَمِيلِ
إِنَّ الْعِيُونَ تَدُلُّ بِاللَّ ظَرَ الْمَلِيحِ عَلَى الدَّخِيلِ
إِنَّمَا عَلَى حَبِّ شَدِيدٍ دَ أَوْ عَلَى بُغْضِ أُصَيْلِ

كتب والبة بنُ الحُبابِ يوماً إلى علي بن الخليل يسأله ويسأله ألا يشتغل
بالهاشمي يومه ذلك ويصف له مجلسه وغلاما دعاه وغناه عنده فكتب إليه
علي بن الخليل من أبيات :

أما ولحاظُ جارية تذيبُ حُشاشَةَ المَهْجِ
وسحَر جفونها المضيئ لك بين الفترِ والدَّعَجِ
مليحةُ كلِّ شيءٍ ما خلا من خُلِقَها السَّمْجِ
وحرمةُ دنكِ المزو لٍ والصهباء منه تَجِي
كأن مجيئها في الكأ سِ حين نُصِبَ من ودَجِ
لو انعرج الأنامُ إلى بِشاشَةِ مَجْلِسِ بَهْجِ
وكنت بجانبِ جدبٍ لسانِ إليك مُنْعَرِجِي
وصار إليه في أثرِ الرُقْمَةِ .

(١) لحاظهم (أغاني - تجريد).

أبو الشَّيْبَلِ عِصْمَةُ بْنُ وَهَبِ الْبُرْجُمِيِّ^(١)

هو عِصْمَةُ^(٢) بن وهب من البراجم .

وَلِدٌ بِالْكَوْفَةِ ، وَتَأَدَّبَ بِالْبَصْرَةِ .

وقدم إلى سُرٍّ من رأى أيامَ المتوكل ومدحه .

وكان طبياً نادراً [كثير الغزل]^(٣) ماجنا ، فنفق على^(٤) المتوكل بإيثاره العيث

وحدّثه^(٥) وخصَّ به فأثرى وأفاد .

ولما مدحه بقوله :

أَقْبَلِي فَالْخَيْرُ مُقْبَلٌ وَاتْرَكِي قَوْلَ الْمُعَمَّلِ
وَتَقِي بِالنُّجْحِ إِذَا أَبَ صَرَّتِ وَجْهَ الْمُتَوَكَّلِ
مَلِكٌ يُنْصَفُ يَاظَا لِمَتِي مِنْكَ وَيَمْدِلُ
فَهُوَ الْغَايَةُ وَالْمَأْمُولُ مَوْلٍ يَرْجُوهُ الْمُؤَمَّلُ

أمر له لكل بيتٍ بألفِ درهمٍ ، وكانت ثلاثين بيتاً ، فانصرف بثلاثين ألف درهم .

مدح أبو الشَّيْبَلِ الْبُرْجُمِيُّ مالِكَ بن طَوْقٍ بِمَدْحٍ عَجِيبٍ ، فبعث إليه بَصْرَةَ مَخْتومةٍ

بها مائةُ دينارٍ ، فظنها دراهم فردها وكتبَ معها :

(١) أغاني ١٤ : ١٩٣ . والبرجمي : نسبة إلى البراجم وهي قبيلة من تميم وهو لقب لحسة

بطون : عمرو ، والظالم وقيس وكلفة وغالب بنو حنظلة بن مالك (الباب) .

(٢) عاصم (أغاني) .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٤) عند .

(٥) وخدمه

فَلَيْتَ الَّذِي جَادَتْ [بِهِ] كَفُّ مَالِكٍ وَمَالِكِ مَدَسُوسَانَ فِي اسْتِ أُمَّ مَالِكٍ
 وَكَانَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي اسْتِهَا فَأَيْسَرُ مَفْقُودٍ وَأَهْوَنُ هَالِكٍ
 وَكَانَ [مَالِكِ] ^(١) يَوْمَئِذٍ أَمِيرًا عَلَى الْأَهْوَازِ ، فَلَمَّا قَرَأَ الرِّقْمَةَ أَمَرَ بِإِحْضَارِهِ
 فَأَحْضَرَ فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ظَلَمْتَنَا وَاعْتَدَيْتَ عَلَيْنَا . فَقَالَ : قَدَّرْتُ عِنْدَكَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ،
 فَوَصَلْتَنِي بِمِائَةِ دَرَاهِمٍ فَقَالَ : افْتَحْهَا فَفَتَحَهَا فإِذَا هِيَ مِائَةُ دِينَارٍ . فَقَالَ : أَقْلَنِي
 أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ : قَدْ أَقْلَمْتُكَ وَلَكَ كُلُّ مَا تُحِبُّ أَبَدًا مَا بَقِيْتُ وَقَصَدْتَنِي .

وَقَالَ أَبُو الشَّيْبَلِ الْبُرْجُمِيُّ : كَانَ فِي جِيرَانِي طَبِيبٌ أَحْمَقُ فَمَاتَ فَرَأَيْتُهُ فَقُلْتُ :

قَدْ بَكَاهُ بَوْلُ الْمَرِيضِ بِدَمْعٍ وَكَيْفِ فَوْقَ مُقْلَتَيْهِ ذَرُوفِ
 ثُمَّ شَقَّتْ جُيُوبَهُنَّ الْقَوَارِدِ رُ عَلَيْهِ وَنُحْنُ نَوْحِ اللَّهَيْفِ
 يَا كَسَادَ الْخِيَارِ شَنْبَرَ وَالْأَقْدِ رَاصِ طُرًّا وَيَا كَسَادَ السُّفُوفِ
 كَيْفَ تَمْشِي مَعَ الْقَوَى فَإِنْ جَا ضَعِيفٌ لَمْ تَكْتَرِثْ بِضَعِيفِ
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَنُوفِ رَفَاعَا تِ تَوَلَّتْ مِنْهُ وَعَقْلٌ سَخِيفِ

قَالَ أَبُو الشَّيْبَلِ : لَمَّا عَرَّضَ لِي الشَّعْرُ أَتَيْتُ جَارًا لِي نَحْوِيَا ، وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ ،
 أَظَنُّهُ الْمَازِنِيَّ فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ رَجَلًا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ وَقَدْ جَاشَ صَدْرُهُ بِشَيْءٍ مِنْ
 الشَّعْرِ ، فَفَكَرَهُ أَنْ يَظْهَرَهُ حَتَّى تَسْمَعَهُ ، قَالَ : هَاتِيهِ وَكُنْتُ قَاتٌ شَعْرًا لَيْسَ بِالْجَيِّدِ ،
 إِنَّمَا هُوَ قَوْلٌ مُبْتَدِيٌّ فَأَنْشَدْتَهُ إِيَّاهُ . فَقَالَ : مِنْ الْعَاضِ بَيْظَرُ أُمَّهُ الْقَائِلُ هَذَا ؟ فَقَمْتُ
 خَجَلًا ، وَقُلْتُ لَهُ : أَعْضَاكَ اللَّهُ بَيْظَرِ أُمَّكَ .

كَانَ أَبُو الشَّيْبَلِ إِذَا حَضَرَ مَكَانًا أَضْحَكَكَ انْتَوَاكُلَ بَنُوَادِرِهِ ، قَالَ ابْنُ الْمَرْزُبَانِ :
 فَرَأَيْتَهُ يَوْمًا عِنْدَ أَبِي ، وَقَدْ قَالَ لَهُ : حَدَّثْنَا بِبِمَضِ نَوَادِرِكَ . قَالَ : نَعَمْ زَنَى ابْنِي
 بِبِجَارِيَةِ سِنْدِيَّةٍ لِبَعْضِ جِيرَانِي ، فَجَحَلْتُ وَوَلِدْتُ : وَكَانَتْ قِيَمَةُ الْجَارِيَةِ عَشْرِينَ

دينارا^(١) فقال لي: يا أبتِ ، الصبيُّ ابني ، فساومت به ، فقيل لي: خمسون ديناراً ، فقلت له : ويحك كنتَ أخبرتني الخبرَ وهي حُبيل فأشتريتها بعشرين ديناراً ، وزبح الفضل بين الثمنين ، وأمسكتُ عن المساومة بالصبي حتى اشتريته بما أرادوا ، ثم أحبلها ثانيةً فولدت ابناً آخر فجاء يسألني أن أتباعه . فقلت له : عليك لعنة الله ، أي شيء حمَلَك على أن تُحبلِ هذه ؟ ألا عزَّلتَ عنها ؟ فقال : لا أستحل العزْلَ وأقبل على جماعةٍ يُعجِّبهم مني ويقولون : أبي شيخٌ كبيرٌ يأمرني بالعزْلَ . ويستحله ، فقلت له : يا ابن الزانية تستحلُّ الزنى وتتحرَّج من العزْلَ . فضحكنا منه . وقلنا له : زدنا فقال :

دخلت أنا ومحمودُ الوراقُ إلى حانة يهوديٍّ خمَّارٍ فقلت له أريد بنتَ عشرٍ قد أنضجها الهجير فأخرج لنا شيئاً عجيباً فابتعنا منه وشربنا . فقلت له : اشرب معنا ، فقال : لا أستحلُّ شربَ الخمر . فقال لي محمودُ : ويلك ! رأيتَ أعجبَ مما نحن فيه ؟ يهوديٌّ يتحرَّجُ من شرب الخمرِ ، ونحن نشربها ونحن مسلمون ، فقلت : أجل ، والله لا نفلح أبداً ، ولا يعبأ الله بنا . ثم سكرنا وقتنا في الليل ، فنكنا بنته وامرأته وأخته وسرقنا ثيابَه وخربنا في مغاراتٍ نبيدُ له وانصرفنا .

قال أبو الشَّبلِ البرُّجميُّ : حضرت مجلسَ عُبيدِ اللهِ بن يحيى بن خاقان وكان إلى مُحسنًا وعلى متفضلاً ، فجرى ذكر البرامكةِ ووصفهم الناسُ بالجود وقالوا في كرمهم وجوازهم وصلاتهم فأكثرُوا ، فقامت في وسط المجلس فقلت لعبيد الله : أيها الوزيرُ قد حكمتُ في هذا الخطبِ حُكماً نظمتُه في شعر لا يقدرُ أحدٌ أن يرُدَّه عليَّ ، وإنما جملتهُ شعراً ليُدَوَّنَ ويبقى فيأذنُ الوزيرُ في إنشاده فقال : قل ، فقلت :

رأيتُ عُبيدَ اللهِ أكبرَ سُودداً وأكرمَ من فضلِ بن يحيى وخالدِ
أولئك جادوا والزمانُ مساعدُ وقد جاد ذا والدهرُ غيرُ مساعدِ

(١) في الأصل : درهما والتصويب عن الأغاني والسياق يؤكدُه .

فتهلل وجه عبید الله ، وظهر السرور فيه ، وقال : أفرطت يا أبا الشَّبل ولا هذا كله . فقلت : والله ما حابيتك أيها الوزير ، ولا قلت إلا حقا ، واتَّبعني القومُ في تقريره فما خرجتُ من مجلسه إلا وعلى الخلعُ ونحتي دابةٌ بسرجهما وإجامها ، وبين يدي خمسة آلاف درهم .

كان أبو الشبل بمث بقمينة كانت لهشام النحوي الضرير تدعى خنساء ، وكانت تقول الشعر : فعبثَ بها يوما فأفرطَ فأغضبها فقالت له : ليت شعري بأى شيء تُدلُّ أنت؟ أنا أشمرُ منك ، ولئن شئت لأهجوَنك حتى أفضحك فأقبل عليها وقال :
خنساء قد أفرطتُ علينا وليس منها لنا مُجبر
تاهت بأشارها علينا كأننا ناكها جريرُ
نَحِجَلتُ حتى بان ذلكَ عليها ، وأمستَكتُ عن جوابه .

ومن شعر أبي الشَّبل البرُّجمي :

عذيري من جوارِي الحَيِّ إِذ يَزْهَدَن في وَصْلي ^(١)
رأيتُ الشيبَ قد ألبَدَ سني أبهةَ الكَهْلِ
فأعرضنَ وقد كُنَّ إذا قيل أبو الشَّبلِ
تسارعنَ وقلنَ لَقَد وافي أبو الشَّبلِ ^(٢)

سرقه من قول العتبي ^(٣) :

رأيتُ الغواني الشيبَ لاحَ بمفرقي فأعرضنَ عني بألحدودِ النواضِرِ
وكنَّ إذا أبصرنني أو سمعن بي أتين ^(٤) فرقمَن الكوي بالحاجرِ

(١) يرغب عن وصلي (أغانى) ١٤ : ٢٠٠ .

(٢) تساعين فرقمَن الكوي بالأعين النجل (أغانى) .

(٣) في الأصل من الضبي ، والنقول عن الأغانى .

(٤) سبعين (أغانى) .

عبد الله بن الزبير الأسدي^(١)

عبد الله بن الزبير الأسديُّ ابن الأشيم بن الأعشى بن بَجْرَةَ بن قيس بن مُنْقِذ
ابن طريف بن عمرو بن معن^(٢) بن الحارث بن قعنب بن ثعلبة [بن] دودان^(٣) بن أسد
ابن خزيمة .

شاعرٌ إسلاميٌّ كوفيُّ المنشأ والمنزل من شعراء الدولة الأموية .

وكان من شيعة بني أمية ، وذوى الهوى فيهم ، والتعصب لهم ، والنصرة
على عدوهم ، ثم غلب مصعبُ بن الزبير على الكوفة فأُتِيَ به أسيراً فنَّ عليه ووصله ،
وأحسن إليه ، فمدَّحَه وأكثرَ ، وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل مصعب . ثم عمي
عبدُ الله بن الزبير بمد ذلك ومات في خلافة عبد الملك بن مروان .

وكنيته أبو كثير ، وهو أحد المهجائين للناس ، المرهوبِ شعْرُهُم وهو القاتل
يخاطب نفسه :

فصالت ما فعلت أبا كثيرٍ أصحَّ الودِّ أم أخلفت عهدي

كان قومٌ من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن مُنْقِذ
قتلوا رجلاً من بني الأشيم ، رهطِ عبد الله بن الزبير ، فخرج عبدُ الرحمن بن الحكم ،
وهو إذ ذاك على الكوفة من قبل خاله معاوية بن أبي سفيان وافتدأ إلى معاوية ، ومعه
ابنُ الزبير ورفيقان له من بني أسد ، فقال عبدُ الرحمن لابن الزبير : خذ من بني عمك
دِيتينٍ لقتيلك فأبى ابنُ الزبير فكان عبدُ الرحمن يميلُ إلى هذا القاتل ، فغضب عليه

(١) الأغاني ١٤ / ٢١٧ .

(٢) في الأصل معنى والتصويب عن الجمهرة والأغاني .

(٣) وفي «ب» : ذروان وفي جمهرة الأنساب دودان (١٨٣) .

عبدُ الرحمن ورَدَّه عن الوفد ، من منزل يقال له فيَّاض ، نخالفة ابنُ الزبير الطريقَ إلى يزيد بن معاوية ، فأعاذه وقام بأمره ، وأمره يزيد أن يهجوَ عبد الرحمن ابن أم الحكم ، وكان يزيد يُبَغِّضُهُ فهِجَاهُ بأبيات ، فلما بلغت عبد الرحمن هَدَمَ داره فأتى عبدُ الله معاويةَ فشكاه ، فقال له : كم كانت قيمةُ دارك فاستشهد أسماءُ بن خارجة وقال له : سلَّه عنها ، فقال : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها ولكنَّه بمث إلى البصرة بعشرة آلاف درهمٍ للمساحِ فأمره معاويةُ بمائة ألفِ درهمٍ ، وإنما شهد له أسماءُ بذلك ليرْفِدَه عند معاوية ولم تكن دارُهُ إلا خِصاصَ قَصَبٍ .

حبس عبدُ الرحمن بنُ أبي الحكم عبدَ الله بن الزبير ، وهو أمير الكوفة ، في جنابةٍ وضعها عليه ، وضربه ضرباً مُبرِّحاً بهجائه إياه ، فاستغاث بأسماءَ بن خارجة ، فلم يَزَلْ يُلَطِّفُ في أمره ، ويرضى خصومه ، ويشفعُ إلى عبد الرحمن في أمره حتى خَصَّصَه وأطلقه بشفاعته ، فكساه أسماءُ ، ووصله ، وجعل له ولعياله جراية دائمة من ماله ، فقال فيه قصيدته المشهورة :

الم تر أن الجودَ أرسل فابتغى	حليف صفاء وأتلى لا يزاله ^(١)
تَحَيَّرَ أسماءُ بنَ حصنٍ فبطنت	بفعل العلاء أيمانهُ وشمائلهُ
فلا مَجْدَ إلا مَجْدُ أسماءَ فوقه	ولا جَرَى إلا جَرَى أسماءَ فاضلهُ
وفضلُ أسماءَ بنِ حصنٍ عليهمو	سماحةُ أسماءَ بنِ حصنٍ ونائلهُ
تراه إذا ما جئته متهللاً	كأنك تُعْطِيهِ الذي أنت سائلهُ
ترى الجندَ والأعرابَ يَعْشَوْنَ بابَه	كما وردت ماء الكلاب نواهيلهُ
إذا ما أتوا أبوابَه قال مَرْحَباً	لِجِوِّ البابِ حتى يَقْتُلَ الجوعَ قائلهُ
ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه	لجاد بها فليَتَقَى اللهُ سائلهُ
فأعطاها أسماءُ ألفيَ درهمٍ .	

(١) أغاني : ١٣ : ٣٣ وفي الأصل صفيا ثم بياض (وبمده وأتلى) .

وكان لأسماء بن خارجة ذِكْرٌ قبيحٌ عند الشيعة ، ويعدونه في قتلَةِ الحسينِ ابنِ علي ، رضَى اللهُ عنهما .

خطب المختارُ بن أبي عُبيد يوماً على المنبر فقال : أرى ناراً من السماء تسوقها ريحٌ كلحةٌ سوداء تحرقُ آلَ أسماء ودارَ أسماء .

وكان المختارُ يحتملُ عليه ويُدبِّرُ في قتلِهِ من غير أن يُغضبَ قيساً فتنصُرَهُ ، فبلغ أسماء قولُ المختار فيه . فقال : أو قد سمعَ بي أبو إسحاق

ولا قرار على زَأْرٍ من الأسدِ

فهرب إلى الشام ، وطلبه المختار ففاته ، فأمر بهدم داره ، فلم يُقدِّمَ عليها مَصْرِيٌّ لموضع أسماء وجمالة قدره في قيس ، فتولت ربيعةُ والبنُّ هدمها فقال في ذلك عبد الله ابن الزبير الأسدي :

وقلَّ على ما قد عراها هجودها	تأوب ^(١) عين ابن الزبير شهودها
أحاديثُ والأنباء ينمى بعيدها	أتانى وعرض الشام بيني وبينها
لكبرٌ سمعتُ فسأقتها وعبيدُها	بأن أبا حسان تهديمُ داره
ولا أصبحتُ إلا بشرٌ جدودها	جزت مضرا عنه الجوازي بفعلها
ولا خائفا إن جاء يوماً طريدُها	فأجرهم لا سيِّداً يمنعونه
مجنوسُ القرى في داركم ويهودها	لم تفضبوا تباً لكم إذ سَطَّتْ بكم
مُشيَّدةٌ أبوابها وحديدُها	تركتم أبا حسان تهديمُ داره
تروركُم حُمُرُ المنايا وسودُها	ففي رَجَبٍ أو غُرَّةِ الشهرِ بعده
كتائبُ فيها جبرئيلُ يقودُها	ثمانون ألفاً دينُ عثمانِ دينهم
ففي النارِ سقياها هناك صديدُها	فن عاش منكم عاش عبداً ومن عمت

(١) تأوب (أغانى) وفي الأصل يا قرب .

وقيل إن الذي هدم دار أسماء مصعب بن الزُّبير .

وقيل إن مصعبا لما ولى العراق دخل إليه عبدُ الله بن الزُّبير الأسدي فقال له : إيه

أنت القائل :

إلى رجبٍ أو غرّةِ الشهرِ بعده البيتان

فقال له : أنا القائلُ ذلك . فقال : لو قد رت على ججده لَججَدته قال : فاصنع

ما أنت صانع . فقال : أما إنى لا أصنع إلا خيرا ، أحسن قومك إليك فأحببتهم

وواليتهم ومدحتهم ، وأمر له بجائزة وكسوة وردّه إلى منزله مُكرّما . فكان

ابنُ الزُّبير بعد ذلك يمدحه ، ويدكره . فلما قتل مُصعب بن الزُّبير عميدُ الله

ابن ظبيان اجتمع معه في مجلس وكان ابن الزبير قد أضر فعرّف خبره فاستقبله بوجهه

وقال :

أبا مَطْرٍ شئتُ يمينُ تفرّعت بسيفك رأس ابن الحواريِّ مصعب

فقال له ابنُ ظبيان : كيف النجاة من ذلك ؟ قال : لا نجاة من ذلك ، هيات

سبق السيفُ العَدل .

وكان ابنُ ظبيان بعد قتله مُصعبا لا ينتفع بنفسه في نوم ولا يقظة ، وكان

يَهْوِل^(١) عليه في منامه فلا ينام حتى كَلَّ جسمه^(٢) ونَهَكَ فلم يزل كذلك حتى مات .

دخل عبدُ الله بن الزُّبير الأسدي على عُبيد الله بن زياد وعنده أسماء بنُ خارجة ،

حين قدم ابنُ الزُّبير من الشام ، فلما مثل بين يديه أنشده :

حَنَّتْ قَلُوصِي وَهَنًا بَعْدَ هَدَايَتِهَا فَهَيَّجَتْ مُنْمَرًا صَبَا عَلَى الطَّرَبِ

حَنَّتْ إِلَى خَيْرٍ مِنْ حُثِّ المَطِيّ لَهُ كَالْبَدْرِ بَيْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَالْعُتْبِ

(١) يقال هول عليه بكذا : افزعه به .

(٢) في الأصل ا - ب (يحل حمد) والتصويب عن الأغاني ١٣ : ٣٧ .

تذكَرَتْ بقرَى البلقاء نائلُهُ
والله ما كان بي لولا زيارته
حَنْتُ لترجمنى خَلْفى فقلت لها
لا يحسب الشرَّ جارًا لا يفارقه
من خير بيتٍ عَلِمناه وأكْرَمه
لقد تذكَرته من نازح عَزَب
وأن الألقى أبا حسان من أَرْبِ
أرى (١) أمامك فالتقيه فتى العرب
ولا يعاقبُ عند الحكم بالغضبِ
كانت دماؤهم تشفى من السكِّبِ

قال الأعمش: كانت العرب تقول: إن من أصابه السكِّبُ أو الجنون لم يبرأ إلا أن يُسقى دمَ ملكٍ فيقول: إنه من أولادِ الملوك .

كان عبدُ الله بن الزبير الأسدى صديقاً لعمر بن الزبير بن العوام ، فلما أقامه أخوه ليُقتَصَّ منه بالنخ كلُّ ذى حِقْدٍ وتدسّيسٍ فيه من يَتَقَرَّبُ إلى أخيه ، وكان أخوه لا يَسْأَلُ من ادَّعى عليه شيئاً بينةً ولا يَطْلُبُهُ بِحِجَّةٍ وإنما يقبل قوله ثم يدخله السجن ليُقتَصَّ منه فكانوا يضرّبونه ، والقيح ينضح من ظهره وأكتافه على الأرض والحائط ، لشدّة ما يمرّ به ، وهو على تلك الحال . ثم أمر بأن يرسل عليه الجملان (٢) فكانت تدبُّ عليه تنقبُ لحمه وهو مقيدٌ مفلولٌ يستغيث فلا يُفِث حتى مات على تلك الحال . فدخل الموكِّلُ به على أخيه عبد الله بن الزبير ، وفي يد عبد الله قدحُ لبنٍ يريد أن يتسحَّرَ به ، وهو يبكي ، فقال له : مالك أمات عمرو؟ قال : نعم . قال : أبعدَه اللهُ ، وشرب اللبن . ثم قال : لا تفسلوه ولا تُكفّنوه وادفنوه في مقابر المشركين ، فدفن فيها . فرثاه عبد الله بن الزبير الأسدى ، بهذه الأبيات :

عقدتُم لعمرو عُقْدَةً وغَدَرْتُم
بأبيض كالمصباحٍ في ليلة الدجّن

(١) هذا أمامك (أغانى ١٣ : ٣٤) .

(٢) في الأصل اء ، ب : المقيلان والجملان عن الأغاني .

وَكَبَلَّتْهُ حَوْلًا يَجُودُ بِنَفْسِهِ
فَمَا قَالَ عَمْرُو إِذْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ
مُيَحِّدُ مِنْ لَاقِيَتُ أَنْكَ عَابِدُ
فَلَمْ أَرَ وَفَدَاءً كَانَ لِلْعَدْرِ عَاقِدًا
وَكُنْتَ كَذَاتِ الْفِسْقِ لَمْ تَدْرِ مَا حَوَتْ
جَزَى اللَّهُ عَنِي خَالِدًا شَرًّا مَا جَزَى
قَتَلْتُمْ أَخَاكُمْ بِالسَّيَاطِ سَفَاهَةً
فَلَوْ أَنْكُمْ أَجْهَزْتُمْ إِذْ قَتَلْتُمُو
وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَرَى فِيكَ مَا تَرَى
قَطَعْتَ مِنَ الْأَرْحَامِ مَا كَانَ وَاشِجَاءً
وَأَصْبَحْتَ تَسْعَى قَاصِدًا بِكُتَيْبَةٍ
فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ قَدْ سَدَّنْتَهَا

تَدْوَاهُ بِهِ فِي سَاقِهِ حَقَّقُ اللَّبْنَ
لِضَارِبِهِ حَتَّى قَضَى نَجْبَهُ دَعْنِي
وَصَرَعْتَ قَتَلْتَنِي بَيْنَ زَمْزَمِ وَالرُّكْنِ
كَوَفَدِكَ شِدْوَ غَيْرِ مَوْفٍ وَلَا مُسْنَى
بِخَيْرِ حَالِيهَا أُتَسْرِقُ أُمَّ تَزَنِي
وَعُرْوَةَ شَرًّا مِنْ خَلِيلٍ وَمِنْ خِذْنِ
فِيَالِكَ لِلرَّأْيِ الْمُضِلِّ وَالْأَفْنِ
وَلَكِنْ قَتَلْتُمْ بِالسَّيَاطِ وَبِالسَّجْنِ
بِهِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ مَا دُونَهُ يُغْنِي
عَلَى الْبَغْيِ إِذْ بَمَتِ الْخَافُونَ بِالْأَمْنِ (١)
تُهْدِمُ مَا حَوْلَ الْحَطِيمِ وَلَا تَبْنِي
فَالِدَّمَاءِ الدَّهْرَ مَاعَشْتَ مِنْ حَقْنِ

لَمَّا قَدِمَ الْحِجَاجُ الْكُوفَةَ وَالْيَا صَعِدَ الْمَنْبِرَ نَخَطَبَهُمْ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، يَا أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، وَمَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ ، إِنْ الشَّيْطَانَ قَدْ بَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِكُمْ ، وَدَرَجَ فِي حُجُورِكُمْ ، فَأَنْتُمْ لَهُ خَدِينٌ وَهُوَ لَكُمْ قَرِينٌ . وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا .

ثُمَّ حَثَّهُمْ عَلَى اللَّحَاقِ بِالْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَأَقْسَمَ لَا يَجِدُ مِنْهُمْ أَحَدًا اسْمُهُ فِي جَرِيدَةِ الْمُهَلَّبِ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا قَتَلَهُ .

فَجَاءَهُ عَمِيرُ بْنُ ضَابِيٍّ الْبُرْجَمِيُّ (٢) فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا فَضْلَ فِيَّ وَقَدْ حَرَجَ اسْمِي فِي هَذَا الْبَيْتِ ، وَلِي ابْنٌ شَابٌّ هُوَ أَجْلَدُ مِنِّي ، فَأَقْبَلْهُ بِدِيلَابِي .

(١) على الشبب وابتعت الخفاة بالأمن .

(٢) في ١ ، ب الجرهمي وهو تصحيف .

فقال له الحجاج : انصرف أيها الشيخ فلما ولى قال له عيينة بن سعيد بن العاص :
أيها الأمير ، إن هذا جاء إلى عمان وهو مقتولٌ فرَفَسَه وكَسَرَ ضِلْعًا من أضلعه ،
وجعل يقول : أين تَرَكَتْ ضابئًا يا نعل . وكان عمانُ حَبَسَ أباه ضابئًا فمات في
الحبس . فقال الحجاج : رُدُّوه فرُدَّ . فقال له : أيها الشيخ أطلب اليومَ مني
بديلا ؟ ألا طلبتَ بديلا يوم الدارِ في قتلِ عمان ؟ يا حَرَسِي ، اضرب عُنُقَه ،
فضربَ عُنُقَه .

وسمع الحجاج ضوضاء فقال : ما هذه الضوضاء ؟ قال : هذه البراجمُ جاءت
لتَنْصُرَ عُمَيْرًا . فقال : ارموهم برأسه ، فوَلَّوْا منهزمين إلى بلادهم . وازدَحَمَ الناسُ
على الجسرِ للعبورِ إلى المهلبِ حتى غَرِقَ بعضهم فقال عبد الله بن الزبير الأسدي :

أقول لإبراهيمَ لما لَقِيتهُ أرى الأمرَ أمسى واهيا مُتَشَعِّبًا
تَخَيَّرَ فإما أن تزور ابن ضابئٍ عُمَيْرًا وإما أن تزور المهلبِبا
ها خُطَّتَا خَسَفَ نَجَاؤُكَ منهما ركوبك حَوَليًا من الثلجِ أتمهبا
فأضحى ولو كانت خُرَاسانُ دونه رآها مكانَ السُّوقِ أو هي أقربا

دخل عبد الله بن الزبير الأسدي على مصعب بن الزبير بالكوفة لما ولىها ،
وقدم مدحه ، فاستأذنه في الإنشاد ، فلم يأذن له ، وقال : لِمَ تُسْقِطُ السماءَ علينا ،
وَتَمْنَعُنَا مَطَرَهَا في مديحك لأسماء بن خارجة ؟ وقال لبعض من حضر أنشدنا
فأنشد :

إذا مات ابنُ خارجةَ بنِ حِصْنٍ فلا مَطَرَتْ على الأرضِ السماءُ
ولا رَجَعَ الوفودُ بغيرِ جيشٍ ولا سَمَّات على الطُّهْرِ النساءُ
ليومٍ منك خَيْرٌ من أناسٍ كثيرٍ حَوَ لهم بَقَرٌ وشاءُ
فبُورِكَ في أبيك وفي بنيهِ إذا ذُكِرُوا ونَحْنُ لك الفِداءُ

فالتفت إليه مُصعبٌ وقال : اذهب إلى أسماء ، فما لك عندنا شيء ، فانصرف
وبلغ ذلك أسماءَ فمَوَّضَه حتى أرضاه ، ثم رجع له مُصعبٌ بمد ذلك وأحضره وسمع
مديحه وأحسن إليه .

لما قُتِلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ صَلَبَ الحِجَاجُ جَسَدَهُ ، وبِعثَ برأسِهِ إلى عبدِ الملكِ
فجلس على سريره ، وأذِنَ للناسِ فدخلوا عليه فقام عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ الأَسَدِيُّ ، فاستأذنه
في الإنشاد فقال : قل ، ولا تقل إلا خيراً وتوَخَّ الحَقُّ فيما تقوله . فأنشأ يقول :

مشى ابنُ الزُّبَيْرِ القَهْرِيُّ وتقدَّمتُ أُمِيَّةٌ حَتَّى أحرزوا القَصَبَاتِ
وجئتَ المُجَلِّيُّ^(١) يا ابنَ مروانَ سابقاً أَمَامَ قريشِ تَنفِضِ العذراتِ
فلا [زلت] سباقاً إلى كلِّ غايَةٍ من المجدِ نَجَاءَ من الغمراتِ

فقال له : أحسنت ، سل حاجتك قال له : أنت أعلى عينا بها وأرحب صدراً يا أمير
المؤمنين ، فأمر له بعشرين ألف درهم وكُسوَةٍ ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يُعيدُ
الآيات فقال : لا ، ولكن أبيتك التي قلتها في الحجاج ، فأنشده :

كأني بعبدِ الله يرَ كَبُ رَدَعَهُ وفيه سِنَانٌ زَاعِيٌّ مُحَرَّبٌ^(٢)
وقد فر عنه المَلْحِدُونَ وحَلَقَتْ به وبِئْنَ آسَاءَ عَنقَاءِ مُغْرَبُ
تولَّوْا وخَلَوْهُ فشاَل بشاوه طویل من الأجداعِ عارٍ مُشَدَّبُ
بكَفَى غلامٍ من ثقیفٍ نمت به قريشٌ وذو المجدِ التليدِ مُعَقَّبُ

فقال له عبد الملك : لا تقل « غلام » ولكن قل « همام » وكتب إلى الحجاج
يأمر له بمشرة آلاف درهم أخرى .

(١) في الأصل : المصلى . والمجلى السابق من الخيل ، والعذرات : جمع عذرة وهي الناصية
وقيل الحصلة من الشعر .

(٢) محرب : محدد يقال حرب السنان : حدده .

دخل عبد الله بن الزبير الأسدي على بشر بن مروان ، وعليه ثيابٌ خلعها بشر عليه ، وكان قد بلغ بشراً أنه كرهه نجفاه ، فلما وصل إليه وقف بين يديه ، وجعل يتأمل مَنْ حوله من بني مروان ، ويجعل بَصْرَهُ فِيهِمْ كَالْمُعْجَبِ مِنْ جِوَاهِرِهِمْ وَهَيَاتِهِمْ . فقال له بشر : إن نظرك يا ابن الزبير ليَدُلُّ على أن وراءه قولاً . فقال : نعم أيها الأمير قال : قل فقال :

كأن بني أمية حول بشرٍ نجومٌ وَسَطَهَا قَمَرٌ مِنيرُ
هو الفرعُ المهدبُ (١) من قريشٍ إذا أَخَذَتْ مَأْخِذَهَا الْأُمُورُ
لقد عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَاضِحِي غَنِيَا مِنْ نَوَافِلِهِ الْفَقِيرُ
فَأَنْتَ الْغَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ قَرِيشٌ لَنَا وَالْوَاكِفُ الْجَوْنُ الْغَزِيرُ (٢)
جَبْرَتٌ مَهْمِيضَنَا وَعَدَلَتْ فِيْنَا فَمَاشُ الْبَائِسُ الْكَلُّ الْكَسِيرُ
فَأَمْرُهُ بِخَمْسَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، وَرَضِيَ عَنْهُ .

دخل عبد الله بن الزبير الأسدي على بشر بن مروان [متعريضا له ويسمعه شيئا من شعره] (٣) فقال : أظنك متعريضا لأن أسمع منك ، فهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودك شيئا ؟ لقد نزلت فيه بحرك (٤) يا ابن الزبير . فقال : أصلح الله الأمير ، إن أسماء كان للمديح أهلا ، وكانت له عندي أيادٍ كثيرةٌ ، فكنتُ لمعرفه شاكرًا ، وأيادي الأمير عندي أجلُّ وأكثرُ وأملِي فِيهِ أَعْظَمُ وَإِنْ كَانَ قَوْلِي لَا يَحِيْطُ بِهَا ، ففِي فَضْلِ الْأَمِيرِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ مَا قَبِلَ بِهِ مَيْسُورُهُمْ ، فَإِنْ أُذِنَ لِي بِالْإِنْشَادِ رَجَوْتُ أَنْ أُوَفَّقَ لِلصَّوَابِ ، فقال : هات . فقال :

(١) المقدم (أغاني) .

(٢) الطير (أغاني) .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٤) في الأصل : برحت بخبرك وما ذكرناه عن الأغاني .

تداركني بشرُ بنُ مروان بعدَ ما
 غيأت الضعافِ المرملينَ وعصمةُ الـ
 قريشِ قريشِ والهمامُ الذي له
 يداك بن مروان يد تقتل^(٢) العدى
 إذا أمطرتنا منك يوما سحابةً
 فلازلت يا بشرَ بن مروان سيِّداً
 فأنت المصطفى يا ابن مروان والذي
 فلولا بنو مروان طاشت حلومنا
 فأمر له بجازة وكساء خِلمة . وقال : إني أريد أوفدك على أمير المؤمنين فتهمياً
 لذلك يا ابن الزبير . فقال أنا فاعل أيها الأمير قال : فما ذا تقول إذا وفدت عليه قال
 فارتجل هذه القصيدة وقال :

أقولُ أميرَ المؤمنينَ عصمتنا
 واطفأت عنا نارَ كلِّ منافقٍ
 نمته قروم^(٥) من أميةَ للعلا
 هو القائد^(٦) الميمونُ والعصمةُ التي
 إذا ما سألنا رِفدَه هطلت لنا
 ببشرٍ من الدهرِ الكثيرِ الزلازلِ
 بأبيضٍ بهلول^(٤) طويلِ الحمازلِ
 إذا افتخر الأوقامُ وَسَطَ المحافلِ
 غدا حقها يعلو على كل قائلِ^(٧)
 سحابةً كفيهِ بجودٍ ونائلِ

(١) وبعده : وقيس بن عيلان وخندف كلاهما أقرت وجن الأرض طرا وخابل

(٢) في الأصل : بر يقتك .

(٣) وبعده : يرجون فضل الله عند دعائكم إذا جمعتمكم والحجيج المنازل

(٤) في الأصل مملوك (والتصويب عن الأغاني ١٤ : ٢٥٤) .

(٥) نمته قروم . في الأصل : نمته قوم .

(٦) في الأصل : القائل .

(٧) أتى حقها فينا على كل باطل (أغاني) .

أخوك أمير المؤمنين ومن به نَجَادٌ وَنُسُقٌ صَوَّبَ أَسْحَمَ هَاطِلٍ
حَلِيمٌ عَلَى الْجُهَالِ مِنَّا وَرَحْمَةٌ عَلَى كُلِّ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلٍ
فقال بشر لجلسائه : كيف تسمعون ، هذا والله الشعرُ وهذه القدرة عليه فقال
له حَجَّارُ بْنُ أَبَجَرَ الْعِجَلِيُّ ، وكان من أشرف أهل الكوفة ، وكان عظيمَ المنزلة عند
بشرٍ أصلح الله الأمير هذا أشعرُ الناس وأحضرُهم قولاً إذا أراد . فقال محمد بن عُمَيْرٍ
ابن عَطَّارٍ وكان عدواً لِحَجَّارٍ : أصلح الله الأمير ، إنه لشاعر وأشعر منه الذي
يقول :

لبشر بن مروانٍ على كلِّ حالةٍ من الدهر فضلٌ في الرخاءِ وفي الجَهْدِ
قريبُ قريشٍ والذي باع ماله ليكسبَ حمداً حين لا أحدٌ يُجْدِي
يُنافسُ بشرٌ في السباحةِ والندى ليحزِرَ غاياتِ المكارمِ بالحمدِ
فقال بشرٌ من يقول هذا ؟ قال : الفرزدق ، وكان بشرٌ مُغضَباً عليه . فقال :
ابعث فأحضره . فقال : هو غائب في البصرة ، وإنما قال هذه الأبيات وبعث بها إلى
لأنشدَ كها لترضى عنه وقال بشرٌ : هيهات لست أرضى عنه حتى يأتيني ، وكتب
محمد بن عمير بن عطارد إلى الفرزدق أن يأتيه ، فهدياً للقدوم على بشرٍ ثم بلغه أن
البصرة قد جُمعت له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومه . فقال عبد الله بن الزبير
لحمد بن عطارد في مجلسه ذلك بحضرةِ بشر بن عمير :

بني دارمِ هل تعرفون محمداً بدعوتِهِ فيكم إذا الأمرُ حَقَّقاً
وساميتُم قوماً كراماً بمجدِكُم وجاء سَكَيْتاً^(١) آخر القومِ مُخَفِّفاً
فأصلك دَهْمَانُ بْنُ نَصْرِ فَرْدَمٍ وَلَا تَكُ وَغَدَاً فِي تَمِيمٍ مُعَلِّقاً
فإن تيميا لست منهم ولا لهم أَخَا يَا ابْنَ دَهْمَانَ فَلَا تَكُ أَحْمَقاً

(١) السكيت : آخر خيل الحلبة .

فلولا أبو مروان لاقيتَ وابلا
 من السَّوْطِ يُنْسِيكَ الرِّحِيقَ الْمُعْتَقَا
 أَجِينَ عَلاكَ الشَّيْبُ أَصْبَحْتَ عَاهِرَا
 وَقَلْتَ اسْقِنِي الصَّهْبَاءَ صِرْفَا مُرَوَّقَا
 تَرَكْتَ شَرَابَ الْمَسْلَمِينَ وَدِينَهُمْ
 وَصَاحِبَتَ عَبْدًا مِنْ فَرَارَةِ أَرْزَقَا
 تَيْتَانِ فِي شَرَبِ الْمَدَامَةِ كَالَّذِي
 أُتِيحَ لَهُ حَيْلٌ فَأَضْحَى مَخْنَقَا
 فَقَالَ لَهُ بَشْرٌ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَمْسَكْتَ . فَقَالَ : أَفْعَلُ ، أَصَلَحَكَ اللَّهُ
 وَاللَّهِ لَوْلَا مَكَانُكَ لَأَفْقَدْتُ خُصِيَّتَيْهِ بِالْحَقِّ ، وَكَفَّ ابْنَ الزَّبِيرِ ، وَأَحْسَنَ بَشْرٌ جَائِزَتَهُ
 وَكَسَوْتَهُ ، وَشَمِتَ حِجَارَ بْنَ أَبَجَرَ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَمِيرٍ ، وَأَقْبَلَ بَنُو أَسَدٍ عَلَى ابْنِ الزَّبِيرِ
 فَقَالُوا : عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ تُشْمِتُ حِجَارًا بِمُحَمَّدٍ ! ؟ وَاللَّهِ لَا نَرْضَى عَنْكَ حَتَّى تَهْجُوهُ
 هَجَاءَ يَرْضَى بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيرٍ عَنْكَ أَوْ لَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ أَشْعَرُ الْعَرَبِ ؟ قَالَ :
 بَلَى ، وَلَكِنْ مُحَمَّدًا ظَلَمَنِي وَتَعَرَّضَ لِي ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَحْلِمِ عَنْهُ إِذْ فَعَلَ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ
 بَنُو أَسَدٍ حَتَّى هَجَا حِجَارًا فَقَالَ :

سَلِيلَ النَّصَارَى سُدَّتْ عِجْلًا وَلَمْ تَكُنْ
 لَدُنْكَ أَهْلًا أَنْ تَسُودَ بَنِي عَجَلٍ
 وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَنَا سَاءَ (١) فَسُدَّتْهُمْ
 وَمِثْلُكَ مِنْ سَادِ اللَّثَامِ بَلَا عَقْلٍ
 فَكَيْفَ بِعِجْلٍ إِنْ دَنَا الْفِصْحُ وَاعْتَدَتْ
 عَلَيْكَ بَنُو عِجْلٍ وَمَرَجَلُكُمْ يَغْلِي
 وَعِنْدَكَ قَيْسُ النَّصَارَى وَصَلْبُهَا
 وَعَانِيَةُ صَهْبَاءُ مِثْلُ جَنَى النَّحْلِ

فَبَلَغَ حِجَارًا قَوْلَهُ ، فَشَكَاهُ إِلَى بَشْرٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَهْجَوْتَ حِجَارًا ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ
 مَا هَجَوْتُهُ وَلَقَدْ كَذَبَ عَلَيَّ ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي عَجَلٍ ، فَتَهَدَّوهُ بِالْقَتْلِ فَقَالَ :

تَهَدَّدَنِي عِجْلٌ وَمَا خَلَّتْ أُنْيُ
 خَلَاةَ لِعَجَلٍ وَالصَّلِيبُ لَهَا بَعْلُ
 وَمَا خِلْتَنِي وَالدهرُ فِيهِ عَجَائِبُ
 أَعْمَرُ حَتَّى قَدِ تَهَدَّدَنِي عِجْلُ
 وَتَوَعَّدَنِي بِالْقَتْلِ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ
 وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْعَزِّ فَرْعٌ وَلَا أَصْلُ

(١) لثاما (أغانى) .

وَعَجَلٌ أَسْوَدٌ فِي الرَّخَا وَثِمَالِبُ إِذَا التَّقَتِ الْأَبْطَالُ وَاخْتَلَفَ النَّبَلُ
فَإِنْ تَلَقْنَا عَجَلٌ هُنَاكَ فَهَلْ لَنَا وَلَا لِهَمُّو مَلْجَأٌ وَلَا بَعْلُ

وكان الزبير بن الأشيم ، أبو عبد الله بن الزبير ، شاعراً . وهو القائل :

أَلَا يَا قَوْمِي لِلرَّقَادِ الْمُرَقِّ وَلِلرَّبْعِ بَعْدَ الْغَبِطَةِ الْمُتَفَرِّقِ
وَهُمْ الْفَتَى بِالْأَمْرِ مِنْ دُونِ نَيْلِهِ

ويومٍ بِصَحْرَاءِ الْبَيْدِينَ قَلْتَهُ

وَذَلِكَ عَيْشٌ قَدْ مَضَى كَانَ بَعْدَهُ

وَعَيْرٌ مَا اسْتَنْكَرَتْ يَا أُمَّ مَالِكِ

فِرَاقٌ حَبِيبٍ أَوْ تَغْيَرٌ حَالَةٍ

عَلَى أَنْي جَلْدٌ صَبُورٌ مُرْزَا

وأما ابنه الزبير بن عبد الله بن الزبير الأسدي فهو الذي يقول يمدح عيينة بن

أسماء بن خزيمة الفزاري :

قَالَتِ عُمَيْمَةُ مَوْهِنَا

هَلْ يَبْلُغَنَّ بِكَ الْمُعْنَى

بَدْرٌ لَهُ الشِّيمُ الْكِرَا

أَيْنَ اعْتَرَاكَ الْهَمُّ أَيْنَهُ

مَا كُنْتَ تَأْمَلُ فِي عُمَيْمِنَهُ

عَمَّ كَامَلَاتٌ فَاعْتَلَمِنَهُ

وهو القائل في بعض بني عمه :

وَمَوْلَى كِدَاءِ الْبَطْنِ أَوْ فَوْقَ دَائِهِ

تَرَبَّصْتُ^(٢) أَرْجُو أَنْ يَتُوبَ وَيَرْعَى

يَزِيدُ مَوَالِي الصِّدْقِ خَيْرًا وَيَنْقُصُ

بِهِ الْحُكْمُ حَتَّى اسْتَيْأَسَ الْمُتَرَبِّصُ

(١) تفرق العظم : تأكل ما عليه كله .

(٢) تلومت (أغاني) .

أتى عبد الله بن الزبير الأسدي إبراهيم بن الأستر النخعي فقال له : إني قد امتدحتك بأبيات ، فاسمها ، فقال : إني لست أعطى الشعراء شيئاً قال : اسمها منى ، ثم ترى رأيك قال : هات إذا فأنشده :

اللهُ أعطاك المهابةَ والتقَى وأحلَّ بيتك في العديدِ الأكثرِ
وأفرَّ عينك يومَ وقعةِ خازر والخيلُ تَمُتُّ بالقنا المتكسِّرِ
إني مَدَحْتُكَ إذ نَبَأَ بيَ منْزِلِي وذَمَّمْتُ إِخْوَانَ النَّدَى من مَعْشَرِ
وعرفتُ أنك لا تُخَيِّبُ مِدْحَتِي ومتى أكن بسبيلِ خيرِ أشكر^(١)
فهلُمَّ نحوى من يمينك نَفْحَةً إن الزمانَ ألحَّ يا ابن الأسترِ

فقال : كم ترجو أن أعطيك ؟ فقال ألف درهم ، أصلح بها أمرَ نفسي وعلالي ، فأمر له بمشرين ألف درهم .

(١) في الأصل جاءت غير واضحة هكذا (ومنى التي تسل ... لتشكر) والتصويب عن الأغاني

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت (١)

ذَكَرْتُ نَسَبَهُ فِي تَرْجُمَةِ أَبِيهِ .

كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَدْ شَبَّ بِرَمْلَةَ بِنْتِ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ :

رَمْلُ هَلْ تَذَكِّرِينَ يَوْمَ عَمْرَأَكِ إِذْ قَطَعْنَا مَسِيرَنَا بِالْتَّمَنِيِّ
إِذْ تَقُولِينَ عَمْرَأَكَ اللَّهُ هَلْ شَيْءٌ وَإِنْ جَلَّ سَوْفَ يُسَلِّمُكَ عَنِّي
أَمْ هَلْ أَطْمَعْتُ فَيْكَ يَا ابْنَ حَسَّانَ كَمَا قَدْ أَرَأَكَ أُطْمِعْتَ مِنِّي

فبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ فَغَضِبَ ، وَدَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَلَا تَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْعَلِجِ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ يَتَهَكَّمُ بِأَعْرَاضِنَا ، وَيُشَبِّبُ بِنِسَائِنَا ،
قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ ، وَأَنْشَدَهُ مَا قَالَ : فَقَالَ مَعَاوِيَةُ :
لَيْسَتْ الْعَقُوبَةُ مِنْ أَحَدٍ أَقْبَحَ مِنْهَا مِنْ دُونَ الْقُدْرَةِ ، وَلَكِنْ إِمهَلْ حَتَّى يَبْقُدَ وَفَدُ
الْأَنْصَارِ ، ثُمَّ أَذْكَرْتَنِي بِهِ ، فَلَمَّا قَدِمُوا ذَكَرَهُ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، قَالَ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ
يُبَلِّغُنِي أَنَّكَ شَبَبْتَ بِرَمْلَةَ بِنْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : بَلَى وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا
شَرَفَ شِعْرِي أَشْرَفَ مِنْهَا لَدَّكَرْتُهُ قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ أُخْتِهَا هِنْدُ ؟ قَالَ : وَإِنْ
لَهَا لِأَخْتَانِهَا هِنْدُ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : وَإِنَّمَا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ أَنْ يُشَبِّبَ بِهَا أَيْضًا ،
فِيكَذِّبَ نَفْسَهُ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ وَبَلَغَ النَّاسَ قَالُوا : قَدْ كُنَّا نَرَى أَنَّ تَشْبِيبَ ابْنِ
حَسَّانٍ بِابْنَةِ مَعَاوِيَةَ إِشْيٌ فَإِذَا ذَلِكَ الشَّيْءُ عَنْ رَأْيِ مَعَاوِيَةَ وَأَقْرَبِهِ وَعَلِمَ مَنْ كَانَ
يَعْرِفُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ لَيْسَتْ لَهَا بِنْتُ أُخْرَى وَأَنَّهُ خَدَعَهُ لِشَبِّبَ بِهَا ، وَلَا أَصْلَ لِهَذَا
فِيَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ كَذَبَ عَلَى الْأُولَى لِمَا ذَكَرَ الثَّانِيَةَ . وَلَمْ يَرِضْ يَزِيدُ بِمَا كَانَ
مِنْ ذَلِكَ مِنْ مَعَاوِيَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ جَعْفَلٍ . فَقَالَ : أَهَجِ الْأَنْصَارَ . فَقَالَ :

أرأيتي أنت إلى الشُّرك؟ أهجو قوما نصرُوا رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم ،
 وآووه وصدَّقوه ، لا أفعل ، ولكن أدُّلك على الشاعر الكافر ، قال : ومن ؟
 قال : الأخطلُ . قال : فدعاه وقال : اهجُ الأنصار . قال : أفرقُ من أميرِ المؤمنين .
 قال : لا تخف شيئاً أنا لك بذلك فهجَّاهم فقال :

وإذا نَسَبْتَ ابنَ الفَرِيمةِ خَلتَهُ	كالجَحشِ بينِ حِمارةٍ وحمارِ
لعنَ الإلهُ من اليهودِ عصابةً	بالجُرُوعِ بينِ صُلَيْصِلٍ وضرارِ
قومٌ إذا هَدَرَ العَصيرَ رأيتهم	حُمراً عيونهم من المَسْطارِ ^(١)
خَلُّوا المكارمَ تَسْتَمِرَّ من أهلها	وخُدُوا مساحِيبكم بني النَّجَّارِ
إن الفوارسَ يعرفون ظُهُورَكم	أولاد كل مَقْبِجِ أَكَّارِ
ذهبت قريشٌ بالمكارمِ كلَّها	واللُّؤمُ تحتَ عمامِ الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمان بن بشير ، فدخل على معاوية ، وحسر رأسه وقال : يا أمير
 المؤمنين أرى لؤمًا ؟ قال : لا بل أرى كرمًا وخيرًا . قال : زعم الأخطل أن اللؤم
 تحت عمامنا . قال : أو فعل ؟ قال : نعم ، قال لك لسانه ، وكتب أن يُوتَى به .
 فلما أتى به قال للرسول : أدخِلْني على يزيدِ أولاً ، فأدخله عليه ، فقال : هذا الذي
 كنتُ أخافُ قال : لا تخف شيئاً ودخل على معاوية فقال عَلَامَ أرسلتَ إلى هذا الرَّجُلِ
 الذي يمدحنا ويرمي وراءَ حوزتنا . قال : إنه هجا الأنصار . قال ومن زعمَ ذلك
 قال : النعمان بن بشير قال : لا تقبل قولَه عليه ، وهو يدعي نَفْسِه ، ولكن تدعوه
 بالبَيْتَةِ ، فإن ثبتَ شيءٌ لا أخذتَه به ، فدعاه بالبَيْتَةِ فلم يأت بها . نَحْلَاهُ .

وقيل : إن معاوية قال للأنصار لما استمدَّوهُ عليه ، لكم لسانه إلا أن يكون
 ابني يزيدُ قد أجاره ، ودس إلى يزيدِ إني قد قُلْتُ اليومَ كَيْتَ وكَيْتَ فأجره فأجاره .

(١) المسطار : الحفرة الصارعة لشاربها . أول عصير الخمر قبل طبعه .

ولما شَبَّ عبدُ الرحمنِ بأختِ معاويةَ غضبَ يزيدُ فقال : يا أميرَ المؤمنينِ اقتُلْ
عبدَ الرحمنِ بنِ حسان ، فإنه شَبَّ بِمَمَّتِي قال : وما قال ؟ قال :

طالَ لَيْلِي وبِتُّ كالحزونِ ومَلَّتُ الثَّوَاءَ في جَيْرُونِ^(١)

قال : وما علينا من طُولِ لَيْلِهِ ؟ قال : فإنه يقول :

فَلذالكِ^(٢) اغْتَرَبْتُ بِالشَّامِ حَتَّى ظَنَّ أَهْلِي مُرَجَّمَاتِ الظَّنُونِ

فقال معاوية : وما علينا مِنْ ظَنِّ أَهْلِهِ ؟ قال : فإنه يقول :

هِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةِ العَوَاصِ مُيِّزَتْ مِنْ جَوْهَرِهِ مَكْنُونِ

قال معاوية : صدقَ يا بُنِي . قال . فإنه يقول :

وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سِنَاءِ مِنَ المَكَارِمِ دُونِ

قال معاوية : صدقَ يا بُنِي فإنها كذلك . قال : فإنه يقول :

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا^(٣) إِلَى القَبَّةِ الخَضِ رَاءَ تَمَشِي فِي مَرَمَرٍ مَسْنُونِ

خَاصَرْتُهَا : أَخَذْتُ بِخَصْرِهَا وَأَخَذْتُ بِخَصْرِي . قال : لا وَلَا كُلُّ هَذَا يَا بُنِي

وَضَحِكُ . ثُمَّ قَالَ : أَنشَدَنِي مَا قَالَ أَيْضًا فَأَنشَدَهُ :

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلِ ضَرَبُوهَا^(٤) عِنْدَ حَدِّ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ

عَنْ يَسَارِي إِذَا مَا دَخَلْتُ مِنَ البَا ب وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي^(٥)

تَجَمَّلُ النَّدَى وَالْأَلُوءَةُ^(٦) وَالْعَوِ دَ صَلَاةٍ^(٧) لَهَا عَنِ الكَانُونِ

(١) روى البيت في الأغاني ٣ : ١٨٨ :

صاح حيا الإله حيا ودورا

(٢) فبتلك (أمالى) .

(٣) ماشيتها (أمالى) .

(٤) ضربتها (أمالى ٣ : ١٨٨) .

(٥) دخلت إلى الدا ر ... فيميني

(٦) الألوة ، العود الذي يتغير به ،

(٧) الصلاة والصلى : النار أو العظيم منها . وقودها تجعل المسك والينجوج والندد ... د

(أمالى) .

وقبابٌ قد أُسْرِجَتْ وبيوتٌ نُضِدَّتْ بالريحان والزَّرْجُونِ (١)
فقال: يابني ليس يجبُ القتلُ في مثل هذا والمعقوبةُ دون القتلِ تُفْرِيه ، ولكننا
نَكْفُهُ بالصَّلَةِ والتجاوز عنه .

كان عبدُ الرحمن قد تهاجى هو وعبدُ الرحمن بنُ الحكم بن أبي العاص . والسببُ
في ذلك أن عبدَ الرحمن كان خليلاً له مخالطاً . فقيل لعبدِ الرحمن بنِ الحَكَمِ : إن
ابنَ حَسانٍ يَحْلِفُكَ على فراشِكَ في أهْلِكَ ، فراسَل امرأَةَ ابنِ حَسانٍ فأخْبَرَتْ بِذلك
زَوْجها ، وقالت : ارسل إلىّ إني أُحِبُّكَ حُبًّا أراه قاتِلِي ، فأرسل ابنُ حَسانٍ إلى
امرأةِ ابنِ الحَكَمِ ، وكانت تواصلُهُ وقال للرسولِ إليها : قل لها : إن امرأتِي تزورُ
أهلها فزوريني حتى نخلو ساعةً فزارته ، ففعدَ معها ، ثم قال لها : قد جاءتُ
امرأتِي ، فأَدْخَلها بيتنا إلى جَنبهِ وأمرَ امرأته ، فأرسلت إلى عبدِ الرحمن بنِ الحَكَمِ
إنَّكَ ذكرتَ حَبِّكَ لِي ، وقد وقع ذلك في قلبي ، وإن ابنَ حَسانٍ قد خَرَجَ اليوم إلى
ضَيْمَتِهِ ، فهلِم . فتهيأَ ثم أقْبَلَ ، فإنه لقاعدٌ معها إذ قالت : قد جاء زوجي . فادخل
هذا البيتَ فإنه لا يَشْعُرُ بِكَ ، فأَدْخَلته البيتَ الذي فيه امرأته فلما رآها تيقنَ
بالشر ، ووقع الشرُّ بينهما ، وهما كلٌّ واحدٌ صاحبه .

وقيل : سبب التهاجى بينهما أنهما خرَّجا إلى صيدِ بَكْلابٍ لهما في إمارة مروان فقال
ابن الحَكَمِ :

ازْجُرْ كَلابِكَ إِنْها قَلْطِيَّةٌ (٢) تُقْعِي ومثْلُ كَلابِكَمْ لَمْ تَصْطَدْ

فرد عليه ابن حسان :

مَنْ كانَ يَأْكُلُ مِنْ فَرِيصَةِ صَيْدِهِ فَالْتَمِرْ (٣) يَغْنِينا عَنِ الْمُتَصَيْدِ

(١) الزرجون قضبان السكر - الواحدة زرجونة ، صنع أحر والخمر .

(٢) القلطى : الرجل الحبيث المارد . والقلاط : القصير جدا من الناس والكلاب والسنائير .

(٣) في الأصل فالتم والتصويب عن الأغاني .

إنا أناس رَيِّقُونَ وإنكم ككلابكم في الوَلْعِ والمُتَرَدِّدِ
حُرْنَا كهُو للضَّبِّ تَحْتَرِشُونَهُ والرَّيْفُ يَمْنَعُكُمْ بكل مَهْنَدِ
ثم رجعا إلى المدينة ، فكانا يتمازنان الشعر ، فقال عبد الرحمن بن الحكم :
ومِثْلُ أُمَّكَ أُمُّ العَبْدِ قَدْ ضَرَبَتْ عِنْدِي وَلِي بِنِغَائِي مِزْهَرِ خَدَمِ
وأنت عند ذُنَابِهَا تَعَاوِدُهَا غَلَى القُدُورِ تَحْسِي خَاثِرِ السُّبْرِمِ
فَنَقَضَهَا ابن حسان عليه فقال :

يا أيها الرَّاكِبُ المُرْجِي مَطِيَّتَهُ إِذَاعَرَضَتْ فَسَائِلٌ عَنِ بِنِي الحَكَمِ
القائِلِينَ إِذَا لاقُوا عَدُوَّهُمُ فِرُّوا وَكُرُّوا عَلى النِّسْوانِ والنَّمَمِ
كم من أمين نصيح الحب قال لكم أَلَا نَهَيْتُمْ أَخَاكُم يابنِي الحَكَمِ
عن رَجُلٍ لا بغيض في عَشيرتِهِ ولا ذليلٍ قَصرِ الباعِ مُهْتَضَمِ
وقال ابن حسان فيه أيضاً :

صار العزيرُ ذليلاً والذليلُ له عِزٌّ وصار فروعُ الناسِ أذنانا
إني للمُتَمَسِّسِ حَتَّى يَبِينَ لَكُمْ فيكم متى كُنْتُمْ لِلنَّاسِ أَرْبابا
فارْقُوا عَلى ظُلْمِكُمْ ثم انظروا وسلوا عَنَّا وَعَنْكُمْ قَدِيمَ العِلْمِ أَنسابا
فسوف يضحك أو يعتاده ذِكْرُهُ يا بُؤْسَ لِلسُّدْهِرِ لِلإِنسانِ رِبابا

كتب معاويةُ إلى سعيد بن العاص ، وهو عاملُه على المدينة ، أن يضربَ كلَّ واحد من ابن حسان وعبد الرحمن بن الحكم مائة سَوْطٍ . وكان ابن حسان صديقا لسعيد ، وما مدح أحداً قطُّ غيرَه فَكْرِهِ أن يضربَه أو يضرب ابن عمه ، فأمسك عنهما ، ثم وَلَّى مروانُ فلما قدم المدينة ضرب ابن حسان مائة سوط ، ولم يضرب أخاه ، فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام وكان أثيرا عند معاوية مكينا :

ليت شعري أغائبُ أنتَ^(١) بالشا
 إنه إن يكن^(٢) فقد يرجع الغا
 إن عمراً وعامراً أبويننا
 إنهم مانسوك أم قلة الكنا
 أم جفلاً أم أعوزتكَ القرايد
 يوم أنبئت أن ساقِ رُضت
 ثم قالوا إن ابن عمك في بد
 فتلاط الأرحام والود والصح
 إنما الرمح فاعلمن قنائة
 م خليلي أم راقدُ نَمَانُ
 ثبُ يوماً وبوقظُ الوَسْنَانُ
 وحراما قدما على العهد كانوا
 ب أم أنت عاتبُ غضبانُ
 س أم أمرى به عليك هوان
 وأنا كم بذلك الرُكبانُ
 وى أمور يأتي بها الحدثانُ
 به فيما أنت به الأزمانُ
 أو كبض العيدان لولا السنانُ

وهي طويلة ، فدخل النعمان على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إنك أمرت سمعيدا أن يضرب ابن حسان مائة سوط وابن الحكم مائة سوط ، فلم يفعل . ثم كتب إلى مروان بذلك^(٣) ، فضرب ابن حسان مائة ولم يضرب أخاه . قال : فتريدُ ماذا ؟ قال : أن تكتب إليه بمثل ما كتبت إلى سمعيد . فكتب إلى مروان ، وعزم عليه أن يضرب أخاه مائة وبعث إلى ابن حسان بجملة . فلما ورد الكتاب على مروان بعث إلى ابن حسان أنا مثل والدك وما كان مني إليك إلا على سبيل التأديب لك ، واعتذر إليه . فقال ابن حسان : ما بدا له في ذلك إلا لشيء قد جاء . وأبى أن يقبل منه . فأبلغ الرسول ذلك مروان فوجه إليه بالحلّة فرمى بها في الحشّ فقيل له : حلّة أمير المؤمنين ترمى بها في الحشّ ؟ فقال : نعم ، ما أصنع بها ؟ وجاءه قومه

(١) في الأصل ا - ب (ليس) .

(٢) أية ما تسكن (أغاني) ٤ : ١١٥ .

(٣) ثم وليت مروان ١٥ : ١١٦ .

فأخبروه الخبر . فقال : قد عرفتُ أنه لم يفعل ما فعل إلا لأمر قد حدث . فقال الرسول لمروان : ما تصنع بهذا؟ قد أبى أن يَغفُو ، فهلم أَحْضِرْ أَخَاكَ ، فبعث مروان إلى الأنصار وطلب إليهم أن يطلبوا إليه أن يَضْرِبَهُ خمسين ، فإنه ضعيف ، فطلبوا إليه ، فأجابهم فأخرجه فضربه خمسين ، فلقى ابن حسان بعض من كان لا يَهْوَى ما ترك من ذلك . فقال له : يضربُكَ مائةٌ ويضربه خمسين !! بئس ما صنعت إذ وَهَبْتَهَا له . فقال : إنه عَبْدٌ ، وإنما ضربته ما يُضْرَبُ العبد ، وهو نصفُ ما يضربُ الحرَّ ، فَحُمِلَ هذا الكلامُ حتى شاع في المدينة ، وبلغ ابنَ الحَكَمِ فشقَّ ذلك عليه . وأنى أخاه مروان فأخبره الخبر ، وقال : فضَحَّتْني لا حاجة لي فيما تَرَكَتْ فَهَلُمَّ فَاقْتَصِّ . فضرب ابنَ الحَكَمِ خمسين سوطاً أخرى . فقال عبدالرحمن ابن حسان يهجو ابن الحَكَمِ :

دع ذا وعدَّ قريضَ شعرك في امرئ	يَهْدِي وَيُنْشِدُ شِعْرَهُ كالفاجر
عثمانُ عمُّكمو ولستم مثله	وبنو أميَّة منكمو كالآمير
وبنو أبيه سخيفةٌ أحلامهم	فُحِشُ النفوسِ على الجليسِ الزائرِ
أحياءهم عارٌ على أمواتهم	والميتون مَسَبَّةٌ للفارِ
هل ^(١) ينظرون إذا مددت إليهمو	نظَرَ التيوسِ إلى سيفادِ الجادرِ ^(٢)
خزر العيون مُنْكَسو أذقانهم	نظَرَ الذليلِ إلى العزيزِ القاهرِ

ثم إن أبا واسع أحدَ بني الأشعر ، من بني أسد بن خزيمه ، هجا ابنَ حسان وعيَّره بضربِ ابنِ المُعْطَلِّ أباه حساناً على رأسه ، وعيَّره بأكل الخصى فقال :

إن ابنَ المُعْطَلِّ من سُلَيْمٍ أَذَلَّ قيادَ رأسِكَ بِالْحَطَامِ^(٣)

(١) هم (أغانى) ٢٥ : ١١٧ .

(٢) الجادر الحسن السمين وفي الأغاني لى سفار الجازر ١١٧/١٥ .

(٣) في الأصل : إذا يقتاد رأسك بالخطام .

عدت إلى الخصى فأكلت منها لقد أخطأت فأكهة الطعام
وما للنجار حين يحل فيكم لديكم يا بني النجار حامى
فلما عمّ بنى النجار بالهجاء ولا ذنب لهم دعوا الله عليه ، فخرج من المدينة
يريد أهله ، فمرض له أسد فقصّ قرضه . فقال ابن حسان فى ذلك :

أبلغ بنى الأشعث إن جئتهم ما بال أبناء بنى واسع
والليث يملوه بأنبياه منعقراً فى دمه النافع
إذ تركوه وهو يدعوهم بالنسب الدانى وبالشاسع
لا يرفع الرحمن مصروعكم ولا يؤهى قوة الصارع
فقالت له امرأته : ما دعا أحد قبلك للأسد بختيار قط ، قال : ولا نصر أحد
الأسد كما نصرنى قط .

كان الأخطل ومسكين الدارمى صديقين لابن الحكم فاستعان بهما على
ابن حسان ، فهجاه الأخطل ، وقال مسكين : ما كنت لأهجو أحداً ، واعتذر إليه ،
وكتب مسكين إلى عبد الرحمن بقصيدته اللامية ، يدعوهُ إلى المنافرة والمفاخرة ،
فكتب إليه عبد الرحمن :

ألا إن الشباب ثياب لبس وما الأموال إلا كالظلال
فإن يبّل الشباب فكل شيء سمعت به سوى الرحمن بال
أتانى عنك يا مسكين قول بدلت النصف فيه غير آل
دعوت إلى التنازل غير قحّم ولا غمر يطيل لدى النضال
وهى أطول من قصيدة مسكين ، ثم انقطع التنازل بينهما .

عامر أبو الطفيل (١)

هو عامرُ بن وائلةَ بن عبد الله بن عمير بن جابر بن حميس بن جدى بن سعد (٢)
ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة .

له صحبةٌ بسيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه ، وعمرٌ بعده عمراً
طويلاً .

وكان مع أمير المؤمنين ، عليّ بن أبي طالب ، رضى الله عنه . وروى عنه أيضاً ،
وكان من وجوه شيعته ، وله منه محلٌّ خاص ، يُستغنى بشهرته عن ذكره .

وخرج طالبا بدم الحسين ، رضوان الله عليه ، مع المختار بن أبي عبيد ، حتى قُتِلَ
المختارُ ، وأفلتَ هو وعمرٌ بعد ذلك .

روى أبو الطفيل قال : سمعت عليا ، رضى الله عنه ، يخطب . فقال : سلوني
قبل أن تفقدوني . فقام إليه ابن الكواء فقال : ما الذارياتُ ذرواً ؟ فقال : الرياح
فقال : فالحاملاتُ وقرأ ؟ قال : السحابُ ، قال : فالجارياتُ يسراً ؟ قال : السفنُ قال :
فالقسياتُ أمراً ؟ قال : الملائكةُ .

قال : فمن الذين بدلوا نعمةَ الله كُفراً ؟ قال : الأفجرانِ من قريش ! بنو
أمية ، وبنو مخزوم .

قال : فما كان ذوالقرنينِ ؟ أنبيأ أم ملكاً ؟ قال : كان عبداً مؤمناً أو قال : صالحاً
أحبَّ الله وأحبه الله ، ضربَ ضربةً على قرنه الأيمن فمات ، ثم بُمِتَ فضربَ ضربةً
على قرنه الأيسر فمات . وفيكم مثله . لما استقام الأمر للمعاوية لم يكن شئٌ أحبَّ إليه من لقاء

(١) الأغاني : ١٤ : ١٤٧ .

(٢) في الأصل ابن سعيد . وكذلك في ب .

أبي الطفيل ، فلم يزل يكاتبه ويكطف له حتى أتاه ، فلما قدم عليه جعل يسأله عن أمر الجاهلية فدخل عمرئو بن العاص وقرمه فقال له معاوية : أما تعرفون هذا ؟ قالوا : لا قال : هذا فارس صفيين وشاعرهما ، هذا خليل أبي الحسن . ثم قال : يا أبا الطفيل ، ما بلغ من حبك لعمى ؟ قال : حبُّ أم موسى موسى . قال : فما بلغ من بكائك عليه ، قال : بكاء العجوز الثكلى والشيخ الفقود ، وإلى الله عز وجل أشكو والتقصير . فقال معاوية : لكن أصحابي هؤلاء لو كانوا سُئِلوا عنى ما قالوا ما قلت في صاحبك . قالوا : إذاً والله لا نقول الباطل ، فقال معاوية : لا والله ولا الحق تقولون .

ثم قال معاوية هذه الذى يقول :

إلى رجب السبعين تعترفونى^(١) مع السيف فى حواء جمَّ عديدها

ثم قال : أنشدنا هذه الأبيات يا أبا الطفيل ، فأنشده :

رَجَوف كَمَتْنِ الطَّوْدِ فِيهَا مَعَاشِرُ	كَمَلْبِ السَّبَاعِ نُزْرُهَا وَأَسْوَدُهَا
كَهَوْلٍ وَشَبَانٍ وَسَادَاتُ مَعَشِيرِ	عَلَى الْخَيْلِ فُرْسَانٌ قَلِيلٌ صُدُودُهَا
كَأَنَّ شِعَاعَ الشَّمْسِ تَحْتَ لَوَائِهَا	إِذَا طَلَعَتْ أَعْشَى الْعَيُونِ حَدِيدُهَا
شِعَارَهُمْ سِيَا النَّبِيِّ وَرَايَةُ	بِهَا اتَّقَمَ الرَّحْمَنُ مِمَّنْ يَكِيدُهَا
تَخَطَّفَكُمْ أَبَاؤُهُمْ وَعَبِيدُهُمْ	تَكْطِفُ ضَوَارِي الطَّيْرِ طَيْرًا تَصِيدُهَا

فقال معاوية جلسائه : اعرفتموه ؟ قالوا : نعم ، هذا أفض شاعر وألم جليس ،

فقال معاوية : يا أبا الطفيل ، أنعرفهم ؟ قال ما أعرفهم بخير ، وما أبعدهم من شر .

وقام خزعة الأسدى فأجابهم^(٢) فقال :

إلى رجبٍ أو غرة الشهرِ بـمـدّه
تُصَبِّحُكُمْ حَمْرُ النَّمَايَا وَسُودُهَا

(١) فى الأصل (لا يعرفونى) وما أثبتناه عن الأغاني ١٥ / ١٤٩ .

(٢) (فى ١ - ب) وفى الأغاني : فأجابه .

ثمانون ألفاً دين عثمان دينهم كتائبُ فيها جبرئيلُ يقودها
فمن عاش فيكم عاش عبداً ومن يموت ففي النارِ سُقياءَ هناك صديدها
لما رجع محمد بن الحنفية من الشام حبسه ابن الزبير في سجن عارم ، فخرج إليه
جيش من الكوفة ، عليهم أبو الطفيل ، فكسروا السجن وأخرجوه ، فكتب
ابن الزبير إلى أخيه مصعب أن يسير نساء كل من خرج لذلك . فأخرج مصعب
نساءهم ، وفيهن أم الطفيل امرأة أبي الطفيل ، وابناً له صغيراً ، يقال له يحيى . فقال
أبو الطفيل في ذلك :

فإن يك سيرها مصعب فأني إلى مصعب مُذنبُ
أفود الكتيبة مُستلماً كأني أخسو عرّة أُجربُ
على دلاصٍ تخيرتها وفي الكف ذوروثقٍ مقضبُ
شعرتُ عليهم مع الشعراء ن ناراً إذا خمدتُ تقبُ
فلو أن يحيى به قوة فيعدو مع القوم أو يركبُ
ولكن يحيى كفرخ العقا ب في الوكرٍ مُستصعبُ أزغبُ

وقال أبو الطفيل لم يبق من الشيعة غيري ثم يقول :

وخلفتُ سهماً في الكنانة واحداً سيرى بكم أو يكسر السهم كاسره
وكان أبو الطفيل مع المختار في القصر ، فرمى بنفسه قبل أن يؤخذ . وقال :
ولما رأيت الباب قد حيل دونه تكسرتُ باسم الله فيمن تكسرا
دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير ، وهو يومئذ بمكة ، فقال : أصبحتُ
كما قال الشاعر :

فإن تصبك من الأيام جأحةً لم أبك منها على دنيا ولا دين
قال ولم ذلك يا أعرج ؟ قال عبد الله بن عباس يُفقه الناس وأخوه عبيد الله

يُطعم الناس ، فما أبقياً لك ؟ فأحفظه ذلك ، وأرسل صاحبَ شُرطته عبدَ الله ابنَ مُطيع ، فقال : انطلق إلى ابن عباس وإلى أخيه ، فقل لهما أعمدتما^(١) إلى راية ترابية قد وضعها الله فنصبتهما ؟ بدداً عني جمعكما ومن ضوى إليكما من ضلال أهل العراق وإلا فعلت وفعلت. فقال له ابن عباس : قل لابن الزبير يقول لك ابن عباس : نكلك أمك ، والله ما يأتينا من الناس غير رجلين ، طالبُ فقه أو طالبُ فضل فأى هذين تمنع ، فأنشأ عند ذلك أبو الطفيل يقول :

لا درّ درّ الليالي كيف تُضحِكنا	منها خطوبٌ أعاجيبٌ وتُبَكِّينَا
ومثل ما تُحدِثُ الأيامُ من غيرِ	يا ابنَ الزُّبيرِ عن الدنيا تُسَلِّينَا
كنا نجيءُ ابنَ عباسٍ فيقبِسُنَا ^(٢)	علمًا ويُكسِبُنَا أجراً ويَهْدِينَا
ولا يزالُ عبيدُ الله مُترَعَةً	جفانُهُ مُطعمًا ضيفًا ومِسْكِينَا
فالبِرُّ والدينُ والدنيا بدارِهما	ننالُ منها الذي نَبغِي إذا شِينَا
إن النبي هو الذي كُشِفَتْ	به عماياتُ باقينَا وماضِينَا
ورهُطُهُ عصمةٌ في ديننا ولهم	فضلٌ علينا وحقٌّ واجبٌ فينا
ولست فاعله ^(٣) أدنى منهما رحِمَا	يا ابنَ الزبيرِ ولا أوَّلَى به دينَا
فقيمَ تَمَنِّهِمُ عَنَا وَتَمَنَّمُنَا	منهم وتوَدِّهِمُ فينا وتوَدِّينَا
إن يُؤتَى الله من أجرى يبغضهمو	في الدينِ عزًّا ولا في الأرضِ تَمَكِينَا

ومن شعر أبي الطفيل يرثى ابنه ، ودعى إلى ولية فسمع قينة تغنيها فبكى حتى

كاد يموت :

(١) في الأصل : أعدتما إلى راية ابن أبيه ... بدراعتي جمعكما ومن صوني اللباب من أهل

صلائل العراق وقال له فعلت وفعلت ، والتصويب عن الأغاني ١٥ : ١٥٢ .

(٢) ١ ، ب وفي الأغاني فيقبسنا .

(٣) في الأصل فاعلم وهذه عن الأغاني .

خَلَى عَلِيَّ طَفِيلُ الْهَمِّ فَانْشَعَبَا وَابْنِي سُمَيْمَةَ لَا أُنْسَاهَا أَبَدًا
وَهَدَّ ذَلِكَ رُكْنِي هَدًى عَجَبًا فَاثْمُكَ عِزَاءُكَ إِنْ رُزِيَ بُلَيْتَ بِهِ
فِي مَن نَسَيْتُ وَكُلُّهُ كَانَ لِي وَصَبَا وَلَيْسَ يُشْفِي حَزِينًا مِنْ تَدَكُّرِهِ
فَلَنْ يَرُدَّ بِكَاءِ الْمَرْءِ مَا ذَهَبَا فَإِنْ سَلَكْتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكُهَا
إِلَّا الْبِكَاءُ إِذَا مَانَحَ وَأَنْتَحَبَا فَمَا لِبَطْنِكَ ^(١) مِنْ رِيٍّ وَلَا شَبَعِ
وَلَا مَحَالَةَ أَنْ يَأْتِيَ الَّذِي كَتَبَا وَلَا ظَلَمْتَ بِيَأَقِي الْعَيْشَ مَرْتَقِبَا

بيننا فتية من قريش ببطن محسر ، يتذاكرون الأحاديث ، ويتناشدون الأشعار ، إذ أقبل طويس ، وعليه قوهي وجبرة قد ارتدى بها وهو يخظر في مشيته ، فسلم وجلس ، فقال له القوم : يا أبا عبد النعميم أوتغنيننا ؟ قال : نعم ، وكرامة ، أغنيكم بشعر شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من شيمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، وصاحب رايته ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان سيد قومه وشاعرهم . قالوا : ومن ذلك يا أبا عبد النعميم ؟ فذتك أنفسنا . قال : ذلك أبو الطفيل ، عامر بن وائلة ، ثم غناهم :

أَتَدْعُونِي شَيْخًا وَقَدْ عَشْتُ حِقْبَةً وَهَنْ مِنَ الْأَزْوَاجِ نَحْوِي نَوَازِعُ
وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ تَتَابَعَتْ عَلِيٌّ وَلَكِنْ شَيْبَتْنِي الْوَقَائِعُ
فَطَرِبَ الْقَوْمَ ، وَقَالُوا : مَا سَمِعْنَا قَطُّ بِأَحْسَنَ مِنْ هَذَا .

عمرو بن معديكرب الزبيدي^(١)

هو عمرو بن معديكرب بن عبد الله .

ويقال : معديكرب بن ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عَصَم بن عمرو بن زُبَيْد ، وهو مُنْبَه بن سَلْمَة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك ، وهو مَذْحِجُ بن أدد بن زيد بن يَشْجُب بن يَعْرُب^(٢) بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان .
وكنيته أبو ثور .

وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرم^(٣) ، وهي معدودة من المُنجِبات .

وهو فارس اليمَن ، مقدم على زيد الخليل في الشدة والبأس .

وكان يقال لعمرو : مائِقُ زبيد ، وكان لا يُدعى في الخِلْفَة ، فبلغهم أن ختمهم تريدهم ، فتأهب لهم ، وجمع معديكرب بن زبيد ، فدخل عمرو على أخته فقال : لو أشبعني أبي غداً كَفَيْتُهُ ختمهم ، فجاء معديكرب ، فأخبرته ابنته بذلك . فقال : هذا المائق يقول ذلك ؟ قالت : نعم . قال : فسليه ما يُشبعه قال : فسألته فقال : فرق من ذُرَّةٍ وعناق^(٤) رباعية قال : وكان الفرق يومئذ ثلاثة أصوع ، فصنع له ذلك ، وذبح له العنز ، وهياً له الطعام ، فجلس عليه ، وأكله جميعاً ، وأنتهم ختمهم في الصباح ، فلقوهم وجاء عمرو فرمى بنفسه ، ثم رفع رأسه ، فإذا لواء أبيه قائمٌ

(١) أغاني ١٥ : ٢٠٨ - تجريد مهذب ١ / ٦٢ ط ١٦٤٨ .

(٢) عريب أغاني وتجريد .

(٣) في الأصل : (حترم) وما أئبتهاه عن الأغاني .

(٤) العناق الأئبي من أولاد المنز .

فوضع رأسه ، ثم رفعه ، فإذا لواء أبيه قد زال ، فقام كأنه سرحةٌ مُحَرَّفةٌ فتلقى
أباه وقد انهزم ، فقال : انزل عنها ، فقال : إليك اليوم يا مائقُ فقال له : بنو زيد
خله ، أيها الرجل ، وما يريدُ فإن قُتِلَ كُفِيتَ مؤنته وإن ظَهَرَ فهو لك ، فألقى
إليه سلاحه فركب ، ثم رمى بنفسه في خشم ، حتى خرج من بين ظهرانيهم ، ثم كر
عليهم ، وفعل ذلك مراراً ، وحملت عليهم بنو زيد ، فانهزمت خشم ، وقهروا فقيل
له يومئذ : فارسُ زيد .

وكان عمروٌ قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ، وهو ابن أخته ، حين انتهى
إليهم أمرُ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد
ذُكرَ لنا أن رجلاً من قريشٍ يقال له محمدٌ قد خرج بالحجاز ، يقال إنه نبي ،
فانطلق بنا حتى نعلم علمه وبادر فروة بن مُسيك لا يُعَابِكَ على الأمر . فأبى قيسٌ
ذلك وسفّه رأيه وعصاه ، فركب عمروٌ متوجهاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :
خالفتني يا قيس .

وقال عمرو في ذلك :

أمرتُك يومَ ذى صنعا ءَ امرأً بيننا رَشَدُهُ
أمرتُك باتقاء اللّٰه ه تَأْتِيهِ وَتَعْتَمِدُهُ (١)
وكنْتَ كذى الحَمِيرِ غَرُّ رَه من عيرِهِ وتده

ولما قدم عمرو ، في وفد مذحج ، مع فروة بن مُسيك المرادي ، على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأسلموا ، وبث فروة على صدقاتٍ من أسلم منهم ، وقال له :
ادعُ الناسَ وتألّفهم فإذا وجدت الغفلةَ فاتّهبها (٢) وانزُ ، ولم يكن فروة دخل

(١) تتعمده (أغانى ٢١٠/١٥) .

(٢) فاهتلبها (أغانى) .

في الإسلام مُفارقاً للملوك كندة ، مبعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان قبل الإسلام وَقْعَةً بين مراد وهَمْدان أصابت فيها همدانُ من مرادٍ حتى أثنوهم في يوم ، يقال له يوم الرِّزْمِ^(١) وكان الذي قاد همدانَ إلى مراد الأجدعُ بن مالك الشاعر الهمداني أبو مسروق بن الأجدع ففضَّحهم يومئذ . وفي ذلك يقول فروة :

فإن نَعَلِبُ فغلابون قَدِما وإن نُهَزَمَ فغَيْرُ مَهَزِّمينا

فلما توجه فروة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول :

لما رأيتُ ملوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ كالرَّجُلِ خان الرَّجُلِ عرقُ نساءِها
يمعتُ راحلتى أمامَ محمدٍ أرجو فواضِلَها وحسنَ ثرائِها

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما انتهى إليه : هل شانك ما أصاب قومك يوم الرِّزْمِ ؟ فقال : يا رسول الله من ذا الذي يصيبُ قومَه ما أصاب قومي ولا يسوؤه ؟ فقال : أما إن ذلك لم يَزِدْ قومَكَ في الإسلامِ إلَّا خيراً ، واستعمله على مراد وزبيد ومذحج كلها .

ثم لم يلبث عمرو بن معديكرب أن ارتد عن الإسلام وقال :

وجَدْنَا مُلْكَ فِروَةَ شرَّ مُلْكِ حمارٍ سافٍ مِنخَرَه بِقَدْرِ
وإنَّكَ لو رأيتَ أبا عُمَيْرٍ ملأتَ يديكَ من غَدْرِ وخَثْرِ

فلما ارتد عمرو مع الذين ارتدوا من مذحج استعجاش^(٢) فروة عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجه إليهم خالد بن سعيد بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وقال لهما : إن اجتمعتم فعلىَّ بن أبي طالب أميرُكم ، وهو على الناس ، ووجه علياً رضي الله عنه بكتيبة من أرض اليمن فاقتلوا فقتلوا بعضهم ونجا بعضٌ فلم تزل جرمُ وزبيدُ وأدُدُ

(١) كانت في الأصل : الرُّومُ والتصويب عن الأغاني ومراسد الاطلاع

(٢) يقال استعجاش : طلب المدد والجيش وجمعه عليهم .

بنو سعد المشيرة بعدها قليلةً ففي هذا الوجه وقعت الصمصامةُ إلى آل سعيد ، وكان سببُ وقوعها إليهم أن ریحانة بنتَ معديكرب سُبِيتَ يومئذ ، ففداها خالدٌ ، فأثابه عمروُ الصمصامةَ فصارت إلى سعيد بن العاص^(١) ، ووُجدَ سعيدٌ جريحاً يوم حُصِرَ عثمانُ وقد ذهب السيفُ والغمدُ ثم وُجدَ الغمدُ . فلما قام معاوية جاء أعرابي بالسيفِ بغيرِ غمدٍ وسعيد حاضر فقال سعيد : هذا سيفي ، فحجَّده الأعرابي . فقال سعيد : الدليلُ على أنه سيفي أن تَبَعَتْ إلى غمده^(٢) فتُغمِدُه فيه فيكون كنفائه . فبعث معاوية إلى الغمدِ فأُتِيَ به من منزل سعيد ، فإذا هو عليه . فأقر الأعرابي أنه أصابه يوم الدار ، فأخذه سعيد منه ، فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدئُ من البصرة . فلما كان بواسطة بعث إلى بني^(٣) سعيد فيه ، فأعطاهم خمسين ألف درهم ، وأخذه . وكان بنو سعيد قالوا : إنه في السبيلِ^(٤) فقال : خمسون سيفاً قاطماً أعنى من سيفٍ واحدٍ وأعطاهم خمسين ألفاً^(٥) .

ولما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غزاة تبوك يريد المدينة أدركه عمرو ابن معديكرب ، في رجال من بني زبيد ، فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسك عنه ، حتى يؤذَنَ له فخلَّى سبيله . فلما تقدم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسير قال : حياك إلهك ، أبيت الاعمى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لعنةَ الله والملائكة والناسِ أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، فأمن بالله يؤمِّنك يوم الفرع الأكبر . فقال عمرو : وما الفرع الأكبر ؟

(١) في الأصل : إلى آل سعيد والتصويب عن الأغاني .

(٢) في الأصل : يبعث إلى غمدى فيغمد وفي التجريد أنه يحضر غمده فيغمد فيه (١٦٤٩) .

(٣) آل (تجريد) .

(٤) للسبيل (التجريد) ومعناها : المعتمد والأيد والفخر .

(٥) خمسين ألف درهم (تجريد) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه فزَعٌ ليس كما تحسب وتظن ، إنه يصاح بالناس صيحة لا يبقى مَيِّتٌ إلا نُشِرَ ثم تَلِجُ تلك الأرضُ بدويِّ تَنَهَّدَ منه الأرضُ، وتَخِرُّ الجبالُ ، وتَنَشَقُّ السماءُ في عرضها انشقاقَ القُبُطِيَّةِ الجديدة ، ما شاء الله من ذلك ، ثم تبرز النار ، فتنظر إليها حمراء مظلمة قد صار لها لسانٌ في السماء يرمي بمثل رءوسِ الجبالِ من شرر النار ، ولا يبقى ذو رُوحٍ إلا انخلع قلبه وذَكَرَ ذَنْبَهُ .
فأين أنت يا عمرو ؟ قال : إنني أسمع أمراً عظيماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو أَسْلِمَ تَسَلَّمَ ، فأَسْلَمَ وبَايَعَ لقومِهِ عن الإسلام ، وذلك عند مُنْصَرَفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك . وكانت في رجب سنة تسع ، وكان عمرُ ابن الخطاب رضى الله عنه ، إذا نظر إلى عمرو قال : الحمد لله الذى خَلَقَنَا وخلقَ عمرًا تَعْجَبًا من خَلْقِهِ .

قال بعض الرواة : رأيت عمرو بن معديكرب في خلافة معاوية شيخاً عظيماً أعظمَ ما يكونُ من الرجال ، أجشُّ الصوتِ إذا التفتَ التفتَ بجميعِ جَسَدِهِ . وهذا خطأ لأنه مات في آخر خلافة عمر بن الخطاب ودفن برودة وهي بين قم والرى .
وقيل إنه قتل في وقعة بها في موضع يعرف بفندِ سِجَان^(١) ودفن بها هو والنعمان بن مقرن .

وقيل إنه أدرك خلافة عثمان ومات بالفالج .

قال الشعبي : وفرض عمرُ رضى الله عنه ، لعمر بن معديكرب في ألفين فقال : يا أمير المؤمنين ، ألفٌ هنا - وأوماً إلى شِقِّ بَطْنِهِ الأيمن - وألفٌ هنا - وأوماً إلى شِقِّ بَطْنِهِ الأيسر - فما يكون ههنا - وأوماً إلى وَسَطِ بَطْنِهِ - فضحك عمر رضى الله عنه ، وزاده خمسمائة .

(١) فندِ سِجَان قرية من قرى نهاوند (مراسد) وكانت تقرأ في الأصل هكذا (بعمد سِجَان) .

مهملة النقط - وهى في الأغاني ٢١٣/١٥ قيد يشجان .

قال عمرو بن معديكرب : لو سرت بظعينة وحدى على مياه مَعَدٍ كُلِّهَا^(١)
ما خفت أن أُغَلَبَ عليها ، ما لم يَلْقَنِي حُرَّاهَا وَعَبْدَاهَا :
أما الحُرَّانُ فعامر بن الطفيل وَعُتَيْبَةُ^(٢) بن الحارث .
وأما عَبْدَاهَا فَأسودُ بنى عَبْسٍ وأسودُ بنى سعد - يعنى عنسرةَ والسُّلَيْكِ
ابن السُّلَيْكَةِ - وكلهم قد لَقِيت .

فأما عامر فسريع الطعنِ على الصَّعْبِ .
وأما عُتَيْبَةُ^(٢) فأولُ الخليلِ إذا غَارَتْ وَاخْرُهَا إذا أَتَتْ .
وأما عنسرة فقليلُ الفَبْوَةِ شديدُ السُّكَلَبِ .
وأما السُّلَيْكِ فبعيدُ الغارةِ كالليث الضارى .

قالوا : فما تقول فى العباسِ بنِ مرداسِ ؟ قال : أقول فيه كما قال فى :
إذا مات عمرو قُلتُ للخليلِ اوْطَئُوا زُبَيْدًا فقد أودى بنَجْدَها عمرو
وقام مفضبا ، وعلم أنهم أرادوا توبيخه بعباس .

كتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص : إني قد مَدَدْتُكَ بِأبْنِ رَجُلٍ : عمرو بن
معديكرب وطليحة^(٣) بن خويلد الأسدى فشاورها فى الحرب ، ولا تُولِّها شيئا .
وشهد عمرو بن معديكرب القادسيةَ وهو ابن مائةٍ وستِّ سنين ، وقيل مائة
وعشر .

ورماه رجلٌ فى القتالِ بسهم ، فوقع فى كَتِفِهِ ، وكان عليه درع حَصِينَةٌ
فلم يَنْفُذْ ، وحملَ على المِلْحِ فماتته فسقط إلى الأرض ، فقتله عمرو وسكَّبه ، ورجع
بِسُلْبِهِ وهو يقول :

(١) العرب كلها (تجريد) .

(٢) كانت فى الأصل عينية والنصوب عن الأغاني .

(٣) فى الأصل طلحة والنصوب عن الأغاني ١٤ : ٢٧ .

أنا أبو ثورٍ وسيفي ذو النونِ أضربهم ضربَ غلامِ مجنونِ

يا زبيد إنهم يموتون

وكان الفارس عليه سوارا ذهبٍ ومِظْطَعةُ ذهبٍ وقبابة ديباجٍ .

وقال عمرو أيضاً :

ألم بسلمى قبل أن تظعننا إن لنا من حُبها ديدنا

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطرَ الفارسَ إلا أنا

شككتُ بالرمحِ حيازيمه والحيلُ تعدو زيمًا بيننا

ولما قتلَ الملحَ عَبْرَ نَهْرِ القادسية ، هو وقيس بن مكشوح المرادي ، ومالك بن

الحارث الأشر (١) وكانت فرسُ عمرو ضعيفةً فطلبَ غيرها فأتى بفرس فأخذ بعكوة (٢)

ذنبه وضرب به الأرض فأقمى الفرس فرده وأنى بأخر ففعل به ذلك فتحلحل ولم

يقع ، فقال : هذا على كل حال أقوى من ذلك وقال لأصحابه : إني حاملٌ وعابرٌ

الجسر ، فإن أسرعتم بمقدار جَزْرٍ جَزورٍ وجدتموني وسيفي في يدي أقاتل به تلقاء

وجهي ، وقد عقرَ بي القوم ، وأنا قائمٌ [بينهم] وقد قتلتُ وجردتُ وإن أبطأتم

وجدتموني قتيلاً بينهم وقد جُرِّدتُ [ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم : يا بني

زبيد تدعون صاحبكم والله ما زرى أن تدر كوه حيا فحملوا فانتهاوا إليه وقد صُرِعَ عن

فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وإن الفارس ليضربُ الفرس

فما تقدر أن تتحرك من يده فلما غشيناها رمى الأعمى بنفسه وحلَّ فرسه فركبه عمرو

وقال : أنا أبو ثور كدتُم والله تفقدوني . قالوا : أين فرسك؟ قال : رُمي بنُشابة فشب

فصرعني وعار [(٣)] .

(١) في الأصل (وطلب الحرب الأشر) وما أثبتناه عن الأغاني .

(٢) العكوة بفتح العين وضمتها : أصل ذنب الدابة حيث عرى من الشعر .

(٣) عار يعير : ذهب كأنه منفلت .

[عن الشعبي قال : جاءت زيادة من عند عمر بعد القادسية فقال عمرو بن معد يكرب لطليحة : أما ترى أن هذه الزعانف تزد ولا تزد؟ انطلق بنا إلى هذا الرجل]^(١) نكلمه قال : هيهات والله لا ألقاه في هذا أبدا ، فقد لقيني في بعض فجاج مكة ، فقال : يا طليحة ، أفتلت عكاشة ؟ فتوعدني وعيدا ظننت أنه قاتلي ولا آمنه . فقال عمرو : لكنني ألقاه . فقال : أنت وذلك . فخرج إلى المدينة ، فقدم على عمر وهو يُغدّي الناس ، وقد جفن لعشرة عشرة ، فإذا أكلوا جلس عشرة ، فأقعدَه عمرُ مع عشرة ، فأكلوا ونهضوا ، ولم يَقم عمرو فأقعدَ معه تكملة عشرة ، فأكلوا ونهضوا ، فلم يَقم عمرو ، فأقعدَ معه تكملة عشرة ، حتى أكل مع ثلاثين ، ثم قام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لي مآكل في الجاهلية ، فنعني منها الإسلام ، وقد ضربتُ في بطني ضربتين وتركتهما هواء فسُدَّه . فقال له : عليك بحجارة من حجارة الحرّة فسُدَّ بها . يا عمرو بلغني أنك تقول : إن لي سيفا يقال له الصمصامة وعندى سيفٌ يقال له المصمم وإني إن وضعته بين أذنك لم أرفعه حتى يخالط شراسيفك^(٢) .

وكان عمرو مع هذا الحبل مشهورا بالكذب . كان الأشراف يخرجون بالكوفة إلى ظاهرها يتحدثون ويتذاكرون أيام الناس ، ويتناشدون الأشعار ، فوقف عمرو إلى جنب خالد بن الصقعب النهدي فأقبل عليه يُحدّثه ويقول : أغرتُ علي بن زبد ، فخرجوا إلى مُستَرَعين^(٣) وخالد بن الصقعب يقدمهم فطمعته طعنة فوقع وضربته

(١) بياض في الأصل : وما بين القوسين عن الأغاني : ٢١٧/١٥ .

(٢) الشرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن والجمع شراسيف - وفي الأغاني :

أضراسك مكان هذه الكلمة .

(٣) الاسترعاف : السبق والتقدم .

بالصمصامة حتى فاظ وسَلَبْتُهُ سلاحه وفرسه . فقال له رجل : يا أبا ثور إن مقتولك الذي تذكره هو الذي تُحَدِّثُهُ . فقال : اللهم غَفْرًا ، إنما أنت مُحَدِّثٌ فاسمع فإنما تتحدثُ بمثل هذا وأشباهه لئُرْهب هذه المعدية .

كان عمرو قد حمل حمالة ، فأتى مجاشع بن مسعود فقال : أسألك حِمْلانَ مثلي وسلاحَ مثلي ، فأمر له بعشرين ألف درهم وفرسٍ جوادٍ عتيقٍ وسيفٍ صارمٍ وجارية نفيسة ، ومر ببنى حَنْظَلَةَ فقالوا له : يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك ؟ فقال : لله بنو مجاشع ، ما أشدَّ في الحرب لقاءها ، وأجزل في الأزمات عطاها ، وأحسن في المكرمات بناها ، لقد قابلتها فما أُجِبْتُها ، وسألتها فما بَخِلْتُها ، وهاجيتها فما أُنْحَمْتُها .

جاء رجل إلى الكِنَاسَةِ^(١) فرأى عمرو بن معديكرب واقفا على فرس ، فقال : لَأَنْظُرُ ما بقي من قوة أبي ثور ، فأدخل يده تحت^(٢) ساقه وبين السرج ، ففطن له عمرو ، وضمها عليه ، وحَرَكَ فرسه ، فجعل الرجل يمدو مع الفرس ، لا يقدر أن ينزع يده ، حتى إذا بلغ منه قال له : يا ابن أخي مالك ؟ قال : يمدى تحت ساقك تخلِّي عنه ، وقال : يا ابن أخي إن في عمك بَقِيَّةً بَعْدَ .

حدث من شهد موت عمرو بن معديكرب ، قال : كانت مغازي العرب إذ ذاك الرِّمَىَّ وَدَسْتَبِي^(٣) فخرج عمرو مع شباب من مَدْحِجٍ حتى نزل الخان الذي دون روضة ، فتغدى القوم ، ثم ناموا ، وقام كل واحد منهم لقضاء الحاجة ، وكان عمرو إذا أراد حاجة لم يجترئ أحد أن يدعوه ، وإن أبطأ . فقام الناسُ للرحيل فرحلوا

(١) الكِنَاسَةُ بالضم : محلة بالكوفة مشهورة (مراسد) .

(٢) بين ساقه ١٥ : ٢٢٢ .

(٣) كورة كبيرة كانت مشتركة بين الرى وهمدان فقسمت كورتين . وهذه هي كورة همدان

التي أفردت لها تشتمل على تسعين قرية وتسمى قرية منها دستي همدان (مراسد) .

إلا من كان في الخان الذي فيه عمرو ، فلما أبطأ حِصْنًا به : ياعمرو ، فلم يجبنا وسمعنا
عَلَزًا شديدًا ومِرَاسًا ، في الموضع الذي دخله ، ونَفَسًا عاليًا ، فدخلناه فإذا به مُحْمَرَةٌ
عيناه مائل شِقَّهُ مفلوج ، فحملناه على فرس ، وأمرنا غلامًا شديد الذراع فارتدّفه ،
ليَمْدَلَ مَيْلَهُ فمات برؤذة ودُفِنَ على قارعةِ الطريقِ . وقالت امرأته الجمفِيَّةُ (١) ترثيه :

لقد غادر الركب الذين تَحَمَّلُوا برؤذة شخصًا لا ضعیفًا ولا عُمرًا (٢)
فقل لزيبيدٍ بل لمدحجٍ كلُّها فقدتُم أبا نُورٍ سِنَانِكُمْ عَمْرًا
فإن تجزعوها لا يُغْنِ ذلك عنكم ولكن سلوا الرحمن يُعَقِّبِكُمْ أَجْرًا
وقال عمرو بن معديكرب في أخته رِيحَانَةَ لما سبها الصَّمَّةُ بن بَكْرٍ ، وكان

أغار على بنى زبيد في قيس ، فاستاق أموالهم ، وسبي رِيحَانَةَ ، وانهزمت زبيد من
بين يديه ، وتبعه عمرو وأخوه عبدالله بن معديكرب ، وهو يناشده أن يُخَلِّيَ عنها له ،
فلم يفعل ، فلما يئس منها ولَّى وهى تناديه بأعلى صوتها : ياعمرأه ، فلم يقدر على انتزاعها
فقال :

أمن رِيحَانَةَ الداعي السميعُ يُورِّقُنِي وَأصحابي هُجُوعُ
سبها الصَّمَّةُ الجُشْمِيُّ غَضَبًا كأن بياض غُرَّتِهَا صديع
وحالت دونها فرسان قيس تكشَّفَ عن سواعدها الدرُوعُ
إذا لم تستطع شيئًا فدَعَهُ وجاوزه إلى ما تستطيعُ
فكيف تريد أن تُدَعِيَ حكيمًا وأنتَ لكل ما تهوى تَبُوعُ

وقيل : إن الشعرَ قاله عمرو في امرأة كان تزوجها من مراد ، وذهب مُغِيرًا
قبل أن يدخل بها ، فلما قدم أُخْبِرَ أنه ظهر بها وَضَحٌ ، وهو داء تَحَدَّرُهُ العرب ،

(١) في الأصل الجمفريية والتصويب عن الأغاني والتجريد .

(٢) العمر مثلثة العين : من لم يجرب الأمور .

فطلقها ، فزوجها رجل من بني مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عمراً ، وأن الذي قيل فيها باطل ، فشبب بها في هذه القصيدة .

كان عبدُ الله بنُ معديكرب أخو عمرو رئيسَ بني زبيد ، فجلس مع بني مازن في شرب^(١) منهم فتغصني عنده حبشيُّ ، عبدُ للمُخزَم أحد بني مازن ، يشبب بامرأة من بني زبيد ، فلطمه عبدُ الله وقال : ما كفاك أن تشرب معنا حتى تُشبب بالنساء ، فنأدى الحبشيُّ : يا لبني مازن ، فقاموا إلى عبد الله فقتلوه ، ورأس عمرو مكان أخيه وكان عمرو غزاهو وأبيُّ المرادئ ، فأصابوا غنائم ، فادعى أبيُّ أنه كان مساندا فأبى عمرو أن يُعطيَه شيئاً ، وكره أبيُّ أن يكون بينهما شرٌّ لحدائثة قتلِ أبيه ، فأمسك عنه ، وبلغ عمراً أنه توعدّه ، فقال من أبيات :

وكلُّ مُقلِّصٍ سَلِسٍ ^(٢) القيادِ	أعاذلَ ملئي ^(٢) بدني ورُحى
وأفرَحَ عاتقِ أثرِ ^(٣) النجادِ	أعاذلَ إنما أفنئى شباني
وددت وأبنا منى ودادى	تمناني ليلقباني أبيُّ
تكشَفَ شَحْمُ قَلْبِكَ عن سوادِ	ولو لأقيتني ومعى سلاحى
عذيرك من خليلك من مُرادِ	أريد حياتَه ^(٤) ويريدُ قتلِي
كأن قَتيرها ^(٥) حدقُ الجرادِ	تمناني وسابفتي دِلاصُ
تخيرَه الفتى من قومِ عادِ	وسيفي كان من عهد ابنِ صدِّ
سناناً مثل مِقْباسِ الزنادِ	ورُحى العنبريُّ تحال فيه

(١) الشرب : جمع شارب .

(٢) شكنتى ... سهل القياد (تجريد) .

(٣) حمل (تجريد) ، نقل (أغانى) .

(٤) حباءه (أغانى) .

(٥) القتير : رؤس السامير في الدرع .

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا أعطى الناس ورأى ابن مُلجَم لعنه الله قال :

أريد حياته ويريد قَتْلِي عذيرك من خليلك من مُراد

قال أبو الطفيل : لما جَمَعَ علي رضي الله عنه ، الناس للبيعة جاء عبدُ الرحمن بن مُلجَم المرادي فردّه مرةً أو مرتين ، ثم بايعه . فقال : ما تحبس أشقاها فولذى نفسى بيده ليخضِبَنَّ هذه من هذه ثم تمثل :

اشدُّ حيازيك للموتِ فإن الموتَ لا فيكا

ولا تجزَعُ من الموتِ إذا حل بواديك

وجاءت بنو مازن لعمر و فقالوا : إن أخاك قتله رجلٌ منا سفيهٌ ، وهو سكرانٌ ، ونحن سيِّفك وعَضُدك ، نسألك بالرحمِ إلا ما أخذت منا الديةَ ، ما أحببت ، فهمَّ عمرو بذلك وقال :

* إحدَى يَدَيَّ أصابَتني ولم تُردِ *

فبلغ ذلك أختاً لعمر و ، يقال لها كبْشة . وكانت ناكحةً في بني الحارث بن كعب ، فَمَضِبَتْ . فلما وافى الناسُ من الموسم قالت شعراً تُعيرُ به عمراً :

أرسل عبدُ الله إذ حان يومُه إلى قومه لا تَعْقِلوا لهمُ دعي

ولا تأخذوا منهم إفاً وأبكرًا^(١) وأنركَ في بيتٍ بصعدةٍ مُظلمِ

ودعَ عنك عمراً إن عمراً مُسالِمِ وهل بطنُ عمرو غيرُ شبرٍ لمطعمِ

فإن أنتم لم تفعلوا وأبيتم^(٢) فمشوا بأذانِ النعامِ المُصلِمِ

أَيَقْتُلُ عبدَ الله سيدَ قومه بنو مازن أن سب راعي الخزَمِ

(١) في الأصل : احالا وابكروا - والإفال جمع أفيال وهو من أولاد الإبل مابلغ سبعة أشهر

(أغانى) ٢٣٠/١٥ .

(٢) فإن أنتم لم تتأروا واتديتم (الحماسة) وأغانى .

فقال عمرو قصيدة يقول فيها :

أَرِقْتُ وَأَمْسَيْتُ لَا أَرَقْدُ وساورني المَوْجِعُ الْأَسْوَدُ
وبت لِدِكْرَى بِنِي مَازِن كَأَنِّي مُرْتَفِقٌ أَرْمَدُ

ثم أكبَّ عمروُّ على بني مازن ، وهم غارئون فقتلهم ، وكان عبد الله أخاً كبشةَ لأبيها وأمها ، دون عمرو ، يأنف عنهم من قتل منهم فكبت كبشة في نساء قومها ورثت أخاها وعيرت عمراً فأحتمه فأكب عليهم أيضا بالقتل فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا . وقال عمرو بن معديكرب :

تمت مازن جهلا خلطى فذاقت ^(١) مازن طعمَ الخِلاطِ
أطلت فراطكم ^(٢) عاما فعاما ودين المَدْحِجِيِّ إلى فراطِ
أطلت فراطكم حتى إذا ما قتلت سراتكم كانت قَطَاطِ ^(٣)
غَدَرْتُمْ غَدْرَةَ وَغَدَرْتُ أُخْرَى فما إن بيننا أبداً يَمَاطِ ^(٤)

حدث من شهد الأشعث بن قيس وعمرو بن معديكرب ، وقد تنازعا في شيء ، فقال عمرو للأشعث : نحن قتلنا أباك ونكنا أمك . فقال سعد : قوما أف لكما !! فقال الأشعث لعمرو : والله لأضربنك ، فقال : كلا إننا غرور موثقة .

قال جرير بن عبد الله البجلي : فأخذت بيد الأشعث فنترته ^(٥) فوقع على وجهه ثم أخذت بيد عمرو فجذبته فما تخلخل ، والله لكأنا حركة أسطوانة القصر .

(١) في الأصل : (حلاطلاطى - فذق في) وما أئبتناه عن الأغاني (٢٣٢/١٥).

(٢) أطلت فراطكم أى أطلت إمهالكهم والتأني بكم إلى أن تقتلكم وفي الأصل : فراقكم .

(٣) كانت قطاط : أى حسي .

(٤) كانت في الأصل تعاطى والتصويب عن الأغاني ، يقول : ليس بيننا إندار وإنما الحرب مفاجأة .

(٥) نتره : جذبته بشدة .

قدم عمرو بن معديكرب والأجلح بن وقاص على عمر رضي الله عنه ، فأتياه
 وبين يديه مالٌ يوزن فقال : متى قدمتا ؟ قالا : يوم الخميس . قال : ما حبسكما عنى ؟
 قالا : شغلنا بالنزل يوم قدمنا . ثم كانت الجمعة ثم غدونا عليك اليوم . فلما فرغ من
 وزن المال نجاه ، ثم أقبل عليهما فقال : هيه . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين هذا
 الأجلح بن وقاص شديد المروءة ، بعيد الغرة شديد^(١) الكثرة ، والله ما رأيت
 مثله من الرجال صارعا ومصروعا ، ولا كأنه لا يموت . فقال عمر ، للأجلح ، وأقبل
 عليه : هيه . قال : وأنا أعرف الغضب في وجهه ، فقلت : يا أمير المؤمنين الناس
 صالحون كثير نسأهم دارة أرزاقهم خصب نباتهم أجرياء^(٢) على عدوهم جبان عدوهم
 عنهم ، صالحون بصلاح إمامهم ، والله ما رأيت مثلك إلا من تقدمك ، فنستمع الله
 بك . قال : ما منعك أن تقول في صاحبك مثل الذي قال فيك ؟ قال : منعى ما رأيت
 في وجهك . قال : أصبت ، أما لو قلت له مثل الذي قال لك لأوجعتكما ضربا
 وعقوبة ، فإن تركتك لنفسك فإني ساتر لذلك والله لو ددت لو سلمت لكم
 حالكم هذه أبداً . أما إنه سيأتي عليك يوم تعضه وبنمشك وتهره وينبجك ،
 ولست له يومئذ وليس لك ، فإن لم يكن بعيداً فما أقربه منكم .

لما كان يوم القادسية أصاب المسلمون أسلحةً وتيجانا ومناطق [ورقبا] وغير
 ذلك ، فبلغت مالا عظيما ، فعزل سمد الخمس ثم فض^(٣) البقية ، فأصاب الفارس
 ستة آلاف درهم ، والراجل ألفان ، وبقى مال دثر^(٤) ، فكتب إلى عمر رضي الله
 عنه بما فعل ، فكتب إليه أن رد على المسلمين الخمس وأعطي من أحقك من لم يشهد

(١) وشيك (أغانى ٢٤٢/١٥) .

(٢) في الأصل : حربا .

(٣) يقال : فض الشيء على القوم : فرقه وقسمه

(٤) مال دثر : كثير .

الوَاقِعَةَ ففعل وأَجْرَى من لم يَشْهَدُ بَجَرَى من شهد ، وكتب إلى عمر بذلك فكتب إليه أن فَضَّ ما بقى على حَمَلَةِ القرآن ، فأناه عمرو بن معد يكرب فقال له : ما معك من كتاب الله ؟ قال : إني أسَلَمْتُ باليمن ، ثم غزوتُ فَسُغِلْتُ عن حِفْظِ القرآن . قال : مالك في هذا المال نَصيب . وأناه بشرُ بن ربيعة التَّقِي الخُثَمِيّ صاحبُ جَبَانَةِ بشر فقال له : ما معك من كتاب الله تعالى؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك وضحك القوم منه ، ولم يعطه شيئاً فقال عمرو :

إذا قُتِلْنَا ولا يبكي لنا أحدٌ قالت قريشُ ألا تلك المقاديرُ
نُعْطَى السَّوِيَّةَ من طَعْنٍ له نَفْدٌ ولا سَوِيَّةَ إذ نُعْطَى الدنانيرُ
وقال بشر بن أبي ربيعة الخُثَمِيّ :

أَنْخَتُ بِيَابَ القادسية نَاقَتِي وسعدُ بن وقاصٍ عَلِيٌّ أميرُ
وسعد أميرٌ شَرُّهُ دون خَيْرِهِ وخيرُ أميرٍ بالعراقِ جريرُ
وعند أمير المؤمنين نوافلٌ وعند المُثَنِّي فَضَّةٌ وحريرُ
تَدَكَّرَ هَدَاكَ اللهُ وَقَعَ سَيوفِنَا بِيَابَ قُدَيْسٍ وَالْمَكْرَ (١) عسير
عشيةً وَدَّ القومُ لو أن بعضهم يُعَارُ جَنَاحِي طَائِرٍ فيطيرُ
إذا ما فرغنا من قِرَاعِ كَتِيبَةٍ دَلَفْنَا لِأُخْرَى كالجبالِ نسيرُ
ترى القومَ فيها واجين كأنهم جَمَالٌ بِأَحْمَالٍ لهن زفيرُ

فكتب سعدٌ إلى عمرَ بما قال لها وبما ردّا عليه من القصيدتين فكتب إليه أن أعطيها على بلائهما ، فأعطى كل واحد منهما ألفي درهم .

(١) في الأصل قويس والتصويب عن الأغاني ومراد الاطلاع وهي موضع بناحية القادسية .
والمكر في الأصل المكين وما أثبتناه عن الأغاني ١٥ / ٢٤٣ .

كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلام والمناظرة في مجلسه فتناظر ، يوما ، محمد ابن العباس الصوّليّ هو وعليّ بن الهيثم ، حولنا في الإمامة فتقلّدها أحدهما ودفعها الآخر ، فاجتّت المناظرة بينهما إلى أن ثبت محمدٌ عليا فقال له علي : إنما تكلمت بلسان غيرك ، ولو كنت في غير هذا المجلس لسمعت أكثر مما قلت ، فغضب المأمون وأنكر على محمد ما قاله ، وما كان منه من سوء الأدب بحضرتة ، ونهض عن فرشه ، ونهض الجلساء ، فخرجوا ، وأراد محمد أن ينصرف فمنعه ابنُ صالح صاحب المصليّ ، وهو إذ ذاك يحجب المأمون وقال : فعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ، ونهض على الحال التي رأيت ، وتنصرف بغير إذن منه ، فاجلس حتى يري رأيه فيك ، وأمر بأن يجلس ومكث المأمون ساعةً ثم خرج فجلس على سريره وأمر بالجلساء فرُدّوا إلى المجلس ، فدخل عليّ بن صالح فمرّقه ما كان من أمر محمد في الانصراف ، وما كان من منعه إياه ، فقال دعه ينصرف إلى لعنة الله وقال المأمون لجلسائه : أتدرون لم دخلتُ إلى النساء في هذا الوقت؟ قالوا: لا . قال: لما كان من أمر هذا الجاهل ما كان ، لم آمن فلمات الغضب ، وله بنا حُرمة ، فدخلت لأغشاهن حتى يسكن غضبي . ومضى محمدٌ من وجهه إلى طاهر فسأله الركوب إلى المأمون ، وأن يستوهبه جُرمه فقال له طاهر : ليس هذا من أوقاتي ، وقد كتب إلى خليفتي في الدار أنه قد دعا بالجلساء ، فقال : أكره أن أبيت ليلة ، وأمير المؤمنين عليّ ساخط ، ولم يزل به حتى ركب طاهر معه ، فأذن له ، فدخل ومُجبر الخادم واقف على عيني أمير المؤمنين ، فلما بصر المأمون بطاهر أخذ مندبلا من بين يديه ، فمسح به عينيه مرتين أو ثلاثا ، حتى وصل طاهر وحرك شفّتيه بشيء أنكره طاهر ثم دنا فسلم فردّ السلام ، وأمره بالجلوس ، فجلس في موضعه ، فسأله عن مجيئه في غير وقته ، فعرفه الخبر واستوهبه ذنب محمد فوهبه له ، وانصرف وعرف محمد ذلك ، ثم دعا بهارون بن خنمويه وكان شيخا خراسانيا داهية ثقةً عنده فذكر له فعل المأمون من تحريك شفّتيه ، ومسح

عينيهِ ، فقال له كاتبٌ مُجيراً والطُّفُ له واطمن له عشرة آلافِ درهمٍ على تعريفك ما قال المأمون ، ففعل ذلك والطف له فَمَرَّفَه أنه لما رأى طاهراً دمعت عيناه وترَحَّم على محمد الأمين ومسح دمعته بالمنديل ، فلما عرف ذلك طاهر ركب من وقته إلى أحمد بن أبي خالد الأحول ، وكان طاهر لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون ، وكلهم يركبون إليه ، فقال له قد جئتكَ لتوَلِّئَنِي خراسانَ وتحتال لي فيها . وكان أحمدُ يتولى فضَّ الخرائط بين يدي المأمون ، وغسان بن عَبَّاد إذ ذاك يتولى خراسان . فقال له أحمد : فهَلَّا أقت بمنزلك وبمئت إلى حتى أصيرَ إليك ولا يشتَهَر الخبرُ بما تريده مما ليس بمادتك ؟ لأن المأمون يعلم أنك لا تتركبُ إلى أحد من أصحابه وسيبُلُغُه ذلك فانصرفَ وغَضَّ عن هذا الأمرِ وأمَهِنِي مدة حتى أحتال لك فيه ، فلبث مدة ثم زَوَّرَ ابن أبي خالد كتابا عن غسان بن عَبَّاد إلى المأمون ، يَدَّكُرُ أنه عليل ، ولا يأمن على نفسه ، ويستخلفُ غيره على خراسانَ وجعله في خريطة وفضَّها بين يدي المأمون في خرائط ، فلما قرأ المأمون ذلك اغتمَّ وقال : ما ترى ؟ فقال لعلها عِلَّةٌ عارضة تزول وسيرد بعد هذا غيره فيرى أميرُ المؤمنين حينئذ رأيه . ثم أمسك أياها ، وكتب كتابا آخر ودسَّه في الخرائط يذكُر فيه أنه قد تناهى في العِلَّةِ إلى ما لا يرجو معه نفسَه ، فلما قرأه المأمون قَلِقَ وقال له : يا أحمد إنه لا يدْفَعُ لأمر خراسان فما ترى ؟ قال : هذا رأى إن أشرتُ فيه بما أرى فلم أصب لم استَقِلُّه ، وأميرُ المؤمنين أعلم بمخَدَمِهِ ومن يصلحُ لخراسان منهم ، فجعل المأمون يُسمِّي رجالا ، ويطعن أحمد فيهم واحداً بعد واحد ، إلى أن قال : فما ترى في الأَعُور ؟ فقال له : إن كان عند أحدٍ قيام بهذا الأمر ونهوضٌ فيه فعنده ، فدعا به المأمون فعمَّده له على خراسان وأمره أن يُعسِّكَرَ بمسكِر باب خراسان ، ثم تعقب الرأى فعلم أنه قد أخطأ فتوقف عن إمضاء أمره وخشى أن يوحش طاهراً بنقضه أمره فضى شهرٌ تام وطاهرٌ مقيمٌ بمسكِرهِ ثم أمر المأمون في سَحَرٍ ليلة أحد وثلاثين يوماً من عَقْد اللواء له بإحضار مُخارقِ المُغَنِّي

فأحضره وعند ما صلى المأمون الغداة مع طلوع الفجر قال يا مخارق أتغني :
إذا لم تَسْتَطِعْ أمراً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
وكيف تريد أن تدعى حكيماً وأنت لكل ما تهوى تبوعُ

قال : نعم قال : هاته ، فنناه . فقال : ما صنعت شيئاً ، فهل تعرف من يتولى
أحسن مما تقول ؟ قال : نعم علوية . فأمر بإحضاره ، فكأنما كان بالباب فنناه واحتفل ،
فلم يُعجبه . وقال : ما صنعت شيئاً ، أتعرف من يقوله أحسن مما تقوله . قال : نعم
عمرو بن بانه ، فأمر بإحضاره فحضر فنناه فقال : أحسنت ما شئت ، هكذا ينبغي أن
يقال . يا غلام اسقني رطلا واسق صاحبيه رطلا رطلا ، ثم دعا له بعشرة آلاف
درهم وخيلته وثلاثة أثواب ثم أمره بإعادته . فأعاده ، فرد القول الذي قال وأمر له
بمثل ما أمر له به أولاً ، حتى فعل ذلك عشراً ، فحصل لعمرو بن بانه مائة ألف درهم
وثلاثون توباً ، ودخل المؤذنون فأذنوا بالظهر فعقد إصبعه الوسطى بإبهامه ، وقال :
أتممت على وأحسنت إلى ، فإن أذنت أن أقاسم أخوي ما وصل إلى فإنهما حضرا
فقال : ما أحسن ما استمحت لهما ، بل يُطيهما نحن ولا نُذحجهما بك ، وأمر لكل
واحد منهما بمثل جائزة عمرو وبكر إلى طاهر فرحله فلما نسي عنان دابته منصرفاً
دنا منه حميد الطوسي فقال : اطرح على ذنبه تراباً : فقال : أخساً يا كلب وسار طاهر
لوجهه وقدم غسان بن عباد فسأله المأمون عن علته وسببها فخاف أنه لم يكن عليلاً
ولا كتب بشيء من ذلك . فعلم المأمون أن طاهراً احتال عليه بأحمد بن أبي خالد ،
وأمسك عن ذلك ، فلما كان بعد مدة من مقدم طاهر إلى خراسان ، قطع الدعاء
للمأمون يوم الجمعة . فقال له عون بن مجاشع بن مسعدة^(١) صاحب البريد [لم لم]
تدعُ لأمر المؤمنين في هذه الجمعة ؟ فقال : سهوٌ وقع فلا تكتب فيه ، وفعل مثل

(١) في الأصل : اب (معدة) والتصويب عن الأغاني .

ذلك في الجمعة الثانية ، وقال لعون : لا تكتب به وفعل مثل ذلك في الجمعة الثالثة ، فقال عون : إن كُتِبَ التجارِ لا تنقطعُ عن بغداد وإن اتصل هذا الخبرُ بأمر المؤمنين من غيرنا لم نأمن أن يكون ذلك سبباً لزوال نعمتي ، فقال : اكتب بما أحببت . فكتب إلى المأمون ، فلما وصل كتابه دعا بأحمد بن أبي خالد ، وقال له : إنه لم يذهب على احتيالك في أمر طاهر وتوهيبك له ، وأنا أعطى الله عهداً لأن لم تشخص حتى توافيني به كما أخرجته من قبضتي^(١) وتصلح ما أفسدته عليّ من أمر مملكتي^(٢) ، لتدمن عاقبتك فشخص أحمد وجمل يتكلم في الطريق ، ويقول لأصحاب البردا كتبوا بخبر عليّ فلما وصل إلى الرّي لقيته الأخبار بوفاة طاهر ووفاه رسول طلحة بن طاهر فأغدّ السير حتى قدم خراسان فلقية طاححة فقال له أحمد : لا تكلمني ولا ترني وجهك ، فإن أباك عرضني للعطب وزوال النعمة مع احتيالي له ، وسمي إنما كان في محبته فقال له : الآن أبي مضى لسبيله ، ولو أدركته لما خرج عن طاعتك وأنا فأحلف لك بكل ما تسكن إليه [نفسك] وأبذل كل ما عندي من مال وغيره ، فاضمن عني حسن الطاعة وضبط الناحية والإخلاص في الصحبة فكتب أحمد إلى المأمون بخبر طاهر وخبر ابنه طلحة ، وأشار عليه بتقليده ، فأنقذ إليه المأمون اللواء والمهد والخلع ، وانصرف أحمد إلى مدينة السلام .

كتب عمر إلى النعمان ، إن في جُندك رجلين من العرب ، عمرو بن معد يكرب وطلحة بن خويلد الأسدي^(٣) فأحضرهما الحرب وشاورهما في الأمر ، وابعثهما في الطلائع ولا تولهما عملاً والسلام .

وكتب إليه كتاباً آخر : فإذا وضعت الحرب أوزارها ، فضعهما حيث وضعا أنفسهما يشير إلى أن عمراً ارتد وطليحة تنبأ .

(١) في الأصل : إن لم توافني بشخص حتى يوافيني به كما أخرجته من يدي .

(٢) من أمر ملكي لأبيدن خضراءك . أغاني والتصويب عن الأغاني - ١٥ / ٢٣٦ .

(٣) رواية الأغاني : (فإذا حضر الناس فأذنهما وشاورهما وابعثهما ...) ١٥ / ٢٤٤ .

عمرو بن بانة^(١)

هو عمرو بن محمد بن سليم بن راشد مولى ثقيف، كان أبوه صاحب ديوان ووجهها من وجوه الكتّاب .

ونسب إلى أمه بانة بنت روح القحطبية . وكان صالح الشعر حسن الصنعة والغناء ، وكان يُقعدُه عن اللحاق بالمتقدمين في صنفته أنه كان مُرتجلاً . والمُرْتَجَلُ [من المحدثين] لا يلحق الضَّرَّاب ، وليس فيه مَطْعَن .

وكان تَيَّاهًا معجبا شديد الذهب بنفسه ، وهو معدودٌ في ندماء الخلفاء ومُغَنِّهِمْ على ما كان به من الوَاضِح . وفيه يقول الشاعر :

أقول لعمرو وقد مرّ بي فسلمّ تسليمًا جافِيَه
لئن فضلوك بفضل الغناء فقد فضّل الله بالعافيه

وقال يوما لإسحاق في كلام جرى بينهما : ليس مثلي يُقاسُ بِمَثَلِكَ ، لأنك تعلمت الغناء تكسبها وتعلمته تطرُّبا ، وكنت أُضربُ لثلاث أتعلم وكنت تضربُ حتى تتعلم .

كان عمرو بن بانة يُحبُّ خادما فزاره يوما فطلب من يضربُ عليه فلم يجد ، فقال له جعفر الطبال : إن أنا أغنيتك اليوم عن عود يضرب به عليك^(٢) ، أى شئ يكون لى عندك ؟ قال : مائةُ درهم قال : ودَسِجَةٌ^(٣) نبيذ قال : نعم ، وكان جعفر حاذقا نادرا طيبا ، وكان بذل الهمة فقال : أسمعني مخرَج صوتك ، ففعل فسوى عليه

(١) أغاني ١٥ : ٢٦٩ .

(٢) رواية الأغاني : إن أنا أغنيتك اليوم على عود يضرب به عليك (١٥ : ٢٧٣) .

(٣) الدسججة : الإناء الكبير من الزجاج ، وكانت في الأصل (دسججة) .

طَبْلَةً فَكَأَنَّمَا يُسَوِّي الْوَتَرَ وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ بِرُكْبَتِهِ ، وَأَوْقَعَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَزَلْ عَمْرُو يَغْنَى بَقِيَّةَ يَوْمِهِ حَتَّى أَمْسَى ، لَا يَنْكُرُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَدَفَعَ لَهُ مِائَةَ دَرَاهِمٍ وَأَحْضَرَتْ الدَّاسْتَجَةَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ يَحْمِلُهَا لِحْمَلِهَا تَحْتَ طَيْلَسَانِهِ .

وَكَانَ صَدِيقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ : يَا جَعْفَرُ ، حَدِّقْ جَارِيَتِي فَلَانَةَ ضَرَبَ الطَّبْلُ ، وَلَكَ مِائَةُ دِينَارٍ ، أُعَجِّلْ لَكَ مِنْهَا خَمْسِينَ دِينَارًا ، قَالَ : نَعَمْ ، فَمَجَّلَ لَهُ الْخَمْسِينَ ، فَلَمَّا حَدَقَتْ طَالِبَ إِبْرَاهِيمَ بِبَقِيَّةِ الْمِائَةِ فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا ، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ أَحْمَدُ ابْنُ دَاوُدَ الْحَسَنِيِّ خَلِيفَتَهُ فَأَعْدَاهُ وَوَكَّلَ إِبْرَاهِيمُ وَكِيْلًا فَلَمَّا تَقَدَّمَ مَعَ الْوَكِيْلِ إِلَى الْقَاضِي أَرَادَ الْوَكِيْلُ أَنْ يُكْذِبَ حِجَّتَهُ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْقَاضِي ، سَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ لَهُ هَذَا الَّذِي يَدْعِيهِ ؟ وَمَا سَبِيهِ ؟ فَقَالَ جَعْفَرُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْقَاضِي ، أَنَا رَجُلٌ طَبَّالٌ وَقَدْ شَارَطَنِي إِبْرَاهِيمُ عَلَى مِائَةِ دِينَارٍ ، عَلَى أَنْ أُحْدِقَ جَارِيَتَهُ وَتَجَمَّلَ لِي خَمْسِينَ دِينَارًا ، وَمَنْعَنِي الْبَاقِي ، بَعْدَ أَنْ رَضِيَ حَدَقَهَا فَيُحْضِرُ الْقَاضِي الْجَارِيَةَ وَطَبْلَهَا وَأُحْضِرُ أَنَا طَبْلِي وَيَسْمَعُنَا الْقَاضِي ، فَإِنْ كَانَتْ مِثْلِي فَيَحْكُمُ عَلَيْهِ وَإِلَّا حَدَقْتُهَا [فِيهِ] حَتَّى يَرْضَى الْقَاضِي . فَقَالَ : قَمِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَعَلَى مَنْ يَرْضَى بِذَلِكَ مِنْكَ وَمِنْهَا ، فَأَخَذَ الْأَعْوَانَ بِيَدِهِ فَأَقَامُوهُ .

وَصَنَعَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ لِحْفَانِي هَذَا الشَّعْرَ فَشَاعَ عَنْهُ ، فَعَرَضَهُ عَلَى مُتَمِّمِ الْهَمَامِيَّةِ لِيَعْلَمَ مَا عِنْدَهَا فِيهِ ، فَقَالَتْ : إِيْشٍ هَذَا اللَّحْنُ الْجَدِيدُ وَالْكَمِيْتُ الْمَحْدَثُ ؟ قِيلَ : لِحْنُ صَنَعَهُ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ ، فَتَغْنَى بَيْنَ يَدَيْهَا فَقَالَتْ مُتَمِّمٌ لِلجَارِيَةِ الَّتِي تَغْنِيهِ : اقْطِمْ ، اقْطِمْ ، حَسْبُكَ هَذَا وَاللَّهُ كَحَمَارِ حُنَيْنِ الْكُسُورِ الْمُشَبَّهِ بِهِ كَالْكَمِيْتُ .

عمرو بن عبید الحزین^(١)

هو من كِنانةِ صَلِيمة ، والحزِينُ لقبُ غَلَبٍ عليه .

واسمه عمروُ بنُ عبِيدِ بنِ وهَبِ بنِ مالك .

ويكنى أبا الشعثاء بن حُرَيْثِ بنِ جابرِ بنِ بكر ، وهو راعي الشمس الأكبر ،

ابنِ يعمرِ بنِ عدِيّ بنِ الدئلِ بنِ بكرِ بنِ عبدِ مناةِ بنِ كِنانة .

وقيل : هو مولى ، وأنه الحزِينُ^(٢) بنِ سليمان ، وسليمانُ يُكنى أبا الشعثاء .

وكنية الحزِينِ أبو حكيم^(٣) ، حجازي شاعر من شعراء الدولة الأموية ،

مطبوع ، ليس من فحول طبِقتِهِ ، هجاء خبيثُ اللسان ساقطُ رضيهِ اليسير

[ويتكسب] بالشعر وهجاء الناس لم يخدم الخلفاء ولا انتجمهم بمدح ، ولم يزل

بالحجاز حتى مات .

وهو الذي مدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وكان عبدُ الله من فتيان

بني أمية وظرفائهم ، حسنَ الوجه حسنَ المذهب ، وأمه أم ولد ، وزوجةُ عبد الله

رَملة^(٤) ابنة عبد الله بن عبِيدِ الله^(٥) ، وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان

ابن الريان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو .

وزوجته الأخرى هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن المطلب

(١) الأغاني ١٥ : ٣٢٣ - تجريد ١٦٦٢ .

(٢) في الأصل تقرأ (راه الحزِين) والتصويب عن الأغاني .

(٣) ويكنى أبا الحكم (أغاني)

(٤) في الأصل: ربطة وما أبتناه عن الأغاني .

(٥) في الأصل عبيد الله بن عبيد الله .

ابن أسد بن عبد العزى بن قصى تزوجها لما كان يقال إنه ناتق في ولادها^(١) فمات عنهما ولم تلد منه .

نخلفه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس على رملة فولدت له محمداً وإبراهيم وموسى وبنات .

وكان عبدُ الله بنُ عبد الملك قد حجَّ ، فقال له أبوه : سيأتيك الحزینُ ، الشاعرُ بالمدينة ، وهو ذرْبُ اللسان ، فأياك أن تحتجبَ عنه وأرضه . وصِفَتْهُ أنه أشعْرُ ذو بطن ، عظيم الأنف ، فلما قدم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه ، وقال له : إياك أن ترُدَّه ، فلم يأت الحزینُ حتى قام ودخل لينا م فقال له الحاجب : قد ارتفع فلما ولَّى ذكر فلاحه فقال : ارجع فاستأذن له ، فدخل . فلما صار بين يديه ورأى جماله وكأله وفي يده قضيبُ خيزرانٍ وقف ساكتاً وأمهله^(٢) عبدُ الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له : السلام عليك ورحمةُ الله أولاً ، فقال له : وعليك السلام وحياءُ الله وجهك أيها الأميرُ ، إني قد كنت مدحتك بشعر ، فلما دخلت عليك ، ورأيت جمالك وبهاءك أذهلني عنه ، فأنسيت ما كنت قلت له وقد قلت في مقامى هذا بيتين قال : ماها ؟ قال :

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَيْقُ مِنْ كَفِّ أُرُوعٍ فِي عِرْنِينِهِ تَمِيمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

فأجازَه فقال : أخدمني أصلحك الله ، فإنه لا خادم لي ، فقال : اختر أحد هذين الغلامين ، فأخذ أحدهما . وقال عبد الله : أعلينا ترُدُّل ؟ خذ الآخر .

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق ، في أبياته التي امتدح بها علي بن الحسين رضي الله عنه ، التي أولها :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَأْتَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحَلُّ وَالْحَرَمُ

(١) في الأصل : (كائن في أولادها) وما ذكر عن الأغاني . والناتق الكبيرة الأولاد - والولاد : الولادة .

(٢) في الأصل (أمله) والتصويب عن الأغاني .

وهو غَلَطٌ ممن رواه فيها ، وليس هذان البيتان مما يُمدَّحُ بهما مثلُ علي بن الحسين ، رضى الله عنهما ، لأنهما من نعوت الجبارة والملوك ، وليس كذلك ولا هذا من صفته رضى الله عنه ، وله من الفضل المتعارف ما ليس لأحد .

قال الزهري : ما رأيت هاشميا أفضلَ من علي بن الحسين ، رضى الله عنهما - وكان بالمدينة ناس يعيشون ما يدرون من أين معاشهم ، ولما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤثونَه . وذُكِرَ أنه كان يعمل مائةَ أهل بيتٍ بالمدينة .

ومن الناس من يروى هذه الأبيات لداود بن مُسلمٍ في قثم بن العباس ، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد ، مولى قثم فيه ، وأن الفرزدقَ أدخلها في الأبيات التي قالها في علي بن الحسين .

والأبيات التي رويت وقيل إنها قيلت في قثم :

وكم صارخ بك من راج وراجيةٍ يدعوك يا قثمَ الخيراتِ يا قثمُ
والبيتان بعد ذلك ، والصحيحُ من كل ما قيل أنهما للحزبين في عبد الله وهما في قصيدة مُنتظمةٍ الممانى متشابهةٌ تُنسبُ عن نفسها ، قالها لما قدم على عبد الله ، وهو عاملُ مصر ، فأتى رقيقٌ من البربر ، وفي الرقيق أخوان ، فقال عبد الله للحزبين : أى الرقيق أعجب إليك ؟ قال : ليختر لي الأمير ، فقال الأمير : خذ هذا فإنى رأيتَه حسنَ الصلاة^(١) قال الحزبين : لا حاجة لي به فأعطني أخاه ، فأعطاه إياه .
والغلامان مزاحمٌ مولى عمر بن عبد العزيز ، وهو الذى عَجِبَ عبد الله من صلاته ، وتميم أبو محمد بن تميم ؛ وهو الذى اختاره الحزبين . فقال في عبد الله يمدحه :

الله يعلمُ أن قد جئتُ ذا يُعْمِنُ من العراقيين لا يُثْنِيَنِي السَّامُ

(١) في الأغاني (حسن الصلاح - وصلاحه) .

ثم الجزيرة أعلاها وأسفلها
ثم المواسم قد أوظأتها زمناً
قالوا دمشق ينبئك الخبير بها
لما وقفت عليها في الجموع ضحى
حيثه بسلام وهو مرتفق
في كفه خيزران ريمه عبق
يغضي حياء ويغضي من مهايته
ترى رموس بنى مروان خاضعة
إن هشا هشوا له واستبشروا جدلاً
كلتا يديه ربيع غير ذي خلف

لذاك تسرى على الأهوال بي القدم
وحيث تحلق عند الجمرة اللمم
ثم أنت مصر فم النائل العمم
وقد تمرضت الحجاب والخدم
وضجة القوم عند الباب تزدهم
من كف أروع في عرينه شم
فما يكلم إلا حين يتسم
يمشون حول ركائبه وما ظلموا
وإن هم أنسوا إعراضه وجوا
فتلك بحر وهدي عارض هزم

ومن الناس من يقول : إنها قيلت في عبد العزيز بن مروان لذكره دمشق
ومصر ، وعبد الله بن عبد الملك أيضا ، ولي مصر ، وكان الحزين بها . كان على
المدينة طائف يقال له صفوان مولى لآل مخزومة بن نوفل ، فجاء الحزين إلى شيخ
من أهل المدينة ، فاستعاره حماره ، وذهب إلى العقيق ، فشرب وأهل على الحمار ،
وقد سكر ، فجاء به الحمار حتى وقف على باب المسجد ، كما كان صاحبه عوده ، فر
به صفوان ، فأخذه فخبسه ، وحبس الحمار معه ، فأصبح فوجد الحمار عنده محبوسا ،
فأنشده :

أيا أهل الجزيرة خبروني
بأى جريرة حبس الحمار
فالعير^(١) من جرم إليكم
وما بالعمير إن ظلم انتصار

(١) في الأصل : للعيس .

فردوا الحمارَ على صاحبه ، وضربوا الحزینَ الحُدَّ ، فأقبل إلى مولی صفوان وهو
بالمسجد فقال له :

نَشَدْتُكَ بِالْبَيْتِ الَّذِي ظَيْفَ حَوْلَهُ وَزَمَزَمَ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ الْمُحَجَّبِ
لِزَانِيَةٍ صَفْوَانُ أُمَّ لَعْفِيْفَةٍ لِأَعْلَمَ مَا آتَى وَمَا أَتَجَنَّبُ

فقال له مولاه : هو لِزَانِيَةٍ . فخرج ينادى إنَّ صفوان ابنُ زانية ، فتملق به
صفوان ، فقال له : هذا مولاك يشهد أنك ابن زانية ، فخلف عنه .

كان الحزینُ قد ضَرَبَ على كل رجلٍ من قريشٍ درهمين درهمين في كل شهرٍ ،
منهم ابنُ أبي عتيق ، فجاءه لأخذ درهميه ، وهو على حمار له أعجم ، وكثيرٌ مع ابن
أبي عتيق ، فدعا ابنُ أبي عتيق للحزین بدرهمين ، فقال له الحزین : من هذا معك ؟
قال : هذا أبو صخر ، كثيرٌ بن أبي جمعة ، وكان قصيراً دميماً ، فقال له الحزین :
أتأذن لي أن أهجوَه بيتٍ من الشعر ؟ قال : لا ، لعمري لا آذنُ لك أن تهجو
جليسي ، ولكن أستري عرضَه منك بدرهمين آخرين^(١) ودعا له بهما فأخذها ، ثم
قال : ما أنا بتاركة حتى أهجوَه ، قال كثيرٌ : ائذنْ له ، وما عسى أن يقول في ؟ فأذن
له ، فقال الحزین :

قَصِيرُ الْقَمِيصِ فَحَشُّ عِنْدَ بَيْتِهِ يَعْصُ الْقَرَادُ بِاسْتِهِ وَهُوَ قَائِمٌ

فوثب إليه كثيرٌ فألزه^(٢) فسقط هو والحمارُ وخلص ابنُ أبي عتيق بينهما ،
وقال لكثيرٌ : قبحك الله ، أتأذن له وتسهفه^(٣) عليه ؟ فقال كثيرٌ : وأنا ظننته يبلغني
هذا كله في بيت واحد ؟

(١) في الأصل : أخرى .

(٢) فوكزه (أغانى) وألزه بمعنى شده وألصقه .

(٣) وتبسط إليه يدك (أغانى) ١٤ : ٧٨ .

مر الحزینُ بجعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث ، وعليه أطمأرتُ فقال له : يا ابن أبي الشَّعماء ، إني أصبحت عارياً ، أمتع الله بك ، وقد نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرةَ يريد الحج ، وقد كنت وفدتُ إليه بمصر فأحسن إلى ، قال : أفما وجدت شيئاً تلبسه غير هذه الثياب ؟ فدعا جعفرُ غلاماً له فقال : ائتني بجُبَّةٍ وقيص ، فدعا فجاء بذلك فقال : البسْ وأبلِ وجدِّ ، فلما ولي الحزین قال جلساء جعفر له : ما صنعت ؟ إنه يعمد إلى هذه الثياب التي كسوته إياها فيبيعها ، ويُفسدُ بثمنها . فقال : ما أبالي إذا كافأته بثيابه ما صنع بها ، فسمع الحزین قولهم وما ردَّ عليهم ، ومضى حتى أتى عبد الله بن عبد الملك فأحسن إليه وكساه ، فلما أصبح الحزینُ أتى جعفرأ ومعه القوم الذين لاموه بالأمس فأنشده :

وما زال ينمى جعفرُ بنُ محمدٍ إلى المجدِ حتى جهلته عواذله
وقلنا له هل من طريفٍ وتاليدٍ من المال إلا أنت في الجود باذله
تحاولة عن شبهة^(١) قد علمتها وفي نفسه أمرٌ كريمٌ يحاولة

ثم قال له : بأبي وأمي قد سمعت ما قالوا ، وما رددت عليهم .

صحب الحزینُ رجلاً من بني عامر بن لؤي ، يلقب أبا بكرة ، واسمه عيسى ، وكان قد استعمل على سعايات ، فلما لم يصنع معه شيئاً قال :

صحبتك عاماً بعد سعدِ بنِ نوفلٍ وعمرو فما أشبهت سعداً ولا عمراً
قال : وكان قد صحب قبله عمراً وسعدَ بنِ نوفلِ بنِ مُساحِقِ فحمدهما :
وجادا كما قصرت في طلب العلاء فحزت به ذمًا وحازا به فخرا
أولاك الجمادُ البيضُ من آل مالك وأنتم بنسو قينٍ لحقتم به نزرا

(١) شبيمة (أغانى) .

وكان الحزين سفيها [ندلا] يمدح البرَّ إذا أُعْطِيَه ويهجو على مثله إذا مُنِعَه (١) ،

فنزله بعاصم بن عمرو بن عثمان ، فلم يَقْرَهُ فقال :

سيروا فقد جنَّ الظلامُ عليكمُ فشرُّ امرئٍ يبغى القرى عند عاصمِ
ظللنا عليه وهو كالتيسِ طاعما نشدُّ على أبادنا بالعاهمِ
وما لى من ذنب إليه علمته سوى أنى قد جئته غير صائمِ

ف قيل له : إن عاصمًا فى قریش كثيرٌ فقال : والله لأبيئنه ، فقال :

إليك ابن عثمان بن عفان ، عاصم بـ بن عمرو سرت عيسى نخاب سراها
وقد صادفت كرز اليمين مبخلًا إذا ما خلت عرس الخليل أناها

(١) [ندلا] يمدح بالترز إذا أُعْطِيَه ويهجو على مثله إذا مُنِعَه (أغانى) .

عنتره بن شداد^(١)

وقيل : عنتره بن عمرو بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم ابن زمة بن ربيعة .

وقيل : مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيمة بن عيسى بن بنيض بن الريث ابن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر .
وكان يلقب بعنتره الفلحاء ، وذلك لتشقق شفته .
وأمه أمة حبشية يقال لها زبيبة .

وكان لها ولدٌ عبيدٌ من غير شداد وهم إخوته من أمه .
وكان شدادٌ نفاه وأنكره مدة ، ثم اعترف به فألحق بنسبه . وكانت العربُ تفعل ذلك ، تستعبد بنى الإماء ، فإن أحببوا اعترفوا به وإلا بقي عبداً .

وكانت زوجة أبيه شدادٍ قبل أن يدعيه قد شكته إلى أبيه ، وقالت له :
إنه يراودني عن نفسي ، فغضب شداد ، وضربه ضرباً مبرحاً ، وضربه بالسيف فوقت عليه امرأة أبيه ، وكفته عنه فلما رآها - وكان اسمها سمية ، وقيل بل سمية - قال عنتره :

أَمِنْ سُمِّيَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ مَذْرُوفُ لَوْ أَنَّ ذَا مَنكِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ
تَجَلَّتْ نِيَّيَ إِذَا أَهْوَى الْعَصَا قَبْلِي كَأَنَّهَا صَنَمٌ يُمْتَادُ مَعْكَوْفُ
قَدْ أَطْمَنُ الطَّمَنَةَ النُّجْلَاءُ عَنْ عُرْضِ تَصَفَّرَ كَفُّ أَخِيهَا وَهُوَ مَنزُوفُ
وغلِب عليه اسمُ جدِّه وهو عنتره بن شداد .

(١) الأغاني ٨ : ٢٣٧ تجريد ٩٦٦ مهذب ٢ : ٢٧ .

وقيل : إن عنتره نشأ في حجره فنسب إليه دون أبيه ، وما ادعاه أبوه إلا بعد الكبر .

وكان سبب ادعائه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس ، فأصابوا منهم واستاقوا إبلا ، فقتبهم العباسيون فلحقوهم ، فقاتلوهم عما معهم ، وعنتره فيهم . فقال له أبوه : كُرِّ يا عنتره . فقال عنتره : العبدُ لا يُحسِنُ الكُرَّ ، ولكن يُحسِنُ الحلابَ والصَّرَّ . فقال له أبوه : كُرِّ وأنت حُرٌّ . فكُرِّ وهو يقول :

أنا الهجينُ عنتره كلُّ امرئٍ يَحْمِي حِرَّه
أسودَه وأحمرَه والواردات مُشعرَه^(١)

فقاتل يومئذ قتالا شديدا ، وأبلى بلاء حسنا ، فادعاه أبوه بعد ذلك ، وألحق نسبه به .

وقيل : إن عبسا أغارت على بني طيي ، فأصابوا نعا ، فلما أرادوا القسمة قالوا لعنتره : لا تقسم لك نصيبا من أنصباؤنا لأنك عبد ، فلما طال الخطبُ بينهم كرت عليهم طيي ، فاعتزلهم عنتره ، وقال : دونكم القوم ، فإنكم عددهم ، فاستنقذت طييء الإبلَ فقال له أبوه : كُرِّ يا عنتره فأجابه ذلك الجواب ، فحينئذ اعترف به أبوه وقال له : العبد غيرك .

وأغربة العرب ثلاثة : عنتره وأمه زبيبة ، وخفاف بن عمرو الشريدي وأمه ندبة ، والسُّلَيْك بن عمير السَّعْدِي وأمه السُّلَكَة وإليهما ينسبان .

وفي ذلك يقول عنتره :

بَكَرَتْ تخوفني الختوفَ كأنني أصبحت عن عرَّضِ الختوفِ بمَعزِلِ

(١) في الأغاني وفي الديوان :

والشمرات المُشعرَه والواردات مُشفره

فأجبتُها إن المنيّة منهلٌ
 فاقنتي حياءك لا أبالكِ واعلمي
 إن المنيّة لو مُثِّلُ مُثِّلَتْ
 إني امرؤ من خير عبسٍ منصبا
 وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت
 والخيل تعلمُ والفوارسُ أني
 إذ لا أبادرُ في المضيق فوارسي
 إن يُلحِقُوا كرُر وإن يُسْتَلْحَمُوا
 حين النزول يكون غايّةً مثلنا
 والخيل ساهمةُ الوجوه كأنما
 ولقد أبيتُ على الطوى وأظلهُ
 لا بد أن أسقى بذاك المنهلِ
 أني امرؤ سأموتُ إن لم أقتلِ
 شخصي^(١) إذا نزلوا بضنك المنزلِ
 شطري وأحمي سائري بالمنصلِ
 ألفتُ خيرا من مُعمِّمٍ مُخولِ
 فرقتُ جمعهم بضربة فيصَلِ
 أولا أوكل^(٢) بالرعيلِ الأولِ
 أشدُّ وإن يُلقوا بضنك أنزلِ
 ويفرُّ كل مُضللٍ مُستوهلِ
 تُسقى فوارسها تقيع الحنظلِ
 حتى أنال به كريم المائلِ

قوله : إني امرؤ من خير عبسٍ منصبا :

يقول : لأن أبي من أكرم عبس ، فله شطري ، والشطرا الآخر ينوب عن
 كرم أمي فيه ضربني بالسيف ، فأنا خير في قومي ممن عمه وخاله منهم ، وهو لا يفني
 غنائي .

ويقال : إن هذه الأبيات قالها في حرب داحس والغبراء .

قوله : ولقد أبيتُ على الطوى ، يعرض بقيس بن زهير سميّد بنى عبس ، فإن بنى
 عبس أغارت على بنى تميم ، فانهزمت بنو عبس ، وطلبتهم بنو تميم ، فوقف لهم عنتره ،
 ولحقهم ليلته ، فحاصى عنتره عن الناس ، فساء ذلك قيسا وكان أכולا فبلغ ذلك
 عنتره فقال يعرضُ به : ولقد أبيت على الطوى

(١) مثلي (أغانى ٨ : ٢٤١) .

(٢) في الأصل : (ولا أوكل) .

كان رجل من عبس قد هجا عنترَةَ وذكّر سوادهَ وسوادَ أمه وإخوته وعيَّره بذلك . فقال عنترَةُ : والله إن الناس بالطعمة يترافدون ، والله ما حضرت مرقدَ الناسِ ، ولا أبوك ولا جدك قط . وإن الناس ليُدعَوْنَ في الفزع فما رأيناك ، في خيلِ قط ، أنت ولا أحداً من أهل بيتك ، ولا كنت إلا في أرامل النساءِ ، ولو كنت في مَعْرِسِكَ الذي أنت منه أو طاولتك لطلتلك لطلتلك ولو سألت أمك وأباك عن صحة هذا لأخبراك بصحته ، وإنى لأحضر الوغى وأوفى المغنم وأعفُّ عن المسألة ، وأجود بما ملكتُ ، وأفضل الخُطَّةَ الصمماءَ فقال له الآخرُ : فأنا أشعر منك ، فقال عنترَةُ : ستعلم - وكان عنترَةُ لا يقول من الشعر إلا البيت والبيتين في الحرب ، ولا يقصد فقال قصيدته هذه والعرب تسميها المذَّهبة :

أم هل عرفتَ الدارَ بعد توَّهْمِـ	هل غادر الشعراءُ من مُتَرَدِّمِـ
وعِمي صباحا دارَ عبلةَ واسلمِي	يادارَ عبلةَ بالجواءِ تكلمِي
منى بمنزلة الحَبِّ المَكْرَمِـ	ولقد نزلتُ فلا تظني غَيْرِهِـ
رَكَدَ الهواجرُ بالمشوفِ المُعَلِّمِـ	ولقد شربتُ من المدامة بعدما
للحرب دائرةٌ على ابني ضمضمِـ	ولقد خشيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْـ
والناذرَيْنِ إذا لقيتهما دمي	الشامِئِي عَرَضِي ولم أَشْتُمهُما
قيلُ الفوارسِ وَيَنِكَ عنترَةُ أقدمِـ	ولقد شفي نفسي وأبرأ سقمها
إن كنتِ جاهلةً بما لم تَمَلِمِي	هلا سألتِ القومَ ^(١) يا ابنة مالكِ
أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنمِـ	يُخْبِرُكَ من شهد الوقائعَ ^(٢) أني
مالي وعِرْضِي وافرٌ لم يُكَلِّمِـ	فإذا شربتُ فإنني مُسْتَهْلِكٌ
وكما علمتِ شمائلِي وتكرُّجِي	وإذا صحتُ فما أقصُرُ عن ندي

(١) الخيل (أغانى - معلقات) .

(٢) الوقعة (معلقات) .

ولما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم ، قولَ عنترَةَ :

ولقد آيتُ على الطوى وأظلهُ
حتى أنالَ به كريمُ المأكَلِ .

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : ما وُصِفَ لى عَرَبِيٌّ قط فأحببت أن أراه
إلا عنترَةَ .

قيل لعنتره : أنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال : لا ، قيل : فلم شاع لك هذا
في الناس ؟ قال : كنت أُنَدِمُ إذا رأيت الإقدام عَزْمًا وأُحِجُّمُ إذا رأيتُ الإحجام
حزما ، ولا أدخل موضعا لا أرى لى منه مخرجا ، وكنت أعتمد الضعيفَ الجبانَ
فأضربُه الضربةَ الهائلةَ يطير لها قلبُ الشجاعِ فأنتنى عليه فأقتله .

أغار عنترَةُ على بنى نهبانَ من طَيِّبٍ ، فأطردَ لهم طريدةً وهو شيخ كبير فجعل
يَطْرُدُها ويرتجز ، ويقول :

كأنما آثارها بالحنثِ
آثار ظلمانٍ بقاعٍ محدث

وكان وزير بن جابر النبهاني في عيره فرماه وقال : خذها وأنا ابن سلمى فقطع
مطاه (١) فتحمل بالرمية حتى أتى أهله فقال وهو مجروح :

وإن ابن سَلَمَى فاعلموا عنده دمي
وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولادمي

إذا ما تمشى بين أجبال طَيِّبٍ (٢)
مكان الثريا ليس بالمتهمم

رمانى ولم يدَهش بأزرق لَهْدَمٍ (٣)
عشية حَلُّوا بين نَعْفٍ ومخزم

وكان الذى قتله يسمى بالأسد الرهيص .

وقيل : غزا طيما مع قومِه فانهزمت عبس فجزعت فرسُه ولم يقدر من الكبر
أن يعودَ يركب فدخل دغلا فأبصره ربيثة طَيِّبٍ وهاب أن يأخذه أسيرا فرماه فقتله .

(١) المطا : الظهر .

(٢) هذا الشطر رواه الأغاني :

* يحل بأكناف الشعاب وينتمى *

(٣) اللهدم : الحاد القاطع من السيوف .

عيسى بن موسى (١)

هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن هاشم .

ولد ونشأ بالحميمة من أرض الشام .

وكان من فحول أهله وشجعانهم ، وذوى النجدة والرأى والبأس والشوؤد منهم ، ولم يكن الشعر من شأنه ، ولكنه قاله لما خلعه أبو جعفر ، وبائع المهدي ابنه ، كما حكى ناقد خادم عيسى بن موسى أنه كان واقفا بين يديه وجاءه (٢) خبر المنصور وما دبره عليه من الخلع ، فجعل يتململ في فراشه ويهمهم ثم جلس فأنشد :

خَيْرْتُ أمرين ضاع الخزمُ بينهما إما صغاراً وإما فتنة عمم
وقد هممتُ مراراً أن أساقمهم كأس المنية لولا الله والرحم
ولو فعلت لزال عنهم نعمم بكفر أمثالها تستنزل النقم

قال موسى بن محمد بن علي : رأيت في المنام كأنى دخلت بستانا فلم أرفيه إلا عنقوداً واحداً عليه من الحب المرصف ما الله به عليم ، فولد لي عيسى ، ثم ولد لعيسى ما رأيت .

كان عيسى بن موسى إذا حجَّ يحجُّ ناسٌ كثير من أهل المدينة يتعرضون لفضله ومعروفه فيصليهم .

قال : فر الزبير بن هشام بن عروة بأبي الشدائد الفزاري وهو يُنشد :

(١) الأغاني ١٦ : ٢٤١ .

(٢) ليلة أتاه خبر (١٦ : ٢٤١) .

عصابةً إن حجَّ عيسى حجَّوا وإن أقام بالعراق دجَّوا
قد لعقوا لعميقة فلجَّوا فالتوم قوم حجَّهم مُعوجٌ
أهكذا كان يكون الحجُّ

ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك الزبير فسلم عليه فلم يرُدُّ عليه السلام ، فقال له :
مالك يا عبدَ الله لا ترد السلام على ؟ فقال له : ألم أسمك تهجو حاج بيت الله فقال
أبو الشدائد :

إني ورب الكعبة المبيَّنة
والله ما هجوت من ذي نية
ولا امرئ ذي رغبة تقيمه^(١)
لكنني أرعى على البرية
من عصابة أغلوا على الرعية
[بغير أخلاق لهم شريفة]^(٢)

(١) ذي رعة تقيه (أغاني) ٢٤٣/١٦ .

(٢) ما بين القوسين زيادة من الأغاني .

عامر بن الطفيل^(١)

وعلقمة بن علاثة

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر .

وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص .

وأُم عامر كبشة بنت عروة الرَّحَّال بن عُتْبَةَ بن جعفر وأُمها أُم الطَّبَّاء بنت معاوية ،

فارس الهَرَّار، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة .

وأُمها خالدة بنت جعفر بن كلاب .

وأُمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف .

وأُم أبيه الطفيل أُم البنين^(٢) بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة .

وأُم علقمة كَيْلَى بنتُ أَبِي سَفِيان بن هلال من النَّخَع ، سَيْبِيَّةٌ وَأُمُّ أَبِيهِ مَأْوِيَّةٌ

بنتُ عبد الله بن الشَّيْطَان بن بكر بن عوف من النَّخَع مهيرة .

كان أول ما هاج التَّنَافُرَ بينهما أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبولُ ، فَبَصُرَ به

عامرٌ فقال له : لم أرَ كالِيومِ عَوْرَةَ رَجُلٍ أَفْبَحَ مِنْكَ فقال علقمة : أما والله ما تَنَبُّ على

جاراتها ولا تنازل كَنَفَاتِها ؛ يعرض بعامر . فقال عامر : وما أنت والقُروم ؟ والله لفرَسُ

أبي حَنَوَةَ^(٣) أذكُرُ من أبيك ، ولَفَحَلُ أَبِي غَيْهَبٍ أَعْظَمُ ذِكْرًا مِنْكَ في نجد .

وكان فرسه فرساً جواداً ، نجا عليه يوم بنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ،

وكان فخلاًه فخلاً لبني حَرْمَلَةَ بن الأشعر بن حرملة بن مرة بن عوف بن سعد ،

(١) الأغاني : ١٦ : ٢٨٣ . مهذب ٢ : ٦٨ تجريد ١٧٥٣ .

(٢) كانت في الأصل : اليقيم وما أثبتناه عن الأغاني .

(٣) كانت في الأصل حيوة والتصويب عن الأغاني .

وسمى غميباً لسواده ، فاستعاره منهم ، يستعطفه فطلبهم عليه ، فقال له علقمة :
 أما فرسُكم فعارة ، وأما فحلُكم فندرة ، ولكن إن شئت نافرُك . فقال : قد شئت .
 فقال عامر : لأنا أكرمُ منك حسباً ، وأثبتُ منك نسبا ، وأطولُ منك قسبا ، فقال
 علقمة : لأنا خيرُ منك ليلاً ونهاراً . فقال عامر : لأنا أحبُّ إلى نساءك أن أصبحَ
 فيهن منك ، فقال علقمة : [على ماذا تنافرنى يا عامر ؟ فقال عامر :] ^(١) أنا فرُك على
 أنى أنحرُ منك للقاح ، وخيرُ منك في الصباح ، وأطعمُ منك في السنة الشياح ^(٢) .
 فقال عامر : أنت رجلٌ تقاتل الناسَ والناسُ يزعمون أنى جبان ، ولأن تلقى العدوَّ
 وأنا أمامك أعزُّ من أن تلقاهم وأنا خلفك ، وأنت جواد ، والناسُ يزعمون أنى
 بخيل ، ولست كذلك ، ولكنى أنا فرُك أنى خيرُ منك أترأ ، وأحدُ منك بصراً ،
 وأعزُّ نقرأ ، وأسرحُ منك ذكراً ، وقال عامر : ليس لبنى الأحوص فضلٌ على
 بنى مالك في العدد ، وبصرى ناقصٌ وبصرُك صحيح ، ولكنى أنا فرُك على أنى أنشر
 منك أمة ^(٣) وأطولُ منك قمة ^(٤) وأحسنُ منك لمة ^(٥) ، وأجمدُ منك جممة ^(٦) ،
 وأبعدُ منك همة . فقال علقمة : أنت رجلٌ جسيم ، وأنا رجلٌ قصيف ، وأنت جميل
 وأنا قبيح ، ولكنى أنا فرُك بأبائى وأعمامى ، فقال عامر : آباؤك أعمامى ، ولم أكن ^(٧)
 لأنافرُك بهم ولكنى أنا فرُك على أنى خيرُ منك عقباً ، وأطعمُ منك جدباً . فقال
 علقمة : قد عرفت أن لك عقباً في المشيرة وقد أطعمت طيباً إذ سارت ولكنى أنا فرُك

(١) ما بين القوسين عن الأغاني وبه يستقيم الكلام (٢٨٤/١٦) .

(٢) الشياح : القحط .

(٣) الأمة : الجماعة ، الجيل من الناس .

(٤) القمة : جماعة الناس ، أعلى كل شيء ، القامة .

(٥) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(٦) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

(٧) في الأصل : ولكنى والتصويب عن الأغاني .

على أنى خير منك وأولى بالخيرات [منك] وقد أكثرنا المراجعة ، منذ اليوم ،
فخرجت أم عامر ، وكانت تسمع كلامهما ، فقالت : يا عامر نافرّه ، أيكما أولى
بالخيرات . وقيل : قال عامر في مراجعته : والله لأنا أركب منك في الحماة وأقتلُ منك
للكمّاة ، وخير منك للموَلَى والموَلَاة . فقال علقمة : والله [إني أعزّ منك ؛] (١)
إني لبرّ وإنك لفاجر ، وإني لوفى وإنك لغادر ، ففيم تفاخرنى يا عامر ؟ فقال عامر :
والله إني لأنزلُ منك في القفّرة ، وأنجر منك للبرّكرة ، وأطمن منك للثغّرة ،
وأطعم منك للهبرة . فقال علقمة : والله إنك لكليلُ البصر بليدُ النظر ، وثابُّ
على جاراتك في السّحر . فقال بنو خالد بن جعفر ، وكانوا يدا مع بنى الأحوص على
بنى مالك بن جعفر : لن تطيق عامراً ولكن قل له : أنافرك بأشرّنا وأقربنا للخيرات
وخذُ عليه بالكبر ، فقال له علقمة هذا القول . فقال عامر : عَيْرُ وتَيْسُ وتَيْسُ وعَيْرُ
فذهبت مثلاً نعم على مائة من الإبل إلى مائة من الإبل يُعْطَاهَا الحُكْمُ أَيُّنَا نُفِرَّ عَلَيْهِ
صاحبه أخرَجَهَا ، ففعلوا ووضعوا بها رهنا من أبناءهم ، على يد رجل من بنى الوحيد
يُقَرَّبُ بذلك ، فسمى الضمين إلى الساعة ، وهو الكفيل . وخرج علقمةُ ومن معه
من بنى خالد ، وخرج عامر ومن معه من بنى مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه
عامرُ بن مالك ، وهو أبو براء ، فقال : يا عماء أعنّى فقال : يا ابن أخى سُبْنَى
فقال : لا أُسْبِكُ وأنت عمى . فقال : فسبّ الأحوصَ فقال عامرُ : ولا أُسبُّ
الأحوص وهو عمى . فقال : فلا أعينك ، ولكن دونك نعلى فإنى قد ربعت (٢) فيها
أربعين مرباعاً فاستعِنَ بها فى نِفارك وجملاً منافرتهما إلى أبى سفيان بن حرب ،
فلم يقلُ بينهما شيئاً ، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما ، وقال : أنما كررُ كِبْتَى

(١) الزيادة بين القوسين عن الأغاني ١٦ / ٢٨٦ .

(٢) فى الأصل فإن ربعت وما أئبنتاه عن الأغاني .

البعير الأني قالوا : فأبينا اليمين ؟ قال : كلا كما يعين . وأبى أن يقضى بينهما ، فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام ، فأبى أن يحكم بينهما ، فوثب مروان بن سُرَاقَة ابن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر فقال :

يا لقریشِ بَيَّنُوا الكلاما إنا رَضِينا منكمُ الأحكاما
فبيِّنوا إن كنتمُ حُكَمَا كان أبونا لهمُ إماما
وعَبَد عمرو منع الفئاما في يوم نَفَرَ مُعلما إعلاما
ودعَلجُ أقدامه إقداما لولا الذي أجشمهم إجماما
لا تَتَّخِذَهُمْ مَذْحِجَ نَعَاما

فأبوا أن يقولوا بينهما شيئا ، فأتوا إلى غيَّلان بن سلمة بن مغيث الثقفي ، فردها إلى حرْملة بن الأشعر المُرِّي ، فردها إلى هَرَم بن سنان بن عمرو الفزاري ، فانطلقا حتى نزلا به . وقيل : ساقا الإبل معهما ، حتى أُنْتَجَتْ وأرْبَعَتْ لا يأتیان أحداً إلا هاب أن يقضى بينهما ، فقال هَرَم : لعمري ، لأحكمن بينهما حكما ثم لأفصلن ، ثم لا أثنى إلى واحد منكما ، فأعطيتاني موثقا أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول ، وتُسَلِّما بما قضيت بينكما ، ففعلا فأمرها بالانصراف ، ووعدها ذلك اليوم من قابل ، فانصرفا ، حتى إذا بلغ الأجلُ خرجوا إليه ، فخرج علقمة بنى الأحوص ، فلم يتخلف منهم أحد مع القبابِ والجُزُرِ والقدورِ يَنْحَرُونَ في كل يوم ويُطْعَمُونَ وجمع عامر بنى مالك ، فقال : إنما تخاطرون بأحسابكم فأجابوه ، وساروا معه ، ولم ينهض أبو براء معهم ، وقال لعمري : والله لا تطلع نبيّة إلا وجدت الأحوص منيخا بها ، وكره أبو براء ما كان من أمرها ، فقال عامر : فما كان من منافرتهم ودعا عامرُ أباه أن يسير معه فقال :

أَوْوَمِرُ أن أسبَّ أباشريحِ (١) ولا والله أفعلُ ما حَمِيتُ

(١) في الأصل (أسب شرح كلا) وما أثبتناه عن الأغاني .

أُكَلِّفَ سَعَى لِقَانِ بْنِ عَادٍ قَتَلَ أَبِي شَرِيحٍ مَا لَقِيَتْ
وَلَا أَهْدَى إِلَى هَرَمٍ لِقَاحَا فَيُحْيِي بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ يُمَيِّتُ
وَكُرِهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَطْنَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا . وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ شَرِيحِ بْنِ
الْأَحْوَصِ :

لِحَى اللَّهِ وَفَدَيْنَا وَمَا ارْتَحَلَا بِهِ مِنَ السَّوْءِ الْبَاقِي عَلَيْهِمْ وَبِأَهْلِهَا
أَلَا إِنَّمَا بُرْدِي صِفَاقٌ مَتِينَةٌ أَبِي الضَّمِيمِ أَعْلَاهَا وَأُثْبِتَ حَالُهَا
وَسَارَ عَامِرٌ وَبَنُو عَامِرٍ عَلَى الْخَيْلِ مُجَنَّبِي الْإِبِلِ ، عَلَيْهِمُ السَّلَاحُ ، فَقَالَ رَجُلٌ
مِنْ غَنَى : يَا عَامِرُ بئس ما صنعتَ ، أَخْرَجْتَ بَنِي عَامِرٍ تَنَافَرُ بَنِي الْأَحْوَصِ ، وَمَعَهُمُ
الْقَبَابُ وَالْجُزُرُ ، وَلَيْسَ مَعَكَ شَيْءٌ تُنْظِمُ النَّاسَ ، مَا أَسْوَأَ مَا صَنَعْتَ . فَقَالَ عَامِرٌ
لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَمِّهِ : أَحْصِيَا كُلَّ شَيْءٍ مَعَ عَلْقَمَةَ مِنْ قُبَّةٍ أَوْ قَدْرٍ أَوْ لَقْحَةٍ ففعلوا ،
فَقَالَ عَامِرٌ : يَا بَنِي مَالِكِ إِنَّهَا الْمُقَارَعَةُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ فَاشْخَصُوا بِمِثْلِ مَا شَخَّصُوا بِهِ
فَفَعَلُوا ، وَثَارَ مَعَ عَامِرٍ لَبِيدٌ وَرَبِيعَةٌ وَالْأَعَشَى ، وَمَعَ عَلْقَمَةَ الْحَطِيطَةُ وَفَتَيَانٌ مِنْ
بَنِي الْأَحْوَصِ مِنْهُمْ السَّنْدَرِيُّ بْنُ يَزِيدَ بْنِ شُرَيْحٍ ، وَمُرْوَانَ بْنُ سُرَاقَةَ بْنِ قَتَادَةَ
ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ فَقَالَ لَبِيدٌ :

يَا هَرَمٌ وَأَنْتَ أَهْلُ عَدَلٍ إِنْ نَفَرَّ الْأَحْوَصُ يَوْمًا قَبْلِي
لَيْدُهُنَّ أَهْلُهُ بِأَهْلِي لَا تَجْمَعَنَّ شِكَاكَهُمْ وَشِكْلِي
وَنَسَلَ آبَاءَهُمْ وَنَسَلِي

وقال أيضا :

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ مَالِكِ بْنِ جَمْفِرٍ عَلِقَمٌ قَدْ نَافَرَتْ غَيْرَ مُنْفَرٍ
نَافَرَتْ سَقْبَا مِنْ سِقَابِ الْعَرَعَرِ

وقال قحافة بن عوف^(١) بن الأحوص :

نَهْنَهُ إِلَيْكَ الشَّعْرَ يَا بَيْدُ وَاصْدُدُّ فَقَدْ يَنْفُكُ الصَّدُودُ
سَادَ أَبُوْنَا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا سُودِدُكُمْ مُطْرَفُ زَهِيدُ

وقال أيضا :

إِنِّي إِذَا مَا نَسِيَ الْحِيَاءَ وَضَاعَ يَوْمَ الْمَشْهَدِ اللَّوَاهِ
أُنْمِي وَقَدْ حُقِّقَ لِي النَّمَاءُ إِلَى كُهُولٍ^(٢) ذِكْرُهَا سَنَاءُ
إِذْ لَا تَزَالُ جَلْدَةً كَوْمَاءُ مَبْقُورَةٌ لِسَقْبِهَا رُغَاءُ
لَمْ يَنْهِنَا عَنْ نَحْرِهَا الصَّفَاءُ لَنَا عَلَيْكُمْ سُورَةٌ وَوَلَاءُ

المجدُّ والسُّودُّ والمطَاءُ

وقال أيضا :

أَنْتُمْ هَزَلْتُمْ عَامِرَ بْنَ مَالِكٍ فِي شَمَوَاتٍ مُضِرَّ الْمَسْوَالِكِ
يَاسِرًا أَحْيَاءَ وَشَرًّا هَالِكِ

وقال السَّنْدَرِيُّ ورفع صوته بإنشادها فقبل من هذا ؟ فقال :

أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَ صَوْتِي السَّنْدَرِيُّ أَنَا الْفَتَى الْجَعْدُ الطَّوِيلُ الْجَمْفَرِيُّ
مَنْ وَلَدِ الْأَحْوَصِ أَخْوَالِي غَنِي

فقال عامر : أجب يا بئيد ، فرغب لبئيد عن أجابته ، وذلك لأن السَّنَدَرِيَّ كانت
جدته أمة اسمها عَيْسَاءُ فقال :

لَمَّا دَعَانِي عَامِرٌ لِأَسْبِهِمْ أَيْبَتُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَيْسَاءَ ظَالِمًا
لِئَلَّا يَكُونَ السَّنْدَرِيُّ يَسْبِي^(٣) وَيَشْتَمُ أَعْمَامًا قُرُومًا^(٣) عَمَامًا

(١) في الأصل : تقرأ (محافر بن عون) والتصويب عن الأغاني .

(٢) ذكور (أغاني) .

(٣) (نديقتي . . . أعماما عموما) أغاني ١٦ / ٢٩٠ .

وَأُنْشِرَ مِنْ تَحْتِ الْقُبُورِ أُبُوءَ
كِرَامًا هُمْ شَدُّوا عَلَى التَّمَائِمِ
لَبِيتُ عَلَى أَكْتَانِهِمْ وَحُجُورِهِمْ
وَلِيدَا وَفَدَّوْنِي وَلِيدَا وَعَاصِمًا (١)
أَلَا أَيْتَنَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكِ
فَوَثِبَ الْحَطِيبَةُ فَقَالَ :

مَا يَحْسِنُ الْحُكَّامَ بِالْفِصْلِ بَعْدَمَا
بَدَأَ سَابِقُ ذُو غُرَّةٍ وَحُجُولِ
وَقَالَ أَيْضًا :

يَا عَامِرٌ قَدْ كُنْتَ ذَا بَاعٍ وَمَكْرُمَةٍ
لَوْ كَانَ مَسْعَاةً مِنْ جَارِيَتِهِ أُمَّمُ
جَارِيَتُ قَرَمًا أَجَارَ الْأَحْوَصَانَ بِهِ
سَمَحَ الْيَسِيدِينَ وَفِي عَرِينِهِ سَمَمُ
لَا يَصْعَبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرِ كَبِيهِ
وَلَا يَبِيدُ عَلَى مَالٍ لَهُ قَسَمُ
كَانَتْ (٢) بَنُو مَالِكٍ مَجْدًا وَمَكْرَمَةً
وَمَا أَسَاءُوا فِرَارًا عَنْ مُجَلَّجِلَةٍ (٣)

فَأَقَامَ الْقَوْمُ عِنْدَهُ أَيَّامًا ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَامِرٍ ، فَأَتَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عَلْقَمَةَ ، فَقَالَ :
يَا عَامِرُ إِنِّي كُنْتُ أَرَى لَكَ رَأْيَا ، وَإِنْ فِيكَ خَيْرًا ، وَمَا حَبَسْتُكَ هَذِهِ الْأَيَّامَ ،
إِلَّا لِتَنْصَرِفَ عَنْ صَاحِبِكَ ، أَتَأْتِيهِمْ رَجُلًا لَا تَفْخَرُ أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ إِلَّا بِأَبَائِهِمْ ؟ فَمَا الَّذِي
أَنْتَ بِهِ خَيْرٌ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عَامِرٌ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ تَفْضَلَ عَلَيَّ عَلْقَمَةَ ، فَوَاللَّهِ
لَئِنْ فَعَلْتَ لَا أَفْلَحُ بَعْدَهَا أَبَدًا . هَذِهِ نَاصِيَتِي فَاجْزُئْهَا وَاحْتَسِبْ فِي مَالِي ، وَإِنْ
كُنْتَ لَا بَدَ فاعْلَا فَسَوْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . قَالَ : انصرفت فسوف أرى رأيي ، فخرج عامر ،
وهو لا يشكُّ أنه مُفْتَرٌّ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَلْقَمَةَ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عَامِرٌ ، فَأَتَاهُ
فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا عَلْقَمَةَ إِنْ كُنْتُ لِأَحْسِبُ فِيكَ خَيْرًا ، وَأَنْ لَكَ رَأْيَا ، وَمَا حَبَسْتُكَ

(١) (وليدا وسموني مفيدا وعاصما) (الأغاني) .

(٢) هابت (أغاني) .

(٣) مجلجلة: مدوية بعيدة الذكر - وفي الأغاني: مجلجة وهي المصيبة التي تستأصل كل شيء .

هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك ، أتفاخر رجلا هو ابن عمك في النسب ؟ وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظم قومك غناءً وأحمدهم لقاء ، فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : نَشَدْتُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ أَنْ تُنْفِرَ عَلَيَّ عَامراً ، اجزُرْ ناصيتي واحْتَكِمِ فِي مَالِي ، وَإِنْ كُنْتَ لَا بَدَ فاعلا فسوِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . فقال : انصرف فسوف أرى رأيي فخرج ، وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامرا .

وقيل إن هرما قال لعامر ، وقد استدعاه : يا عامر كيف تفاضلُ علقمة ؟ فقال عامر : ولِمَ يا هرِمَ ؟ قال : لَأَنَّهُ أَنْجَلَ مِنْكَ عَيْنَا فِي السَّنَاءِ ، وَأَكْرَمُ مِنْكَ نَفْراً يَوْمَ الدَّعَاءِ ، قَالَ عَامِرٌ : هَلْ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ أَكْثَرُ مِنْكَ نَائِلاً عِنْدَ الْعَطَاءِ ، وَأَعْظَمُ مِنْكَ جَفَنَةً عِنْدَ الدَّعَاءِ ، ثُمَّ قَالَ لَعَلْمَةَ : كَيْفَ تَنَافَرُ عَامراً ؟ قَالَ : وَلِمَ يَا هَرِيمَ ؟ قَالَ : أَتَقْدُ مِنْكَ لِسَانَا وَأَمْضَى مِنْكَ سِنَانَا . قَالَ عَلْقَمَةُ : فَهَلْ غَيْرُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ هُوَ أَقْتَلُ مِنْكَ لِلسُّكَاةِ وَأَفْكَ مِنْكَ لِلْعَقَاةِ .

ثم إن هرما أرسل إلى بنيه وبنى أُمِيَّةَ إِي قَائِلَ بَيْنَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ مَقَالَةً ، فإِذَا فَعَلْتُ فَلْيَطْرُدْ بَعْضُكُمْ عَشْرَ جَزَائِرٍ فَلْيَمْنَحْهَا عَن عَامِرٍ ، وَيَطْرُدْ بَعْضُكُمْ عَشْرَ جَزَائِرٍ ، وَلْيَمْنَحْهَا عَن عَلْقَمَةَ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ النَّاسِ لَثَلَا يَكُونُ لَهُمْ جَمَاعَةٌ .

وأصبح هرِمٌ جَلَسَ مَجْلِسَهُ ، وَأَقْبَلَ النَّاسَ ، وَأَقْبَلَ عَامِرَ وَعَلْقَمَةَ حَتَّى جَلَسَا ، فَجَامَ لِبَيْدٍ . فقال :

يَاهَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِينَ مَنْصِباً إِنَّكَ قَدْ وُلِّيتَ حُكْمًا عَجَباً
فأحکم و صوب رأس من تصوباً إن الذي يماو عليها ترُتُباً (١)
لخَيْرُنَا عَمَّا وَأَمَّا وَأَبَا وَعَامِرٌ خَيْرُهَا مُرَكَّباً
وعامرٌ أدنى لقيسٍ نَسَباً

(١) في الأصل : ندبا وما أثبتناه عن الأغاني والمهذب والمعنى : أبداً أو جميعاً .

فقام هرمٌ فقال : يا بني جعفر تحاكتما عندي ، وأنتما كركبتي البعير
الأزم تقمان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحدٌ إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما
سيد كريم .

وعمد بنو هريم وبنو أبيه إلى تلك الجزر فنحروها ، حيث أمرهم هرم ، عن
علقمة عَشْرًا وعن عامر عَشْرًا ، وفرقوا على الناس ، ولم يُفَضِّلْ هَرَمٌ واحداً
منهما على صاحبه ، وكره أن يقولوها ابنا عم ، فيجلب بذلك عداوةً ويوقع بين
الحيمين شرا .

وكان الأعشى حين رَجِعَ من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوار
والخفرة من علقمة ، فلم يكن عنده ما طلب ، فأجاره عامر وخفّره حتى أدّاه وماله
إلى أهله فقال :

علقمُ ما أنت إلى عامر	الناقضِ الأوتارِ والوترِ
إن تُسَدَّ الحوصَ فلم تَمدُّهم	فعامرٌ سادَ بنى عامرِ
ساد وألْفَى قومه سادةً	وكابراً سادوك عن كابرِ
عمدي بها في الحى قد دُرِّعَتْ	صفراء مثل المهرة الضامرِ
قد حجج ^(١) الندى على صدرها	في مُشرقِ ذى بهجةٍ ناصرِ
لو أسندتُ ميمتا إلى صدرها	عاش ولم يُنقلْ إلى قابرِ
حتى يقولَ الناسُ مما رأوا	يا عجباً للميتِ الناصرِ

فلما بلغ علقمة ما قال الأعشى ، وشاع في العرب أن هَرَمًا قد فَضَّلَهُ توَعَّد
الأعشى فقال :

* لئن أمسى من الحى شاخصا *

(١) حجج الندى : نهى وصار له نوء وارتفاع .

وعاش هرم حتى أدرك سلطانَ عمرَ بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فسأله عمر فقال : يا هرم أى الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت ؟ فقال : لو قلتُ ذلك لعادت الحرب جَدَعَةً ولبلغت شعاف^(١) هجر . فقال عمر : نعم مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ومُسْتَنْدُ الأَمْرِ أنت يا هرم ، مثلُ هذا فليُسَوِّد العشيِّرة وإلى مثلك فليَسْتَبِضِع القومُ بأحكامهم .

وكان علقمة على كلاب وما والاها . وكان قد أسلم ثم ارتد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام مُرْتَدًّا . فلما توفى النبي صلى الله عليه وسلم ، أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كعب مُقَدِّمًا رجلاً ومؤخرًا أُخرى . وبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه ، فبعث إليه سَرِيَّةً أَمَرَ عليها القعقاعُ ابن عمرو ، وقال : يا قعقاعُ : سِرِّ حتى تُغَيِّرَ على علقمة بن علاثة ، لعلك تأخذه لى أو تقتله ، واعلم أن شفاء النفسِ الحَرُصُ ، فاصنع ما عندك ، فخرج حتى أغار على المساء الذى علقمة عليه ، وكان لا يبرح أن يكون على وجل فسابقهم على فرسه مرا كضَةً وأسلم ولده وأهله واستاق القعقاعُ امرأةَ علقمة وبناته ونساءه ومن أقام من الرجال ، فَاتَّقَوْهُ بالإسلام ، فقدم بهم على أبي بكر ، فحجَّدت زوجته وبناته أن يكونوا مالتوا لعلمة على أمره ، فكانوا مقيمين على الدار ، ولم يكن بلغه عنهم غيرُ ذلك وقالوا لأبي بكر : ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة ؟ فأرسلهم ، ثم أسلمَ علقمةُ بعد ذلك فقبِلَ منه .

كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ربما حدَّث أصحابه ، وربما تركهم يتحدثون ، ويصنَعُ إليهم ويبتسم ، فبينما هم ، يوماً كذلك ، يتذاكرون الشعرَ وأحاديثَ العرب سمع حسان بن ثابت يَنشُدُ هجاءَ أعشى بنى قيس بن ثعلبة لعلمة بن علاثة ومديحه لعامر بن الطفيل بقوله :

(١) شعاف جمع شفعة ، وهى من كل شىء أعلاه .

علقمَ ما أنت إلى عامر

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : كَفَّ عَنْ ذِكْرِهِ يَا حَسَانَ فَإِنْ أَبَا سَفِيَانَ
لِمَا سَبَّيْتُ عِنْدَ هِرِّ قُلِّ رَدَّ عَلَيْهِ عَلْقَمَةَ ، فقال حسان : بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ
مَنْ يُؤَلِّيكَ يَدَهُ فَقَدْ وَجِبَ شُكْرُهُ .

لَمَّا قَدِمَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَلَانَةَ الْمَدِينَةَ ، وَكَانَ صَدِيقًا لِحَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، لَقِيَهُ عَمْرُ
ابْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي الْمَسْجِدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَكَانَ عَمْرٌ يُشَبِّهُ خَالِدَ
ابْنَ الْوَلِيدِ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ حَسْمَةُ بِنْتُ هَاشِمِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَخْزُومٍ ، وَكَانَ
خَالِدٌ صَدِيقًا لِعَلْقَمَةَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَظَنَّ أَنَّهُ خَالِدٌ فَقَالَ لَهُ : أَعَزَّلوكَ ؟ قَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ،
قَالَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا نَفَاسَةٌ عَلَيْكَ وَحَسَدٌ لَكَ ، فَقَالَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَهَلْ عِنْدَكَ
مَعُونَةٌ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ ، إِنْ لَعِمْرَ عَلَيْنَا سَمْعًا وَطَاعَةً وَلَا نَخْرُجُ إِلَى خِلافِهِ ،
فَلَمَّا أَصْبَحَ عَمْرٌ أَذِنَ لِلنَّاسِ ، فَدَخَلَ خَالِدٌ وَعَلْقَمَةُ يُجْلِسُ خَالِدٌ ، وَعَلْقَمَةُ إِلَى جَنْبِ
خَالِدٍ ، فَالْتَفَتَ عَمْرٌ إِلَى عَلْقَمَةَ فَقَالَ : يَا هِيَ يَا عَلْقَمَةَ أَنْتِ الْقَائِلَةُ لِحَالِدِ مَا قُلْتِ ؟ فَالْتَفَتَتْ
عَلْقَمَةُ إِلَى خَالِدِ فَقَالَ : يَا أَبَا سَلِيمَانَ أَمَلْتَهَا ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَقْبَيْتُكَ قَبْلَ مَا تَرَى وَإِنِّي
لَأُرَاكَ لَقَيْتَ الرَّجُلَ . قَالَ : أَرَاهُ وَاللَّهِ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَى عَمْرِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
مَا سَمِعْتُ إِلَّا خَيْرًا قَالَ : أَجَلْ فَهَلْ لَكَ أَنْ أُؤَلِّيكَ عَلَى حُورَانَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَوَلَاهُ إِيَّاهَا
فَمَاتَ بِهَا .

وَكَانَ الْحَطِيطِيُّ لَمَّا أَطْلَقَهُ عَمْرٌ مِنْ حَبْسِهِ ، قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اكْتُبْ لِي
كِتَابًا إِلَى عَلْقَمَةَ بْنِ عَلَانَةَ لِأَفْضِدَهُ بِهِ ، فَقَدْ مَنَعْتَنِي التَّكْسِبَ بِشِعْرِي ، فَقَالَ :
لَا أَكْتُبُ . فَقِيلَ لِعَمْرِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ ؟ إِنْ عَلْقَمَةَ لَيْسَ
بِعَامِلِكَ فَتَخْشَى أَنْ يَأْتِمَ . وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَشْفَعُ لَهُ إِلَيْهِ ، فَكُتِبَ لَهُ بِمَا أَرَادَ
فَمَضَى الْحَطِيطِيُّ بِالْكِتَابِ فَصَادَفَ عَلْقَمَةَ قَدْ مَاتَ ، وَالنَّاسُ مَنْصَرِفُونَ مِنْ قَبْرِهِ ،
فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَأَنشَدَ :

أرى العيس تَخْدِي^(١) بين قَوْ فِضَارِجِ
فَأُتْبِعُهُمْ عَيْنِي حَتَّى تَفْرَقَتْ
لِعَمْرِي لِعَمِّ الْمَرْءِ^(٢) مِنْ آلِ جَمْفَرِ
فَإِنْ تَحَى لَا أُمَلِّلُ حَيَاتِي وَإِنْ تَمَتْ
وَمَا كَانَ بِنِي لَوْ لَقِمْتِكُ سَالِمًا
وَقَدْ لَاحَ فِي الصَّبْحِ الْأَشَاءَ الْحَوَامِلُ
مَعَ اللَّيْلِ عَنْ سَاقِ الْفَرِيدِ الْجَمَائِلُ
بِحُورَانِ أُمْسَى أَعْلَقْتَهُ^(٣) الْجَبَائِلُ
فَمَا فِي حَيَاتِي بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
وَبَيْنَ الْغَيْثِ إِلَّا لَيَالٍ قَلَائِلُ
فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : كَمْ طَنَنْتَ أَنْ عَلَقْمَةَ يُمِطِيكَ ؟ قَالَ : مَائَةٌ نَافِقَةٌ يَتَّبِعُهَا مِنْ أَوْلَادِهَا
مَائَةٌ قَالَ : فَهِيَ لَكَ ، وَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا .

(١) يقال : خدى البعير ، والفرس ، يخدى : أسرع وزج بقوأمه .

(٢) الحى (أغانى) .

(٣) اقصدته (أغانى) .

عبد ينفوٲ (١)

هو عبد ينفوٲ بن صلاة^(٢)

وقبل عبد ينفوٲ بن الحارٲ بن وقاص بن صلاة بن المعقل وهو ربعة بن كب
الأرت^(٣) بن ربعة بن كب بن الحارٲ بن كب بن عمرو بن علة^(٤) بن خالد بن مالك
ابن أدد بن زبد بن يشجب^(٥) بن عرب بن زبد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن
يعرب بن قحطان بن عابر بن شالح بن أرخشدد بن سام بن نوح .

وكان يقال ليعرب المرعف .

وكان عبد ينفوٲ شاعرا من شعراء الجاهلية ، فارسا سيداً لقومه ، من بني
الحارٲ بن كب ، وهو قائدهم يوم الكلاب الثاني إلى بني تميم ، وفي ذلك أسر
قتل .

وعبد ينفوٲ من أهل بيت مرق في الشعر في الجاهلية والإسلام، فمنهم اللجلاج
الحارثي ، وهو طفيل بن يزيد بن عبد ينفوٲ بن صلاة ، وأخوه مسهر ، فارس
شاعر ، وهو الذي طمن عامر بن الطفيل في عيئه يوم فيف الريح .

ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن علة بن ربعة بن الحارث بن عبد ينفوٲ
ابن الحارث بن معاوية بن صلاة كان فارساً شاعرا صعلوكا ، أخذ في دم ، فحبس

(١) أغاني ١٦ : ٣٢٨ .

(٢) في الأصل وب : صلاة .

(٣) في الأصل : (كب الأزب) وما أئبتناه عن الأغاني .

(٤) في الأصل : (عليه) .

(٥) في الأصل : (يعرب) .

في مكة ، ثم قُتِلَ صَبْرًا ، وقد ذكّرتَه في حرف الجيم - لما وقع كسرى ببني تميم الصفا^(١) بالمشقر فقتل المقاتلة ، وبقيت الأموال والندارى ، بلغ ذلك مَذْحِجًا ، فشئ بمضهم إلى بعض ، وقالوا : اغتتموا ببني تميم ، ثم بعثوا الرسل في بلاد اليمن وأحلافها من قضاة ، فقالت مذحج للمأموم الحارثي ، وهو كاهن : ما ترى في هذا اليوم ؟ فقال لهم المأموم : لا تغزوا ببني تميم ، فإنهم يسرون أعبابا^(٢) ويردّون مياهها جبابا فتكون غنيمتكم ربابا . واجتمع من مذحج ولقيفها اثنا عشر ألفا من مذحج وكندة وخولان وهمدان ونهد وجرم وأخلاق من اليمن ، وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاة ، ورئيس همدان رجل يقال له مسروح^(٣) ورئيس كندة البراء بن قيس بن الحارث الملك فأقبلوا إلى تميم ، فبلغ ذلك سعدًا والرباب ، فانطلق ناسٌ من أشرافهم إلى أكشم بن صيفي وهو قاضي العرب ، فاستشاروه ، فقال لهم : أقبلوا الخلف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياع من الفسل ، وأدرعوا الليل ، وابرزوا في الحرب وتمبّتوا فرُبَّ عجلة تهب ريثنا ، ولا تختلفوا فلا جماعة لمن اختلف ، فاستعدوا للحرب ، وأقبل أهل اليمن من بني الحارث وأشرافهم ، فزولوا قريبا من الكلاب ، ورجلٌ من بني زيد ابن رباح بن ربوع يقال له مُشَمَّت بن زبناع في إبل له ، عند خاله من بني سعد ، يقال له زهر ، فلما أبصرهم المُشَمَّت قال له : إيه دونك الإبل ، وتنج عن طريقهم ، ثم أتى الحى فأنذرهم ، وركب المشمت ناقه ، وسار حتى أتى سعدًا والرباب وهم على الكلاب فأنذرهم فأعدوا القوم وصبحوهم فأغاروا على النعم فطردوها وجعل يرتجز ويقول :

في كلِّ عام نَعَمٌ ننتأبه على الكلابِ غُيِّبًا أربابه

(١) في الأصل : (الصفة) .

(٢) في الأصل : (يرون أعقابا) .

(٣) في الأغاني (مسرح) . وفي النقائض (مسرح) .

فأجابه غلام كان من بني سعد في النعم على فرس له فقال :
عما قليلٍ ستري أربابه صُلبَ القناة حازما شبا به (١)

على جوادٍ ضمير غيا به

وأقبلت سعد والرباب ، ورئيسُ الرباب النعمانُ بن حسان التيمي ، ورئيسُ بني

سعد قيسُ بن عاصمِ النقرِيّ ، فقال صبي حين دنا من القوم :

في كلِّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وَتُنْتَجُونَهُ

أربابه نوكي فلا يحمونه ولا يلاقون الطَّعَانَ دُونَهُ

أَنَعَمَ الإماءَ تَحْسَبُونَهُ هِيَّاتِ هِيَّاتِ لَمَّا تَرَجُونَهُ

فقال ضمير بن أسد الحارثي (٢) : انظروا إذا سَقَمْتُمُ النعمَ فَإِنَّ أُنْيَكُمُ الخيلُ عُصَبًا عُصَبًا

تثبت الأولى للأخرى حتى تَلْحَقَ فَإِنَّ أَمْرَ القومِ هَيِّنٌ ، وإن لحق بكم القوم فلم ينظروا

إليكم حتى يردوا وجوه النعم [ولا ينظر بعضهم بعضا فإن أمر القوم شديد] (٣) فأقبل

القوم فاقتتلوا قتالا شديداً يومهم حتى إذا كان من آخر النهار قُتل النعمانُ بن حسان ،

قتله رجلٌ من أهل اليمن ، وكانت أمه من بني حَنْظَلَةَ ، يقال له : عبدُ الله بن كَعْبٍ ،

وهو الذي رماه ، وقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحنظلية . فقال النعمان :

ثَكَلْتِكُ أُمِّكَ ، رَبُّ ابْنِ حَنْظَلِيَّةٍ قَدْ غَاضَنِي ، فذهبت مثلاً . وظن أهل اليمن أن بني

تميم سيردُّهم قتلُ النعمان فلم يَزِدْهم ذلك إلا حرصاً عليهم ، فاقتتلوا حتى حجز بينهم

الليل ، فباتوا يحزُّس بعضهم بعضاً ، فلما أصبحوا غَدَوْا على القتال ، فنادى قيسُ

ابن عاصم : يَا لَسَعْدِ فَنَادَى عَبْدُ يَغُوثَ : يَا لَسَعْدِ . قيسُ بن سعد يدعو سعدَ بنَ زيد

مناة بن تميم ، وعبدُ يغوث يدعو سعدَ العشيبة ، فلما سمع سعدُ ذلك نادى : يَا لَكَعْبِ ،

(١) في الأصل (خان ما نتابه) .

(٢) ضمرة بن لبيد الحماسي (أغاني) .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني وبه يكمل الكلام .

فنادى عبدُ يغوث: يَا كَعْبُ . قيسٌ يدعو كعبَ بنِ سعد ، وعبدُ يغوث يدعو كعبَ ابنِ عمرو .

فلما رأى ذلك قيسٌ قال : ما لهم أخزاهم الله ؟ ما ندعو لشعارٍ إلا دعوا بمثله ، فنادى قيس : يَا لَمَقَاعِسِ ، يعنى ابنَ الحارث بن عمرو بن كعب ، فلما سمع وَعَلَّةُ ابنُ عبد الله الجرمي الصوتَ وهو صاحب اللواء يومئذٍ طرحه ، وهو أولُ مُنْهَزِمٍ من اليمين ، وحملت عليه بنو سَعْدِ والربابُ فهزمتهم أفضحَ هزيمةً ، وجعل قيسُ ابن عاصم ينادى : يَا تَيْمِمْ لَا تَقْتُلُوا إِلَّا فَارَسَا ، فإن الرِّجَالَ لَكُمْ ، وجعل يرتجز ويقول :

لَا تَوَلَّوْا عُصْبَا شِوَاذِبَا^(١) أقسمتُ لا أظعنُ إلا راكبا

إني وجدتُ الظعنَ فيهم صائبا

وجعل يأخذ الأسارى ، فإذا أخذ أسيراً قال له : ممن أنت ؟ فيقول : من بني زَعْبِلٍ ، وهو زَعْبِلُ بن كعب أخو الحارث بن كعب ، وهو أنذال . فكان الأسارى يريدون بذلك رِخْصَ الفداء فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم دفعه إلى من يلبيه من بني تميم ، ويقول له : امسك حتى أصطاد لك زَعْبِلَةً أُخْرَى ، فذهبت مثلاً ، فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون ، حتى أُسر عبدُ يغوث ، أُسرَه فتى من بني عُمَيْرِ بن عبد شمس ، وقتل يومئذٍ عَلْقَمَةُ بن سَبَّاعِ القُرَيْمِي ، وهو فارس هَبُودٍ ، وهَبُودُ فَرَسِ عَمْرُو ابن الجعد المرادى ، وأُسر الأَهمُّ رَئِيسُ كَنْدَةَ ، أسره ابنُ قيسٍ وقتل من بني ضَبَّةِ ضَمْرَةَ ابن أسيد الحماسي^(٢) قتله قبيصة^(٣) بن ضرار .

(١) الشاذب : الحشن أو الضامر .

(٢) في الأغاني : وقتلت بنو ضبة ضمرة بن لبيد الحماسي الكاهن .

(٣) في الأصل : (قبيصة) .

وأما عبد يغوث فانطلق به العبشمي إلى أهله ، وكان العبشمي أهوج فقالت له أمه ، وقد رأت عبد يغوث جميلا وسيما ضخما : من أنت ؟ قال : أنا سيدُ القوم فضحكت وقالت : قَبَحَكَ اللهُ من سيد قوم بأسرك هذا الأهوج ، فقال لها : أيتها الحرة هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذلك ؟ قال : أُعْطِيَ ابْنك مائةً من الإبل وَيَنْطَلِقُ بِي إِلَى الْأَهْتَمِ فَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ تَنْتَرِعَنِي سَعْدُ وَالرَّبَابُ مِنْهُ ، فَضَمِنَ لَهَا مائةً من الإبل وأرسل إلى بنى الحارث بن كعب فوجهوا بها إليه ، فقبضها العبشمي وانطلق به إلى الأهْتَمِ فأنشده عبد يغوث :

أَهْتَمُ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ وَالِدَا وَرَهْطًا إِذَا مَا النَّاسَ عَدَّوَا الْمَسَاعِيَا
تَدَارِكُ أُسِيرًا عَانِيَا فِي بِلَادِكُمْ وَلَا تَتَمَقَّقَنِي التَّيْمُ الْقَتَى الدَّوَاهِيَا

فشت سعد والرباب فيه ، فقالت الرباب : يا بني سعد قُتِلَ فَارِسُنَا وَسَيِدُنَا ، ولم يُقْتَلْ لَكُمْ فَارِسٌ مَذْكُورٌ ، فدفعه الأهْتَمُ إليهم فأخذه عِصْمَةُ بن أثير التيمي فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بني تيم افتلونى قتلة كَرِيمٍ ، فقال له عِصْمَةُ : نعم ، وما تلك القِتْلَةُ ، فقال : اسقوني الخمرَ ودعوني أنوحُ على نفسي . فقال له عِصْمَةُ : نعم ، فسقاه الخمرَ وقطع له عِرْقًا يقال له الأكل ، وتركه يَنْزِفُ الدَّمَ ، ومضى عنه ، وبقي عنده ابنان له ، فقالوا له : جمعت أهل اليمن ، وجئت تصطلحنا ، فكيف رأيت صفع الله بك ؟ فقال عبد يغوث :

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا فَمَا لَكُمَا فِي اللَّوْمِ حَظٌّ وَلَا لِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعُهَا قَلِيلٌ وَمَا لَوْجِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا^(١)
أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَلَا تَلَاقِيَا
أَبَا كَرَبٍ وَالْأَيْهَمَيْنِ كَلَاهَا وَقَيْسَا بِأَعْلَى حَضْرَمَوَاتِ الْيَمَانِيَا

(١) شماليا : يريد شمالي .

جزى الله قومي بالكُلاب ملامةً
ولو شئت نجبتني من الخليل نهدةً
ولكنني أحمى ذمار أبيكم
وتضحكُ مني شيخه عبشميةً
وقد علمت عرسي مليكة أني
صريحهم والآخرين المواليا
ترى خلفها الحوَّ الجيادَ توالياً^(١)
وكان الرماحُ يمحطفنُ المحاميا
كأن لم تر قبلي أسيراً يمانيا
أنا الليثُ ممدوًّا على وعاديا

وكانوا قد شدوا لسانه لئلا يهجوهم وأبوا إلا قتله فقال :

أقول وقد شدوا لساني بنسمةٍ
أمعشر تيمم قد ملكتم فاسججوا
فإن تقتلوني تقتلوا بني سيِّدا
أحقا عبادَ الله أن لست سامعا
وقد كنت نحرَّ الجزورِ ومُعَمِّلا
وأنحر للشرب الكرام مطيبي
وعادية سوم الجراد وزعتها^(٢)
كأنني لم أركب جواداً ولم أقل
ولم أسبأ الزُّق الرويَ ولم أقل

فقتلوه بالنعمان بن حسان وقالت صفية بنت الخرع رثى النعمان :

لقد أجدنا شفاء النفس لو شفيت
وما قتلنا به إلا امرأً دونه
وأما وعلة بن عبد الله الجرمي فلحقه رجل من بني سعد فعقر مره كونه

(١) في الأصل : (يرى خلفها يهجو الجبان مواليا) وما أنبتناه عن الأغاني ٣٣٤/١٦ .

(٢) حرب الرجل : سلبه ماله .

(٣) في الأصل : (بين الجراد رعيتها) .

فنزله وجعل يعدو على رجليه ، فلحق رجلا من بني نهد ، يقال له سليمان بن قتب بن
رفاعة فقال له : اردفني ، فأبى فطره عن فرسه ، وركب عليه وأدركت الخيل
النهدى فقتلوه فقال وعلة في ذلك :

ولما سمعت الخيل تدعو مُقَاعِسا
نَجْوَتْ نَجَاءً لَمْ يَرِ النَّاسَ مِثْلَهُ (١)
وقالت نائمة عمرو بن الجعد :

علمتُ بأن اليوم أغبرُ فاجرُ
كأني عقابٌ دون تيماء (٢) كاسرُ
أشاب قذال الرأسِ مَصْرَعُ سَيْدِ
وفارسُ هَبَّودِ أشابِ النواصيا
وقال علقمة بن سَبَّاعٍ لعمرو بن الجعد :

لما رأيت الأمرَ مَخْلُوجَةً
قلت له خذها فإني امرؤٌ
يعرف رُمحِي الرجلِ الكاهِنَا
يعنى أن عمرو بن الجعد كان كاهنا .

(١) نجوت نجاه ليس فيه وثيرة (أغاني) .

(٢) تيم (أغاني) .

عبد الله بن الدمينة^(١)

هو عبدُ الله بن عبيدِ الله ، أحدُ بنى عامر بن تيم الله بن مُبَشَّر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن خلف بن أفتل ، وهو خثعم بن انمار بن إياس بن عمرو بن الغوث ابن نبت بن مالك .

وقيل إن أكلب هو ربيعة بن نزار وليس هو ابن عفرس وإنما هم حالفوا خثعم ، ونزلوا فيهم ونسبوا إليهم .

والدُمَيْنَةُ أمه ، وهي بنت حُدَيْفَةَ السلوية .

وكانت كنيةُ ابنِ الدمينة أبا السرى .

كان بلغه أن رجلاً من أخواله ، من سلول ، يقال له مزاحم بن عمرو يأتي امرأته حياء ليلاً فرصدته حتى أتاها فقتله ، وقتلها بعده وقتله مصعب بن عمرو أخو مزاحم . وكان مزاحم بن عمرو قد هجا ابنَ الدمينة بقصيدة أفحشَ فيها وذَكَرَ امرأته

فقال :

يا ابنَ الدمينَةِ والأخبارُ يرفعُها	وخذُ النجائبِ والمحذورِ يُخفِئُها
يا ابنَ الدمينَةِ إن تَغَضِبُ لما فَعَلْتُ	وطالَ خَزِيكُ أو تَغَضِبُ مَوالِئِها
أو تُبَغِضُونِي فكم من طَعْفَةٍ نَفَدْتُ	يعدوخلال ^(٢) اختلاجِ الجوفِ عاديها
جاهدتُ فيها لكم إني لكم أبدا	أبني نجا بَتَكُم ^(٣) عمداً فأتِها
لا بر ^(٤) عندي لكم حتى تُعَيِّبَنِي	غبراء مظلمةً هارٍ نواحيها

(١) أغاني (أميرى) ١٥٤/١٥ مهذب ٩٠/٣ .

(٢) في الأصل : تبدو اختلال .

(٣) معايبكم (أغاني) .

(٤) فذاك (أغاني) .

أَغَشَى نِسَاءَ بَنِي تَيْمٍ إِذَا هَجَعَتْ
 كَمِ كَاعِبٍ مِنْ بَنِي تَيْمٍ قَعَدَتْ لَهَا
 كَقَعْدَةِ الْأَعْسِرِ الْعَلْفُوفِ^(٢) مَتَّحِيحًا
 عَلَامَةً كَيْفَ مَا بَيْنَ سُرَّتَيْهَا
 وَشَهْقَةٍ عِنْدَ حَبْسِ الْمَاءِ تَشْهَقُهَا
 وَتَعْدِلُ الْأَيْرَ إِنْ زَاغَتْ فَتَبْعِيثُهُ
 بَيْنَ الصَّفُوفَيْنِ فِي مَسْتَهْدَفٍ وَمِدِّ^(٤)
 مَاذَا يَرَى ابْنُ عَبِيدِ اللَّهِ فِي امْرَأَةٍ
 فَلَمَّا بَلَغَ ابْنَ الدُّمَيْنَةَ هَذَا الشَّعْرُ أَتَى امْرَأَتَهُ ، فَقَالَ لَهَا : قَدْ قَالَ هَذَا الرَّجُلُ
 خِيكَ مَا قَالَ ، وَقَدْ بَلَغَكَ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهُ قَطُّ ، فَقَالَ : فَنِ أَيْنَ لَهُ
 الْعَلَامَاتُ ؟ قَالَتْ : وَصَفَهَا لَهُ النِّسَاءُ ، فَقَالَ : هِيَ بَاتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ . ثُمَّ أَمْسَكَ
 يَدَهُ وَصَبَرَ حَتَّى ظَنَّ أَنْ مَزَاحِمًا نَسِيَ الْقِصَّةَ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهَا الْقَوْلَ ، وَأَعَادَتْ الْخَلِيفَ
 أَنْ ذَلِكَ مِمَّا وَصَفَهُ لَهُ النِّسَاءُ . فَقَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تُمَكِّنِي مِنْهُ لِأَقْتُلَنَّكَ ، فَعَلِمَتْ
 أَنَّهُ سَيَفْعَلُ ذَلِكَ ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ وَوَاعَدَتْهُ لَيْلًا ، وَقَعَدَ لَهُ ابْنُ الدُّمَيْنَةَ وَصَاحِبُ لَهُ فِجَاءَهَا
 لِلْوَعْدِ ، فَجَمَلَ بِكَلِمَاتِهَا ، وَهِيَ مَكَانُهَا ، فَلَمْ تَكَلِّمْهُ ، فَقَالَ لَهَا : يَا حِمَاءُ مَا هَذَا الْجَفَاءُ
 اللَّيْلَةَ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الدُّمَيْنَةَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ : ادْخُلْ ، فَدَخَلَ فَأَهْوَى بِيَدِهِ لِيَضَعَهَا عَلَيْهَا
 فَوَضَعَهَا عَلَى ابْنِ الدُّمَيْنَةَ . فَوَثَبَ إِلَيْهِ هُوَ وَصَاحِبُهُ ، وَقَدْ جَعَلَ لَهُ حَصَى فِي نَوْبٍ

(١) النوم (أغاني) .

(٢) في الأصل : المألوف وما أثبتناه عن الأغاني . والعلفوف : الجاق المسن الكثير اللحم .

(٣) من متين النيل يرميها (١٥ : ١٥٢) .

(٤) يقال ومد اليوم والليلة : اشتد حرها مع سكون الريح فهو ومد .

فَضْرَبَ بِهِ كَبِدَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فَأَخْرَجَهُ فَطَرَحَهُ مَيْتًا . وَجَاءَ أَهْلُهُ فَاحْتَمَلُوهُ وَلَمْ يَجِدُوا بِهِ
أَرَّ السِّلَاحِ فَدَلِمُوا أَنَّ ابْنَ الدِّمِينَةَ قَتَلَهُ . وَقَالَ ابْنُ الدِّمِينَةَ :

قَالُوا هَجَّتْكَ سُلُوكُ الْقَوْمِ مُخْفِيَةً فَالْيَوْمَ أَهْجُوا سُلُوكًا لَا أَخْفِيهَا
قَالُوا هَجَاكَ سُلُوكِي فَقُلْتَ لَهُمْ قَدْ أَنْصَفَ الصَّخْرَةَ الصَّمَاءَ رَامِيهَا
رَجَالَهُمْ شَرُّ مَنْ يَمِشِي وَنِسْوَتُهُمْ شَرُّ الْبَرِيَةِ وَاسْتُ ذَلَّ حَامِيهَا
يَحْكُمُونَ بِالصَّخْرَةِ أَسْمَاءًا بِهَا نَقَبُ لَا يَحْكُمُ نَقَابَ الْجُرْبِ طَالِمَا
وَقَالَ يَذَكُرُ دُخُولَ مُزَاهِمٍ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ :

لَكَ الْخَيْرُ أَنْ وَاَعَدْتَ حَمَاءَ فَالْقَهَا نَهَارًا وَلَا تُدَلِّجُ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
فِيَا نِكَ لَا تَدْرِي أَيْبِضَاءَ طِفْلَةً تَعَانِقُ أُمَّ لَيْثَا مِنَ الْقَوْمِ ضَيْمًا
فَلَمَّا سَرَى عَنْ سَاعِدِي وَإِحْيَايَ وَأَيَقِنُ أُنَى لَسْتُ سَمَاءَ بَجَمَامَا
ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الدِّمِينَةَ أَتَى أَمْرَانَهُ ، فَطَرَحَ عَلَى وَجْهِهَا قَطِيفَةً وَجَلَسَ عَلَيْهَا ، فَبَسَكَ
بُنْيَةَ لَهُ مِنْهَا ، فَضْرَبَ بِهَا الْأَرْضَ فَقَتَلَهَا . وَقَالَ :

* لَا تَتَخَذَنَّ مِنْ كَلْبٍ سَوْءٍ جُرُوءًا *

وَجَلَسَ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلَهَا وَقَالَ :

إِذَا قَمَدَتْ عَلَى عَرْنَيْنِ جَارِيَةٍ فَوْقَ الْقَطِيفَةِ فَادْعُو لِي بِحِفَّارِ

وَخَرَجَ جَنَاحُ أَخِي مُزَاهِمٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ فَاسْتَمَدَاهُ عَلَى ابْنِ الدِّمِينَةَ خُبْسَهُ .
وَقَالَتْ أُمُّ أَبَانَ وَالِدَةُ مُزَاهِمٍ تَرْتِي مُزَاهِمًا وَتَحُضُّ جَنَاحًا وَمُصْعِبًا :

بِأَهْلِي وَمَالِي بَلْ يَجُلُّ عَشِيرَتِي بَنِي تَيْمٍ لَا تَعْدُو بَغِيرِ سِلَاحِ (١)
فَهَلَا قَتَلْتُمْ بِالسِّلَاحِ ابْنَ أَخْتِكُمْ فَيُظْهِرُ فِيهِ لِلشُّهُودِ جِرَاحَ
فَلَا تَطْمَمُوا فِي الصِّلِحِ مَا دَمَتْ حَيَّةٌ وَمَا دَامَ حَيَا مُصْعَبِ وَجَنَاحِ

(١) قَتِيلُ بَنِي تَيْمٍ بَغِيرِ سِلَاحِ (أَغَانِي ١٥ : ١٤٦) .

ألم تعلموا أن الدوائر بيننا تدورُ وأن الطالبين شِحاخُ
ولما طال حبسه ولم يجد أحمد بن إسماعيل عليه حُجَّةً ولا سبيلاً خَلَّاه .
وقتل سلولُ رجلاً من خَتَمِ مكانَ المقتول ، وقتلت خُتَمُ نفرًا من سلول ،
ولهم في ذلك قِصَصٌ . وأقبل ابن الدمينة حاجاً بمد مدة فنزل بنبالة فعدا عليه مصعب
أخو المقتول لما رآه ، وقد كانت أمه حرصته عليه ، وقالت له : أقتل ابنَ الدمينة
فإنه قتل أخاك ، وهجا قومه ، ودمُ أخيك مَطْلُولٌ ، وكنتُ أُعذرك قبل هذا ، فإنك
كنت صغيراً ، وقد كَبُرْتَ الآن ، فلما أُكثِرَتْ عليه خرج من عِنْدِهَا وبَصُرُ
بابن الدمينة واقفاً يُنْشِدُ الناسَ ، فعدا إلى جزار فأخذ شَفْرَتَهُ ، وعدا على ابن الدمينة
فجرحه بها جَرْحَيْنِ . فقيل : مات لَوْقَتِهِ ، وقيل سَلِمَ . ومر عليه مصعبٌ بمد ذلك ،
وهو في سوقٍ يُنْشِدُ فعلاه بسيفه حتى قتله ، وَعَدَا واتَّبَعَهُ الناسَ حتى اقتحم داراً
وأغلقها على نفسه ، فجاء رجل من قومه فصاح به : يا مصعب إن لم تضع يدك في يد
السلطان قَتَلْتَكُ العامَّةُ فأخرج . فلما عرفه قال : أنا في ذمتك حتى توصلني إلى
السلطان ، فسلمه إلى السلطان ، فقتله في سجن تَبَالَةَ . ومكث ابنُ الدمينة ليلته
جريحاً ومات من الغد .

وبلغ مصعباً أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجن تَبَالَةَ فيقتلوه ،
فقال يحرض قومه بهذا الشعر :

إذا انْتَبَحَتْ كلابُ السجْنِ حَوْلِي طمعتُ هَشاشةً وهفا فؤادِي
طاعةً أن يَدُقَّ السجْنِ قَوْمِي وخوفاً أن يُبَيِّنَنِي الأعداِي
فا ظني بقومي شرُّ ظنِّ ولا أن يُسَلِّمُونِي فِي البِلادِ
وقد جَنَدْتُ قاتلهم فأمسى يَمُجُّ دَمَ الوَتِينِ على الوِسادِ

فجاءت بنو عقيل إليه ليلاً فكسروا السجن ، وأخرجوه منه وهرب إلى صنعاء ،
ولم يكن جَلْدًا من الرجال فقال :

أَيُّنِي أَوْ يُعْمِنِي بَدَيْتُكَ جَعَلْتَنِي
فَأَطْمَعُ أُمَّ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ
أَيُّتْ كَأَنَّ بَيْنَ شِقَّيْنِ مِنْ عَصَا
حَذَارِ الرَّدَى أَوْ خَيْفَةً مِنْ زِيَالِكَ
تَعَالَلَتْ كِي أَشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةٌ
تَرِيدُونَ قَتْلِي قَدْ ظَفَرْتُ بِذَلِكَ

كان ابن الدمينه قد هوى امرأه من قومه يقال لها أميمة ، فهام بها مدة ، فلما وصلته تجنيت عليها ، وجعل ينقطع عنها ، ويغاضبها . ثم زارها ذات يوم ، فتعابها طويلا ، ثم أقبلت عليه أميمة فقالت :

وَأَنْتِ الَّذِي أَخْلَقْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ حَتَّى (١) تَرَ كَتَنِي
فَلَوْ أَنَّ قَوْلَا بِكَلِمِ الْجِسْمِ قَدْ بَدَأَ
فَأَجَابَهَا ابْنُ الدَّمِينَةِ بِقَوْلِهِ :

وَأَنْتِ الَّذِي كَلَّفْتَنِي دَلَجَ الشَّرَى
وَأَنْتِ الَّذِي قَطَعْتَ قَلْبِي حَزَاةً
وَأَنْتِ الَّذِي أَحْفَظْتَ قَوْمِي فَكَلِّهْمُ
وَجُونَ الْقَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ
وَفَرَقْتَ جُرْحَ الْقَلْبِ فَهُوَ كَلِيمُ
بِمَيْدِ الرِّضَا دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمُ
ثُمَّ تَرَوَّجَهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَقَتِلَ وَهِيَ عِنْدَهُ .

ومن شعر ابن الدمينه :

أَلَا يَا صَبَا نَجِدِ مَتَى هَجَّتْ مِنْ نَجْدِ
إِنْ هَتَفَتْ وَرَقَاهُ فِي رَوْنِقِ الضُّحَى
بَكَيْتِ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ أَكُنْ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا
عَلَى أَنْ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ
إِذَا كَانَ مِنْ تَهْوَاهِ لَيْسَ بِنَدَى وَدُّ

كان ابن الدمينة يهوى امرأة من قومِه ، فأرسلت إليه إن أهلي قد نهوني
عن لقاءك ومراسلتك ، فأرسل إليها :

أَطَعْتَ الْأَمْرِيكَ بَيْتَ حَبْلِي مُرِيهِمْ فِي أَحْبَبَتِهِمْ بِذَلِكَ
فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ وَإِنْ عَاوُوكَ فَاعْصِي مِنْ عَصَاكَ
أَمَّا وَالرَّافِصَاتِ بَدَاتِ عَرَقٌ ^(١) وَمَنْ صَلَّى بِنُعْمَانَ الْأَرَاكِ
لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبَّكَ فِي فُوَادِي وَمَا أَضْمَرْتُ حُبًّا مِنْ سِوَاكَ

قال الأصمعي : مررت بالكوفة بجارية تجارية تطلّع من جدار إلى طريق على فتى
واقف وهو يقول لها :

أَسْمَرُ فَيْكَ وَتَنَامِينَ عَنِّي ، وَأَبْكِي وَتَضْحَكِينَ مِنِّي ، وَتَسْتَرِيحِينَ وَأَتَمِبُ ،
وَأُحْمَضُكَ الْمَوْدَةَ وَتَمْتَدُّقِينَهَا ، وَأَصْدُقُكَ وَتُنَافِقِينَني ، وَيَأْمُرُكَ عَدُوِّي بِهَجْرِي
فَتُطِيعِينَني ، وَيَأْمُرُنِي نَصُوحِي بِهَجْرِكَ فَاعْصِيهِ .
ثم تنفّسَ وأجهشَ بالبكاء .

فقلت له : إن أهلي يذموني منك ، وينهونني عنك ، فكيف أصنع ؟
فأنشدها :

أَرَيْتَ ^(٢) الْأَمْرِيكَ بَيْتَ حَبْلِي الأبيات

ثم التفت فرآني فقال : يا فتى ما تقول أنت فيما قلت ؟

فقلت : والله لو عاش ابن أبي ليلى ما حكم إلا بمثل حكمك .

(١) بكل فيج (أغاني) .

(٢) أطعت (الأغاني) .

عزة الميلاء^(١)

مولاةٌ للأَنْصارِ ، مسكنها المدينة ، من أجمل النساءِ وجهاً وأحسنهن جِسماً .
وسُميت الميلاءُ لتماميلها في مشيها .
وقيل : كانت تلبس الملاءَ وتتَشَبَّه بالرجال ، فسميت بذلك .
وقيل : بل كانت مُغرَأةً بِشُربِ النبيذِ ، وكانت تقول : خذ ملاءً وارِدْ فارغاً .
وكانت مطبوعةً على الغناء ، أحسنَ الناسِ صوتاً بمؤدٍ . وهي أقدم من غنى
الغناء الموقَّعِ من نساءِ الحجاز .
لما قدم سائبُ خَازِرٍ ونشيطُ المدينة غَنِيماً أغاني الفارسيةِ فلَقِنَتْ عَزَّةٌ عنهما نَعَمًا
وألَفَتْ عليه ألحاناً أعجميةً ، فهي أولُ من غنى أهل المدينة بالغناء ، وحرص نساءهم
ورجالهم عليه .
وكان مشايخُ أهل المدينة إذا ذكروا عَزَّةً قالوا : لله درُّها ، ما كان أحسنَ
غناءها وأحلى صوتها وأندى خلقها وأحسن ضربها وأجمل وجهها وأظرف لسانها
وأقرب مجلسها وأكرم خلقها وأسخى نفسها وأحسن مساعدتها .
وكان ابن سُرَيْجٍ في حدائثه سَنَهُ يَأْتِي المدينة ، ويتعلم غناءها .
وكان إذا سئل من أحسنُ غِناءٍ ؟ قال : مولاةُ الأَنْصارِ المُفضَّلَةُ على كل من غَنَى
وضرب بالمعازِفِ والعِيْدانِ مِنَ الرجالِ والنساءِ .
كان طويسُ أكثرَ ما^(٢) يَأْوِي إلى عَزَّةِ الميلاءِ ، وكان في جوارها وكان إذا

(١) الأغانى أميرى ١٦ : ١٣ .

(٢) في الأصل : (أكرم) .

ذَكَرَهَا يَقُولُ : هِيَ سَيِّدَةٌ مِّنْ عَنَّتِي مِنَ النِّسَاءِ ، مَعَ جَمَالِ بَارِعٍ ، وَخَلَقَ فَاضِلٌ ،
وَإِسْلَامٌ لَا يَشُوبُهُ دَنَسٌ ، تَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَهِيَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَتَنْهَى عَنِ السُّوءِ وَهِيَ
مُجَانِبَةٌ ، فَنَاهِيكَ بِهَا مَا كَانَ أَنْبِلَهَا وَأَنْبَلَ مَجْلِسَهَا .

كَانَتْ إِذَا جَلَسَتْ جَلُوسًا عَامًّا كَأَنَّ الطَّيْرَ عَلَى رِءُوسِ أَهْلِ مَجْلِسِهَا . فَمَنْ تَسَلَّمَ
أَوْ تَحَرَّكَ نَقَرَ رَأْسَهُ .

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : وَمَا ظَنَنْكَ بِنِيقُولِ فِيهَا طُوَيْسٌ هَذَا الْقَوْلَ وَمَنْ هُوَ الَّذِي سَلَّمَ
مِنْ إِسَاءَةِ طُوَيْسٍ ؟

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَابْنُ أَبِي عَتِيقٍ وَعَمْرُؤُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
أَبِي رَيْبِعَةَ ، يَغْتَشُونَهَا فِي مَنْزِلِهَا فَتَمْتَعْنَهُنَّ .

وَعَنَتُ عُمَرَ لِحَنَاتِهَا فِي شَعْرِهَا مِنْ شَعْرِهَا ، فَشَقَّ ثِيَابَهُ ، وَصَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً
صَعَقَ مَعَهَا ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لَهُ الْقَوْمُ : لَغَيْرِكَ الْجَهْلُ يَا أَبَا الْخَطَّابِ . قَالَ : إِنِّي سَمَعْتُ
مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي وَلَا عَقْلِي .

وَكَانَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ مُعْجَبًا بِغَنَائِهَا وَيُقَدِّمُهَا عَلَى سَائِرِ قِيَانِ الْمَدِينَةِ . خَتَنَ
زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بَنِيهِ ، وَأَوْلَمَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَعَامَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ،
وَحَضَرَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَقَدْ كُفَّ بِصَرِّهِ وَقَلَّ سَمْعُهُ .

وَكَانَ يَقُولُ إِذَا دَعِيَ : أَعْرُسُ أَمْ أَعْدَارُ ؟ فَحَضَرَ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَيْسَ مَعَهُ
عَلَيْهِ إِلَّا ابْنَتُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَكَانَ يَسْأَلُهُ فَلَمَّا وَضَعَتِ الصَّحْفَةَ قَالَ : أَطْعَامُ يَدٍ أَوْ
يَدَيْنِ ؟ فَقِيلَ : أَطْعَامُ يَدٍ . فَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى جَاءَ بِشِوَاءٍ . فَقِيلَ : أَطْعَامُ يَدٍ أَوْ يَدَيْنِ ؟
فَقِيلَ : بَلْ أَطْعَامُ يَدَيْنِ ، فَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الطَّعَامِ ثَنَيْتُ وَسَادَةً وَأَقْبَلْتُ عِزَّةَ
الْمِيَاءِ ، وَهِيَ يَوْمُئِذٍ شَابَةٌ فَوَضَعَ فِي حَجْرِهَا مِزْهَرًا فَضْرِبَتْ فِيهِ ، وَعَنَتُ أَوَّلَ غَنَائِهَا
فِي شَعْرِ حَسَانٍ وَهُوَ :

فلا زال قَصْرُ بَيْنِ بُصْرَى وَجِلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمِيِّ جُودٌ وَوَابِلٌ
 فطرب حسان ، وجعلت عيناه تنضحان على خديه ، وهو مُصْنَعٌ لها . وكسني
 بطعام اليد عن التريد ، وطعام اليدين عن الشواء ، لأنه ينهش نهشا .
 حضر حسان في مأدبة لآل نبيط وغنّت عزة الميلاء ورائقة^(١) في شعر حسان .
 انظر نهاراً بباب جِلَّتْ هَلْ تُوَسَّسُ^(٢) دون البلقاء من أحد
 فجعل حسان يقول : قد أراني هناك سميما بصيراً ، وهو يبكي فإذا سكتنا سكن
 عنه البكاء .

وكان ابنه عبدُ الرحمن كلما سكتنا يشير إليهما أن غنيا فيبكي أبوه ، فلما انقلب
 حسان من المأدبة إلى منزله استلقى على فراشه ، ووضع إحدى رجليه على الأخرى ،
 وقال : لقد أذكرتني عزةٌ وصاحبتهما أمرا ما سمعته أذناي بمد ليالي جاهليتنا مع جبلة
 ابن الأيهم .

قال خارجة بن زيد : فقلت : يا أبا الوليد ، أكان القيانُ يَسْكُنُ مع جبلة بن
 الأيهم ؟ فنسبتم ثم جلس إليه ، فقال : لقد رأيت عَشْرَ قِيَانٍ خَمْسَ رُومِيَّاتٍ يَغْنَيْنَ
 بِالرُّومِيَّةِ بِالْبَرْبِطِ وَخَمْسًا يَغْنَيْنَ غَنَاءَ أَهْلِ الْحِيرَةِ أَهْدَاهُنَّ إِلَيْهِ إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَكَانَ
 يَفِدُ عَلَيْهِ مِنْ يَغْنِيهِ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا .

وكان إذا جلس للشرب فُرِشَ تَحْتَهُ الْآسُ وَالْوَرْدُ وَالْيَاسْمِينُ وَأَصْنَافُ الرِّيحَيْنِ
 وَضُرِبَ الْعَنْبَرُ وَالْمَسْكُ فِي صُحُفِ الْفِضَّةِ وَأُوقِدَ لَهُ الْعُودُ الْهِنْدِيُّ إِنْ كَانَ شَتَاءَ
 وَبُطْنٌ بِاللَّجَجِ إِنْ كَانَ صَيْفًا . وَيَأْتِي هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِكُسِيِّ مِنَ السَّكْتَانِ ، وَبِالشِّتَاءِ
 بِفِرَاءِ الْفَنَكِ^(٣) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَلَا وَاللَّهِ مَا جَلَسْتُ مَعَهُ يَوْمًا قَطُّ إِلَّا خَلَعَ عَلَيَّ مِنْ

(١) في الأصل (ريقة) .

(٢) أنس الشيء : أبصره وعلمه .

(٣) الفنك : جنس من الثعالب أصغر من الثعالب المعروف وفروته من أحسن الفراء .

ثيابه التي عليه في ذلك اليوم وعلى غيرى من جلسائه. هذا، مع حلمٍ مِمَّنْ جَهْلٍ وَضَحِكٍ
وَبَدَلٍ من غير مسألة، مع حُسْنِ وَجْهِ وَحَسَنِ حَدِيثٍ، وما رأيت في مجلسه خَنَاءً
قط ولا عريضةً، ونحن يومئذ على دين الشرك، فجاء الله بالإسلام فتركنا الخمر
وما كرهه وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر والفضيخ^(١) في الزهور
والطرب، فلا يشرب أحدكم ثلاثة أقداح إلا يصاحب صاحبه^(٢) ويفارقه وتضربون
فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون .

وقيل : إن حسان لما فُرِغَ من الطعام ثَقُلَ جلوسه على من كان حاضراً فأومأ
ابنه إلى عَزَّةَ فَعَنَت :

انظر خليلي بباب جلق هل توأَّسَ دون البلقاء من أحد
أجمال شعناء إذ هبطن من ال مَخْمِصَ بين الطبثان فالسند

فبكي حسان حتى سَدَرَتْ قال : هذا عمل الفاسق ، أما لقد كرهتم مجالستي
فقمح الله مجلسكم سائرَ اليوم . وانصرف إلى بيته .

وشعناء المذكورة هي امرأة من أسلم تزوجها حسان فولدت له بنته أم فراس ،
فتزوجها عبد الرحمن بن الحكم .

وقيل : هي شعناء بنت عمرو من بنى ماسكة من يهود ، وكان أبوها مدراس
الذي بلى الدراسة للتوراة وكان ذا قدر فيهم .
وكان حسان لما خطبها إلى قومها من أسلم ردوه فبهجهم .

قال رجل من أهل المدينة ما ذكرت قط بيت حسان بن ثابت :

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ فِي فَلَقِ الصُّ بِنِحِ وَصَوْتِ الْمَسَامِرِ الْغَرْدِ

إِلَا عُدْتُ فِي الْقُوَّةِ كَمَا كُنْتُ .

(١) الفضيخ : عصير العنب ، وشراب يتخذ من التمر ، وابن مزج بماء كثير فصار رقيقا ،

(٢) صاحبه ويفارقها وتضرب فيه (أغانى) .

اجتمع فتيةٌ من قريش عند قَيْمَنَةَ من القَيْمَنَاتِ ، ومعهم عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت ، فبينما هم مجتمعون إذ استأذن حسانٌ ، فكره القومُ دخوله وشق عليهم . فقال عبد الرحمن : أَيَسْرُكُمُ ألا يجلس ؟ قالوا : نعم ، قال : مروا هذه إذا دخل أن تغني :

أولادُ جَفَنَةَ حولَ قبرِ أبيهم قبرِ ابنِ ماريةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ
يَسْقُونَ من وِردِ البريصِ عليهم كأساً تُصَفِّقُ بالرحيقِ السَّلْسَلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُم شُمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأوَّلِ
يُغشَوْنَ حتى ما تَهَرُّ كلابُهُم لا يسألون عن السوادِ المُقْبِلِ

فبكى حسانٌ حتى ظنوا أنه سيلفظ نفسه ، ثم قال : أفيكم الفاسقُ ؟ لعمرى لقد كرهتهمُ مجالستي . وقام فانصرف .

كان في المدينة رجلٌ ناسكٌ من أهل العلم والفقهِ ، وكان يُغشى عبد الله بن جعفر ، فسمع جاريةً مغنيةً لبعض النخاسين تغني :

بانتُ سعادُ وأمسى حبلُها انقطعا واحتلت النورَ فالخدينَ فالفرعا
وأنكرتني وما كان الذي نكرتُ من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلعا

فهام بها وترك ما كان عليه ، فشى إليه عطاءً وطاوسٌ ولاماه فكان جوابه أن تمثّل :

يلومني فيكِ أقوامٌ أجالسُهُم فما أبالي أطارَ اللومُ أم وقعا

وبلغ عبد الله بن جعفر خبره ، فبعث إلى النخاس ، وأحضر الجاريةَ وسمع غناءها في هذا الصوت ، فقال لها : ممن أخذتِه ؟ فقالت : من عزة الميلاء ، فابتاعها بأربعة آلاف درهم ، ثم بعث إلى الرجل يسأله خبرها فأعلمه إياه . وصدقه عنه . فقال : أحب أن تسمع هذا القول ممن أخذتَه عنه الجاريةُ ؟ قال : نعم . فدعا بمزة الميلاء فقال : غنيه إياه . فغنته فصعقَ الرجل وأغمى عليه . فقال ابن جعفر : أئمنأ فيه ، الماء الماء . فنضح على وجهه ، فلما أفاق قال له : أكلت هذا بلغ بك من عشقها ؟ فقال :

وما خَفِيَ عنك أكثر . قال : أفتُحِبُّ أن تسمعه منها [قال : قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها وأنا لا أحبها فكيف يكون حالي إن سمعته منها] (١) وأنا لا أقدر على ملكها ، قال : أفتعمرُ فيها إن رأيتها؟ قال : لم أعرف غيرَها فأمر بها فأخرجت . فقال : خذها فهي لك ، والله ما نظرتُ إليها إلا عن عرض فقبل الرجل يديه ورجليه [وقال : أمت] (٢) عيني وأحيمت نفسي ، ورددت على عقلي ، وتركتني أعيشُ بين أهلي . ودعا له دعاء كثيرا ، فقال عبدالله : ما أرضى أعطيكها هكذا يا غلام احمل معه مثل ثمنها لكي تهتم به ويهتم بها .

بيننا عزة يوما بحضرة ابن أبي عتيق تغنى ، وكانت له جارية تعلقها فتى من فتيان المدينة ، وكان كثيراً ما يعبتُ بها ، فأعلمتُ ابنَ أبي عتيق بذلك . فقال لها : قولي له : وأنا أيضاً أحبُّك ، فإذا قال لك . فكيف لي بك ؟ فقولي له : مولاي يخرج إلى مالٍ له ، فإذا خرج أدخلتُك المنزل . وجمع ابنُ أبي عتيق ناساً من أصحابه وقال لعزّة غنى فغنت ساعةً وتلبثت الجارية ساعة . ودخلت البيت كأنها تطلب حاجة . فقال لها : تعاليُ فقالت : الآن آتيك . ثم عادت فدعاها فاعتلت فوثبَ فأخذها فوقها على الحجلة . فوثب ابنُ أبي عتيق هو وأصحابه فقال وهو غير مكترث : يافساقُ ما يجلسُكم مع هذه المغنية ؟ فضحك ابنُ أبي عتيق من قوله وقال له : استر علينا ستر الله عليك . فقالت له عزة : يا ابن الصديق ما أظرفه لو لا فسُقه . فاستحى وخرج .

وبلغه عن ابن أبي عتيق بعد ذلك أنه إن وقع في يده أن يصيربه إلى السلطان فأقبل يعبتُ بها كلما خرّجت فسكنت ذلك إلى مولاه . فقال لها : أو لم يرتدع عن العبت بك؟ قالت له : لا . قال : فهبي طحن ليلة إلى الغداة . فهيات ثم قال لها : عديه

(١) ما بين القوسين تكملة للكلام وهو من الأغاني .

(٢) ما بين القوسين عن الأغاني وهو بياض بالأصل .

الليلة ، فإذا جاء قولي : إن وظيفتي الليلة طَحْنُ هذا كله . ثم أخرجني إلى البيت وأتركه ، ففعلت . فلما دخل طَحَنْتِ الجاريةُ قليلاً ثم قالت له : خذ الرَّحَى فإن مولاي قد جاء إلى أو بمض من وِكله بي ، فاطحن حتى نأمن من أن يجيئنا أحد ثم نَصِرَ إلى قضاء حاجتك . ففعل الفتى ، ومضت الجارية إلى مولاها وتركته . وقد أمر ابن أبي عمير عِدَّةَ جوارٍ أن يترأوحن على سهر ليلهن ويتفقدن أمر الطحين وتحثينه كلما أمسك ، ففعلن وجعلن ينادينه كلما كف : يا فلانة ، باسم الجارية ، إن مولاك مستيقظ والساعة يعلم أنك قد كفت عن الطحين ، فيقوم إليك بالعصا على عادته مع من تقدّمك في نوبتها إذا نامت . فلم يزل الفتى كلما سمع ذلك الكلام يجتهد في العمل والجارية تتفقده ، وتقول له : استيقظ سيدي ، والساعة ينام ، فلم يزل يَطْحَنُ حتى أصبح ، وفرغ من جميع القمح . فلما علمت بفراغه أتته فقالت له : قد أصبحت فأنج بنفسك فقال : أو فملتها يا عدوة الله ، فخرج متمعوباً ، فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله تعالى ألا يعود إلى كلامها فلم ترمه بعد ذلك ما تكره .

عروة بن الزبير^(١)

قدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان فأجلسه معه على السرير . فجاء قوم فوقعوا في عبد الله بن الزبير ، فخرج عروة فقال للأذن : إن عبد الله بن الزبير ابن أمي وأبي ، فإن أردتم أن تقوموا فيه فلا تأذنوا لي عليكم ، فذُكر ذلك لعبد الملك فقال له عبد الملك : قد أخبرنا الآذن بما قلت . وإن أخاك لم يكن قتلنا إياه لعداوة ، ولكنه طلب أمراً وطلبناه فقتل دونه ، وإن أهل الشام قومٌ من أخلاقهم ألا يقتلوا رجلاً إن شتموه ، فإذا أذنا لأحد قبلك فلا تدخل ، وإن أذنا ، وأنت جالس ، فقد جاء من يشتمه فانصرف .

ثم قدم ابن الزبير على عبد الملك حين شكوا رجله فقال له : اقطعها ، فقال : إنني أكره أن أقطع مني طائفاً ، فارتفعت إلى الركبة ، فقيل له : إن بلغت ركبتك قتلتك ، فقطعت ولم يقبض وجهه .

وقيل له قبل أن يقطعها : نسقيك دواء لا تجد للقطع ألماً فقال : ما يسرنى إن هذا الحائط وقاني أذاها .

سقط محمد بن عروة بن الزبير من أعلى سطح في اسطبل دواب عبد الملك فضربته بقوائمها حتى قتلته ، فأتى عروة رجل يعزبه فقال : إن كنت تعزبني برجلي فقد احتسبتهما . فقال : لا بل أعزبك بمحمد فقال : ماله ؟ فأخبره بشأنه فقال :

وكنت إذا الأيام أحدثن نكبةً أقول شوي^(٢) ما لم يصبني صميمي

(١) أخباره في مواضع متفرقة من الأغاني .

(٢) الشوي : رذال المال ، الأمر الهين ، اليدان والرجلان والأطراف ما كان غير مقتل .

اللهم أخذتَ عضواً وتركتَ أعضاء ، وأخذتَ ابناً وتركتَ أبناء ، وإن كنتَ أخذتَ فقد أبقيتَ ، وإن كنتَ ابتليتَ فقد عافيتَ .

فلما قدم المدينة أتاه ابنُ المنكدرِ فقال : كيف أنت ؟ فقال : لقد آتينا من سفرنا هذا نصبا .

ولما قُطعتْ رجلُ عمروَ بنِ الزبيرِ جاءه عيسى بنُ طلحةَ ، فقال عمروُ لبعضِ بنيه : اكشف لعمركَ عن رجلٍ ينظرُ إليها فقال عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا أبا عبد الله ما أعددتُكَ للصراعِ ولا للسباقِ ولقد أبقَى اللهُ لنا منك ما نحتاجُ إليه من رأيك وعلمك ، فقال له عمرو : ما عزاني أحدٌ عن رجلٍ مثلك .

قال هشام بنُ عمرو : خرجت مع أبي عمرو حاجاً ، ومعنا أخى محمد بنُ عمرو ، وكان من أحسنِ الناسِ وجهاً ، وقد سُميَ زينَ المواقبِ لحسنه وجماله ، فلما كنا ببعضِ الطريقِ ، إذا نحنُ بعمرو بنِ أبي ربيعةٍ فكلمَ بعضنا بعضاً ، وقلنا : هذا أبو الخطابِ ، لو سائرناه ! فرآنا عمروُ فقال : فيم أنتم ؟ فقلنا : هَذَا عمرو بنُ أبي ربيعةٍ فضربَ عمروُ إليه راحلتهُ فلما رآه عمر عدلَ إليه فسَلَّم عليه . ثم قال له : وأين زينُ المواقبِ ؟ يعنى محمداً . قال : قد تقدمَ فعدلَ عمروُ واتبعَ محمداً فقال له عمرو : نحنُ أكفاءُ لك ، وأولى أن تُسائرنا . فقال : إني رجلٌ موكلٌ بالجمالِ أتبعه حيث كان . ثم ضربَ راحلتهُ ومضى نحوه .

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه (١)

واسمُ أبي بكر عبدُ الله وكان يسمى في الجاهلية عتيقا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عويمر (٢) بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .
وكان اسمُ عبد الرحمن عبد العزى ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبد الرحمن .

وأُمُّه وأُمُّ عائشةَ أمُّ المؤمنين ، أم رومان بنت عامر بن عويمر (٢) بن عبد شمس ابن عتاب بن عبد الرحمن بن أذينة بن سُبَيْع بن دَهْمَان بن الحارث بن غنم بن مالك ابن كنانة بن خزيمعة .

وقيل : إنها بنتُ عمير بن عبد مناف (٣) بن دهمان بن الحارث بن غنم .

ولعبد الرحمن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يهاجر مع أبيه صِغْرًا عن ذلك ، فبقى بمكة ، وخرج قبل الفتح مع فتية من قريش .

وقيل : بل كان إسلامه يوم الفتح ، وإسلام معاوية في وقت واحد .

وكان عبد الرحمن قد خَرَجَ في فتية من قريش مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قبل الفتح ، وربما كان معاوية معهم .

وكان عبد الرحمن أحد الرماة ، وهو المخاطبُ لرواف يوم دعا لبيعة يزيد ، والقائلُ له : إنما تريدون أن تجملوها كسروية أو هرقلية ، كلما هلك كسرى

(١) أغاني أميري : ١٦ : ٩٣ . تجريد ١٨٩٧ .

(٢) في الأصل : عويم .

(٣) في الأغاني : بنت عويمر بن عتاب بن دهمان ٩٤/١٦

أوه رقل ملك كسرى أو هرقل . فقال مروان : أيها الناس هذا الفتى الذى قال لوالديه : أفي لكما أتمداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى . فصاحت به عائشة رضى الله عنها : ألعبد الرحمن تقول هكذا ؟ كذبت ، والله ، ما هو به ، ولو شئت أن أسمى الرجل الذى نزلت فيه لسميته ، ولكنى أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعن أبك وأنت فى صلبه ، فأنت بعض من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أفينا تتأول القرآن وإلينا تسوق اللعن ؟ والله لأقومن يوم الجمعة بك مقاما ما تود أنى لم أقمه . فأرسل إليها وترضاها وحلف ألا يصلى بالناس أو تؤمنه ففعلت .

وكان عبد الرحمن اشتهر بليلى بنت الجودى بن عدى بن عمرو بن أبى عمرو النسانى ، وأحبها حباً شديداً وقال فيها :

تذكرت ليلي والسماء دونهما
وإن تعاطى قلبه حارثية
وكيف تلاقيها بلى ولعلمها
وقال فيها :

يا ابنة الجودى قلبى كئيب
جورت أخوالها حتى عكّل
ولقد لاموا فقلت دعوها
إنما أبلى عظامى وجسمى
أيهما العائب عندى هواها
مستهام عندها ما يُنيب
فلعكّل فى فؤادى نصيب
إن من تمهون عنه حبيب
حُبها والحب شئ عجيب
أنت تُفرى بمن أراك تعيب

وكان قدم فى تجارة فرآها هناك على طنفسة ، حولها ولائد فأعجبته ، فقال له عمر : ما لك ولها يا عبد الرحمن !؟ فقال : والله ما رأيتها قط إلا ليلة فى بيت المقدس فى جوار ونساء يتهادين ، فإذا عثرت إحداهن قالت : يا ابنة الجودى ، وإذا حلفت

حلفت بابنة الجودي . فكتب عمرُ إلى صاحب الثغرِ الذي هى فيه : إذا فتح اللهُ عليكم دمشقَ فقد غنمْتَ عبدَ الرحمن بنَ أبي بكرٍ إملي ابنةَ الجودي ، فلما فتح اللهُ عليهم غنموه إياها ، ونقلها له عمرُ بن الخطاب . قالت عائشة : فكنتُ أكله فيها وفيما يصنعُ بها ، فيقول : يا أُخِيَّةُ دعيني ، فوالله لكأني أَرشُفُ من ثناياها حبَّ الرمان ، ثم ملَّها وهانت عليه ، فكنتُ أكله فيما يسىء كما كنتُ أكله في الإحسان إليها ، فكان إحسانه إليها أن ردها إلى أهلها . فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلي فأفرطتَ وأبغضتها فأفرطتَ ، فيما أن تنصيفها وإما أن تجهزها إلى أهلها وكانت بنتَ ملكِ دمشق .

ومات عبد الرحمن بن أبي بكرٍ بالحُبْشِيِّ ، جبلٍ من مَكَّةَ على أميال ، مُخْمَلٍ فدفنَ بمَكَّةَ ، فقدمت عائشةُ فوقفت على قبره ثم قالت ممتثلة :

وكنا كنفدْمانِيَّ جديمةَ حقبه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا

أما والله لو حَضَرَ تُكَّ يا ابن أمِّم لدفنتك حيث مت ، ولو أني شهدتك لما زرتك .

قال القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق : لما قتل معاويةُ بنُ خديجِ الكِنْدِيِّ وعمرُ بن العاصِ أبي ، يعنى محمد بن أبي بكر الصديق بمصر ، فقدم بنا المدينة ، فبعثت إلينا عائشةُ ، رضى الله عنها ، فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها ، فما رأيتُ قط والدة أبردٍ منها ، فلم نزل في حجرتها حتى إذا كان ذات يوم ، وقد ترعرعنا ، ألبسنا ثياباً بيضاً ، ثم أجلست كل واحدنا على فخذه ، ثم بعثت إلى عمى عبد الرحمن ، فلما دخل عليها تكلمت ، فحمدت الله عز وجل ، وأنتت عليه ، فما رأيتُ متكلما ولا متكلمة قط قبلها ولا بعدها أفصحَ منها وأبلغ ، ثم قالت : يا أخى : لم أزل أراك

معرضا عني منذ قبضت هذين الصبيين منك ، ووالله ما قبضتهما تطاولا عليك ، ولا تَهْمَةً لك [فيهما] ولا لشيء تكرهه ، ولكنك كنت رجلا ذا نساء وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئا ، فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقدرون به من قبيح أمر الصبيان ، وكنت أنطف لذلك وأحق بولايته وقد قويا على أنفسهما وشبًا وعرفا ما يأتيان به ، وها هما فضمهما إليك ، وكن كحُجَّيَّة بن المضرب أخي كندة ، فإنه كان له أخ يقال له معدان ، مات وترك صبيةً صفراء في حجر أخيه ، فكان أبر الناس بهم ، وأعطفهم عليهم ، وكان يؤثرهم على صبيانه ، فكث ماشاء الله ، ثم إنه عرض له سفر ، لم يجد بُدًّا من الخروج فيه ، فخرج وأوصى بهم امرأته ، وكانت إحدى بنات عمه ، وكان يقال لها زينب ، فقال : اصنمى بِنِي أَخِي ما كنت أصنع بهم ، ثم مضى لوجهه ، فغاب أشهرًا ثم رجع ، وقد ساءت حال الصبيان وتغيَّرت ، فقال لامرأته : [وبلك] مالي أرى بني معدان مهزبل ، وأرى بِنِي سِمَانًا؟! فقالت : قد كنت أواسى بينهم ، ولكن يعبثون ويلعبون ، فخلا بالصبيان فقال لهم : كيف كانت فلانة معكم ؟ فقالوا : ما كانت تعطينا من القوت إلا ملء هذا القدرح من لبن ، وأروه قدحا صغيرا فغضب على امرأته غضبا شديداً ، وتركها حتى إذا أراح عليه راعيا إبلا قال لها : اذهبا فأتيا وإبلكما لبني معدان ، فغضبت من ذلك زينب ، وهجرته وضربت بينها وبينه حجاباً ، فقال : والله لا تذوقن منها صبوحةً ولا غبوقاً أبداً ، وقال في ذلك :

لججنا ولجت هذه في التغيض	ولطَّ الحجاب بيننا في التجنب
وخطت بمودى أتمد جفنَ عيناها	لتقتلني وشدَّما حُبُّ زينب
رحمتُ بني معدان إذ قلَّ مالهم	وحق لهم مني وربُّ الحُصْب

وكان اليتامى لا يسُد اختلالهم هدايا لهم في كل قعب مشعب
فقلت لعبدينا أريحنا عليهمو سأجعل بيني مثل آخر مغرب
وقلت خذوها واعلموا أن عمّكم هو اليوم أولى منكم بالتكسب
فلما بلغ زينب الأبياتُ خرجت حتى أتت المدينة ، فأسلمت . وذلك في ولاية عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه ، فقدم حججةُ المدينة يطلب زينب أن تُردَّ عليه ، وكان
نصرانيا ، فنزل بالزبير بن العوام ، فأخبره بقصته ، فقال عُمر للزبير: قد بلغتني قصةُ
ضيفك ، ولقد هممت به لولا تحمُّمُه بالنزول عليك ، فرجع الزبيرُ إلى حُججة فاعلمه
قول عمر فقال حُججة في ذلك :

إن الزبير بن عوامٍ تداركني منه بسببِ كريمٍ سيئهِ عصمُ

عمران بن حطان^(١)

هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .
وكنيته أبو سماك^(٢) .

شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الشراة ودعاتهم ، والمقدم^(٣) في مذهبهم ، وكان من القعدة ، لأن عمره طال فضمف عن الحرب وحضورها ، فاقصر على الدعوة والتحريض بلسانه .

وكان قبل أن يُفتن بالشراة مُشتهراً بطلب العلم والحديث ، ثم بُليَ بذلك المذهب ، فضلّ وهلك .

وأدرك صدرًا من الصحابة ، روى عنهم ورووا عنه .

فما روى عنه أنه قال : كنت عند عائشة ، رضي الله عنها ، فتذاكروا القضاة ، فقالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يؤئني بالقاضي المدل يوم القيامة ، فلا يزال به ما يرى من شدة الحساب حتى يتمنى أنه لم يقص بين اثنين في تمرة .

وكان من أهل السنة ، ولكنه تزوج امرأة من الشراة ، من عشيرته وقال :
أردّها عن مذهبها إلى الحق ، فأضلته وذهبت به .

(١) أغاني (أميرى) ١٦ : ١٥٢ ، مذهب الأغاني ٣ : ٢٥٠ . تجريد ١٩٢٦

(٢) في الأصل (شهاب) .

(٣) والمقدمين (أغاني) .

وقيل : قدم عليه غلامٌ من عمان ، وكان يصلي ففتّله ^(١) عن مذهبه في مجلس واحد ، وكان أصله من البصرة .

ولما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجاجُ فهرب ، وكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك بن مروان فهرب ، ولم يزل ينتقل في أحياء العرب وقال في ذلك :

حللنا في بني كعب بن عوف وفي عك وعامر عوثبان

وفي جرّم وفي عمرو بن مُرِّ وفي زيد وحَيِّ بنى الغُدانِ

ثم لحق بالشام ، فنزل بروح بن زنباع الجذامى ، فقال له روح : ممن أنت ؟ فقال : من الأزد ؛ أزد شنوءة . وكان روحٌ يسمُّر عند عبد الملك فقال له : يا أمير المؤمنين إن في أضيافنا رجلا ما سمعت منك حديثاً قط إلا سمعته منه ، حدثني به وزادني ما ليس عندي ، فقال : ممن هو ؟ قال : من الأزد . قال : إنى لأسمعك تصف صفةَ عمران بن حطان ، لأنى سمعتك تذكر لغة فزارية ، وصلاةً وزهداً وروايةً وحفظاً وهذه صِفَتُهُ . فقال روح : وما أنا وعمران !! ثم دعا بكتاب الحجاج فإذا فيه : أما بعد فإن رجلا من أهل الشقاق والنفاق ، قد كان أفسد على أهل العراق وحببهم بالشرارة ، ثم إنى طلبته فلما ضاق عليه عملي تحول إلى الشام ، فهو ينتقل في مدائنهم . وهو رجلٌ ضرب ^(٢) طُوالُ أُنوهُ أزرُق . فقال روح : والله هذه صفة الرجل [الذى عندي] ^(٣) .

ثم أنشد عبدُ الملك يوماً قولَ عمران بن حِطَّان ، يمدحُ عبدَ الرحمن بن مُلجَم ، لعنه الله ، بقتله أميرَ المؤمنين ، على بن أبى طالب ، رضى الله عنه :

(١) يقال فتل وجهه عنهم أى صرفه .

(٢) الضرب : الرجل الماضى الندب .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني .

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ (١) مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ قُوبَانَا (٢)
 إِنِّي لِأَفْكَرُ فِيهِ ثُمَّ أَحْسَبُهُ أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
 ثُمَّ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَنْ يَعْرِفُ مِنْكُمْ قَائِلَهَا ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ جَمِيعًا . فَقَالَ لِرَوْحِ :
 سَلْ ضَيْفَكَ عَنْ قَائِلِهَا . قَالَ : نَعَمْ ، أَسْأَلُهُ ، وَمَا سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَلَمْ أَجِدْهُ
 إِلَّا عَالِمًا بِهِ ، وَرَاحَ رَوْحٌ إِلَى أَضْيَافِهِ فَقَالَ لَهُمْ : إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ سَأَلْنَا مِنَ الَّذِي
 يَقُولُ :

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
 فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ عَالِمًا بِهَا . فَقَالَ عِمْرَانُ : هَذَا قَوْلُ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ فِي ابْنِ مُلْجَمٍ ،
 لَعَنَهُ اللَّهُ ، قَاتِلِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : فَهَلْ فِيهَا غَيْرُ هَذَا
 تَقْدِمُهُ؟ (٣) قَالَ :

لِلَّهِ دَرُّ الْمَرَادِيِّ الَّذِي سَفَكَتْ كَفَّاهُ مُهْجَةً شَرَّ الْخَلْقِ إِنْسَانَا
 أَمْسَى عَشِيَّةً غَشَّاهُ بَضْرَبَتِهِ مِمَّا جَنَاهُ مِنَ الْآثَامِ عُرْيَانَا
 فَعَدَا رَوْحٌ فَأَخْبَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ . فَقَالَ : مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : ضَيْفِي فَقَالَ :
 أَظُنُّهُ ، وَاللَّهِ ، عِمْرَانَ بْنَ حِطَّانٍ ، فَأَعْلَمْتُهُ أَنِّي قَدْ أَمَرْتُكَ أَنْ تَلْقَنِي (٤) بِهِ . فَقَالَ :
 أَفْعَلْ ، فَرَاحَ رَوْحٌ إِلَى أَضْيَافِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عِمْرَانَ فَقَالَ : إِنِّي ذَكَرْتُكَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ
 فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِكَ . فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَخْتَارُ ذَلِكَ ، وَمَا مَنَعَنِي مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا الْحَيَاءُ
 مِنْكَ ، أَنَا مُتَّبِعُكَ ، فَانْطَلِقْ ، فَضَى رَوْحٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ :
 إِنْ صَاحِبِي قَالَ : أَنَا مُتَّبِعُكَ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنِّي لِأَظُنُّ أَنْ سَتَرَجِعُ فَلَا تَجِدُهُ .

-
- (١) كريم (أغاني) ومهذب .
 (٢) رضوانا (مهذب) .
 (٣) تفدينيه (أغاني) .
 (٤) تأتيني (أغاني) .

فلما رجع إلى منزله إذا عمرانٌ قد مضى ، وإذا هو قد خَلَفَ رَقْعَةً عند فِرَاشِهِ فيها
مكتوب :

يا رَوْحُ كَمِ مِنْ أَخِي مَثْوَى نَزَلْتُ بِهِ
حَتَّى إِذَا خَفِئَتْهُ فَارَقْتُ مَنْزِلَهُ
قَدْ كُنْتُ ضَيْفَكَ حَوْلًا لَا تُرَوِّعُنِي
حَتَّى أُرِدْتَ بِي الْمُظْمَى فَأَوْحَشَنِي
فَاعْذِرْ أَخَاكَ ابْنَ زَنْبَاعٍ فَإِنَّ لَهُ
يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَا قَيْتُ ذَا يَمَنِ
لَوْ كُنْتُ مُسْتَعْفِرًا يَوْمًا لَطَاغِيَةَ
لَكِنْ أَبَتْ ذَاكَ آيَاتُ مُطَهَّرَةٍ

قَدْ ظَنَّ ظَنَّكَ مِنْ لَحْمٍ وَغَسَّانٍ
مِنْ بَعْدِ مَا قِيلَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ
فِيهِ الطَّوَارِقُ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ
مَا أَوْحَشَ النَّاسَ مِنْ خَوْفِ ابْنِ مِرْوَانَ
فِي الْحَادِثَاتِ هَهْنَاتٍ (٢) ذَاتِ الْوَانِ
وَإِنَّ لَقَيْتُ مَعَدِّيًّا فَعَدَنَانِي
كُنْتُ الْمُقَدَّمُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
عِنْدَ التَّلَاوَةِ فِي طِهِ وَعِمْرَانَ

ثم إن عمران أتى الجزيرة فنزل بزفر بن الحارث بقرقيسيا ، فجعل شبابُ بنى عامر
يتمتعجون من صلته وطولها ، وانتسب لزُفْرَ أَوْزَاعِيًّا وَقَدِمَ عَلَى زَفْرَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ
الشَّامِ ، كَانَ قَدْ رَأَى عِمْرَانَ عِنْدَ رَوْحِ بْنِ زَنْبَاعٍ ، فَصَاحَهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ زَفْرُ
لِلشَّامِيِّ : أَعْرِفُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ هَذَا شَيْخٌ مِنْ الْأَزْدِ . فَقَالَ زَفْرُ : أَرَدِي مُرَّةً وَأَوْزَاعِيٌّ
أُخْرَى !! إِنْ كُنْتَ خَائِفًا آمَنَّاكَ وَإِنْ كُنْتَ عَائِلًا أَغْنِيَنَّكَ . فَقَالَ : إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
وَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

إِنِ اتَّتِي أَصْبَحْتَ يَمِينِي بِهَا زُفْرُ
أَمْسِي (٢) يُسْأَلُنِي حَوْلًا لَا لِخَيْرِهِ
حَتَّى إِذَا انْجَدَمْتُ مِنْ حَبَائِلِهِ

عَيَّتَ عِيَاءً عَلَى رَوْحِ بْنِ زَنْبَاعٍ
وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ وَخَدَاعٍ
كَفَّ السُّؤَالَ وَلَمْ يُوَلِّعْ بِأَهْلَاعِي (٣)

(١) في الأصل : حتى هُنَاتُ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ عَنِ الْأَغَانِي .

(٢) مَا زَالَ يُسْأَلُنِي (مَهْدَب) .

(٣) إِهْلَاعِي : لِإِفْزَاعِي وَتَرْوِيحِي .

فاكفّف كما كفّ رَوْحُ إني رجل
 أما الصلاة فإني لست^(١) تاركها
 واكفّف لسانك عن هزّي^(٢) ومسألتي
 أكرم رَوْحِ بنِ زنباعٍ وليس^(٣) به
 جاؤزُهُمْ سنةً فيما دعوتُ به
 فاعمل فإنك منيُّ بِمُحَادَثَةِ^(٤)
 إما صُرِيحٌ وإما فِقمَةُ القاعِ
 كلُّ امرئٍ للذي يسعَى به ساعى
 ماذا تريد إلى شَيْخٍ لأوزاعِ
 قومٌ دعا أوْلِيهِم للِعلا داعى
 عِرضى صَحِيحٌ ونومى غيرُ تَهَجُّاعِ
 حسبُ اللّيبِ بهذا الشيبِ من ناعى

ثم خرج فنزل بمُمان ، بقوم يكثرُون ذِكْرَ أبى بلال بن مرداس بن أدِيَّةٍ
 ويُنشئون عليه ، ويدكرون فضله ، فأظهر فضله ويسر أمره عندهم . وطلبه الحجاجُ
 من هناك فهرب ونزل في رودميسان ،^(٥) طسوج من طساسيج السوادِ إلى جانب الكوفة ،
 فلم يزل بها حتى مات وكان نازلاً على رجل من الأزد فقال في ذلك :

نزلتُ بحمد الله في خير أُسْرَةٍ
 نزلتُ بقوم يجمعُ الله شملَهُم
 من الأزد إن الأزد أكرمُ أُسْرَةٍ
 فأصبحت فيهم آمناً لا كَمَمَشِرٍ
 أو الحىّ قحطان وتلك سفاهةٌ
 أُسرٌ بما فيهم من الأُنسِ والخُفرِ
 وما لهمُ عودٌ سوى المجدِ يُعْتَصِرُ
 يمانية تملو إذا ذُكِرَ البَشَرُ
 بدواً بنى^(٦) فقالوا من ربيعة أو مُضَرَ
 كما قال لى رَوْحٌ وصاحبُه زُفَرُ

(١) غير (مهذب) :

(٢) لوى (مهذب) .

(٣) وأسرته (مهذب) .

(٤) بواحدة (مهذب) .

(٥) في الأصل رودسان وما أثبتناه عن الأغاني .

(٦) أتونى (مهذب) .

وما منهمو إلا يُسَرُّ بِنِسْبَةِ يُصَيِّرُنِي (١) منه وإن كان ذا نَفَرٍ
فنجن بنو الإسلام والله ربنا (٢)

اجتمع الشعراء عند عبد الملك بن مروان ، فقال لهم : أبقى أحدُ أشعُرُ منكم؟
فقالوا : لا . فقال الأخطل : قد بقي منهم ، يا أمير المؤمنين ، من هو أشعُرُ منهم .
فقال : ومن هو ؟ قال : عمرانُ بن حِطَّان . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه قال وهو
صديق ، ففاتهم ، فكيف لو كذب كما يكذبون .

لما دخلت غزاةُ الحُرورِيةَ— هي وشيبٌ على الحجاج— الكوفةَ تحصَّنَ منها ،
وأغلق عليه قصره . فكتب إليه عمرانُ بن حِطَّان وكان الحجاجُ لَجَّ في طلبه :
أسدُّ على وفي الحروبِ نعامَةٌ فتخاه تنفرُ من صفيهِ الصافرِ
هلا برزتَ إلى غزاةِ في الوعى بل كان قدبك في جناحى طائرِ
صدعتُ غزاةُ قلبه بفوارسِ تركتُ معارفه (٣) كأمسِ الدابرِ
ثم مضى إلى الشام فنزل على رَوْحِ بنِ زِنْبَاعِ .

وكان الفرزدقُ يقول : لقد أحسن بنا عمرانُ بنُ حِطَّان فلم يأخذ فيما أخذنا فيه ،
ولو أخذ في ذلك لأسقطنا ، بمعنى لجوذة شعره .

مر عمرانُ بن حِطَّان بالفرزدق وهو ينشد ، والناس حوله ، فوقف عليه وقال :

أيها المادح العباد ليُمطى إن لله ما بأيدي العبادِ
فاسأل الله ما طلبت إليهم وارزج فضل المقسم العوادِ
لا تقل للجواد ما ليس فيه وتسمى البخيل بامس الجوادِ

فقال الفرزدق : لولا أن الله شغل هذا عنا برأيه للقمنا منه سرا .

(١) يقربني (مهذب) .

(٢) واحد (مهذب) .

(٣) مداره (أعاني) .

اجتمع عند مسلمة بن عبد الملك ناسٌ من سُتمارِه ، فيهم عبدُ الله بن عبدِ الأعلَى
الشاعرُ . فقال مسلمة : أئى بيت قالته العرب أوعظ وأحكم ؟ فقال له عبد الله :
قول الشاعر :

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ائْمِدِ
قال مسلمة : إنه ما وعظنى شعْرُ قط كما وعظنى شعْرُ عمران بنِ حِطَّانٍ حيث
يقول :

فيوشك يومٌ أن يُقَارِنَ لَيْلَةً يسوقان حَتْمًا راح نَحْوَك أو غَدَا
فقال بعضُ من حضر : أما والله لقد سَمِعْتُهُ أَجَلَ المَوْتِ ثم أفناه وما صَنَعَ هذا
شاعرٌ قبله . فقال مسلمة : وكيف ذلك ؟ قال : قال :

لا يُعْجِزُ المَوْتَ شَيْءٌ دُونَ خَالِقِهِ والمَوْتُ فَإِنْ إِذَا مَا نَالَهُ الأَجْلُ
وكلُّ كَرْبٍ أَمَامَ المَوْتِ مُتَضَعٌ للمَوْتِ والمَوْتُ فِيمَا بَمَدِهِ جَلَلُ
فبكى مسلمةُ حتى اخضَلَّت لِحْيَتُهُ ثم قال : ارددُها على فرددُها حتى حفظهما .
قالت امرأةُ عمران بنِ حِطَّانٍ لعمران يومًا : أتزعمُ أنك لا تكذبُ فى شعرك ؟
قال : بلى !! قالت : أفرأيتَ قولَكَ :

وكذلكَ بَجْرَاءُ بنِ نُؤَورٍ كان أشجعَ من أسامه
أبكونُ رجلٌ أشجعَ من الأسدِ ؟ قال : نعم ، إن بَجْرَاءَ بنِ نُؤَورٍ فتحَ مَدِينَةَ
كذا وكذا ، والأسدُ لا يقدرُ على فتحِ مَدِينَةٍ .

عمارة بن الوليد^(١)

هو عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لوئى بن غالب .

وهو أحد أزواد الركب ، ويقال له الوحيد ، وكان يقال لهم أزواد الركب لأنهم لم ينزل بهم غريب إلا قرّوه ، وأحسنوا ضيافته وزودوه ما يحتاج إليه .

وكان عمارة نخبوراً متمرّضاً لكل من عارضه من قريش ، فر يوماً بمسافر

ابن عمرو بن أمية فوقف عليه ، فقال :

خُلِقَ البَيْضُ الحِسانُ لَنَا وجيادُ الرَيْطِ^(٢) والأزُرُ
كَبْرًا كُنَّا أَحَقَّ بِهِ حين صَبِغَ الشَّمْسُ والقَمَرُ

فأجابه مسافر فقال :

أعمارة بن الوليد وقد يدكر الإنسان من ذكركه
هل أخو كاسٍ تخففها وموق صَحْبُهُ سكرة
ومحيمهم إذا شربوا ومثّل فيهم هدره
خُلِقَ البَيْضُ الحِسانُ لَنَا وجيادُ الرَيْطِ والحِبرة^(٣)
كَبْرًا كُنَّا أَحَقَّ بِهِ كلُّ حَيٍّ تابعٌ أثره

كان عمارة بن الوليد خطب امرأة من قومه فقالت : لا أتزوجك أو تترك الشراب والزنا . قال : أما الزنا فأتركه ، وأما الشراب فلا أستطيع تركه ، ثم اشتد

(١) الأغاني أميرى ١٦ : ١٥٨ والتجريد ٣ : ١٠٢٤ .

(٢) الريط جمع ريطلة : الملاوة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً وكل شيء يشبه الملحفة .

(٣) الحبرة (بكسر الحاء وفتحها) ضرب من برود اليمن .

وَجَدَهُ بِهَا ، فحلف لا يشربُه وتزوجها ومكث حيناً لا يشرب ، ثم لبس ذات يوم حُلَّتَهُ وركب ناقته وخرج يسير ، فرى بخمار عنده شَرِبُ يَشْرِبُونَ فدَعَوْهُ ، فدخل عليهم ، وقد أُنْفِدُوا ما عندهم . فقال الخمار : أَطْعِمَهُمْ ، ويحك . فقال : ليس عندي شيء ، فنحز لهم ناقته فأكلوا . فقال : اسْقِهِمْ ويحك ، ولم يكن معهم شيء يشربون به فسقاهم بِبُرْدَتِهِ ، ومكثوا أياماً ذات عدد ثم خرج وأتى أهله فلما رآته امرأته قالت : ألم تحلف أنك لا تشرب ؟ ولا مته . فقال في ذلك :

ولسنا بِشَرِبِ أُمَّ عَمْرٍو إِذَا اتَّشَوْا ثيابُ الندامى عندهم كالغنائمِ
ولكننا أُمَّ عَمْرٍو نديمنا بمنزلة الرِّيَّانِ ليس بعامِ
أسركَ لما صرَّعَ القومَ نشوةً أن أخرج منهم سالماً غير غارمِ
خلياً كأنى لم أكن كنتُ فيهم وليس الخداعُ مرتضى في التنادمِ

قدم رجل من تجار الروم بحلَّة من لباس قيصر على أهل مكة ، فأتى بها عمارة ابن الوليد ، فاستغلاها . وقال : لن نعدم لها عوناً في بني سهم ، فقال عمرو : قد أخذتها . واشتراها بمائة بعير ، ثم أقبل يحظر فيها حتى انتهى إلى بني مخزوم فناداه عمارة : أتبيع الحلَّة ؟ فغضب عمرو والتفت إلى عمارة فقال له :

عليك بجزر أير أيبك إنا كفيْنَاكَ المسهمة الرقاقا
ذروها عنكم وغلت عليكم وأعطينا بها مائة حقاقا
وقلم لا نطيق ثياب سهم وكلُّ سوف يلبس ما أطاقا

فغضب عمارة ، وقال : يا عمرو ما هذا التهور ؟ إنك لست بمُتَّبِعَةِ بن ربيعة ، ولا بأبي سفيان بن حرب ، ولا بالوليد بن المغيرة ، ولا سهيل بن عمرو ، ولا أبا ابن خلف ، فقال عمرو : إن في من كل واحد منهم خير ما فيه ؛ من عتبة حلَّمه ، ومن أبي سفيان رأيه ومن سهيل جوده ومن أبا بن خلف نجدته ، وأما الوليد فوالله ما أحب أن في كل ما فيه من خير وشر ، ولكنك والله ما لك عقل الوليد

ولا بأسُ ابنِ حَرْبٍ ولا لسانُ أبي الحِكمِ ، يعني أبا جَهْلٍ . وانصرفَ عمارَةُ فأمرَ
بِجَزورٍ فنُحِرَت على الطريقِ ، أي طريقِ عمرو ، وأقبلَ عمرو فقال : لمن هذه الجزورُ ؟
فقيل : لعمارة . فقال له : أطمعنا منها يا عمارَةَ ، فضحك منه ثم قال :

عليك بِجَزْرٍ أَيْرِ أَيْبِكَ إنا كفيْناكَ المساسَةَ والعِراقا^(١)
ومَسْغَبَةَ الأَطايِبِ من قريشٍ ولم يُرَ كَأَسْنا إِلَّا دهاقا^(٢)
ونَلْبَسُ في الحِوادِثِ كلَّ زَغْفٍ^(٣) وعِندَ الأَمْنِ أَراداً رِقا
فوقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُما فقالَ عمرو :

لعمْر أَيْبِكَ والأَخْبَارِ تَنْمِي لَقَدْ هِيَجَّتْني يا ابنَ الوالِدِ
فلا تَعَجَّلْ عِمارةَ إن سَهما كَمخزومِ بنِ يَظْظَةَ في العَديدِ
فأجابَهُ عِمارةُ بنَ الوالِدِ :

ألا يا عمرو هل لك في قريشٍ أبٌ مثلُ المغيرةِ والوليدِ
وَجَدُّ مثلُ عبدِ اللهِ يُنمَى إلى عمرو بنِ مخزومِ بِعودِ
إذا ما عُدَّتْ الأعوادُ نَبْعا فمالي في الأباطِحِ من نَدِيدِ
وإني للمُنابِذِ من قريشٍ شَجِيٌّ في الحَلْقِ من دونِ الوريدِ
أُحْوطُ ديارَهُمِ وأدودُ عنهم وأصبرُ في وِغا السومِ الشديدِ
وأبذلُ ما تَضَنُّ به رجالِ وتطمعُني الروءُ في المَزِيدِ
وإنك من بني سَهمِ بنِ عمرو مكانَ الرَّدْفِ من عَجْزِ القَعودِ
وقد عَلِمْتَ سِراةَ بني لُؤَيٍّ بأني غيرُ مُؤْتَشِبِ زَهيدِ
وكانَ أبوكَ جِزاراً وكانت له فاسٌ وقدرٌ من حديدِ

(١) المسهمة العراقا (أغانى) .

(٢) كانت (الاده هاقا)

(٣) الزغف جمع زغفة : الدروع الواسعة أو المحكمة .

وكان النجاشي قد أمر السحرة فسحرت عمارة بن الوليد . وذلك أن عمارة خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السهمي ، وكانا قد خرجا تاجرَيْن إلى النجاشي ، وكانت أرض الحبشة لقريش مُتَجَرِّأً ووجها ، وكلاهما في جاهليته شاعرٌ مُشْرِكٌ فأنك ، وكان عمارة معجبا بالنساء ، وصاحبَ محادثة ، فركبا السفينة ليالي ، فأصابا من تَحْمُرٍ معهما ، فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو : [قبلي ، فقال لها عمرو :]^(١) قَبْلِي ابْنُ عَمِكَ فَقَبْلَتَهُ وحذر عمرو على زوجته فرصدَها ورصدته ، وجعل إذا شرباً أقلَّ عمرو من الشراب وأرقَّ لنفسه بالماء مخافة أن يسكر فيغلبه عمارة على أهله ، وجعل عمارة يريدُها على نفسها ، فامتنعت منه ، وإن عمراً جلس على ناحية السفينة يبول ، فدفعه عمارة إلى البحر ، فلما وقع فيه سبح حتى أخذ القلَسَ^(٢) فارتفع ، فظهر على السفينة ، فقال له عمارة : أما والله ياعمرؤ لو علمت أنك تحسِنُ السباحة ما فعلت . فلما قال ذلك عمارة لعمرو اضطغنتها عمرو وعرف أنه أراد قتله . ومضيا على وجههما ، فلما نزلا الحبشة كتب عمرو إلى أبيه العاص أن اخلعني وتبرأ مني ومن جريرتي إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم ، وخشى على أبيه أن يُقْتَبَعَ بجريرته وهو يترصد لعمارة ما يترصد ، فلما ورد الكتاب على العاص [بن وائل] مشى في رجال من قومه ، منهم نبيهٌ ومُنَبِّهُ ابنا الحجاج ، إلى المغيرة وغيره من بني مخزوم ، فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتُم وكلاهما فأنك صاحب شرٍّ ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ، ولا ندرى ما يكون ، فإني أبرأ إليكم من عمرو وجريرته ، وقد خلعتُهُ : فقال بنو المغيرة : أنت تخافُ عمراً على عمارة ، قد خلعنا عمارة وتبرأنا منه إليك ، ومن جريرته ، نخلُّ بين الرجلين . فقال السهميون : قد قَبِلْنَا فابمشوا

(١) ما بين القوسين عن التجريد وهي زيادة يستقيم بها الكلام .

(٢) القلَس : حبل السفينة وكانت في الأصل القلعة والصوب عن التجريد ٣ : ١٠٢٥ .

مناديا بعمكة: إنا قد خلعناها، وتبرأ كل واحد منا من صاحبه، فبعضوا مناديا فنادى بعمكة [بذلك]، فقال الأسود بن المطلب: والله طُلِّ دم^(١) عمارة بن الوليد إلى آخر الدهر، فلما اطمانا بأرض الحبشة لم يَلْبَثْ^(٢) عمارة أن دَبَّ لامرأة النجاشي فأدخلته، فاختلف إليها. فجعل إذا رجع من مَدخله يخبرُ عمرو بن العاص بما كان من أمره فجعل عمرو يقول: ما أَصَدَّقُكَ أَنَّكَ قَدَرْتَ على هذا الشأن، إن المرأة أرفع من ذلك، فلما أكثر على عمرو بما كان يخبره، وكان قد صدَّقه، ولكنه أحب التثبت وأراد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو دفعه إلى النجاشي، وكانا في بيت واحد، وكان عمارة يغيب عنه حتى يأتيه في السحر، وجعل عمارة يدعوهُ إلى أن يشرب معه فيأبى^(٣) عمرو ويقول: هذا يشغلك عن مَدخلك فقال له عمرو يوما: إن كنت صادقاً فقل لهما فلتدَّهنك من دهن النجاشي الذي لا يدَّهنُ به غيره، فإني أعرفه، وإني به أَصَدِّقُك ففعل عمارة، فجاء بقارورة من دهنه فلما شمها عمرو عَرَفَهَا وقال: أشهد أنك صادق. ولقد أصبت شيئاً ما أصابه أحد من العرب من امرأة الملك، ما سمعنا بهذا، وسكت عنه حتى إذا اطمان دخل على النجاشي فقال: أيها الملك إن ابن عمي سفيهٌ، وقد خشيتُ أن يعرِّتني^(٤) عندك أمره. وقد أردت أن أعلمك شأنه فلم أفعل حتى استتبتُ، وإنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر، وهذا من دهنك قد أُعْطِيَهُ ودَهَنِي منه، فلما شم النجاشي الدهن قال: صدقت، هذا دهني الذي لا يكون إلا عند نسائي، ثم دعا بعمارة وقال له:

(١) في الأصل: (بطل عمارة) وما أثبتناه عن التجريد ١٠٢٦

(٢) في الأصل: لم يلبث .

(٣) في الأصل: فينادى .

(٤) في الأصل: يعيرني، والتصويب عن التجريد . ويقال: عره يعره: إذا ساءه، أو

إني أكره أن أقتل قرشياً ، ولو قتلت قرشياً لقتلتك . ثم دعا بالسواحر فجزّ دوه من ثيابه ، ثم أمرهن فنفخن في إحليله ، ثم خلى سبيله ، فخرج هاربا^(١) ، فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فخرج إليه عبدُ الله بن أبي ربيعة وكان اسمه بجيراً قبل أن يُسلم فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، عبدُ الله ، فرصده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يردّه مع الوحش فلما وجدَ ريحَ الإنسِ هَرَبَ حتى إذا أجهده العطشُ وردَ ، فشرب حتى تَمَلَّأ وخرجوا في طلبه ، فقال عبدُ الله بن أبي ربيعة : فسميت فالترَمْتُهُ فجعل يقول : يا بجير أرسلني فإني أموت إن أمسكتُموني . قال عبدُ الله : فضبطته فأت في يدي مكانه فواريته^(٢) ثم انصرفت ، وكان شعرُهُ قد غطَّى كلَّ شيءٍ منه .

(١) جاء في التجريد ص ١٠٢٧ (فخرج هائماً على وجهه مع الوحش ومتى رأى الإنس هرب منهم وطلع له شعر غطى جميع بدنه ولم يزل كذلك مدة أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأيام أبي بكر وصدرا من خلافة عمر رضي الله عنه فخرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة ...) .
(٢) في الأصل فواراه ثم انصرف والسياق يقتضى ما أثبتنا .

عبد الله الأعشى (١)

هو عبدُ الله بنُ خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن خارجة بن أبي ربيعة
ابن ذهل بن شيبان بن [ثعلبة الحصين] (٢) بن عكابة بن صعْب بن علي بن بكر بن
وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .
شاعرٌ إسلاميٌّ من ساكني الكوفة ، مروانيُّ المذهب شديدُ التَّمَصُّبِ
لبنى أمية .

قدم علي عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : ما الذي بقي منك ؟ قال : أنا
الذي أقول :

وما أنا في أمري ولا في خصوصتي	بمَهْتَضَمٍ حَقِّي ولا قارعِ سِنِّي
ولا مُسَلِّمٍ مولاى عند جنائبةٍ	ولا خائفٍ مولاى من شرِّ ما أُجِنِّي
وإن فؤادى بين جنبيَّ عالمٌ	بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضّلني في الشعرِ واللُّبِّ أني	أقول على علمٍ وأعرف من أعني
وأصبحتُ إذ فضلتُ مروانَ وابنة	على الناس قد فضلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

فقال عبد الملك : من يلومني على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة
مخوت ثياب ، وعشر [فرائض] من الإبل ، وأقطعه ألف جريب ، وقال له : إمض
إلى زيد (٣) الكاتب يكتب لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عيلاً (٤) فمضى فأتى زيدا

(١) الأغاني أميري ١٦ : ١٦٠ تجريد ١٩٣١ .

(٢) بياض بالأصل : وما بين القوسين عن الأغاني .

(٣) في الأصل يزيد .

(٤) العيل : أهل بيت الرجل الذين ينفق عليهم ، للمذكر والمؤنث .

فقال له: ائتني غدا فأنا ههنا فجعل يردده فقال فيه شعراً وأتى سفيان بن الأبرد السكبي ، فكلّمه سفيان ، فأبطأ عليه فأتى (١) سفيان فقال له :

عُدْ إِذْ بَدَأْتَ بِحُسْنِي فَأَنْتَ لَهَا وَلَا تَكُنْ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ هَيَّابَا
وَاشْفَعْ شَفَاعَةَ أَنْفٍ لَمْ يَكُنْ ذَنْبًا فَإِنْ مِنْ شُفْعَاءِ النَّاسِ أَذْنَابَا
فَأَتَى سَفِيَانَ زَيْدًا السَّكَاتِبَ فَلَمْ يَفَارِقْهُ حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُ .

دخل أعشى ربيعة على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجد فقال له : يا أمير المؤمنين مالي أراك متلوماً يُنْهَضُكَ الحَزْمُ ، ويقعدك العَزْمُ ، وتهمم بالإقدام ، ثم تجنح إلى الإحجام؟ انقذ لنصرتك وامض رأيتك ، وتوجه إلى عدوك ، جندك مقبل ، وجده مدبر وأصحابه له ما قتون ، ونحن لك محبون ، وكتهم متفرقة ، وكتتنا عليك مجتممة واللهما تؤتى من ضعف جنان ، ولا قلة أعوان ، ولا يببطك عنه ناصح ولا يحرضك (٢) عليه غاش ، وقد قلت في ذلك أبياتاً . فقال : هاتها فإنك تنطق بلسان ودود ، وقلب ناصح ، فقال :

أَلْ الزُّبَيْرِ مِنَ الخِلَافَةِ كَالْتِي تَجَلَّ النَّجَاحُ بِحَمَلِهَا فَأَحَالِهَا
أَوْ كَالضَّمَامِ مِنَ الخِمْلَةِ مُحَمَّتْ مَا لَا تَطِيقُ فَضِيَمَتِ أَحْمَالِهَا
قَوْمُوا إِلَيْهِمْ لَا تَنَامُوا عَنْهُمْ كَمْ لِلغَوَاةِ أَطْلَعْتُمْ إِهْمَالِهَا
إِنَّ الخِلَافَةَ فِيكُمْ لَا فِيهِمْ لَا زَلَمْتُ أَرْكَانَهَا وَثَمَالِهَا
أَمَسُوا عَنِ الخَيْرَاتِ قَفْلًا مُوْتَقَا فَانْهَضْ بِيَمِينِكَ فَانْتَمَحْ أَقْفَالِهَا

فضحك عبد الملك ، وقال : صدقت يا عبد الله إن أبا حبيب لقفل دون كل خير ، ولن يتأخر عزمنا إن شاء الله ، ووصله بصلّة سنوية .

(١) فعاد إلى سفيان (أغاني) ١٦ : ١٦١ .

(٢) في الأصل : ولا عرضك .

كان الحجاج قد جفا الأعشى ، وأطرحه لحالة كانت عند بشر بن مروان ، فلما فرغ الحجاج من حرب ذى الجاجم ذكر فتنة بن الأشعث وجعل يُوبِّخ أهل العراق ويؤنبهم على فعلهم ، فقال من حضرهم من أهل البصرة : إن الذنب والمعصية بدأ من أهل الكوفة . فقال أهل الكوفة : لا بل أهل البصرة أول من أظهر المعصية مع جرير بن هَمَّيان السَّدوسى ، إذ جاء مخالفاً من السند ، وأكثروا في ذلك ، فقام أعشى بنى ربيعة فقال : أصلح الله الأمير ، لا براءة من ذنب ولا ادعاء على الله عصمة لواحد من أهل المصرين . قد والله اجتهدوا جميعاً في قتالِك ، فأبى الله إلا نصرَكَ . وذلك أنهم جزعوا وصبرت وكفروا وشكرت إذ قدرت ، فوسمهم عفوُ الله تعالى وعفوك فنجوا ، ولولا ذلك لبادوا وهلكوا . فسر الحجاج بكلامه . وقال له جميلاً ، وقال : تهياً للوفادة على أمير المؤمنين ، لسمع هذا منك .

دخل أعشى بنى ربيعة على عبد الملك بن مروان فأنشده :

رأيتك أمس خيرَ بنى معدٍ وأنت اليوم خيرُ منك أمس
وأنت غداً تزيد الضعفَ ضعفاً كذلك تزيد سادة عبدِ شمسٍ

فقال له : من أى بنى ربيعة أنت ؟ قال : فقلت له : من بنى أمامة . فقال : إن أمامة ولد قيساً وحرثة ، فأحدهما نجم والآخر خمل فمن أيهما أنت ؟ قال : فقلت له : أنا من ولد حرثة ، وهو الذى نجم ، وقد كانت بكر بن وائل توجته فقال بمحصرة في يده وغمزها في بطني ثم قال : يا أخا بنى ربيعة ، هموا ولا تفعلوا فإذا حدثتني فلا تكذبني ، فجعلت له عهداً لا أحدث أبداً قرشياً بكذب .

عمرو بن قِيَّمة

هو عمرو بن قِيَّمة [بن ذريح] بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة
ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي
ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

قال ابن السكبي: ليس من العرب من له ولد ، كلُّ واحدٍ منهم قبيلة قائمة مفردةٌ
بذاتها غير ثعلبة بن عكابة ، فإنه ولد أربعة ؛ كل واحد منهم قبيلة قائمة بنفسها :
شيبان بن ثعلبة - وهو أبو قبيلة . وقيس بن ثعلبة - وهو أبو قبيلة . وذُهل
ابن ثعلبة - وهو أبو قبيلة ، وتيم الله بن ثعلبة - وهو أبو قبيلة .

وكان عمرو بن قِيَّمة من قدماء الشعراء في الجاهلية ، يقال : إنه أول من قال
الشعر من نزار .

وهو أقدم من امرئ القيس ، ولقيه امرؤ القيس في آخر عُمره فأخرجه معه إلى
قيصر ، فمات في طريقه ، وسمَّته العرب عمرا الضائع لموته في غربةٍ ، وفي غير أرب
ولا مطلب ، وإياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكي صاحبي لما رأى الدربَ دونه وأيقن أنا لاحِقانَ بَقِيصِرا
فقلت له لا تَبْكُ عَيْنُكَ إِنَّمَا نحاولُ مَلِكاً أو نموتُ فَنُعْذِرَا

وكان شاعراً مقداماً فخلاً ، وكان شاباً حسناً ، جميل الوجه مديد القامة [حسن
الشعر] (٢) .

(١) الأغاني أميري ١٦ : ١٦٣ تجريد ١٩٣٣ .
(٢) بياض في الأصل وما أثبتناه عن الأغاني ١٦/١٦٣

مات أبوه وخلفه صغيراً ، فكفله عمه مَرثدُ بنُ سعد ، وكان سبَّاباً (١) قدميه ملتصقتين .

وكان عمُّه محبَّاله ، معجِّباً به ، رفيقاً عليه ، وكانت عنده امرأةٌ ذاتُ جمالٍ فهويت عمراً وشُغِفَتْ به ، ولم تُظهِرْ له ذلك ، فغاب مَرثدُ لبعضِ أمرِهِ ، فبعثت امرأته إلى عمرو ، تدعوه على لسانِ عمه ، وقالت للرسول : ائتني به من وراء البيوت ، ففعل ، فلما دخل أنكر شأنها ، فوقف ساعة فراودته عن نفسه ، فقال : لقد جئتُ بأمرٍ عظيم ، وما كان مثلي ليدعَى لمثل هذا ، ووالله لو لم أمتنعُ من ذلك وفاءً لعمي امتنعت خوف الدناءة والذكر القبيح الشائع عنى في العرب . قالت : والله لتفعلن أو لأسوءَ نَك . قال : إلى المساءِ دعوتني ، ثم قام فخرج من عندها ، وخافت أن يخبرَ عمه بما جرى ، فأمرت بجفنة فكُبِّت (٢) على أثر عمرو ، فلما رجع مَرثدُ وجدها متغيظاً (٣) فقال لها : مالك ؟ فقالت : إن رجلاً من قومك قريبَ القرابة يستأمنى نفسى ، ويريد فراشك منذ خرجت . قال : ومن ؟ قالت : أما أنا فلا أسميه ، ولكن قم أنت فاقتفِ (٤) أثره تحت الجفنة . فلما رأى الأثرَ عرفه ، وكان لمَرثدُ سيفٌ يسمى ذا الفقار ، فألى ليضربَ به فهرب ، فأتى الحيرة ، فكان عند اللخمين . ولم يكن يقوى على بنى مَرثدُ لكثرتهم . وقال لعمرو بن هند : إن القوم طردوني ، فقال : ما فعلوا إلا وقد أجرت ، وأنا أخص عن أمرِك ، فإن كنتُ مجرماً رددتك إلى قومك ، فغضب وهم بهجائه وهجا مَرثدأ ، ثم أعرض عن ذلك ومدح عمه واعتذر إليه .

(١) في الأصل : سنابا .

(٢) فكفمت .

(٣) متغضبة (أغانى) .

(٤) فافتقد (أغانى) .

وقيل: إن مرثداً لما سمع ذلك هجر عمرأ فأعرض عنه ولم يعاتبه لموضعه من قلبه فقال عمرو ويمتدّر إليه من أبيات:

خليلاً لا تستعجلانْ تزوّداً وأن تجمعا شملي وتنتظرا غدا
وأن تُنظِراني اليومَ أفضِ لبانةً وتستوجبا [مناً] ^(١) على وتُحمّدا
لعمرك ما نفسٍ بجِدِّ رشيدةٍ تؤامرني سوءاً لأصْرِمَ مرثداً

سأل رجل حماداً الراوية بالبصرة، وهو عند بلال بن أبي بردة: [من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول] ^(٢):

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فما بال من يُرْمى وليس برامٍ
والشعر لعمرو بن قيس، قاله لما بلغ تسعين سنة، من أبيات أولها:
كأنى وقد جاوزتُ تسعينَ حِجَّةً خلعتُ بهاعني عِنانَ لجامى
على راحتين مرة وعلى العصا أنوء ثلاثاً بمدّهن قيسامى
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فما بال من يُرْمى وليس برامٍ
ولو أن ما أُرْمى ببئيلٍ رميتها ولكنني أرى بغير سهامٍ
إذا ما رأني الناس قالوا ألم يكن حديثاً جديد البرى غير كهامٍ
وأفنى ^(٣) وما أفنى من الدهر لئيلة ولم يُغن ما أفنيتُ سلكَ نظامٍ
وأهلكني تأميلُ يومٍ وليلة وتأميلُ عامٍ بعد ذلك وعامٍ

(١) ما بين القوسين عن الأغاني: ١٦ / ١٦٤ وبه يصح البيت .

(٢) ما بين القوسين عن الأغاني: ١٦ : ١٥٦ وبه يستقيم الكلام .

(٣) في الأصل: واني وما يفي .

عروة بن أُذينة^(١)

أُذينة [لقبه] وهو عروة بن يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله ابن رحل بن يممير وهو الشدّاخ بنُ عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .
وسُمِّيَ يَمَمِرٌ بالشدّاخ لأنه تَحَمَّلَ دِيَاتِ قَتْلِي ، كانت من قريش وخزاعة . وقال :
لقد شدّختُ هذه الدماءَ تحت قدمي ، فسمى الشدّاخ .

وقيل فيه : الشدّاخ بضم الشين .

وكنية عروة أبو عامر .

وهو شاعر غزَلٌ ، مقدّمٌ من شعراء أهل المدينة ، معدودٌ في الفقهاء والمحدّثين ، روى عنه مالكُ بن أنس ، وعبد الله بن عُمر العدوي ، وجدّه مالكُ بن الحارث ، روى عن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه . قال يحيى بن عُروة بن أُذينة : أتى أبي وجماعة من الشعراء هشامَ بن عبد الملك فنسبهم فلما عرف أبي قال له أنت القائل :

لقد علمتُ وما الإصرافُ من خلّتي	أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسمى له فِيمَعْنِيَّيَ تَطَلُّبُهُ	ولو جلستُ أتاني لا يُعْنِيَّيَ
وإن حَظُّ امرئٍ غيري سيبلغه	لا بد لا بد أن يَحْتَازَهُ دوني
لا خيرَ في طَمَعٍ يُدْنِي لِمَنْقَصَةٍ	وعفة من كفافِ العيش تكفيني
لا أركبُ الأمرَ تُزْرِئِي بي عواقِبُهُ	ولا يعابُ به عِرْضِي ولا ديني
كم من فقيرٍ غنِيَّ النفسِ تعرفه	ومن غني فقير النفسِ مسكين
ومن عدوٍّ رمانِي لو قصدتُ له	لم آخذ النصفَ منه حين يرميني

(١) أغاني ساسي : ٢١ : ١٠٥ - مهذب ٣٩/٦ . تجريد ١٩٧٤

ومن أخ لي طوى كسحاً فقلت له
إني لَأَنْطِقَ فيما كان من أَرَبِي
لا أبتغي وصل من يَبْغِي مقاطعة
ولا أَلِينُ لمن لا يشتهي ليني

فقال له ابن أذينة : نعم ، أنا فائلها . قال : فهلا قعدت في بيتك حتى يأتيك

رزقك ؟ وغفل عنه هشام ، فركب من وقته راحلته ومضى منصرفا . ثم افتقده هشام

فعرف خبره فأتبعه جائزته . وقال للرسول : قل له أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك .

فضى الرسول فلاحقه وقد نزل على ماء يتغذى عليه ، فأبلغه رسالته ، ودفع إليه

الجائزة فقال : قل له : قد صدقني الله وكذبك .

قال يحيى : وفرض له فريضتين كنت أنا في إحداهما .

مر ابن عائشة المعنى بعروة بن أذينة فقال له : قل أبياتا هزجا أغنى فيها فقال له :

اجلس وقال :

سَلِّمِي أجمتُ بينا فأين تقولها أينما

وقد قالت لأترابٍ لها زهر تلاقينا

تعالين فقد طاب لنا العيش تعالينا

فغاب البرم الليلا ة والعين فلا عينا

فأقبلن إليها مُسُّ رِعاتٍ يتهادينا

إلى مثل مهابة الرَّمِّ ل تكسو المجلس الزينا

تمنَّين مُناهُن فكنا ما تمنَّينا

فرواها ابن عائشة لما سمع قوله :

تمنَّين مُناهُن فكنا ما تمنَّينا

ثم قال : يا أبا عامر تمتك لما أقبل بجررك وأدبر ذكرك .

وقفت سكينه بنت الحسين ، رضى الله عنه ، على عروة بن أذينة فى موكبها وجواربها ، فقالت : يا أبا عامر أنت الذى تزعم أن لك مروءة ، وإن غزلك من وراء عفة ، وأنت تقي . قال : نعم ، قالت : فأنت الذى تقول :

قالت وأبنتها وجدى فبحثُ به قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
أست بُبصرُ من حولى فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصرى

قال : بلى ، قالت : هن حرائرُ إن كان هذا خرج من قلب سليمٍ أو صحيح .
قال الزبير بن بكار : حدثنى عمى قال : كان عروة بن أذينة نازلا فى العميق ، فى دار
أبى فسمعته يُنشد :

إن التى زعمتُ فؤادك ملها جمعت هواك كأجمعت هوى لها
فبك التى زعمتَ بها وكلاكما يُبدى لصاحبه الصبابة كلها
ولعمرها لو كان حبك فوقها يوما وقد ضحيتُ إذا لأظلمها
وبيت بين جوانحى حبُّ لها لو كان تحت فراشها لأقلها
وإذا وجدتُ لها وساوسَ سلوة شفع الضميرُ إلى الفؤاد (١) فسَلها
بيضاء باكرها النعيم فصاعها بلباقة فادقها وأجلها
لما عرَضتُ مسلما لى حاجة أرجو معونتها وأخشى ذلها
منعتُ تحيتها فقلت لصاحبى ما كان أكثرها لنا وأقلها
فَدَنَا وقال لعلها معذورة من أجل رِقبتِها فقلت لعلها

قال : فأبى أبو السائب الخزومى ، وأنا فى دارى بالعميق ، فقلت له بعد الترحيب :
هل بدت لك حاجة ؟ قال : وكما تكون الحاجة . أبيات لعروة بن أذينة بلغنى أنك
سمعتها منه . فقال له : وأية أبيات ؟ قال : وهل يخفى القمر ؟ قوله :

(١) شفع الفؤاد إلى الضمير (أغانى - مهذب) .

... .. إن التي زعمت فؤادك ملها
فأنشدته فلما بلغتُ إلى قوله :

... .. فقلت لعلها

قال لي : أحسن والله :

إن كان أهلك ينعونك رغبةً عني فأهلي بي أضنُّ وأرغب
أذهب لا صحبِكَ اللهُ ولا وسَّعَ عليك (يعني قائل هذا البيت) . لقد تمدى هذا
الأعرابي طوره ، وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحبك (يعني عروة) لحسن ظنه بها وطلبه
العذر لها . ثم عرضت عليه الطعام فقال : لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاما
إلى الليل ، وانصرف .

لقى ابن أبي عتيق عروة بن أذينة فأنشده شيئا من شعره حتى أنشده :

سَرَى هَمَّى وَهَمُّ اللَّيْلِ يَسْرِي وَغَابَ النِّجْمُ إِلَّا قَيْدَ فِئْتَرِ
أُرَاقِبُ فِي الْمَجْرَةِ كُلَّ نَجْمٍ تَمَرَّضَ لِلْمَجْرَةِ كَيْفَ يَجْرِي
لِيَهْمٍ مَا أزالَ بِهِ مُدِيمَا كَأَنَّ الْقَلْبَ أُضْرِمَ حَرَّ جَمْرٍ
عَلَى بَكَرٍ أَخِي وَتَى حَمِيدَا وَأَيَّ الْعَيْشِ يَصْفُو بَعْدَ بَكَرٍ

فقال ابن أبي عتيق : كلُّ العيش والله يصلح بعمده حتى الخبز والزيت ، فغضب

عروة من قوله ، وقام من مجلسه ، وحلف لا يكلمه أبداً ، وماتاً متهاجرين .

أبو محجن الثقفي^(١)

هو عبدُ الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عُقْدة بن عمرو بن عوف بن قسي ، وهو ثقيف من المخضرمين الذين أدرَكوا الجاهلية والإسلام .
وهو شاعر فارس شجاع ، معدود في ذوى البأس والنجدة ، وهو من المعاقرين للخمر المحدودين في شربها .

ولما كثر شربُه الخمر ، وأقام عليه عمر ، رضى الله عنه ، الحد ، وهو لا ينتهى نفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها حَصَوْضَى وبث معه حرسيا يقال له ابن جهراء ، فهرب منه على ساحل البحر ولحق بسعد بن أبي وقاص وقال :

الحمد لله نجاني وسلمني ^(٢)	من ابن جهراء والبوصى قد جلسا
من يجشم البحر والبوصى مرَّ كَبُهُ	إلى حَصَوْضَى فبئسَ المركبُ التمسَا
أبلغ لديك أبا حفص مُغْلَمَةً	عند الإله إذا ما غارَ أو جلسا ^(٣)
أنى أكرُّ على الأولى إذا فزعوا	يوما وأحيسُ تحت الراية الفرسا
أغشى الهياج وتَفْشَانِي مُضَاعَفَةً	من الحديد إذا ما بمضهم خنسا

وقيل : كان سببُ نَفْيِهِ أن أبا محجن هَوَى امرأة من الأنصار يقال لها شموس ، فحاول النظرَ إليها بكل حيلة ، فلم يقدر عليها ، فآجر نفسه من عامل يعمل في حائط إلى جانب منزلها ، وأشرف من كُوَّة في البستان فرآها فأنشأ يقول :

ولقد نظرتُ إلى الشَّموسِ ودونها
حَرَجٌ من الرحمنِ غيرُ قليلٍ

(١) أغاني ٢١ : ١٣٧ مهذب ٤٧/٢ تجريد ١٩٨٢ .

(٢) وخلصني (أغاني)

(٣) غار: أنى الفور ، وجلس: أتى نجدا .

فاستمدى زوجها عليه عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فنفاه إلى حضوضى مع ابن جهراء وقال له عمر : لا تدعه يُخْرِجَ معه سيفا ، فعمد أبو محجن إلى سيفه فجعل نصله في غرارة ، وجفنه في غرارة أخرى ، فيهما دقيق ، فلما انتهى به إلى الساحل وقرب البوصى ابتاع أبو محجن شاة وقال لابن جهراء هلم نتغذ . ووثب إلى الغرارة كأنه يخرج منها دقيقا ، فأخذ السيف ، فلما رآه ابن جهراء والسيف معه ، خرج يمدو حتى ركب بعيره راجعا إلى عمر ، فأخبره الخبر . وأقبل أبو محجن إلى سعد ابن أبي وقاص ، وهو يقاتل العجم يوم القادسية ، وبلغ عمر خبره فكتب إلى سعد بجبسه فبسه . فلما كان يوم قس الناطف ، والتحم القتال ، سأل أبو محجن امرأة سعد أن تعطيه فرس سعد وتحل قيده ليقاتل المشركين ، فإن استشهد فلا تبعة عليه ، وإن سلم عاد ، حتى يضع رجله في القيد ، فأعطته الفرس ، وخلت سبيله وعاهدها على الوفاء فقاتل فأبلى بلاء حسنا إلى الليل ، ثم عاد إلى محبسه .

وهذه القصة كانت لأبي محجن في يوم أرماث ويوم الكتائب ، وهو أنه لما كان يوم الكتائب انتقل المسلمون والفرس منذ أصبحوا إلى أن انتصف النهار ، فلما قامت الشمس تراحم الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل ، وهذه الليلة التي كان في صبيحتها يوم أرماث ، وقد كان المسلمون يوم أرماث أشرفوا على الظفر وقتلوا عامة أعلام الفرس ، وجالت خيالهم في القلب ، فلولا أن رجّلهم ثبتوا حين كرت الخيل لكان رئيسهم قد أخذ لأنه كان ينزل عن فرسه ، ويجلس على سيره ، ويأمر الناس بالقتال ، فلما انتصف الليل تحاجز الناس ، وبات المسلمون ينتمون منذلدن أمسوا وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام ، وقال لبعض من عنده ، إن تم الناس على الانباء فلا توقظني ، فإنهم أقوياء على عدوهم ، وإن سكتوا وسكت العدو فلا توقظني فإنهم على السواء ، وإن سمعت العدو ينتمون ، وهؤلاء سكوت فأنبهني فإن انباء العدو من سوء .

فلما اشتد القتالُ في تلك الليلة : كان أبو محجن في الحبس ، وهو وسعد في القصر ، فأراد أن يصعدَ إلى سعد فيستتمِّفِيهِ ويستقيله فنهره وردّه ، فنزل وأتى سلمى بنتَ أبي حفصة ، فقال لها : يا بنتَ أبي حفصة هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تُخَلِّينِ عني ، وتعيريني البلقاء ، فله عليّ إن سلّمني الله أن أرجعَ إلى حضرتك حتى تضمي رجلِي في قيدي ، فقالت : وما أنا وذاك ؟ فرجع يرسف في قيوده ويقول :

كفي حزنا أن ترتدي الخيل بالقنا	وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا
إذا قت عَنائي الحديدُ وأغلقت	مصاريعُ من دوني تُصمُّ المناديا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ	فقد تركوني واحداً لا أخاليا
وقد شفَّ جسمي أني كل شارقي	أعالج كَبَلاً مُصَمِّماً قد برانيا
فله درِّي يومَ أتركُ موثقا	وتُدْهَلُ عني أسرتي ورجاليا
حيبسان الحربِ العوانِ وقد بدتُ	وإعمالُ غيبي يومَ ذاك العواليا
ولله عهدٌ لا أخيسُ ^(١) بعهده	لئن فُرِجَتْ أَلَا أזורَ الجوانيا

فقال له سلمى : قد استخرتُ الله تعالى ورضيتُ بعهديك فأطلقته . وقالت : أما الفرسُ فلا تقرَّبها ورجعتُ إلى بيتها ، فخالفها أبو محجن إلى الفرس فأخذها ، وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق ، فركبها ثم دبَّ عليها ، حتى إذا كان بجيالِ الميمنة ، وأضاء النهارُ ، وتصافَّ الناسُ كَبَرُثم حمل على ميسرة القوم ، يلعب برُمجِه بين الصفين ، ثم رجع من خَلْفِ المسامين إلى القلب ، فبَدَرَ أمامَ الناس ، فحمل على القوم ، يلعب بين الصفين برمجه وسلاحه ، وكان يقصف الناس أشد قصف منكر ، فعجب الناس منه ، وهم لا يعرفونه ، ولم يروه بالأمس . فقال بعضُ القوم : هذا من أوائل أصحابِ هاشمِ بنِ عُتْبَةَ ، أو هاشمٌ نفسه . وقال قوم :

(١) يقال : خاس العهد وبالعهد : نقضه .

إن كان الخضرُ يشهدُ الحربَ فهو صاحبُ اللقاء . وقال آخرون : لولا أن الملائكةَ لا تباشِرُ القتالَ ظاهراً لقلنا هذا ملكٌ بيننا . وجعل سعد يقول ، وهو مشرف : هذا أبو محجن ، وهذه اللقاء ، فلم يزل يقاتلُ حتى انتصف الليل ، فتحاجز الناس ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ، ووضع عن نفسه السلاحَ وعن دابته وأعاد رجليه في القيد ، وأنشأ يقول :

لقد عَلِمْتَ تقيفٌ غيرَ فخرٍ	بأنا نحنُ أكرمهم سيوفا
وأكرمهم دروعا سابغاتٍ	وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
وأنا رِفْدُهُم في كلِّ يومٍ	فإن جحدوا فسلُّ بهم عريفا
ولييلة قادس لم يشعروا بي	ولم أكرهه بمخرجي الصفوفا
فإن أُحْبِسُ فقد عرفوا بلأني	وإن أُطلق أُجرُّ عنهم حتوفا

فقلت له سلمى : يا أبا محجن في أى شئ حبسك هذا الرجل ؟ فقال : أما والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحبَ شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعْرُ على لساني فيبعمته أحيانا فحبسنى لأني قلت :

إذا ميتٌ فادفني إلى أصلِ كرمَةٍ	تروى عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني بالفلاة لأنني	أخاف إذا ما ميتٌ ألا أذوقها
ليروى بخمرِ الحصِّ لحي فإنني	أسيرُ لها من بعد ما قد أسوقها

وكانت سلمى رأت من المسلمين جولةً ، وسعدُ بن أبي وقاص في القصر ، لعله كانت به ، لم يقدر على حضور الحرب ، وكانت قبله عند المثنى بن حارثة الشيباني ، فلما قتل خلف عليها سعدٌ ، فلما رأت شدة البأسِ صاحت وأمثناه ولا مثني اليوم فلطمها سعد ، فقالت : أفلك أجبناً وغيره ؟ وكانت مغاضبته ليلة أرماث ، وليلة الهدية ،

وليلة السواد، فلما أصبحت أتته فصالحته، وأخبرته خبر أبي محجن، فدعاه وأطلقه .
وقال : اذهب فلست مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله فقال لا جرم ، والله لا خبنتُ
لساني إلى صفةٍ قبيحٍ أبداً .

وكان أبو محجن كلما أتى إلى سعد بن أبي وقاصٍ شاربا يتهدده فيقول : لست
تاركها إلا لله ، فأما لقولك فلا ، فأني به يوم القادسية وقد شرب فأمر به إلى القيء ، وكانت
بسمه جراحةٌ فلم يخرج للناس ، وجرى لأبي محجن ما تقدم ذكره .

وقيل : إن أبا محجن لما قال له سعد : لست مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله . قال :
قد كنت أشربها وكان الحد يقامُ عليّ وأطهرُ منها فأما إذ نهيتني فلا والله لأشربها
أبداً وقال :

إن كانت الخمرُ قد عَزَّتْ وقد مُنِعَتْ وحال من دورها الإسلامُ والحرجُ
فقد أبَا كرها صِرْفًا وأمزجها ريتا وأطربُ أحيانًا وأمتزج
وقد تقومُ على رأسي مُنعمَةٌ فيها إذا رفعتُ من صورتها غنج
ترفع الصوتَ أحيانًا وتخفِضُهُ كما يطنّ ذبابُ الروضةِ الهزجُ

وقال المفضل : إن الناسَ لما التقوا بالأعاجم ، يوم قسّ الناطف ، [كان مع الأعاجم
فيل] ^(١) يكر عليهم فلا تقوم له الخيل . فقال أبو عبيدة بن مسعود : هل له مَقْتَلٌ ؟
فقيل : نعم خرطومُه ، إلا أنه لا يُفْلِتُ منه من ضَرَبِهِ . قال : فإنا أهبُ نفسي لله ،
وكمنَ له حتى إذا أُقْبِلَ وسامته ^(٢) فضرب خرطومَه بالسيف ، فرمى به ، وشدَّ عليه
الفيل فقتله . ثم استدار فطحن الأعاجمَ وانهمزوا : فرثاه أبو محجن بأبيات :

(١) بياض في الأصل وما بين القوسين عن الأغاني ٢١ : ١٤١ .

(٢) سامته : قابله ووازاه .

دخل ابنُ أبي محجن الثقفى على معاوية فقال له : أليس أبوك الذى يقول :
 إذا مت فادْفِنْنِي إلى جنبِ كَرَمَةِ الأبيات
 فقال له ابنُ أبي محجن : لو شئتُ لذكرتُ له ما هو أحسنُ من هذا من شعره .
 قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تسألنى اليوم عن مالى وكثرتَه	وسألتى الناس ما فعلى وما خلقتى
أعطى السنانَ أمامَ الرُوعِ حصَّتهُ	وعاملَ الرُّمَحِ أرويه من المَلَقِ
وأطعنُ الطعنةَ النجلاءَ عن عُرْضِ	وأحفظُ السرَّ فيه ضربةَ العنقِ
عَفُّ المَطالِبِ عما لستُ نائله (١)	وإن ظلمتُ شديدُ الحقدِ والحنقِ
وقد أجود وما مالى بذى قنَع (٢)	وقد أكرُّ وراءَ المُحجِمِ الفَرَقِ (٣)
والقومَ تعلمُ أنى من سراهمُ	إذا سما بصرُ الرِّعْدِيدةِ الشفقِ
قد يُعسرُ المرءُ حيناً وهو ذو كرم	وقد يثوبُ ثوابَ العاجزِ الحَمِقِ
سيمكثُرُ المالُ حيناً بَعَدَ قَلتَه	ويكتسى العودُ بعدَ اليَبَسِ بالورقِ

فقال له معاوية : إن كنا أسأنا إليك القولَ لنُحسِنَنَّ لك الصَفدَ (٤) . ثم أجزل

صليته ، وقال : إذا حَبَلتِ وولَدتِ النساءُ فلتلدِ مثلك .

أتى عمر رضى الله عنه بجماعة ، منهم أبو محجن ، وقد شربوا الخمرَ فقال : أشربتم
 الخمرَ بعد أن حرمها الله تعالى ورسوله ؟ فقال : ما حرمها الله ولا رسوله ، إن الله
 عز وجل يقول : « ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحاتِ جناحٌ فيما طعموا إذا
 ما اتقوا و آمنوا وعمالوا الصالحاتِ » فقال عمر لأصحابه : ما ترون فيهم ؟ فاختلفوا فيهم

(١) فى الأصل : قائله .

(٢) القنع : الجود الكثير ، الفضل الواسع ، الكثير من كل شىء .

(٣) وقد أكر وراء الحجر البرق (أغانى) .

(٤) الصغد : العطاء — وكانت العبارة فى الأصل (لنحسن إلى الصفة) والتصويب عن الأغانى .

فبعث بهم إلى عليّ بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، فشاوَرَه فقال على رضى الله عنه : إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغى أن يَسْتَحِلُّوا المَيْتَةَ والدمَ ولحمَ الخنزير ، فسكتوا . فقال عمر لعلي : ما ترى فيهم ؟ فقال : أرى إن كانوا شربوها مُسْتَحِلِّينَ لها أن يقتلوا ، وإن كانوا شربوها وهم موقنون أنها حرام ، فعليهم الحد . فسألهم فقالوا : والله ما شككنا في أنها حرام ، ولكن قَدَّرْنَا أن لنا نِجَاةً فيما قلناه . فجعل يَمْحُدُّهم رجلا رجلا ، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي محجن ، فلما جلده أنشأ يقول :

الم تر أن الدهر يَمُتُّ بالفتى ولا يستطيعُ المرءُ صرفَ المقاديرِ
ضُرِبْتُ فلم أَجْزَعْ ولم أكُ جازعا لحادثِ دهرٍ في الحكومةِ جائِرِ
وإني لنو صَبْرٍ وقد مات إخوتي ولست عن الصهباءِ يوما بصابرِ
رماها أمير المؤمنين بِحَتْفِهَا نَحْلَانُهَا بيبكون حولَ المعاصرِ
فلما سمع عمر قوله :

... .. .
ولست عن الصهباءِ يوما بصابرِ

قال : قد أبديتَ ما في نفسك ولأزيدنك عقوبة ، لإصرارك على شرب الخمر ، فقال له على ، رضى الله عنه : ليس إلى ذلك سبيلٌ ، ولا يجوز أن تعاقب رجلا قال : لأفعلن وهو لم يفعل ، وقد قال الله عز وجل في الشعراء : « وأنهمُ يقولون مالا يَفْعَلُونَ » فقال عمر : « قد استثنى الله تعالى منهم قوما ، فقال : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فقال على رضى الله عنه : أفهؤلاء عندك منهم ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يشرب [العبد] الخمر حين يشربها وهو مؤمن .

حدّث من مرّ بقبرِ أبي محجنٍ في نواحي أذربيجان ، أو قال : نواحي جرجان .
قال : رأيت قبره وقد نبتَ حوله ثلاثةُ أصولٍ كرم ، وقد طالت فأثمرت ، وهي
مُعرّشةٌ على قبره ، مكتوبٌ : هذا قبر أبي محجن الثقفى ، فوقفت طويلاً أتعجب
مما اتفق له حتى صار كأُمّيته حيث يقول :

إذ امت فاذفنيّ إلى جنبِ كرمه
تروى عظامي بمد موتى عروقها

عويف القوافي^(١)

هو عُوَيْفُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ حِصْنِ .

وقيل ابن عُقْبَةَ بْنِ عُمَيْيَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جُوَيْيَةَ بْنِ لُوذَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَدَى بْنِ فِزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ ابْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ بْنِ مِضَرَ بْنِ زَارِ .

شاعرٌ مُقَلِّدٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، مِنْ سَاكِنِي الكُوفَةِ ، وَبَيْتُهُ أَحَدُ البَيْوتَاتِ الْمُقَدَّمَةِ الْفَاخِرَةِ فِي الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَعُدُّ البَيْوتَاتِ الْمَشْهُورَةَ بِالْكَبْرِ وَالشَّرَفِ مِنَ الْقَبَائِلِ ، بَعْدَ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، فِي أَرْبَعَةِ بَيْوتٍ :
أُولَاهَا بَيْتُ آلِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفِزَارِيِّ ، بَيْتُ قَيْسِ ، وَبَيْتُ آلِ زُرَّارَةَ بْنِ عَدَسِ الدَّارِمِيِّينَ^(٢) ، بَيْتُ تَيْمِ .

وبيت [آل] ذِي الْجَدِّينَ [بن]^(٣) عَبْدَ اللَّهِ بْنِ هَمَامٍ ، بَيْتُ شَيْبَانَ .
وبيت بنِي الدِّيَّانِ ، مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، مِنَ الْيَمَنِ . فَأَمَّا كَنْدَةَ فَلَا يُعَدُّونَ مِنْ أَهْلِ البَيْوتَاتِ ، وَإِنَّمَا كَانُوا مَمْلُوكًا .

قال كسرى للنعمان : هل للعرب قبيلة تُشْرَفُ عَلَى قَبِيلَةٍ ؟ قال : نعم قال : بأي شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكال الرابع ، والبيت من قبيلته فيه . قال : فاطلب لي ذلك ، فطلبه فلم يجده . إلا في بيت حُدَيْفَةَ ابْنِ بَدْرِ بَيْتِ قَيْسِ عَيْلَانَ ، وَآلِ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ ، بَيْتِ تَيْمِ . وَآلِ ذِي الْجَدِّينَ بَيْتِ شَيْبَانَ ، وَآلِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ بَيْتِ كَنْدَةَ .

(١) الأغاني ١٧ : ١٠٥ المهذب ٤/٦٩ . تجريد ٢٠٢٧

(٢) في الأصل : ابن عبد الدار .

(٣) في الأصل : بيت ذى الجد بن عبد الله ، والتصويب وما بين القوسين عن الأغاني .

قال : جَمَعَ هؤلاء الرهطَ ، ومن تبعَهُم من عشائِرهم ، فأقعد لهم الحُكَّامَ
العدولَ ، وأقبل من كلِّ واحدٍ منهم شاعرٌ وقيل لهم : ليتكلم كلُّ رجلٍ منكم
بمآثر قومه وفعلِهم ، وليقلِّ شاعرُهُم فليصدُق . فقام حذيفةُ بنُ بدرٍ وكان ألسنَهُم
وأجزلَهُم مقدِّما فقال :

[لقد] علمتُ معدُّ أن فينا الشرفَ الأقدمَ والعزَّ الأعظمَ ومآثر الصنيع
الأكرم . فقال من حوله : ولمَ ذاك يا أخا بني فزارة ؟ قال : ألسنا الدعائم التي
لا تُرام والعزَّ الذي لا يُضام . قيل له : صدقت .

ثم قام شاعرهم فقال :

فزارَةُ بيتُ العزِّ والعزِّ فيهمُ	فزارَةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ نِضالُها ^(١)
لها العزَّةُ القمساءُ والحسبُ الذي	بناه لقيسٍ في القديمِ رجالُها
فمن ذا إذا مُدَّ الأكَفُّ إلى العُلا	يعدُّ بأخرى مِثْلها فينالُها
فهيها قد أعيأ القرونَ التي مضتُ	مآثرُ قَيْسٍ حَجْدُها وفعلُها
وهل أحدٌ إن مَدَّ يوماً بكفِّه	إلى الشمسِ في جَرى النجومِ ينالُها
فإن تصلحوا نصلح كذاك جيمنا	وإن تفسدوا يفسد على الناسِ حالُها

ثم قام الأشعث بن قيس يُعدُّ مآثرَ كِنْدَةَ ، وإتما أذن له قبل ربيعة وتميم

لقرابته من النعمان .

وقام بعده بسطام بن قيس يُعدُّ مآثر ربيعة .

وقام بعده حاجب بن زارة يعدُّ مآثر معد . فقام بعده قيس بن عاصم . فقالوا

نثرا ونظما .

فلما سمع ذلك كسرى منهم ومن شعرائهم ، قال : ليس منكم إلا سيدهُ يصلح
لموضِعِهِ . وأسنى جوائزهم وصرْفهم .

(١) في الأصل : حيث قيس نصالها بالصاد ، وهذه عن الأغاني .

وسمى عُوَيْفَ القوافي لبيت قاله :
سأُكذِبُ من قد كان يزعم أنني
إذا قلتُ قولاً لا أُجيدُ القوافيا
فسميَّ عُوَيْفَ القوافي .

ووقف على جرير بن عبد الله البجلي ، وهو في مجلسه ، فقال :
أصبُّ على بجيلة من شقاها هجائي حين أدركني المشيبُ
فقال له جرير : ألا أشتري منك أعراضَ بجيلة ؟ قال : بلى . قال : بكم ؟ قال :
بألف درهم وبرذون . فأمر له بما طلب . فقال له :
لولا جريرُ هلكتُ بجيلة نِعَمَ الفتى وبِئْسَتِ القبيله
فقال له جرير : ما أراهم نجواً منك بعد .

حدث جماعة من مشيخة قريش ، قالوا : لم يكن رجل من قادة^(١) بني عبد الملك
ابن مروان أنفَسَ على قومه ولا أحسدَ لهم^(٢) من الوليد بن عبد الملك بن مروان ،
أذن يوماً للناس فدخلوا عليه ، وأذن للشعراء فكان أول من بدَرَ بين يديه عُوَيْفُ
القوافي الفزاريُّ فاستبأذنه في الإنشاد ، فقال : ما أقيمت لي بعد ما قلت في أخي زهرة^(٣)
ما قلت . قال : وما قلت له مع ما قلت لأمير المؤمنين ؟ قال : ألسنت الذي تقول له :
يا طَلِحَ أنت أخو الندى وحَلِيفُهُ إن الندى من بعد طلحةَ ماتا
إن الفمعال إليك أطلقَ رَحْلَهُ فبِحَيْثُ بُتَّ من المنازل بانا
أو لست الذي تقول له :

إذا ما جاء يومك يا ابنَ عوف^(٤) ذريعَ الموتِ ليسَ له شفاء

(١) ولاية (أغاني) .

(٢) في الأصل : آخذ لهم .

(٣) لأخي بني زهرة (أغاني)

(٤) رواية الشطر الأول في الأغاني : تساقى الناس بعدك يا ابن عوف .

ألم تَقمُ عليك الساعةُ يومَ قامَتُ عليه . لا والله لا أسمع منك شيئاً ، ولا أنفمك
بنافمة أبداً ، أخرجوه عنى . فقال له القرشيون والشاميون : وما الذى أعطاك طلحةً
حتى استخرَجَ هذا منك ؟ قال : أما والله لقد أعطانى غيرُه أكثرَ من عَطِيَّتِهِ ،
ولكن لا والله ، ما أعطانى أحدٌ قطُّ أجَلَ فى قلبى ، ولا أبقي شكراً ، ولا أجدرَ ألا
أنساها ما عرفت الصَّلَات [من عطيته] ^(١) قالوا : وما أعطاك ؟ قال : قدمت المدينة
ومعى بُضَيْمَةٌ لى ^(٢) لا تبلغ عزمه أريد أن أبتاع قعوداً من قُعدان الصدقة فإذا رجُلٌ
بصحن السوق ، على طنفسةٍ قد طرحت له وإذا ^(٣) الناس حوله وإذا بين يديه إبلٌ معقولة ،
فظننت أنه عاملُ السوقِ ، فسلمت عليه فأثبنتنى وجهلته فقلت له : بأبى رحمك الله ،
هل أنت معينى بنظرِكَ على قعودٍ من هذه القُعدان تبتاعه لى ؟ فقال : نعم أو معَكَ
ثمنه ؟ فقلت نعم . فأهوى بيده إلىَّ فأعطيته بُضَيْمَتى ، فرفع طنفسته فألقاها تحتها ،
ومكث طويلاً ، فممتُ إليه فقلت : رحمك الله انظر فى حاجتى . فقال : ما منعى منك
إلا النسيان ، أملك حبل ؟ قلتُ : نعم فقال : هكذا ، أفرجوا فأفرجوا حتى استقبل
الإبل التى بين يديه فقال : اقرن هذه ، وهذه ، وهذه ، فما برحت حتى أمر لى بثلاثين بكرة
[أدنى بكرة فيها ولا دنية فيها خير من بضاعتى] ^(٤) ثم رَفَعَ طنفسته ، فقال :
شأنك بضاعتك ، فاستمن بها على من ترجعُ إليه . فقلت : أى رحمك الله ، أتدرى
ما تقول ؟ فما بقى عنده إلا نهرنى وشتمنى ، ثم بمث معى نفراً فأطردوها حتى أطلموها
فى رأس الثنينة . فوالله لا أنساها ما دمتُ حياً أبداً .

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٢) فى الأصل (مضيمة) .

(٣) فى الأصل : (أزواد) .

(٤) ما بين القوسين عن الأغاني .

قال أبو موسى الأشعري: حضرت مع عمر بن عبد العزيز جنازةً فانصرفت معه ،
وعليه عمامة قد سدّ لها من خلفه فإعلمت به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به :

أَجِبْنِي أبا حفص لَقِيتُ مُحَمَّدًا على حَوْضِهِ يَسْقِي بِهِ وَيَرَاكَ (١)

فقال له عمرُ: لَبَّيْكَ ، ووقف ووقف الناس معه ، ثم قال له : فَمَهْ . فقال :

فَأَنْتِ امْرُؤٌ كَلَّمَا يَدِيهِ مَفِيدَةٌ شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ

قال: ثُمَّ مَهْ؟ فقال :

بَلَفْتِ مَدَى الْمُجْرِمِينَ قَبْلَكَ أَنْ جَرَوْا وَلَنْ يَدْرِكَ الْمُجْرِمُونَ بُعْدَ مَدَاكَ

فَجَدَّكَ لَا جَدِّينَ أَكْرَمُ مِنْهُمَا هُنَاكَ تَفَاهَى الْمَجْدِ ثُمَّ هُنَاكَ

فقال عمر : لا أراك إلا شاعراً ، ما لك عندي من حق . قال : لا ، ولكنني سأئلهُ

وابن سبيل وذونهمه . فالتفت عمر إلى قهرمانه فقال : أعطه فضل نفقتي ، فإذا هو

عوفيف القوافي .

وكانت أخت عوفيف القوافي عند عُمَيَّة بن أسماء بن خارجة فطلّقها وكان عوفيفُ

مراغماً لِعُمَيَّة . فقال : الحرّة تطلق لغير ما بأس . فلما حبس الحجاج عُمَيَّة وقيده

قال عوفيف :

مَنْعَ الرَّقَادَ فَمَا يُحَسِّ رِقَادُ خَبْرُ أَنْتَاكَ وَنَامَتِ الْعُودُ (٢)

خَبْرُ أَنْتَانِي عَنْ عَمِينَةٍ مَوْجِعُ وَلِثْلِهِ تَتَصَدَّعُ الْأَكْبَادُ

بَلَّغَ النَّفُوسَ بِلَاؤِهِ فَكَأَنَّتَا مَوْتِي وَفِينَا الرُّوحُ وَالْأَجْسَادُ

سَاءَ الْأَقْرَابَ يَوْمَ ذَلِكَ فَأَصْبَحُوا بَهْجِينَ قَدْ سَرَوْا بِهِ الْحَسَادُ

يَرْجُونَ عَثْرَةَ جَدَّنَا وَلَوْ أَنَّهُمْ لَا يَدْفَعُونَ بِنَا الْمَكَارَهَ بَادُوا

(١) رواية الشطر الثاني في الأغاني :

على حوضه مستبشراً ورآك

(٢) رواية الحماسة : ذهب الرقاد . . . مما شجك ونامت العواد

لما أتاني عن عِيْنَةَ أَنَّهُ عَانِ^(١) عَلَيْهِ تَظَاهِرُ الْأَنْبِيَاءُ
نَخَلَتْ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ أَنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذَهَبُ الْأَحْقَادُ
وَذَكَرْتُ أَيَّ فِتْنَى يَسُدُّ مَكَانَهُ بِالرَّفْدِ حِينَ تَقْصُرُ الْأَرْفَادُ
أَمْ مِنْ يُهَيِّئُ لَنَا كِرَائِمَ مَالِهِ وَلِنَا إِذَا عُدْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ
لَوْ كَانَ مِنْ حَضَنَ تَضَاعَلْ رُكْنُهُ أَوْ مِنْ نَضَادَ بَكَتْ عَلَيْهِ نَضَادُ

سأل عوف القوافي في جملة ، فمر به عبد الرحمن بن محمد بن مروان ، وهو
حديث السن ، فقال له : لا تسأل أحداً وصراً إلى أكفك . فأناه فاحتملها أجمع . فقال
بمدحه :

غلامٌ رماه الله بالخير يافما له سيمياء لا تشقُّ على البصر
كأن الثريا علقت في جبينه وفي خده الشعرى وفي أنفه القمر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردى رداء واسع الذيل واتزر
إذا قيلت الموراء أغضى كأنه دليل بلا ذل ولو شاء لا تنصر
دعاني فآساني ولو صد لم يُلم علي حين لا بادٍ يرجي ولا حضر

قال أبو زيد : وهذه الأبيات تمثل بها عوف وإنما هي لابن عنقاء الفزارى ،
يقولها لابن أخ له . وكان قومٌ من العرب أغاروا على نعم ابن عنقاء ، فاستاقوها ، حتى
لم يبق له شيء ، فأتى ابن أخيه فقال له : يا ابن أخي قد نزل بعمك ماترى ، فهل
من حلوبة ؟ قال : نعم ياعم ، اصبر حتى يروح المال ، وأبلغ مروان ، فلما راح قاسمه إياه
وأعطاه شطره . فقال فيه هذه الأبيات .

ولما مات سليمان بن عبد الملك وولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه عوف
القوافي ، وأنشده :

(١) أمسى (الحماسة) .

لاح سحابٌ فرأينا بَرَقَه ثم تدانى فسمعنا صَعَقَه
 وراحت الريح تُزجِّي بُلَقَه ودُهَمَه ثم تُزجِّي وُرُقَه
 ذاك سَقَى قَبْرًا فَرَوَى وَدَقَه قَبْرِ امْرِئٍ (١) عَظَمَ رَبِّي حَقَه
 قَبْرَ سَلِيْمَانَ الَّذِي مِنْ عَقَه جَحَدَ الْخَيْرِ الَّذِي قَد بَقَه
 فِي الْمُسْلِمِينَ (٢) جِلَه وَدِقَه فَارَقَ فِي الْجُودِ مِنْهُ صِدْقَه (٣)
 قَد ابْتَلَى اللَّهُ بِخَيْرٍ خَلَقَه أَلْقَى إِلَى خَيْرِ قَرِيْشٍ وَسَقَه
 سُمِّيَتْ بِالْفَارُوقِ فَافْرُقَ فَرَقَه وَارْزُقْ عِيَالَ الْمُسْلِمِينَ رِزْقَه
 وَاقْصِدْ إِلَى الْجُودِ وَلَا تَوَقَّه بِخَرْكٍ عَذْبُ الْمَاءِ مَا أَعَقَه
 رِيْثِكَ وَالْمَحْرُومُ مِنْ لَمْ يُسَقَّه

فقال عمر : لسنا من الشعر في شيء ، وما لك في بيت المال من حق ، فألح عوفيف
 يسأل ، فقال : يا مزاحم ، انظر ما بقى من أرزاقنا فشاطره إياه ، ونحن نصبرُ على الضيق
 إلى وقت العطاء ، فقال له عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك : بل نُوفِّرُ على أميرِ
 المؤمنين ، وعلى رضاء الرَجُل . فقال : وما أولاك بذلك ، فأخذ بيده وانصرف وأعطاه
 حتى رضى .

(١) في الأصل قبرا نوى .

(٢) في العالمين (الكامل) والجل بكسر الجيم الكبير ، والدق بكسر الدال الصغير .

(٣) روى الكامل مكان هذا البيت :

لما ابتلى الله بخير خلقه

وجاء بعده : وكادت النفس تساوى حلقه . (الكامل ج ٢ / ٢١٤ مطبعة أزهرية) .

عبد الله بن جحش^(١)

كان بالمدينة امرأة يقال لها صهباء، من أحسن الناس وجها . وكانت من هُذيل، فتزوجها ابن عم لها ، فمكث حيناً معها لا يقدر على افتضاضها لارتفاقها فأبغضته وطالبته بالطلاق ، فطلقها . وأصاب الناس مطر شديد في الخريف ، فسأل العميق سميلاً عظيماً ، فخرج أهل المدينة ، وخرجت صهباء معهم ، فصادت عبد الله بن جحش وأصحابه في نزهة، فرآها ثم مضت إلى أقصى الوادي فاستنقعت في الماء ، وقد تفرق الناس وخفوا فاجتاز عليها ابن جحش ، فرآها فمالك عليها وهام بها . وكان بالمدينة امرأة تدل على النساء يقال لها قطنه كانت تداخل القرشيات وغيرهم ، فلقبها ابن جحش ، فقال لها : اخطبي عليَّ صهباء ، فقالت له : قد خطبها عيسى بن طلحة بن عبيد الله وأجابوه ، ولا أراهم يختارونك عليه ، فشمتمها ابن جحش وقال لها : كل مملوك لي حر إن لم تتحالي لي فيها حتى أتزوجها ، لأضربك ضربة بالسيف ، وكان مقداما جسورا ، ففرغت منه ودخلت على صهباء وأهلها، فتحدثت معهم ثم ذكرت ابن عمها، فقالت لعمة صهباء : ما له فارقها ؟ فقالت : لم يقدر عليها ، فقالت ، وأسمنت صهباء : إن هذا ليتمرى^(٢) كثيرا من الرجال ، ولا ينبغي أن تقدموا في أمرها إلا على من تختبرونه، ووالله لو كان ابن جحش لثقبها ثقب اللؤلؤ ولو رُتقت بحجر ، ثم خرجت من عندها ، فأرسلت إليها صهباء أن مري ابن جحش فليخطبني ، فلقبته فأخبرته الخبر فخطبها وأنعمت له ، وأبى أهلها إلا عيسى بن طلحة ، وأبت هي إلا ابن جحش ، فتزوجته ودخل بها ، وافتضها ، وأحب كل واحد منهما صاحبه فقال فيها :

(١) أغاني ١٧ / ١١٨ . تجريد ٢٠٣١

(٢) في الأصل التمزير وما أثبتناه عن الأغاني .

نعم الضجيجُ إذا النجوم تَفَوَّرَتْ بالنور أولاها على أخراها
عذبٌ مَقْبَلُها وثيرٌ رَدْفُها عبلٌ شواها طيبٌ مَجْنَاهَا
صهباء يطويها الضجيجُ لَجْنِها ملٌ الحماله لَيْنٌ متناها
لو يستطيع ضجيعها لأَجْنِها في الجوف شهوةٌ ريحها وجناها
يا دارَ صهباء التي لا أنتهى عن ذكرها أبداً ولا أنساها

كان عبد الملك بن مروان مُعجَباً بشعر عبد الله بن جحش ، فكتب إليه يأمره
بالقدوم عليه ، فورد كتابه وقد توفى ، فقال إخوانه لابنه : لو شخصت إلى أمير
المؤمنين عن إذنه لأبيك لمله كان ينفعك ، ففعل فبينما هو في طريقه إذ ضاع منه كتاب
الإذن ، فهم بالرجوع ، ثم مضى لوجهه ، فلما قدم على عبد الملك سأله عن أبيه ،
فأخبره بوفاته ، فسأله عن كتابه ، فأخبره بضياعه ، فقال أنشدني في قول أبيك :

هل يبلغنْها السلام أربعة منى وإن يفعلوا فقد نفموا
على مِصْكَيْنِ^(١) من جملهم وعنتريسين فيهما سطع
قرب جيراننا جملهم صبوحا فأضحوا بها قد اتجمعا
ما كنت أدري بوشك بينهم حتى رأيت الحداة قد طلعا
قد كان قلبي والعين تبصرهم لما تَوَلَّوا للبين ينصدع
ساروا وخلفت بعدهم دنفاً أليس بالله بئس ما صنعوا

فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه ، قال : لاعليك أنشدني قول أبيك :
وماذا كثرة الجيران تغنى إذا ما بان من أهوى فسارا

(١) المصك : القوى من الناس وغيرهم .

فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه ، قال : ولا عليك ، أنشدني قوله :
يا دار صهباء التي لا أتھی عن ذكرها أبدا ولا أنساها^(١)
قال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه ، وأن هذه صهباء لأخي ، قال : لا عليك ،
قد يتنقص الرجل أن يشبب بأمه ولكن إذا شبب بها غير أبيه ، فأف لك ورحمة
الله على أبيك فقد ضيعت [أدبه وعقته إذ لم ترو شعره]^(٢) اخرج فلا شيء لك عندنا .

(١) رواية البيت في الأغاني :

دار لصهباء التي لا ينثني عن ذكرها قلبي ولا أنساها

(٢) جاء النص محرفا تحريفا شديدا وما أثبتناه بين القوسين عن الأغاني .

عبدُ الله بن العباس الربيعي^(١)

هو عبدُ الله بن العباس الربيعي بن الفضل بن الربيع ، والربيعُ على ما يدَّعيه أهله [ابن]^(٢) يونس بن أبي فروة ، وقيل إنه ليس ابنه . وآلُ أبي فروة يدفعون ذلك ، ويَزعمون أنه لقيط ، وجد منبوءاً ، فكفله يونس بن أبي فروة . ورباه ، فلما خَدَمَ المنصورَ ادَّعى إليه ، وكذبه عبدُ الله بن العباس .

وكان عبدُ الله شاعراً مطبوعاً ، مغنياً حسن الصنعة وأخلاق والرواية ، حلوا الشعر ظريفه ، ليس من الجيد الجزل ولا المردول ، ولكنه مليحُ المذهب من أشعار المترفين وأولاد النعم .

قال عبدُ الله بن العباس : دخل محمدُ بن عبد الملك الزيات على الواثق ، وأنا بين يديه أغنيته ، وقد استعادني صوتاً مراراً ، وهو يستحسنه ، فقال له محمد بن عبد الملك : هذا يا أمير المؤمنين أولى الناس بإقبالك عليه ، وإصفاك إليه ، قال : أجل ، هذا مولاي وابنُ مولاي لا تعرفون غير ذلك . فقال له : ليس كلُّ مولى ، يا أمير المؤمنين ، مولى لمواليه ، ولا كلُّ مولى يتجملُ بولائه ، ولا كلُّ مُتجمل بولائه يجمع ما جمعه عبدُ الله من ظرفِ أدبٍ وصحةِ عقلٍ وفضلٍ وعلمٍ وجودةِ شعر . فقال له : صدقت يا محمد . فلما كان من الغد جئت محمد بن عبد الملك شاكرًا لحسنِ محضره فقلت في أضماف كلامي : وأفرط الوزيرُ أعزّه الله في وصفي وتقريظي بكل شيء حتى وصفني بجودةِ الشعر ، وليس ذلك عندي ، وإنما أعبت بالبيتين والثلاثة

(١) الأغاني ١٧ : ١٢١ . تجريد ٢٠٣٣

(٢) في الأصل (أهل يونس) وما أثبتناه عن الأغاني .

ولو كان عندي أيضاً شيءٌ من ذلك لصَغُرُ عن أن يصفه الوزير ، ومحلّه في هذا الباب

المحل الرفيع المشهور ، فقال : والله يا أخي لو عرفت مقدارَ قولك :

ياشادنا رام إذ مرُّ رَ في الشمانين قتلي

يقول لي كيف أصبح ت كيف يُصبح مثلي

لما قلت هذا القول ، والله لو لم يكن لك شعرٌ في عمرِكَ كلُّه إلا قولك :

... .. كيف يصبح مثلي

لكنت شاعراً مجيداً .

وكان عبدُ الله بن العباس يقول : أنا أول من غنى بالسكككة في الإسلام

وصنعت عليها :

أتاني يؤامرني بالصبو ح [ليلاً] فقلت له غادها^(١)

قال : وكان سبب دخولي في الغناء وتعليمي إياه أنني كنت أهوى جاريةً لعمتي رُقِيَّة بنت الفضل بن الربيع ، وكنت لا أقدر على ملازمتها والجلوس معها ، خوفاً من أن يظهر مالها عندي ، فيكون ذلك سببَ مني منها ، فأظهرت لعمتي أنني أشتهي أن أعلم الغناء ، ويكون ذلك في ستر عن جدِّي ، ولعمتي من الرقة والمحبة لي على حال لا نهاية وراءها ، لأن أبي توفي في حياة جدِّي الفضل . فقالت : يا بني وما دعائك إلى ذلك ؟ فقلت : شهوةٌ غلبت على قلبي إن مُنعتُ منها مت غماً . وكان لي في الغناء طبع قوي فقالت لي : أنت أعلم وما تختاره^(٢) ، والله ما أحبُّ منعك عن شيء ، وإني لكارهةٌ أن تحذق في ذلك وتشتهر به فتسقط ويفتضح أبوك وجدُّك فقلت : لا تخافي من ذلك ، فإنما آخذُ منه مقداراً ما ألهو به ، ولازمتُ الجاريةَ لمحبتى

(١) الشطر الثاني عن الأغاني - وقد جاء في الأصل هكذا : فقلت له . . . عادها .

(٢) في الأصل : أنت أعلم يوماً تختاره ، والتصويب عن الأغاني .

إياها بِمِلَّةِ الْغَنَاءِ ، فَكَفْتُ أَخْذُ عَنْهَا وَعَنْ صَوِيحِبَاتِهَا ، حَتَّى تَقْدَمْتُ الْجَارِيَةَ حَدِقًا وَأَقْرَبْتُ لِي بِذَلِكَ ، وَبَلَغْتُ مَا كَفْتُ أُرِيدُ مِنْ أَمْرِ الْجَارِيَةِ ، وَصَرْتُ الْأَزْمَ مَنْزِلَ جَدِي ، فَكَانَ يُسَرُّ بِذَلِكَ وَيُظَنُّهُ تَقَرُّبًا مَنِي إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ وَكَدِي^(١) فِيهِ أَخْذَ الْغَنَاءِ فَلَمْ يَكُنْ يَمُرُّ لِإِسْحَاقَ وَلَا لِابْنِ جَامِعٍ وَلَا لِابْنِ دِحْمَانَ وَلَا لِغَيْرِهِمْ صَوْتًا إِلَّا أَخَذْتَهُ ، وَكَفْتُ سَرِيحَ الْأَخْذِ ، وَإِنَّمَا كَفْتُ أَسْمَعُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، وَقَدْ صَحَّ لِي وَأَحْسَسْتُ مِنْ نَفْسِي قُوَّةً فِي الصَّنَاعَةِ فَصَنَعْتُ أَوَّلَ صَوْتٍ صَنَعْتُهُ فِي شِعْرِ الْعَرَجِيِّ :

أَمَاطَتْ كِسَاءَ الْخَزْعِنِ حُرًّا وَجْهَهَا وَأَذَنْتَ عَلَى الْخَلْدَيْنِ بُرْدًا مُهْلَهَلًا
مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَحْجُبْجُبْنَ بِيَعْنِينَ حِسْبَةً وَلكِنْ لِيَقْمَلْنَ الْبَرِيءَ الْمَغْفَلًا
وَتَرَعِي بَعِينِيهَا الْقُلُوبَ وَلَا تَرِي لَهَا رَمِيَّةً لَمْ تُصْمِرْ مِنْهَا مَقْتَلًا
ثم صنعت :

أَقْفَرُ مِنْ بَعْدِ حَلِّهِ سَرَفُ فَالذَّحْنِي فَالْعَقِيقُ فَالْجُرْفُ

وعرضتها على الجارية التي أخواها ، وسألتها عما فيها ، فقالت : لا يجوز أن يكون في الصنعة فوق هذا .

وكانت جوارى الحارث بن حجر بن بحر ، وجوارى محمد ، يدخلن إلى دارنا فيطرحن على جوارى عمي وجوارى جدي ، ويأخذن أيضا ما ليس عندهن من غناء دارنا ، فسمعني ألقى هذين الصوتين على الجارية فأخذتهما مني وسألن الجارية عنهما ، فأخبرتني أنهما من صنعتي ، فسألتهما أن تصححهما لهن ، ففعلت ثم اشتهرا حتى بلغا الرشيد ، فعنى بهما بين يديه يوما ، فاستظر فهما واستخفهما ، وسأل إسحاق : هل يعرفهما ؟ فقال : لا أعرفهما ، وأنهما لمن حسن الصنعة وجيدها . ثم سأل الجارية عنهما فوفقت ، خوفا من عمي ، وحرذا أن يبلغ جدي ، أنها ذكرتني

(١) الوكد : القصد .

فأنهَرَهَا الرشيد ، فأخبرته القصة ، فوجه من وقته ، فدعا جدى ، فلما أخضَرَه قال :
يا فضل ، أيسكون لك ابنٌ يعنى ، ثم يبلغ فى الغناء المحلَّ الذى يُمكنُه أن يصنعَ
صوتين يستَحْسِنُهُما إسحاق وسائرُ المغنين ويتداولهما جوارى القيان ، ولا تُعلمنى
بذلك ، كأنك رفعتَ قدرَه عن خدمتى فى هذا الشأن ، فقال له جدى : وحقَّ نعمتِكَ
وولائِكَ يا أمير المؤمنين ، وإلا فأنا برىء من نعمتِكَ وعلى العَهْدُ والميثاق والعِقدُ
والطلاق إن كنتِ علمتِ بشيء من هذا قط إلا منك الساعة ، فمن هذا من ولىدى ؟
قال : عبدُ الله بن العباس ، فأخضِرَنيهِ الساعة ، فجاء جدى وهو يكادُ أن يشقَّ
غيظًا ، فلما خرجت إليه شتمنى ، وقال : يا كلب بلغ من أمرِكَ ومقدارِكَ أن تجسِرَ
على أن تعلم الغناء بغير أمرى ، ثم زاد ذلك حتى صنعت ، ولم تقنع بذلك حتى ألقيت
صنعتَكَ على الجوارى فى دارى ، ثم تجاوزتَهِنَّ إلى جوارى الحارث [بن يشخير]^(١)
فاشهرت وبلغ أمير المؤمنين فتنكَّر لى ولا منى وفضحت آباءك فى قبورهم ، وسقطت إلى
الأبد من المغنين وطبقة الجنائز ، فبكيت غمًا بما جرى علىَّ ، وعلمت أنه قد
صدقَ فرَحَمَنى وضمَّنى إليه . وقال : قد صارت الآن مصيبتى فى أيبك مصيبتين ،
إحداها به وقد مضى وفات ، والأخرى بك ، وهى موصولةٌ بحياتى ، ومصيبةٌ باقيةٌ
العارِ علىَّ وعلى أهلى بَعْدى . وبكى ، وقال : عز علىَّ يا بُنى أن أراك أبدأ على غير
ما أحبَّ وليست لى فى هذا الأمر حيلةٌ لأنه أمرٌ قد خرج عن يدي . وقال : جئ
بعود حتى أسمعَكَ وأنظرَ كيف أنت ، فإن كنتِ تصلحُ للخدمة فى هذه الفضيحة ،
وإلا جئتُ بك منفرداً أو عرَفْتَهُ خبرك واستمعفَيْتَهُ لك . فأثبته بعود وغذيتُه غناءً قديماً ،
فقال : لا ، بل غنِ صَوْتِيكَ اللذين صنعتَهُما فغذيتُهُ إياهما فاستحسنتَهُما ، وبكى ، ثم
قال : تطلبُ وكيسةَ يا بُنى ، وخاب أملُ فيك فوا حَزَنى عليك وعلى أيبك .

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

فقلت له : يا سيدي ليتني مت قبل هذا الذي أنكرته مني أو جرّمت ، ومالي حيلة .
ولكن وحياتك يا سيدي ، وعلى عهد الله وميثاقه والعقن والطلاق وكلّ عيين
يَحْلِفُ بها حالف لازمة لي لا أُغني أبداً إلا الخليفة أو وليّ عهدٍ فقال : قد أحسنت
فيما نهبت عليه من هذا الأمر ، ثم ركب وأمرني فأحضرت ، فوقفت بين يدي الرشيد ،
وأنا أرعدُ فاستدناني حتى صرت أقرب الجماعة إليه ، ومازحني ، وأقبل عليّ وسكّن
مني وأمر جدّي بالانصراف ، وأومأ إلى الجماعة فخدّموني وسقيت أقداحا ، وغني
المغنون جميعا ، فأومأ إلى إسحاق مُغْنِيهِ أن أبدأ فغنّ إذا بلغت النوبة إليك قبل
أن تؤمرَ ليكون أملح وأجل بك . فلما جاءت النوبة إليّ أخذتُ عوداً ممن كان إلى
جانبي ، وقت قائما واستأذنت في الغناء فضحك الرشيدُ وقال : غنّ جالسا فجلستُ
وغنيتُ لحنَ الأولِ فطربَ واستعادَه ثلاثَ مراتٍ ، وشرب عايه ثلاثة أنصاف ، ثم
غنيتُ الثاني فكانت هذه حاله وسكّرَ ودعا بمسرور ، وقال : احمل الساعة مع
عبد الله عشرة آلاف دينارٍ وثلاثين توبا من فاخرِ ثيابي وعيبيّة مملوءة طيبا فحمل
ذلك كلّه معي .

قال عبد الله : ولم أزل كلما أراد وليّ عهدٍ أن يعلم من الخليفةُ بعد الخليفة الوليُّ
هو أم غيره ، دعاني ، وأمرني بالغناء ، فأعرّفه يميني فيستأذن الخليفة في ذلك فإن
أذن لي في ذلك علم أنه وليّ عهدٍ وإلا عرّف أنه غيره حتى كان آخرهم الوائق فدعاني
في أيام المعتصم ، وسأله أن يأذن لي في الغناء ، فأذن لي ، ثم دعاني من الغد ، فقال
ما كان غناؤك إلا سببا لظهور سريّ وأسرار الخلفاء قبلي ، ولقد هممت أن أمر
بضرب رقبتك فلا يبْلُغني أنك امتنعت من الغناء عند أحد ، فوالله لئن امتنعت
لأضربن عنقك فأعتق من كنت تملكه يوم حلفت وطلّق من كان عندك يومئذ
وأرحنا من يمينك هذه المشئومة . فقامت ، وأنا لا أعقل جزعا منه ، فأعتقت جميع

من كان بقى عندى من مماليكى ، الذين حلفت يومئذٍ وهم فى مِلِكى ، ثم تصدقت
بجملته واستفتيت فى يمينى أبا يوسف القاضى ، حتى خرجت منها وغنيت بمد ذلك
إخوانى جميعا ، حتى اشتهر أمرى ، وبلغ المعتصم خبرى ، فتخلصتُ منه ، ثم غضب
علىَّ الواثقُ لشيء أنكره ، وولى الخليفةَ وهو ساخط علىَّ فكتبتُ إليه :

أذكرُ أمير المؤمنين رسائلَ أيامَ أَرهَبُ سَطْوَةَ السيفِ
أدعو إلهى أن أراك خليفةً بين المقامِ ومسجد الخيفِ

فدعانى ورضى عنى .

قال سليمانُ بنُ أبي شيخ : دخلت على العباس بن الفضل بن الربيع ذات يوم ،
وهو مختلط مغتاض ، وابنه عبدُ الله عنده فقلت : مالك أمتعَ الله بك ؟ فقال :
لا يُفْلِحُ ، والله ، ابني عبد الله أبدأ ، فظننته قد جنى جنابةً وجملتُ أعتذرُ إليه له
فقال : ذنبُه أعظمُ من ذلك وأشنع . فقلت : وما ذنبُه ؟ قال : جاءنى بمض غلمانى
فحدثنى أنه رآه بقطرُ بُل يشرب نبيذَ الداذى^(١) بغيرِ غناء . فهل هذا فعل من يفلح ؟
فقلت وأنا أضحك : ستهت على القضية . قال : لاتعمل ، هذامن ضمة النفس وسقوط
الهمة : قلت : فكنت إذا رأيت عبدَ الله بمد ذلك فى جملة المغنين ، وشاهدت تبدُّله
فى تلك الحال ، وانخفاضه عن مراتب أهله ذكرت قول أبيه فيه .

قال إسحاق بن إبراهيم : لقيت عبد الله بن العباس الرِّببى يوماً فى الطريق ،
فقلت له : ما كان من خبرك أمس ، قال : اصطبحتُ . فقلت : على ماذا ؟ ومع من ؟
فقال : مع خادم صالح بن عجيف وأنت به وبخبرى معه عارف ، وبمحبتى له ، واصطبحتنا
على زنى بنت الجن لما حملتُ من زنى ، وقد سئلت ، بمنَّ حملك ؟ فقالت :

(١) فى الأصل : الراوى وما أثبتناه عن الأغاني وفى القاموس الداذى : شراب الفساق .

أَسْمَ كَفَصْنِ الْبَانِ جَمَدٌ مُرَجَّلٌ شَغَفْتُ بِهِ لَوْ كَانَ شَيْئًا مَدَانِيَا
تَكَلَّمْتُ أَبِي إِنْ كُنْتُ دُفِّقْتُ كَرِيْقِهِ سُلَافًا وَلَا مَاءَ مِنَ الْمِزْنِ صَافِيَا
وَأَسْمَ لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ فِرَاقِهِ وَبَيْنَ أَبِي لَاخْتَرْتُ أَلَا أَبَا لِيَا
فَإِنْ لَمْ أَوْسِدْ سَاعِدِي بَعْدَ هَجْعَةٍ غَلَامًا هَلَالِيَا فَشَلَّتْ عَيْنِيَا

فقلت له : أقممت على لواطٍ ، وشربت على زني ، والله ما سبقك إلى هذا أحد .

واتفق أول رمضان في يوم النوروز فشرّب عبدُ الله بن العباس في تلك الليلة إلى
أن قارب الفجر أن يَطْلُعَ وقال في ذلك وغناه بهذا الشعر :

اسقني صهباء صافيةً ليلة النوروز والأحدِ
حرم الصوم اصطباحها فترودّ شربها لفسد
وأنا أو فادعنا عجلا نشترك في عيشة رعدِ

وكان عبد الله مصطبحا دهره ، لا يفوته إلا في يوم الجمعة ، أو صوم شهر
رمضان ، وكان يكثر المدح للصباح ، ويقول الشعر فيه ويغنيه ، فما قال فيه :

ومستطيل على الصهباء باكرها في فتية باصطباح الراح خدّاقِ
فكلّ شيء رآه خاله قدحاً وكل شخص رآه خاله الساقِ

وكان عبدُ الله بن العباس يمشقُ عساليج ، فقالت له بذل الكبيرة : قد بلغني
أنك عشقت جاريةً اسمها عساليج فاعرضها عليّ فإما عذرْتُك وإما عدلْتُك ، فوجه
إليها فحضرت ، وقال لبذل : هذه سيدتي ، فاسمعي وانظري ، ثم مرّني بما شئت
أطعمك . فأقبلت عليه عساليج وقالت : يا عبد الله أتساورُ في؟ فوالله ما شاورتُ فيك
لما صاحبْتُك . فتغيرت بذلُ وصاحت : أحسنتِ والله يا صبية ولو لم تحسني شيئا ولم يكن
فيك خصلةٌ تحمدُ لوجب أن تُعشقَ لهذه الكلمة ، ثم قالت لعبد الله : احتفظ
بصاحبتك .

قال عبد الله بن العباس : جمع الواثق المنين يوما ليصطحب وقال لي : بحياتي إلا صنعت هزجا حتى أدخل وأخرج إليكم الساعة ، ودخل إلى جواربه ، فقلت هذه الأبيات وعملت فيها هزجا جوذته بجهدى قبل أن يخرج وهو :

بأبي زورُ أنانى في الغلسُ قت إجلا لا له حتى جلسُ
فتعانقنا جميعا ساعةً كادت الأرواحُ فيها تُختلسُ
قلت ياسؤولى وياكلَّ المنى (١) فى سواد الليل ما خفت العسسُ
قال قد خفتُ ولكنَّ الهوى آخذُ بالروح منى والنفسُ
زارنى يخطر فى مشيته حوله من نورِ خدَّيه قَبسُ

فلما خرج من دار الحرم قال لي : إيه يا عبد الله ، ماذا صنعت ؟ فاندفعت فغنيته فشرِب على الصوتِ حتى سَكِرَ ، وأمر لي بخمسة آلاف درهم ، وأمرني بطرحه على الجوارى فطرحته عليهن .

قال عبدُ الله بن العباس : لقينى سوارُ بن عبد الله القاضى ، وهو سوار الأصغر ، فقال : لى إليك حاجة فأننى فى خفيمه فأنيتيه فقال : إنى قد أنشدتُك ولى إليك حاجة ، إن شرتُ لى كتبنا أفضيتُ بها إليك . فقلت : ذلك للقاضى على شرطٍ واجبٍ فقال : إنى قد قلتُ أبياتا فى جارية لى أحبها ، وقد قتلتنى وهجرتنى ، وأحب أن تصنع فيها لحنا ، وتسمعنيهِ ، فإن غنيته وأظهرته بعد ألا يعلم أحدٌ أنه شعرى فلست أبلى ، أفنعمل ذلك ؟ فقلت : حبا وكرامة للقاضى ، فأنشدنى لنفسه :

سَلَبتِ عظامى لحمها فتركتهَا أناييب فى أجوافها الريحُ تصفرُ (٢)

(١) ويا بدر الدجى (أغانى) .

(٢) فى الأغانى جاء الشطر الثانى هكذا :

عوارى فى أجلادها تتكسر

وبعد :

وأخليت منها مخها فكأنها أناييب فى أجوافها الريح تصفر

إِذَا سَمِعْتُ ذَكَرَ الْفِرَاقِ تَرَعَّدْتُ مَفَاصِلُهَا مِنْ هَوْلٍ مَا يُنْتَظَرُ
خَذِي بِيَدِي ثُمَّ ارْفَعِي الثَّوْبَ فَانظُرِي ضَنَى جَسَدِي لَكِنِّي أَتَسَرُّ
وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَأْوَاهَا وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبُ فَتَقَطَّرُ

قال عبد الله : فصنعت فيه لحنا ، ثم عرفتُه خبرَه في رقعة ، وسألته أن يمدني
المصير إليه ، فكتب إلي : نظرتُ في هذه القصة فوجدت هذا لا يصلح ولا ينكتمُ
على حضورك وسماعي إليك ، وأسأل الله تعالى أن يسررك وبيعتك ، فغنيت الصوت ،
وظهر حتى تغني به الناس ، فلقيني سوار يوما فقال لي : يا ابن أخي قد شاع أمرك
في ذلك الباب حتى سمعناه من بُعْدٍ كأننا لم نعرف القضية ، وجعلنا نضحك من ذلك .

قال علي بن عيسى بن جعفر الهاشمي : دخل عليَّ عبد الله بن العباس في يوم
نصف شعبان ، وهو يوم سبت ، وقد أصبحت عازما على الصوم فأخذ بمضادتي
باب مجلسي وقال :

تصبحُ في السبت غير نَشوان وقد مضى عنك نصفُ شعبان
فقلت له : قد عزمْتُ على الصوم ، فقال لي : أفمليك وِزْرٌ إن أفطرتَ اليوم
لمكاني ، وسررتني بمساعدتك لي ، وصمت غدا ، وتصدقت مكان إفطارك ؟ قلت :
أفعل ، ودعوت بالطعام : فأكلنا وجلسنا للشرب فشربنا ، وأصبح من غد
فاصطباح وساعدته .

فلما كان اليوم الثالث انتبهت سحرًا وقد قال هذا الشعر :

شعبان لم يبق منه إلا ثلاثٌ وعشرُ
فباكر الراح صبُّحا^(١) لا يسبقنك فجرُ
وإن يفتك اصطباحُ فلا يفوتك سُكْرُ

فأطربني واصطبحت منه في اليوم الثالث ، فلما كان في آخر النهار سكر
وانصرف وما شربنا ذلك اليوم إلا على قوله :

وإن يفتك اصطباحٌ فلا يفوتنك سُكْرُ

ومن شعر عبد الله بن العباس الربيعي في يُسرِ خادم صالح بن عجيف وقد برى
من علة وزاره ، فأجلسه إلى جانبه ، وشرب سروراً لعافيته ، وقال :

مولاي ليس لعيشٍ أنت حاضرُهُ قدرٌ ولا قيمةٌ عندي ولا تمنُ
ولا فقدتُ من الدنيا ولدَّتها شيئاً إذا كان عندي وجهك الحسنُ

عبد الله بن الخياط^(١)

هو عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس .

وقيل : يونس بن سالم ، مولى قريش ، وقيل : مولى هذيل .

شاعرٌ ظريفٌ ماجنٌ خليعٌ هجاءٌ خبيثٌ مُحَضَّرٌ من شعراء الدولتين الأموية والعباسية .

وكان منقطعا إلى آل الزبير بن العوام مداحا لهم .

وقدم على المهدي مع عبد الله بن مُصعب ، فأوصله إليه ، وتوصل له إلى أن سمع شعره وأحسنَ جائزته .

قال يونس بن عبد الله بن الخياط : دخل أبي على المهدي فدحه ، فأمر له بخمسين

ألف درهم ، ففرقها كلها على الجواري . وقال يمدحه بهذين البيتين :

لستُ بِكفَى كَفَّهُ أَبْتغى الغنى ولم أذرِ أن الجودَ من كَفَّهُ يُمْدِي

فلا أنا منه ما أفاد ذوؤ [الغنى] ^(٢) أفدت فأعداني فأنفقتُ ما عندي

فبلغ ذلك المهديَّ ، فأضعفَ جائزته ، وأمر بحملها إلى منزله .

قال الزبير بن بكار : سرق ابن الخياط هذا المعنى من ابن هرمة .

وكان يونس عاقاً لأبيه عبد الله ، يتهمُّ عليه بالكاره في كل وقت .

مر رجل بيونس هذا ، وهو يحنق أباه ، ويعصر حلقة ، فقال له : وبلك !

أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلصه من يده . ثم أقبل على أبيه يعزبه ويُسكِّنه فقال له :

(١) الأغاني ١٨ : ٩٤ . التجريد ٢٠٥٤

(٢) ما بين القوسين بياض بالأصل وهو عن الأغاني .

يا ابن أخي لا تلمه ، واعلم أنه ابني حَقًّا ، والله لقد خنقتُ أبي في هذا الموضع بعينه ،
الذي خنقتني فيه ، فانصرف الرجل وهو يضحك .

ونشأ ليونس ابنٌ يقال له دُحَيْمٌ فكان أعقَّ الناسِ به ، حَكَى عن نفسه قال :
جئتُ يوماً إلى أبي ، وهو جالسٌ وعنده أصحابٌ له ، فوقفت عليهم لأغِيظَه وقلت :
ألا أنشدكم شعراً قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى . فأنشدتهم وهم مُنصِتون وأبي يسمع :
ياسائلي من أنا أو من يناسبني أنا الذي ماله أصل ولا حَسَبُ
الكلب يَحْتال نَحراً حين يُبَصِرُنِي والكلبُ أكرمُ مني حين يَنْتَسِبُ
لو قال لي الناسُ طُرّاً أنت الأُمنا ما أوهم الناسُ في ذاكم ولا كذبوا
فقام أبي إلى ليضربني ، فعدوتُ بين يديه ، فجعل يَشْتَمني وأصحابه يضحكون .

ومما قاله دحيم في أبيه يونس بن عبد الله بن الخياط :

جَلَا دُحَيْمٌ عِمَايَةَ الشَّكِّ والرَّيْبِ مِنِّي وَالطَّمَعِ فِي نَسْبِي
مَازَالَ فِي الظَّنِّ وَالتَّشَكُّكِ كَحَتَّى عَفَّيَ مِثْلَمَا عَفَّقْتُ أَبِي

علي بن جبلة^(١)

هو عليُّ بن جبلةَ بن عبد الله بن عبد الرحمن الأنباري .
وكنيته أبو الحسن ، ويلقب بالعكوك .

من أبناء الشيعة الخراسانية ، من أهل بغداد وبها نشأ .
وولد بالحرّبية من الجانب الغربي .

وكان ضريراً ، يقال : إنه ولد ضريراً أكمه ، وزعم أهله أنه عمي بمد أن نشأ .
وهو شاعر مطبوعٌ عذبُ اللفظ جزّله لطيف المعاني مداح ، حسن التصرف .

واستنفد شعره في مدح أبي دلفٍ ، القاسم بن عيسى العجلي ، وأبي غانم ، حميد
ابن عبد الحميد الطوسي ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف حتى فضّل ربيعة
على مضر ، وجاوز الحد في ذلك ، فيقال : إن المأمون طلبه حتى ظفر به ، فسَلَّ
لسانه من قفاه ، وقيل : بل هرب ولم يزل متوارياً مدةً حتى مات في تواريه ، ولم
يقدر عليه ، وهو الصحيح .

وكان عليُّ أصغرَ إخوته ، وكان أبوه بَرَقَّ عليه ، مُجْدِرَ فذهبت إحدى عينيه
بالمُجْدِرِي ، ثم نشأ وأُسْلِمَ إلى الكُتَّاب فحذقَ بعض ما يَحْدِثُهُ الصبيان ، فحمل
على دابة وثر عليه اللوز ، فوقعت على عينه الصحيحة لوزةً فذهبت ، فقال الشيخ
لولده : أنتم لكم أرزاقٌ من السلطان ، فإن أعنتموني على هذا الصبي وإلا صرفتُ
بعضَ أرزاقكم إليه ، فقال أولاده : وما تريد ؟ قال : تختلفون به إلى مجلس الأدب ،
فكانوا يأتون به مجالس العلماء ، ويتشاعلون بما يتشاعل به الصبيان ، فما أتى عليه

الحولُ حتى برع ، وحتى كان العالمُ إذا رآه قال لمن حوله: أوسعوا للبعغويِّ . وكان ذكيا مطبوعا ، فقال الشعر ، وبلغه أن الناسَ يأتون أبا دُلفَ مُجوده ، وما كان يعطى الشعراء ، فقصده وامتدحه بقصيدته المشهورة التي أولها :

وارعوى واللَّهُوُ من وَطِرِهِ	زاد وِرْدَ النِّىِّ عن صَدْرِهِ
ضَحِكَاتُ الشَّيْبِ في شَعْرِهِ	وَأَبَتْ إِلا البِكَاءَ له
لم أَبْلِغُه مَدَى أَمْرِهِ	ندى أن الشَّبَابَ مَضَى
لم أَجِدْ حَوَلاً على غَيْرِهِ	وانقَضَتْ أَيامُه سلما
وَدَوَى المَحمودُ من ثَمَرِهِ	حَسِرْتُ عني بِشاشَتُه
لم يُرِدْ عَمَلًا ^(١) على هَدْرِهِ	ودم أَهدرتُ من رِشائِ
قَلْبَتُ فُوقِ ^(٢) على وَتْرِهِ	فانت دونَ الصَّبَا هَنَّةٌ
في يَمَانِيهِ وفي مُضْرِهِ	دع جَدًا قحطانَ أو مُضَرَ
عصر الآفاق من عصرِهِ	وامتدحُ من وائلِ رَجِلا
والعطايا في ذُرَى حجْرِهِ	النايا في مَقارِنِيهِ ^(٣)
كانبِلاجِ النَّوِّ عن مَطْرِهِ	ملك تَنَدَى أَنامِلُهُ
كانبِسامِ الرِّوَضِ عن زَهْرِهِ	مُسْتَهْلٌ عن مواهِبِهِ
أَمِنَتْ عَدنانُ في ثَمَرِهِ	جِبِلُّ عَزَّتْ مَنابِئِهِ
بين بادِيهِ ومُحْتَضَرِهِ	إنما الدنيا أبو دُلفِ
ولَّتِ الدنِيا على أَثَرِهِ	فإذا ولى أبو دُلفِ
غَيرَ أن الأَرْضَ في خَفْرِهِ	لست أدري ما أقول له

(١) العقل : الدية .

(٢) الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .

(٣) المقاب جمع مقنب وهي جماعة الخيل تجتمع للغارة .

يا دواء الأرض إن فسدت
كلُّ من في الأرض من عرب
مستعيرٌ منك مَكْرُمَةٌ
ومُدِيلَ اليُسْرِ من عُسْرِهِ
بين معداه ومُحْتَضِرِهِ (١)

منها :

ولقرقور أدرت رَحَى (٢)
قد تأتيت البقاء له
وطنى حتى رفعت [له] (٣)
ولم تكن تَرْتَدُّ في فِكْرِهِ
فأبى المحتومُ من قَدَرِهِ
خطة شمعاء من ذكره

فلما وصل إلى أبي ذؤلف، وعنده مَنْ عِنْدَهُ من الشعراء ، وهم لا يعرفونه استرابوا به ، فقال له قائده : إنهم آتهموك ، وظنوا أن الشعر لغيرك ، فقال : أيها الأمير ، إن المحنة تزيلُ هذا . قال : صدقت . فامتحنوه فقالوا : صف لنا فرسَ الأمير ، وقد أجلناك ثلاثة أيام . قال : فاجعلوا معي رجلا تثقون به ، يكتب ما أقول ، فاجعلوا معه رجلا فقال هذه القصيدة في ليلته :

رَبِعَتْ لِمَشُورِ عَلِيٍّ مَفْرَقَهُ
أهدابُ شَيْبٍ جدد في رأسه
أشرفنَ في أسودَ أزرِينِ (٤) به
واعتقن أيام الغواني والصبيا
ذم لها عهد الصباحين انتسب
مكروهة الجِدَّة أنضاء العقبِ
كأن دجاء لهسوى البيض سببُ
عن ميتٍ مطلبه حتى الأدب
لم يزد دجر مرعويا حين ارعوى
لكن يدُّ لم تَقْصِلُ بِمُطَلَبِ

(١) ياديه إلى حضره (أغانى) .

(٢) في الأصل : (ولقد بورادرت رجا) وما صوبناه عن الأغاني - وقرقور : اسم لص

فاتك .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٤) في الأصل : (إن رين به) .

لم أر كالشيب وقاراً يَحْتَوِي
فنازل لم يُبْتَهَجْ بِقُرْبِهِ
كان الشباب لِمَةً أزهو بها
إذ أنا أجرى سادرا في غِيَّهِ
أبعد شأوا الدهر في أحداثه (١)
وأذعر الربَّ عن أطفاله
تحسبه من مَرَحِ العِزِّ به
مضطربٌ يَرْتَجُّ من أقطاره
تحسبه لاهنا في استقباله
وهو على إرهافه وطِيَّهِ
تقول فيه حَبَبٌ إذا انْتَنَى
يخطو على عُوجِ يناهزُ النرى
تحسبها ثابتة إذا خطت
شقا وقاظ برهتية عندنا
يضان عَصْرَى حَرِّهِ وَقَرِّهِ
حتى إذا تَمَّتْ له أعضاؤه
رمنا به الصَّيْدَ فرادتنا به (٢)
مُجْدَمُ الجَرَى يبارى ظِلَّهُ

ويعرق الأَحْبَبَ (٣) في شوطِ الحَبَبِ

(١) الشطر الأول في الأغاني (أبعد شأوا اللهو في اجرائه) .

(٢) يقال : رادت الإبل إذا اختلفت في المرعى مقبلة مدبرة .

(٣) يقال : أجزم السير إذا أسرع فيه ، والفرس : اشتد عدوه ، والأحقب حمار الوحش .

إذا تظننا به صدقنا
لا يبلغ الجهد به راكبه
ثم انقضى ذلك كأن لم يقنه
وخلف الدهر على أحبابه
فحمل الدهر ابن عيسى قاسم
كروثق السيف انبلاج بالندی
ما وسنت عين رأت طلعت
لولا ابن عيسى القرم كنا هملاً
ولم يقم في يوم بأس وندى
تكاد تبدى الأرض ما تضره
ويستهل آملاً وحقنه
وهو وإن كان ابن فرعى وائل
وبعلاه وعلا آباءه
يا زهرة الدنيا ويا باب الندى
لولاك ما كان سرى ولا ندى
خذها إليك من ملى بالثنا
فارق ربى الأرض أو استقدر بها

وإن تظنى فوته العير كذب
ويبلغ الريح به حيث طلب
وكل بقيما فإلى عطب
بالقرح فيهم وارتجاع ما وهب
ينفض به أبلج فرأج الكرب
وكفراربه على أهل الريب
فاستيقظت بنو به من النوب
لم يؤثقل مجد ولم يرع حسب
ولا تلاق سبب إلى سبب
إذا تداعت خيله هلاً وهب
جانها إذا استهل أو قطب
فبمساعيه ترقى في اللجب
يحوى غداة السبق أخطار القصب
ويا مزيل الرعب في يوم الرهب
ولا قريش عرفت ولا العرب
لكنه غير ملى بالنشب
أنت عليها الرأس والناس الذنب

فلما غدا عليه بالقصيدة استحسناها من حضر وقالوا : نشهد أن قائل هذه قائل

تلك ، وأعطاه ثلاثين ألف درهم .

قال المأمون يوماً لجلسائه : أقسم على من حضر ممن يروى قصيدة علي بن جبلة الأعمى

في أبي دلف إلا أنشدنيها ، فقال له بمض جلسائه : قد أقسم أمير المؤمنين ، ولا بد

من إررار قَسَمِهِ ، وما أَحْفَظُهَا ولكنها عندي مكتوبة ، قال : فقم فحُتني بها ، فمضى
فأتاه بها فوقف عليها وأتى على آخرها ففضب ، وقال : است لأبي إن لم أقطع لسانه
وَأَسْفِكُ دَمَهُ ، وإنما نَقِمَ من ذلك أنه جعل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ
عصرِ أبي دلف في قوله :

وامتدح من وائل رجالا عصر الآفاق من عصره

وهذه القصيدة قالها علي بن جبلة ، وقصد بها أبا دلف بعد قتله الصملاوك المعروف
بقرقور ، وكان من أشد الناس وأعظمهم ، وكان يقطع على القوافل هو وغلماؤ له
الطريقَ وأبو دُلفٍ يجتهدُ في أمره فلا يقدر عليه ، فبينما أبو دلف ذات يوم يتصيد ،
وقد آمنن في طلب الصيد وخذَه ، إذا بقرقور قد طلع عليه ، وهو راكب فرسا ،
تشق الأرض شقا ، فأيقن أبو دلف بالهلاك ، وخاف أن يُؤلَّى فيهلك ، فحمل عليه
وصاح : يافتيانُ يَمَنَّةَ يَمَنَّةَ ، يوهمه أن معه خيلا قد كمنها له ، فخاف قرقور وعطف
يساره هاربا ، ولحقه أبو دلف فوضع رُمحه بين كتفيه ، وأخرجه من صدره ، ونزل
فاحتز رأسه ، وحمله على رمحه ، حتى أدخله الكرخَ فحُدث من رأى رُمح قرقورٍ أدخل
بين يديه يحمله أربعة نفر ، فلما أنشد على بن جبلة القصيدة سرَّ بها وأمر له بمائة ألف
درهم .

بينما أبو دلف يسير هو وابنه مَعْقِل ، وهما بالعراق إذ مرا بامرأتين تماشيان ،
فقال إحداهما لصاحبتها : هذا أبو دلف فقالت لها الأخرى : من أبو دلف؟ قالت : ويحك
الذي يقول فيه الشاعر :

إنما الدنيا أبو دُلفٍ بسين ياديه ومُحْتَضَره
فإذا ولي أبو دُلفٍ وائت الدنيا على أثره

فاستعبر أبو دُلفٍ حتى جرت دموعه . فقال له مَعْقِل : ما لك ؟ فبكي قال :
لأنني لم أقض حقَّ علي بن جبلة . قال : أولم تعطه مائة ألف درهم بهذه القصيدة؟ قال :

والله ما في قلبي حسرةٌ تقارب حسرةً إلا أنى لم أكن أعطيته مائة ألف دينار . ولو
فملت ذلك ما كنت قاضيا حقه .

قال عبد الله بن محمد بن جرير : أنشدت أبا تمام الطائي يوما قصيدة على بن جبلة
البائية فلما بلغت إلى قوله :

ورد البيض والبيض إلى الأغناد والحجيب
كأن الناس جسمٌ وهُ و فيهم موضع القلب
اهتز أبو تمام من قرنةٍ إلى قرنةٍ أخرى ، ثم قال : أحسن والله لوددت أن لي هذين
البيتين بثلاث قصائد من شعري يتخيرها مكانها .
ولعل بن جبلة مدأخ في محمد الطوسي منها قصيدة مدحه بها ووصف قصره
الذي بناه على دجلة وهي :

جعل الله حميدا	لبنى الدنيا كفيلا
ملك لم يجعل الله	له فيهم عديلا
فأقاموا في ذراه	مطمئين حولا
لا يرى فيهم مقلا	يسأل المثرى فضولا
جاد في الأموال حتى	علم الجود البخيلا
وبنى الفخر على الفخر	ر بقاء مستطيلا
صار للخائف أمنا	وعلى الجود دليلا

ولما مات محمد رثاه بقصيدته العينية المشهورة ، وهي من نادر الشعر وبديعه ،

وهي :

اللدهر تبكى أم على الدهر تجزع	وما صاحب الأيام إلا مُفجع
ولو سهلت عنك الأسي كان في الأسي	عزاء معين لليب ومفتع
تعز بما عزيت غيرك إنها	سهام النايابا جامعات ووقع

أصاب عروش الدهرِ ظلت تَضَمُّعُ
ولكنه لم يَبْقَ للصبرِ مَوْضِعُ
به ، وبه كانت تُذَادُ وتُدْفَعُ
على جبل كانت به الأرض تُمنعُ
وأضحى به أنفُ الندى وهو أجدعُ
أمانى كانت في حشاه تقطعُ
قواعد ما كانت على الضميرِ ترَكُّعُ
ولم أذرِ أن الخلق تبكيه أجمعُ
حام كذاك الخطيبِ بالخطبِ يقرعُ
حى أختها أو أن يذلَّ الممنعُ
وحلَّتْ بخطيبٍ وهنه ليس يُرْفَعُ
[إلى عسكر]^(١) أشياعه لا تروع
مراحاً ولم يرجع بها وهى ظلعُ
كتائبه إلا على النهبِ ترَجُّعُ
مريعُ وحامها الكميُّ الممنعُ
ومفتاح باب الخطبِ والخطبُ أقطعُ
ونائله فقرُّ من الأرض بلقعُ
إلى شجوه أو يذخرِ الدمعَ مدمعُ
عليه فأضحى لونها وهو أسفعُ
وأجذب مرعاها الذى كان يمرعُ

أصبنا بيوم من حميدٍ لو أنه
وأدبنا ما أدبَ الناسَ قبلنا
ألم ترَ الأيامَ كيف تَصَرَّفَتْ
وكيف التقى مثنوى من الأرض ضيقُ
ولما انقضت أيامه انقضت العلا
وراح عدو الدين جذلانَ يذتجى
وكان حميد مقللاً ركعت به
وكنت أراه كالرزايا رزئتها
حام رماه من مواضع أمنه
وليس بغرورٍ أن تصيب مئمةً
لقد أدركت فينا المنايا بشأرها
كان حميداً لم يقدر جيش عسكر
ولم يبعث الخيل المغيرة بالضحى
رواجع يحملان النهابَ ولم تكن
هوى جبل الدنيا المنيحُ وغيتها
وسيفُ أميرِ المؤمنين ورُمحهُ
فأفقعهُ من ملكه ورباعه
على أى شجورٍ تشتكى النفسُ بعه
ألم ترَ أن الشمس حال ضياؤها
وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها

(١) بياض بالأصل : وما بين القوسين عن الأغاني .

وقد كانت الدنيا به مطمئنةً
بكي فقدته روح الحياة كما بكي
وفارقت البيضُ الخدورَ وأبرزتْ
وأيقظ أجفانا وكان لها الكرى
ولكنه مقدارُ يومٍ ثوى به
وقدر أب الله الملا بمحمد
أغرَّ على أسيافه ورماحه
حوى عن أبيه بَدَلَ راحتِه الندى
فقد جملت أوتادها تتقلع
نداه الندى وابنُ السبيلِ المدفع
عواظنَ حَسْرَى بعده لا تقنعُ
ونامت عيونٌ لم تكن قبلُ تهجعُ
لكل امرئٍ منه نِهالٌ ومشرعُ
وبالأصل ينمى فرعه المتفرع
تُقَسِّمُ أنفَالُ الخيسِ وتُجمَعُ
وطعنَ الكَلَى والزاعبيةُ (١) شرعُ

قيل لعل بن جبلة : ما بلغت في مدح أحدٍ ما بلغت في مدح الطوسي . فقال :
كيف لا أفعل ذلك وأدنى ما وصل إلى منه أني أهديت إليه قصيدة يوم نوروز فسر
بها وأمر أن يحمل إلى كل ما أهدى إليه في ذلك اليوم ، فحُمِلَ إلى ما قيمته مائتا
ألف درهم .

وأهديت إليه [قصيدة] في يوم عيد ، فبعثت إلى بمنزل ذلك .

دخل علي بن جبلة يوماً على أبي دلف ، فقال : هات يا علي ما معك . قال :
إنه قليل . قال : هاته ، فكم من قليل هو أجود من كثير .
فأنشدته :

اللهُ أجرى من الأرزاق أكثرها
على يدك فشكراً يا أبا دلفِ
أعطى أبو دلفِ والريحُ عاصفةً
حتى إذا وفقت أعطى ولم يقِفِ
فأمر له بمشرة آلاف درهم . فلما كان بعد مدة دخل عليه فقال له : هات ،
فأنشده :

(١) الرماح الزاعبية: التي إذا هزت كأن كموها يجري بعضها في بعض .

من مَلِكِ المَوْتِ إِلَى قاسِمٍ رسالةً فِي طَيِّ قِرطاسِ
يا فارسِ الفرسانِ يَوْمَ الوغى مرّني بِنِ شِئْتِ مِنَ الناسِ
فأمر له بِأَلْفِي درهمٍ .

وكان قد نظر ما بدأ به في هذا الشعر ، فقال له : ليست هذه من عطايك
أيها الأمير ، فقال له : قد بلغ بها هذا القدر ارتباعنا من تَحَمُّلِكَ رسالةَ مَلِكِ
الموتِ إلينا .

وكان عليُّ بن جبلة أعمى ، وبه وضح ، فهَوِيَّ جاريةً أدبية شاعرة ، وكانت
تجبه على قبح وجهه وعماء ووضّحه ، فزارته يوماً وأمكنته من نفسها ، فافتضّها ،
وذلك حيث يقول في قصيدته الرائية :

ودمٍ أهرقتُ من رشاً لم يُردِّ عَقْلاً على هَدَرِهِ

من جملة القصيدة التي مدح بها أبادلف .

قال علي بن جبلة : قصدتُ حَمِيداً الطوسي بقصيدة فلما استمؤذن لي عليه أبي أن
يأذن لي ، وقال : قولوا له : أيُّ شيء أتيت لي بعد قولك في أبي دلف :

إعما الدنيا أبو دُلفٍ بين يديه ومُحتَضَرِهِ

فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

فقال للحاجب : قل له الذي قلت فيك أحسن من هذا ، فإن أوصلتني سمعت
[فأمر لي بمائتي دينار فنثرتها في حجر عشيقتي ثم حَيَّيْتَهُ بقصيدتي التي أولها :

دِجْلَةٌ تَسْقِي وَأبو غانم يطعم من تَسْقِي مِنَ الناسِ

الناسِ جسمٌ وإمام الهدى رأسٌ وأنت العينُ في الراسِ]
فأوصلني فأنشده قولِي فيه :

إعما الدنيا حميدٌ وعطاياه الجسامُ

فإذا ولي حميدٌ فعلى الدنيا السلام

فأمر لي بمائتي دينار .

وكان أبو دلف قد غضب على علي بن جبلة وجفاه ، فأتى إلى حميد الطوسي مستشفعا به إلى أبي دلف ، فركب معه شافعا في أمره ، فأجابه واتصل الحديث بينهما ، وعلي بن جبلة محجوب ، فأقبل على رجل من جانبه وقال له اكتب فكتب :

لا تتركني يباب الدار مطرّحا فالحرُّ ليس عن الأحرار يحتجبُ
هَبْنَا بلا شافعٍ جئنا ولا سبب ألسْتَ أنت إلى معروفك السببُ
فرضى عنه ووصله .

قال سعيد الخزومي : دخلت على حميد الطوسي فأنشدته قصيدة مدحته بها ، وبين يديه رجل ضير ، فحلف لا يمرُّ به بيت إلا قال : أحسنَ قائله ، والله أحسن قائله ، أحسن لله أبوه ، أحسن أيها الأمير ؛ فأمر لي حميد ببَدْرَة ، فلما خرجت قام إلى البوابون ، فقلت لهم : عرفوني أولا من المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير ؟ فقالوا : هذا علي بن جبلة المَكْوَك فارفضضت عرقا ، ولو عرفت به ، قبل ذلك ما جَسَرْت على الإنشاد بين يديه .

لما أدخل ابنُ جبلة على المأمون قال له : إني لست استحلُّ دمَكَ لتفضيلِكَ أبا دُلفٍ على العرب كلها ، وإدخالِكَ في ذلك قريشا ، وهم آلُ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وعِزَّتُهُ ، ولكني استحللته بقولك وكفرك في شرك ، حيث تقول القول الذي أشركت فيه وهو :

أنت الذي تُنزلُ الأيامَ منزِلَها وتنقلُ الدهرَ من حالٍ إلى حالٍ
وما مددتَ مَدَى طَرْفٍ إلى أحدٍ إلا قضيتَ بأرزاقٍ وآجالٍ
كذبت يا عاضَ بظُرِّ أمه ، ما يقدر على هذا أحدٌ إلا الله عز وجل ، الملك الواحد القهار ، سلوا لسانه من قفاه . ففعل به ذلك .

وقيل إن المأمون لما بلغه قولُ علي بن جبلة :

كلُّ من في الأرض من عربٍ بين يديه ومُحتَضِرِه
مستعيرٌ منك مَكْرُمةً يَكْتَسِبُها يومَ مُفْتَحِرِه

غضب من ذلك ، وقال : اطلبوه حيث كان ، فلم يقدر عليه ، وذلك أنه كان في الجبل ، فانصل به الخبر فهرب إلى الجزيرة ، وتوسط الشام ، وقد كتبوا إلى الآفاق في طلبه ، فظفروا به فحملوه إلى المأمون فلما صار إليه قال له : يا ابن اللخناء أنت القائل للقاسم بن عيسى :

كل من في الأرض من عرب البيتين

جملتنا ممن يستعيرُ المكارمَ منه فقال : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهل بيت لا يقاسُ بكم أحدٌ ، لأن الله عز وجل فضلكم على خلقه ، واختاركم لنفسه ، وإنما عذيري في قول القاسم وأقرانه . فقال : والله ما استنيتَ أحدا من الكلِّ ، سلوا لسانه . فسئل من قفاه .

قال علي بن جبلة : جاءني أبو يعقوب الخزيمي فقال : إن لي إليك حاجةٌ . فقلت : وما هي ؟ قال : تهجو لي الهيثم بن عدي . قلت : ومالك أنت لا تهجوه وأنت شاعر ؟ قال : قد فعلت ، وما جاءني شيء مما أريد ، فقلت : أهو رجلا لم تتقدم لي منه إساءةٌ ولا جرمٌ يُحْفِظُنِي ؟ فقال : بمرضى فإنني مليء . فقلت : نعم ، فأمهلني اليوم . فحضى وغدوت عليه فأنشدته :

للهيثمِ بنِ عديِّ نسبةٌ جمعتُ	آبائه فأراحتنا من المددِ
اعدد عديًّا فلو مُدَّ البقاء له	ما عمَّرَ الناسُ لم تنقُصْ ولم تزدِ
نفسى فداء بني عبد المدان وقد	تلَّوه للوجه واستملوه بالعمد
حتى أزالوه كرها عن كريمهم	وعزروه بذل أين أصل عدي
يا ابن الخبيثة من أهجو فأفضحه	إذا هجوتُ وما تنمي إلى أحدِ

فركب محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي أخو يحيى بن زياد ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد فسألوه أن يفرق بينهما فقال الرشيد : ليس هو الذي يقول فيه الشاعر :

إذا نسبتَ عديا في بني ثَمَلٍ فَقَدَّمِ الدالَّ قبلَ العينِ في النَّسبِ

فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، فقال : هذا الشعرُ لرجلٍ من الكوفة في بني شيبان ، يقال له ذهل بن ثعلبة ، فأمر الرشيدُ داودَ بن يزيد أن يُفرِّقَ بينهما فأخذوه فأدخلوه داراً ، وضربوه بالمصا ، إلى أن طلقها .

قال عمر بن شبة : تذاكرنا يوماً أقبحَ ما هُجِيََ به الناسُ في منزل الضيافة وإضاعةِ الضيفِ فأنشدنا علي بن جبلة :

أقاموا الدَيْدَبَانَ على بِقاعٍ وقالوا لا تَنَمُّ للديدبانِ

فإن آنتَ شخْصاً من بعيدِ فصَفَّقُ بالبنانِ على البنانِ

تراهم خَشِيَةَ الأضيافِ خُرْساً يُودون الصلاةَ بلا أذانِ

كَلَّمَ حميد الطوسي المأمونَ في أن يسمعَ من عليِّ بن جبلة مديحاً مدحه به ، قال : فأى شيء يقول في بعد قوله في أبي دلف :

إعما الدنيا أبو دلفٍ بين باديه ومحتَضِرِهِ

فإذا وليَّ أبو دلفٍ ولَّتِ الدنيا على أثرِهِ

وبعد قوله فيك أنت :

يا واحد العربِ الذي عزَّتِ بِمِزته العربُ

لولا حميدٌ لم يكن حسبُ يَعُدُّ ولا نَسَبُ

أحسنُ أحواله أن يقولَ فيِّ كما قال في أبي دلف ، فيجملني نظيراً له ، هذا إن قدَّر على ذلك ولم يَقْصُرْ عنه ، بخيرِهِ بين أمرين : إن كان مدحُه إياي أفضلَ من مدحه أبا دلف وصلَّتهُ ، وإلا ضربت عنقه ، أو قطعت لسانه ، وبين أن أُقبِلَه وأُعْفِيَه من هذا وذا ، بخيرِهِ في ذلك . فاختر الإقالة .

عبد الله التيمي (١)

هو عبدُ الله بن أيوب ، وكنيته أبو محمد ، مولى بني تميم ، مولى بني سلم .
وكان لرجل يقال له أبو التيجان . وكلاهما شاعر ، وهما من أهل الكوفة ، من
شعراء الدولة العباسية .

كان عبدُ الله أحدَ الخلفاء المُجانِّ الوصَّافين للخمر .
وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي ، وابنه إسحاق ، واتصل بالبرامكة ومدحهم ،
واتصل بيزيد بن مزيد ، وانقطع إليه حتى مات .
واستنفذ شعره في وصف الخمر ، وأكثر في ذلك ، وبلغ المبالغ ، وهو الذي
يقول :

شربتُ من الخمرِ يومَ الخميسِ	في الكاسِ والطاسِ والقنقلِ (٢)
فازالتِ الكاسُ نُعمي (٣) لنا	وتذهبُ بالأولِ الأولِ
إلى أن توافقتِ صلاةُ العشا	ونحنُ من السُّكرِ لم نَمُقلِ
فمن كان يعرفُ يومَ (٤) الخميسِ	وحقَّ المدامِ فلا يَجْهَلِ
وما إن جرتِ بيننا مُراحةٌ	تهيِّجُ مرءاً على السلسلِ

وكان له ابن يقال له حبان فمات ، وهو حديث السن ، فجزع عليه جزعا
شديداً ، وقال فيه قصيدته المشهورة التي أولها :

-
- (١) الأغاني ١٨ : ١١٥ .
 - (٢) القنقل : المكيال الضخم .
 - (٣) في الأغاني (تغننا) .
 - (٤) حق الخميس (أغاني) .

يَا دَيْرَ هِنْدٍ لَقَدْ أَصْبَحْتَ لِي أُنْسًا وما عهدتك لي ياديرُ مئناسا
أَوْدَى بِجَبَانٍ مَا لَمْ يَبْرِكِ النَّاسَا فامنح فؤادك من أحبابك الياسا
فَبْتُ أَرَعَى نَجُومَ اللَّيْلِ مُكْتَبَا إخالُ سنته في الليل قرطاسا

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : فقلت :

* وَصِفَ الصَّدُّ لِمَنْ أَهْوَى فَصَدَّ (١) *

ثم أقتُ عدة (٢) ليالٍ لا يستوى لي تمامه فدخل علي أبو محمد التيمي فرآني

مفكرا [فقال لي : ما قصتك ؟ فأخبرته فقال :

* وبدا يزح بالهجر نجد [(٣)] *

ثم أتممتها فقلت :

مَالَهُ يَمْدُلُ عَنِي وَجْهَهُ وهو لا يعدله عند أحد

وخرجتُ إلى مديح الفضل فقلت :

قَدْ أَرَادُوا غُرَّةَ الْفَضْلِ وَهَلْ تُطَلَبُ الْغُرَّةُ مِنْ خَيْسٍ (٤) الْأَسَدِ

مَلِكٌ يَدْفَعُ مَا نَخَشَى بِهِ مَلِكٌ يُصْلِحُ مِنَّا مَا فَسَدَ

يَفْعَلُ النَّاسُ إِذَا مَا وَعَدُوا وَإِذَا مَا فَعَلَ الْفَضْلُ وَعَدَ

قال محمد الراوية المعروف بالبليدي ، وكان يقرأ أشعار المحدثين على الرشيد :

قال الرشيد يوما : أنشدني مرثية مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة

التي يقول فيها :

كَأَنَّ الشَّمْسَ يَوْمَ أُصِيبَ مَعْنٌ مِنَ الْإِظْلَامِ مُلْبَسَةٌ جَلَالًا

(١) في الأصل : (وصف الصد أن أهوى) والتصويب عن الأغاني .

(٢) في الأصل : عنده .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني وبه يتسق الكلام .

(٤) الخيس الشجر الملتف - غابة الأسد .

هو الجبيل الذي كانت معد
تهدُّ من العدوِّ به الجبالا
أقفا باليامة بعد معن
مُقَامَا لا زِيدُ به زيالا
وقلنا أين نذهبُ بعد مَّعْنِ
فأنشدته إياها ، ثم قال : أنشدني قصيدة أبي محمد التيمي في مرثية يزيد بن يزيد
فهي أحبُّ إليَّ من هذه فأنشدته :

أحقاً أنه أودى يزيدُ
تنبئُ أيها الناعي المشيدُ
أندرى من نعمت وكيف فاهتُ
به شفتاك كان بها الصعيدُ^(١)
أحلى المجدِ والإسلامِ أودى
فما للأرضِ ويحك لا تמידُ
تأمل هل ترى الإسلامَ مالت
دعائمه وهل شاب الوليدُ
وهل شيمت سيوف بني نزار
وهل وضعت على الخيل اللبودُ
وهل تُسقى البلادُ عشار مُزْنِ
بدرتها وهل يخضر عودُ
أما هدت لمصرَ عه نزارُ
بلى وتقوض المجدُ المشيدُ
وحلَّ ضريحه إذ حل فيه
طريفُ المجدِ والحسبُ التليدُ
أما والله لا تنفك عيني
عليك بدمعها أبدأ تجودُ
فإن تجمدُ دموعُ لثيمِ قومِ
فليس لدمع ذي حسبِ جمودُ
أبعدَ يزيدَ تخترنُ البواكي
دموعاً أو يُصان لها حدودُ
لتبكيك قبة الإسلامِ لما
هوت^(٢) أطنأها ووهى العمودُ
ويبيكك شاعر لم يُبقِ دهرُ
له نشأ وقد كسد الصعيدُ
فن يدعو الإمامَ لكل خطبِ
ينوبُ وكل مُعضلة تؤودُ

(١) الصعيد : التراب .

(٢) هوت (أغاني) .

ومن يحمي الخميس إذا تعامى
فإن يهلك يزيد فكلٌ حَيَّ
لم تعجب له إن المنايا
قصَدَن له وكنَّ يَحِدُن عنه
لقد عزَّى ربيعةً أن يوما
عليها مثلَ يومِك لا يعودُ

فبكي الرشيد بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سُكْرَجَة (١) من دموعه

ملأها .

خرج كوثرٌ ، خادم الأمين بن أبي الحارث ، فأصابته رَجْمَةٌ (٢) في وجهه ،
فجلس يبكي ، فوجه الأمين من جاء به ، وجعل يمسحُ الدموعَ عن وجهه ، وقال :

ضربوا قُرَّةَ عيني ومن اجلِي ضربوه
أخذَ اللهُ لقلبي من أناسِ رَجْموه

وأراد زيادةً في الأبيات فلم تُواته فقال للفضل : مَنْ هاهنا من الشعراء ؟ فقال :
الساعة رأيتُ عبدَ الله بن أيوب التيمي بالباب فقال : علىَّ به ، فلما دخل أنشده
البيتين وقال : أجزء ، فقال :

ما لِمَنْ أهوى شبيهه فيه الدنيا تنبيهه
وصلُّه حلواً ولكن هجره مرث كربه
مذ رأى الناس له الفضل ل عليهم حسدوه
مثل ما [قد] (٣) حسد القا بم بالملك أخوه

(١) السكرجة : الصفحة التي يوضع فيها الأكل .

(٢) الرجة : ضربة الحجر .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني وبه ينتظم الوزن .

فقال محمد : أحسنت ، والله هذا خير مما أردناه ، بحياتي عليك يا عباس إلا نظرت
فإن جاء على ظهره ملأت أحمال ظهره دراهم ، وإن جاء في زورقٍ ملأته له ،
فأوقرت له ثلاثة أبقالٍ دراهم .

ولما قُتِلَ محمدُ الأمينُ خرج أبو محمد التيميُّ إلى المأمون وامتدحه ، فلم يأذن له ،
فصار إلى الفضل بن سهل ، ولجأ إليه ، وامتدحه فأوصله إلى المأمون ، فلما مثل بين
يديه وسلم بالخلافة عليه ، قال له : إيه يا تيمي :

مثل ما قد حسد القسا ثم بالملك أخوه

فقال له التيمي : بل أنا القائلُ يا أمير المؤمنين :

نصر المأمون عبد الله لما ظلموه

نقضوا العهد الذي كانوا قديمًا أكدوه

لم يُعامله أخوه بالذي أوصى أبوه

ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أولها :

جَزَعْتُ ابنَ تيممٍ إذ علاك مشيبُ وبن شبابٍ والشبابُ حبيبُ

فلما أنشده إياها وفرغ منها قال له : لقد وهبتك لله عز وجل ولأخي أبي العباس ،

يعني الفضل بن سهل ، وأمر له بمسرة آلاف درهم .

قال أبو محمد التيمي : دخلت على محمد الأمين أول ما ولي الخلافة فقال : ياتيمي

وددت أنه قيل في مثل قول طريح [بن إسماعيل] في الوليد بن يزيد :

طوبى لفرعميك من هنا وهنا طوبى لأعرايك التي تشج

فإني والله أحقُّ بذلك منه ، فقلت : أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين . ثم دخلت إليه

من غد ، فأنشدته قصيدتي التي أولها :

لا بد من سكرةٍ على طربٍ لعل روحا تزيلُ من كربي

خليفةُ الله خَيْرٌ مُنْتَخَبٍ خَيْرِ أُمَّةٍ مِنْ هَانِمٍ وَأَبٍ
خِلافةُ اللهِ قَدْ تَوَارَثَهَا آبَاؤُهُ فِي سِوَالِفِ الْكُتُبِ
فَهِيَ لَكُمْ دُونَهُ مَوْرَثَةٌ عَنْ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْحَقَبِ
يَا ابْنَ النَّدَى مِنْ ذَوَائِبِ اللَّهِ رَفِ الْأَقْدَمِ أَنْتُمْ دَعَاؤُ الْعَرَبِ
أَكْرَمُ بِفِرْعَيْنِ^(١) إِلَى الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ فِي النَّسَبِ

فتبسّم ثم قال: ياتيمى أحسنت ولكن كما قيل: مرعى ولا كالسعدان. ثم التفت إلى الفضل ابن^(٢) الربيع وقال: بجياتى أوقر زورقه مالا فقال: نعم يا سيدى، فلما خرجت طالبت الفضل بذلك، فقال لى: أنت مجنون؟ من أين لنا مال نملأ به زورقك؟ ثم صالحنى على مائة ألف درهم.

أمر محمد الأمين لأبى محمد التيمى بجائزة عشرة آلاف دينار، ثوابا عن بعض مداخحه، فاشترى بها ضيعة بالبصرة حسنة، وقال بعد أن ابتاعها يذكر ذلك:

إِنِّي اشْتَرَيْتُ بِمَا وَهَبْتُ لِي أَرْضًا أُمُونٌ بِهَا قَرَابَتِي
فِيحْسُنٍ وَجَهْكَ حِينَ أَسْأَلُ قُلُوبًا يَا ابْنَ الرَّبِيعِ احْمِلْ إِلَيْهِ مِيهَ

فقال: بجياتى يا عباسى احمل إليه مائة ألف درهم، فدعاه فأعطاه خمسين ألفا، وقال: الخمسون الأخرى لك علينا، إذا اتسعت أيدينا.

عشق التيمى جارية لبعض النخاسين فشكا وجده بها إلى أبى عيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: يا أمير المؤمنين، إن التيمى يجد^(٣) بجارية لبعض النخاسين، وقد كتب إلى بيتين يسألنى ثمنها. قال: وماها؟ فقال:

(١) فى الأصل لعرقك وهذه عن الأغاني .

(٢) فى الأصل : لى والتصويب عن الأغاني .

(٣) وجد بفلان بكسر الجيم : أحبه حبا شديدا .

يا أبا عيسى إليك المُشْتَكِي وأخو الصَّبْرِ إذا عِيلَ شكا
ليس لي صبرٌ على فِقدانها وأعافُ المَشْرَبِ المُشْتَرَكَا

فأمر له بثلاثين ألفَ درهم ، فاشتراها بها .

مدح أبو محمد التيميُّ الفضلَ بن يحيى ، فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، والأبيات

التي مدحه بها :

لمعرك ما الأشرافُ في كل بلدة وإن عَظُموا للفضلِ إلا صنائعُ
ترى عطاءء الناس للفضلِ خُشَعًا إذا ما بدا والفضلُ لله خاشعُ
تواضعٌ لما زاده الله رفعةً وكلُّ خليلٍ عنده متواضعُ

كتب الحجاجُ إلى قتيبة بن مسلم :

إني نظرت في سنِّي فإذا أنا ابن ثلاث [وخمسين] ^(١) سنة وأنا وأنت لِدَّةُ عام

واحد ، وإن امرأً قد سار إلى منهل خمسين سنة لَقَمِنَ أن يرِدَه والسلام :

فسمع التيمي هذا فقال :

إذا ذهب القَرْنُ الذي أنت منهمُ وخُلِفَتَ في قَرْنٍ فأنت غريبُ
وإن امرأً قد سار خمسين حِجَّةً إلى منهلٍ من وِرْدِه لَقَرِيبُ

قال عبد الله بن أحمد التيمي ابنُ أختِ أبي محمد التيمي : أنشدني أبو محمد :

لا تَضُرَّ عَن لِحْلُوقِ عَلي طَمَعُ فَإِن ذلِكَ نَقَصٌ مَنكَ بِالدينِ
وَاطلِبُ ^(٢) إلى الله مِمَّا في خَزَائِنِه فَإِنما هِيَ بَين الكافِ والنونِ ^(٣)
أما تَرى كُلَّ مَن تَرجو وتَسألُه ^(٤) مِن الخلائقِ مَسكينِ بن مَسكينِ

(١) بياض في الأصل : وما بين القوسين عن الأغاني .

(٢) وأرغب (أغاني) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) .

(٤) وتأمله (أغاني) .

عمرو بن أبي الكنتات^(١)

هو عمرو بن عثمان بن أبي الكنتات مولى بني جُمَح .
مننَّ محسنٌ طيبُ الصوتِ من طبقةِ ابنِ جامعٍ وأصحابِهِ ، مكىٌّ وفيه يقول

الشاعر :

أحسنُ الناسِ فأعلموه غناءً رجلٌ من بني أبي الكنتاتِ

وكان يُكنى أبا عثمان وقيل أبا معاذ ، وكان له ابنٌ يعنى أيضا يقال له دَرَّاج .

وقف ابن أبي الكنتات على جسر بغداد ، أيام الرشيد ، كخَدَّته رجل أن
ابن عائشة وقف في أيام المَوسم ، فر به بمضُ أصحابه ، فقال له : ما تعمل ؟ فقال إني
لأَعْرِفُ رجلا لو تكلم لَحَبَسَ الناسَ ، فلم يذهب أحدٌ ولم يجيء أحدٌ ، فقال له^(٢) :
ومن هذا الرجل ؟ فقال : أنا . ثم اندفع يعنى :

جَرَّتْ سَنَحًا^(٣) فقلت لها أجزى نوى مَشْمُولَةٌ فمتى اللقاء

بنفسي من تَدَاكُرُهُ سَقَامٌ أعالِجُهُ ومَطْلَبُهُ عَنَاءُ

مُحْبِسَ الناسِ واضطربت المحاملُ ، ومدَّت الإبلُ أعناقها ، وكادت الفتنَةُ
أن تقع ، فأُتِيَ به هشام ، وكان في الموسم ، فقال : يا عدوَّ الله أردت أن تفتنَ الناسَ ،
وكان تِيَّاهَا فقال له هشام : ارفق بتيهك فقال ابن عائشة : حق لمن كانت هذه قدرته
على القلوب أن يكون تِيَّاهَا فضحك هشام وأطلقه ، فقال ابن أبي الكنتات ، وكان
معجبا بنفسه : أنا أفعلُ كما فعل ، وقدُرتى على القلوب أكثرُ من قدرته عليها ،

(١) الأغاني ١٨ : ١٢٦ .

(٢) في الأصل : فقلت وفي ب والأغاني : فقال .

(٣) في الأصل : شبحا .

ثم اندفع ففنى هذين البيتين ، وهو على جسر بغداد ، وكانوا إذ ذاك ثلاثة جسور فانقطعت الطرق ، وامتلات الجسور بالناس ، وازدهروا عليها ، واضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لثقل من عليها من الناس ، فأخذ فأثنى به الرشيد فقال : يا عدو الله أردت أن تفنئ الناس ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكنى بلغنى أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام ، فأحبيت أن يكون في أيامك مثله ، فأعجبه ذلك ووصله بمال وأمره أن يفنى ، فسمع شيئاً لم يسمع مثله قط ، فحبسه عنده شهراً ، يستزيده في كل يوم ويحيزه ، وهو يذكر الانصراف فلا يأذن له حتى تتم شهراً .

قال الخبير لهذه الحكاية : وكان ابن أبي الكنات كثير النسيان ^(١) لي فلما أبطأ توهمته قد قتل فصار إلى بعد شهر بأموال جمّة ، وحدثني بما جرى بينه وبين الرشيد .

قال عيسى بن موسى : كنا يوماً على شراب ، ومعنا عمرو بن أبي الكنات ، إذ قال لنا طلوع الشمس : من تحبون أن يجيئكم ؟ قلنا : منصور الحجي قال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلى سوق البقر ^(٢) فمكثنا ساعة ثم اندفع يفنى :

عفت الدار بالهضاب اللواتي بين ثور فملمتقى عرفات
أحسن الناس فاعلموه غناءً رجل من بني أبي الكنات
فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بُعدٍ قد أقبل يركض دابته نحونا ، فلما جلس إلينا قلت له : من أين علمت ؟ قال : سمعت صوت عمرو وأنا في سوق البقر فخرجت أركض دابتي حتى صرت إليكم ، وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

(١) كذا في الأغاني وفي الأصل : الفناء .

(٢) عن الأغاني وفي الأصل : هكذا (العسه) .

عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ (١)

والطَّيِّبُ اسْمُهُ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ وَعَلَةَ بْنِ أَنَسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ تَيْمٍ بْنِ جُشَمِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَيُقَالُ عَبْشَمْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَيْمٍ ، كُلُّهَا تُدْعَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدَةَ تَيْمٍ ، وَتَيْمٌ صَنَمٌ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ .

عَبْدَةُ شَاعِرٌ جَمِيدٌ لَيْسَ بِالْمَكْتَرِ ، وَهُوَ مُخَضَّرٌ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ فَاسْلَمَ ، وَكَانَ فِي جَيْشِ النُّعْمَانَ بْنِ مُقَرَّرِ بْنِ الَّذِينَ حَارَبُوا مَعَهُ الْفَرَسَ بِالْمَدَائِنِ .

قال الأصمعي : أرثي بيت قالته العرب قول عبدة :

عليك سلامُ الله قيسُ بنِ عاصمٍ ورحمتهُ ما شاء أن يترحمًا
تحيةً من أوليته منكَ نعمةً (٢) إذا زار عن شحطٍ بلادك سلما
فما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ولكنه بنيان قومٍ تهدهما

قال رجل لخالد بن صفوان : كان عبدة لا يحسن أن يهجو ، فقال : لا تقل ذلك فوالله ما أتى من عبي (٣) ولكنه كان يترفع عن الهجاء ، ويراها ضيعة كما يرى تركه مروءةً وشرفاً وأنشد :

وأجراً من رأيتُ بظهر غيبٍ على عيبِ الرجال أخو العيوب

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : أيُّ المناديلِ أشرفُ ؟ فقال قائل منهم : مناديلُ مصر ، كأنها غرقُ البيض ، وقال آخر : مناديلُ الين كأنها نورُ الربيع ،

(١) الأغاني ١٨ : ١٦٣ - مهذب ٢/١٥٩ . تجريد ٢١٦٤

(٢) تحية من غادرته غرض الردي (الحماسة) .

(٣) في الأصل : ١ ، ب ما أتى مرعى والتصويب عن الأغاني .

فقال عبد الملك : مناديل أخى بنى سعد ، عبدة بن الطيب ، أحسن حيث يقول :
لما نزلنا ضربنا ظلَّ أخبية^(١) وفار للقوم باللحمِ المراجيلُ
ورددْ واشقرْ ما يُنهيهِ طابحُه ما غيرَ الغلى منه فهو ما كولُ
ثُمَّتَ قننا إلى جردِ مسومةٍ أعرافهنَّ لأيدينا مناديلُ

(١) لما وردنا رفعا ظل أردية (مهدب الأغاني) .

عريب (١)

شاعرةٌ صالحةٌ مغنّيةٌ محسنةٌ مليحةٌ الخطُّ والمذهبُ في الكلام ، ونهايةٌ في الحسن والجمال والظرف ، وحسن الصورة وجودة الضرب ، وإتقان الصنعة ، ومعرفة النغم ، والرواية للشعر والأدب .

لا يتعلقُ بها أحدٌ من نظرائها ، ولا ترى في الدنيا بعد القيانِ الحجازياتِ القدماء^(٢) مثل جميلة وعزّة الميلاء وسلامة الزرقاء ، ومن جرى مجراهن ، على قلة عددهن ، نظيراً لها .

وكان فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهن ، مما يكونُ في مثلها من جوارى الخلفاء ، ومن نشأ في قصور الخلافة ، وغُدِّيَ برقيق العيش ، الذي لا يدانيه عيشُ الحجاز ، والنشء^(٣) بين العامة من العرب الجفاة ومن غلظ طبعه . وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته إلى غيره^(٤) .

قال إسحاق بن إبراهيم: ما رأيت امرأةً أضربَ من عريب ، ولا أحسن صنعة ، ولا أجمل وجهاً ، ولا أخف روحاً ، ولا أحسن خطاباً ، ولا أسرع جواباً ، ولا ألبَّ بالشرنج والترد ، ولا أجمع لخصلة حسنة أراها^(٥) في امرأة غيرها قط .

فذكر ذلك ليحيى بن أكرم ، فقال : صدق أبو محمد ، هي كذلك ، قيل له :

(١) الأغاني ١٨/١٧٥ .

(٢) القديعات (أغاني) .

(٣) في الأصل : والنشء ... من العرب ، وما أثبتناه عن الأغاني .

(٤) كانت في الأصل (من لا يحتاج إلى شهادته غيره) وما ذكرناه عن الأغاني .

(٥) لم أر مثلها في امرأة (الأغاني) .

أفسمعتها؟ قال: نعم، هناك، يعني في دار الأمان، قيل: أفكانت كما ذكر أبو محمد من الخندق؟ فقال يحيى: هذه مسألة الجواب فيها على أبي إسحاق، فهو أعلم بها مني.

قال حماد: فأخبرت أبي بذلك فضحك، ثم قال: أما استحييت من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا؟

ويقال: إنه كان لها من الغناء ألفان ومائة وخمسة وعشرون صوتا.

وكان أبو عبد الله الهشامى يطمن على صنعتهما، وليست كما يزعم فيها، ولكن كان ذلك لسبب، وهو أنه حضر يوما مجلسا فقال له عبد الملك بن عبيد الله بن طاهر: عن يابن هشام، فقال: تبت عن الغناء منذ قتل سيدي المتوكل، فقالت له عريب: والله لقد أحسنت حين تبت فإن غناءك كان قليلا المعنى، لا متقن ولا صحيح ولا مطرب. فأضحكت أهل المجلس جميعا منه، فنجل فكان بعد ذلك يبسط لسانه فيها، ويعيب صنعتهما، وليس هي كذلك.

وكان يقال إن عريب كانت لعبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب الرشيد، وهو ربّاه وأدبها وعلّمها الغناء.

وكان يقال: إنها بنت جعفر بن يحيى، وأن البرامكة لما نهبوا سرقت وهي صغيرة، وذلك أنه يقال: إن أمها كانت تسمى فاطمة، وكانت قيمة لام عبد الله بنت يحيى بن خالد، وكانت صبية نظيفة، فرآها جعفر بن يحيى، فهويها وسأل أم عبد الله أن تزوجه إياها، ففعلت وتزوجها جعفر بن يحيى، فأنكر عليه أبوه، وقال له: تزوج بمن لا يعرف لها أم ولا أب، اشتر مكاها ألف جارية، فأخرجها فأسكنها في دار، ناحية باب الأنبار، سرا من أبيه، ووكل بها من يحفظها، وكان يتردد إليها فولدت عريبا في سنة إحدى وثلاثين ومائة، وكانت سنّها إلى أن ماتت ستا وتسعين سنة.

وماتت أمّ عريب في حياة جعفر ، فدفعها إلى امرأة نصرانية ، وجعلها دابة لها
فلما حدثت بالبرامكة تلك الحادثة باعها من سنسب (١) النخاس فباعها من المراكبي .
وقال يوسف بن يعقوب : كنت إذا نظرتُ إلى قدمي عريب شبهتهما بقدي
جعفر بن يحيى ، وذكرت (٢) بلاغتها في كتبها ، فقلت : وما يمنعها من ذلك وهي
بنت جعفر بن يحيى ؟

قالت عريب : بعث الرشيدُ إلى أهلنا ، تعنى البرامكة ، رسولا يسألهم عن
أحوالهم ، وأمره ألا يعلمهم أنه من قبيله ، قالت : فصار إلى عمي ، تعنى الفضل ،
فسأله فأنشأ يقول :

سألونا أن كيف نحن فقلنا (٣)
من هوى نَجْمُه فكيف يكون
نتممتي من الأمين إيابا
كل يومٍ وأين منا الأمين
نحن قومٌ أصابنا غيرٌ (٤) الدهر
رِفظاناً لرئيسه نستكين

ذكرت عريبُ أن هذا الشعرَ للفضل بن يحيى ، وليس كذلك ، وإنما هو
للحسين بن الضحاكِ يرثي به الأمينَ محمداً بعد قتله .

وكان المراكبيُّ مولى عريب قد خرجَ بها إلى البصرة فأدبها وخرّجها وعلمها الخطَّ
والنحوَ والشعرَ والغناء ، فبرعت في جميع ذلك ، وتزايدت حتى قالت الشعر .

وكان لمولاه صديقٌ يقال له حاتمُ بن عدى من قوادِ خراسان وقيل : إنه كان
يكتبُ لعجيفِ علي ديوانَ الفرض ، فكان مولاهما يدعوه كثيراً ويخالطه ، فركبه دينٌ

(١) كانت في الأصل سنين .

(٢) النص في الأغاني : وسمعت من يحيى بلاغتها في كتبها وذكرت لبعض الكتاب فقال :

وما يمنعها ...

(٣) « سألونا عن حالنا كيف أتم » (أغاني) .

(٤) عنت - حادث (أغاني) .

فاستتر عنده ، فمد عينه إلى عريب . وكاتبها ، فأجابته ، ودامت المواصله بينهما ، وعشقه عريب ، فلم تزل تحتال حتى اتخذت سلما من عَقَبِ (١) ، وقيل من خيوط غلاظٍ وستركه حتى همت بالهرب إليه بعد انتقاله من منزل مولاها مدة وقد اتخذ لها موضعا فلقت ثيابها ، وجعلتها في فراشها بالليل ، ودثرت بها بدثارها ، ثم تسورت من الحائط فهربت ، فضت إليه فمسكت عنده ، ومولاها لا يطلبها بفريسة ولا يتهمه بشيء من أمرها ، فلما صارت عنده بعث إلى مولاها يستعير منه عوداً لتغنيه به ، فأعاره عودها وهو لا يعلم أنها عنده : فقال عيسى بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي :
يهجو أباه ويعيره بها ، وكان كثيراً ما يهجو :

قاتل الله عريباً	فعلت فعلا عجيبا
ركبت والليل داج	مركباً صعباً مهيباً
ولقد أصبح عبد الـ	له كشحانا حريباً
قد لعمرى لطم الخد	دوقد شق الجيوباً
فارتقت متصلاً بالنـ	نجم أو منه قريباً
صبرت حتى إذا ما	أقصد النوم الرقيباً
مثلت بين حشاياها	لكيلاً تستريباً
خلفاً منها إذا نو	دى لم يلف عجيباً
ومضت يحملها الخو	ف قضيباً وكثيباً
محة لو حررت خه	ت عليها أن تدوبا
فعدت لمحب	فتلقاها حبيباً
جداً قد نال في الدنـ	يا من الدنيا نصيباً

(١) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

أيها الظبي الذي تسدُّ^١ جر عيناها القلوبا
والذي يأكل بعضاً بعضه حسنا وطيبا
كنت بهماً لذئابٍ فلقد أطعمت ذيبا
وكذا الشاء إذا لم يك راعيها لبيبا

ثم إن عريبَ ملته بعد ذلك فهربت منه ، فكانت تغني عند أقوام عرفهم ببغداد ،
وهي مستترة متخفية .

فلما كان في بعض الأيام اجتاز ابنُ أخٍ للمراكبيّ بيستان كانت فيه مع قوم
تغني ، فسمع غناءها ، فعرفه فبعث إلى عمه من وقته ، وأقام هو بمكانه ، حتى جاء
عمه فكاتبها^(١) وأخذها وضربها مائة مقرة ، وهي تصيح : يا هذا لم تقتلني ، لست
أصبر عليك ، أنا امرأة حرة ، وإن كنت مملوكةً فبعضي ، فلست أصبر على الضيقة^(٢) .
فلما كان من الغدِ ندم على فعله ، وصار إليها ، وقبل رأسها ويدها ورجلها ،
ووهب لها عشرة آلاف درهم .

ثم بلغ محمداً الأمين خبرها فأخذها منه ، وكان خبرها قبل ذلك قد اتصل بالأمين
في حياة أبيه ، فطلبها منه فلم يجبه إلى ما سأل . وقبل ذلك كان قد طلبَ خادما عنده
فمنه ، فاضطن ذلك عليه .

فلما ولي الخليفة جاء المراكبي ، ومحمد راكب ، ليقبل يده فأمر بمنعه ودفعه ،
فمَل ذلك الشاكري ، فضربه المراكبي وقال : أتعني عن تقبيل يد مولاي ؟
جاء الشاكري لما نزل محمد فشكاه ، فدعا محمد المراكبي وأمر بضرب عنقه ،
فسئل في أمره فعفا عنه وحبسه ، وطلبه بخمسمائة ألف درهم ؛ ثم اقتطعها من نفقات

(١) يقال كبس القوم داره : هجموا عليها فجاءة .

(٢) الضيقة : سوء الحال ، الفقر .

الكَرَاع^(١) ، وبمَث فأخذَ عَرِيبَ من منزله مع خدَم كانوا له ؛ فلما قُتِلَ مُحَمَّدٌ هَرَبت عَرِيبٌ إلى المراكبيِّ فكانت عنده .

ومما قال حاتم بن عدى حين هَرَبت عَرِيب من عنده من آيات :

ورُشُوا على وجهي من الماء واندبوا قَتِيلَ عَرِيبٍ لا قَتِيلَ حُرُوبِ
فليتك إذ عَجَلتني ففَعَلتني تكونين من بعد الماتِ نصيبي
وقيل إنها لما هَرَبت من المراكبي هربت إلى محمد بن حامد الخاقاني ، أحد قواد خراسان ، وكان أشقرَ أزرقَ أصهب . وفيه تقول عَرِيب :

بأبي كلُّ أصهَب أزرقِ العينِ أشقر
جُنَّ قلبي به وليس جنوني بمنكر

قال ابن المدبّر : خرجت مع المأمون إلى أرض الروم أطلب ما يطلب الأحداث من الرزق ، فكنا نسير مع العسكِر ، فلما خرجنا من الرقة رأيت جماعة من الخدم ، في العماريات على الجوازات ، وكنارفةة ؛ كلُّنا أتراب . فقال لي بعضهم : على بعض هذه الجوازات عَرِيب . قلت : من يراهنني في أنني أمرُّ في جنبات هذه العماريات ، وأنشد آيات عيسى ؟ فأنشدتُ الأبيات ، وأنا رافع صوتي بها حتى أتممتها ، فإذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسها . فقالت : يا فتى قد أنسيت أجود الشعر وأطيبه ، نسيت قوله :

وعَرِيبٌ رطبةُ الشَّفِّ رَيْنٌ قد نيكت ضروبا

أذهب نخذ ما راهنت به . ثم ألتقت السجف ، فعلمت أنها عَرِيب ، وبادرت إلى أصحابي ، خوفا من مكروه يلحقني من الخدم .

(١) الكراع من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو ما استندق من الساق والكراع أيضا اسم يطلق على الخيل والبغال والحمر .

كانت للمراكمي جارية يُقال لها مظلومة ، جميلة الوجه بارعة الحُسن ، وكان يبعث
بها مع عريب إلى الحَمَام ، وإلى من تزوره [من أهله ومعارفه]^(١) فكانت ربما دخلت
مع عريب إلى ابن حامد الذي كانت تحبه ، فقال فيها لبعض الشعراء وقد رآها عنده :

لقد ظلموك يا مظلوم لما أقاموك الرقيبَ على عريبِ
ولو أولوك إنصافاً وعدلاً لما أخلوك أنت مع الرقيبِ
أنتهين الريبَ عن المعاصي وكيف وأنت من شأن الريبِ
وكيف يُجانبُ الجاني ذنوباً لديك وأنت داعيةُ الذنوبِ
فإن يَسْتَرْقِبُوكَ على عريبِ فما رَقِبُوكَ من ريبِ القلوبِ

ويشبهه هذا قول الناشئ في رقيقة المغنية :

فديتُك لو أنهم أنصفوا لما منعوا العينَ عن ناظرِيكِ
وقد بعثوك رقيباً لها فمن ذا يكون رقيباً عليكِ
ألم يقرءوا وَيَحْتَمُّهم ما يرون من وحى طرقتكِ في مقلتيكِ
يصدون أعيننا عن سواكِ وهل تنظر العين إلا إليكِ

لما نُعي خبرُ عريبِ إلى الأمين بعث في إحضارها وإحضار مولاها ، فأحضرها

ففتت بحضرة إبراهيم بن المهدي :

لكل أناسٍ جوهرٌ متنافسٌ وأنتِ طرازُ الآنساتِ الملائحِ

فطرب الأمين ، واستمادها الصوتَ مراراً ، وقال لإبراهيم : كيف سمعت ياعم ؟
قال : سيدي سمعتُ حسناً ، وإن تطاولتَ بها الأيام ، وسكن روعها ازداد غناؤها
حسناً . فقال الربيع : خذها إليك ، وساوم بها ، ففعل واشتط مولاها في السوم ،
ثم أوجبهاله بمائة ألف درهم ، وانتفض أمرُ الأمين وسُغِلَ عنها وشغلت عنه ، فلم يأمر

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

لمولاها بشمنها حتى قتل ، بعد أن افتَضَّها ، فرجعت إلى مولاها ، ثم هربت منه إلى حاتم
ابن عدى ، فلم تزل عنده حتى قدم المأمونُ بغدادَ فتظلم إليه المراكبيُّ من حاتم فأمر
بإحضاره ، فأحضرَ فسأله عنها ، فأنكرها . فقال له المأمون : كذبت وقد وقع إلى
خبرك . وأمر صاحبَ الشرطة أن يُجرِّده في مجلس الشرط ، ويضع عليه السياط
حتى يردّها ، فأخذها وبلغها الخبرُ فركبت حمار مكار ، [وجاءت] وقد جرِّد ليضرب ،
وهي مكشوفةُ الوجه ، وهي تصيح : أنا عريب ، إن كنت مملوكاً فليبعني ، وإن كنت حرةً
فلا سبيل له عليّ . فرُفِعَ خبرُها إلى المأمون ، فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضى ،
فمدَّتْ عنده ، وتقدم إليه المراكبيُّ مطالباً بها ، فسأله البيهقيُّ على ملكه إياها ، فعاد
متظالماً إلى المأمون ، فقال : قد طوليتُ بما لم يُطأَّبْ به أحدٌ في رقيق ، لا يوجد مثله
في يد من اتباع عبدأ أو أمة ، وتظلمتُ إليه زُبيدةُ وقالت : من أغلظ ما جرى عليّ
من بعد قتلِ ابني هجومُ المراكبيُّ عليّ داري ، وأخذُ عريب منها . فقال المراكبيُّ :
إنما أخذتُ ملكي ، لأنه لم ينقذني الثمن . فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمر الواقدي ،
وكان قد ولّاه القضاء بالجانب الشرق ، فأخذها من قتيبة بن زياد ، وأمره
ببيعها ساذجَةً فاشتراها المأمون بخمسين ألفَ درهم ، فذهبت به كل مذهب مَيْلاً إليها
ومحبة لها .

ولقد حدّث عليُّ بن يحيى المنجم أن المأمونَ قبّل في بعض الأيام رجلها . وللامات
المأمون بيعت في ميراثه ولم يبع له عبدٌ ولا أمة غيرها [فاشتراها المعتصم بمائة ألف
درهم وأعتقها فهي مولاته . وأخبرني جحظة عن ميمون بن هارون أن المأمون
اشتراها] ^(١) بخمسة آلاف دينار . ودعا بعبد الله بن إسماعيل فدفع الثمن ، وقال :
لولا أنى حلقتُ ألا اشتري مملوكاً بأكثر من هذا لردّتك ، ولكني سأولئك عملاً

(١) ما بين القوسين بياض بالأصل وما أنبتناه عن الاغانى وبه يستقيم الكلام .

تَكسب فيه أضفاف هذا الثمن مضاعفا ، ورمى إليه بخاتمين من ياقوتٍ أحمرَ قيمتهما ألفا دينار ، وخلع عليه خلعاً سنية . فقال : يا سيدي إنما ينتفع بهذا الأحياء وأما أنا فأني لا محالة ميّتٌ ، لأن هذه الجارية كانت حياتي ، وخرج عن حضرته فاختلط وتغير عقله ، ومات بعد أربعين يوماً .

قال إبراهيم بن رباح : كنت أتولّى نفقات المأمون ، فوصّف له إسحقُ بن إبراهيم الموصلي عربياً ، فأمره أن يشتريها ، فاشتراها بمائة ألف درهم ، فأمرني المأمونُ بحملها إليه ، وأن أحمل إلى إسحقَ مائة ألفِ درهمٍ أُخرى ، ففعلت ذلك ولم أدر كيف أثبت ذلك في الديوان ، فكتبتُ أن المائةُ الألفُ درهم خرجت في ثمن جوهرة ، والمائة الألف درهم الأخرى خرجت لصانعها ، ودلاها ، فجاء الفضلُ بن مروان إلى المأمون ، وقد رأى ذلك ، فأنكره على وسألني عنه ، فقلت : نعم هو ما رأيت ، فسأل المأمونَ عن ذلك ، فقال : وهبت لدلالٍ وصانعٍ مائة ألف درهم وغلظَ القضية فأنكرها المأمون ، ودعاني فدنوتُ فأخبرته أن المال الذي خرج في ثمن عريبٍ وصلته إسحقُ ، وقلت : أيما أصوبُ ، يا أمير المؤمنين ، ما فعلت أو أن أثبت في الديوان أنها خرجت في ثمن مغنيةٍ وصلته مغن ؟ فضحك المأمون ، وقال : الذي فعلت أصوب ، ثم قال للفضل بن مروان : يا نبطي لا تعترض على كاتبني هذا في شيء .

ولما صارت عريبُ في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد ، وكانت قد عَشِقْتَهُ وكاتبته ، ثم احتالت في الخروج إليه ، فكانت تلتقيه في الوقت بعد الوقت ، حتى حبَلتُ منه ، وولدت بنتاً ، فبلغ المأمون فأمر بالباسها جُبَّةً صوف ، وختم زيقها^(١) وحبسها في كنيفٍ شهراً لا ترى الضوء ، يدخل إليها خبزٌ وملحٌ وماءٌ من تحت الباب ، كلَّ يوم ، ثم ذكرها فرقاً لها وأخرجها ، فلما فتح الباب عنها وأخرجت . فلم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني :

(١) الزيق من الثوب : ما أحاط بالعنق ، وما كفَّ من جانب الجيب .

لو كان يقدرُ أن يبثَّك ما به رأيتَ أحسنَ عائبٍ يتمتُّبُ
حجَّبه عن بصرِي فثلَّ شخصُه في القلبِ فهو مُحجَّبٌ ما يُحجَّبُ

وبلغ المأمون فعجب منها ، ثم قال : لن تصلح هذه أبداً . فزَوَّجَه إياها .

اصطحب المأمون يوماً ، وعنده جلساؤه ، وفيهم محمد بن حامد وجماعة المغنين ، وعريبٌ جالسةٌ معه على مُصلاه ، فأوماً إليها محمد بن حامد يطلبُ قبلةً فاندفعت تفتى ابتداءً :

رَمَى ضَرَعَ نَابِ فَاسْتَمَرَ بِطَعْنَةٍ كحاشيةِ البردِ اليماني المُسَهَّمِ

فقال لها المأمون : أمسكي فأمسكت ، ثم أقبل على الندماء ، فقال : أيكم أوماً إلى عريب بقبلة ؟ والله لئن لم يصدفني لأضربن عنقه ، فقام محمد ، وقال : أنا يا أمير المؤمنين أوماً ، والنفو أقرب للتقوى . فقال : قد عفوت . فقال : كيف استدلَّ أميرُ المؤمنين على ذلك ؟ قال : ابتدأت صوتاً وهي لا تفتي ابتداءً إلا لمعني ، فعلت أنها لم تبتدي هذا الصوت إلا لمعني أوماً به إليها ولم يكن من شرط هذا الموضع الإيماء بقبلة ، فعلت أنها أجابت بطعنة .

وكانت عريب قد عَشِقَتْ صالحَ بنَ المَندر الخادم ، فتروجته سرّاً من التوكل ، فوجه به التوكل إلى مكانٍ بعيدٍ في حاجةٍ له ، فقالت فيه شعراً وغنت فيه وهو :

أما الحبيبُ فقد مضى بالرغمِ مِنِّي لا الرضا
أخطأت في تركي لمن لم أَلْفِ عنه مَعَوْضاً

فطرب التوكل واستماده ، وجعل جواريه يتغامزن ويضحكن ، ففطنت ، فأصفت إليهن سرّاً من التوكل . وقالت : ياسحاقات ، هذا خيرٌ من عملكن .

قال محمد بن يحيى الواقفي : قال لي محمد بن حامد ليلةً : أحبُّ أن تُفرغ لي مضربك ، فإنِّي أريدُ أن أحييتك فأقيمَ عندك ، فعلت ، ووافاني . فلما جلس جاءت عريبُ ، فدخلتُ

فجعل يماثبها ، فيقول : فعلت كذا وفعلت كذا ، فقالت لي : يا محمد هذا عندك رأى ؟ ثم أقبلت عليه فقالت : يا عاجز خذ بنا فيما نحن فيه ، وفيما جئنا له ، واجمل سراويلي مخنقتي والصق خلخالى بقرطى وإذا كان غداً فاكتب بمتابك في طومار ، حتى أكتب إليك بعذرى في مثله ، ودع هذا الفضول فقد قال الشاعر :

دعى هذى الذنوب إذا التقينا تعالى لا نعد ولا تمدى
فأقسم لو هممت بمد شعرى إلى نار الجحيم لقلت مدى

دخلت بعض جوارى المتوكل يوماً إلى عريب ، فقالت لها عريب : ويحك تعالى فقبلى سالفتى ، فإنك تجدين ريح الجنة. ففعلت ، ثم قالت لها : ما السبب في ذلك ؟ فقالت : قبلى الساعة صالح بن المنذر في هذا الموضوع .

حدثت بعض من دخل إلى عريب يوماً ، قال : دخلنا مسلمين فقالت : أقيموا عندي اليوم ، حتى أطعمكم لوزينجة ، صنعتها بدعة بيدها من لوز رطب ، وما حضر من الوظيفة ، وأغنيكم أنا وهى ، فقلت لها : على شريطة . قالت : وما هى ؟ قلت : شئ أريد أن أسألك عنه منذ سنين ، وأنا أهابك . قالت : ذلك لك ، وأنا أقدم الجواب قبل أن تسألنى عن شرطى . أى شئ هو . فقلت : والله ذلك الذى أردت . فقالت : أير صلب ونكهة طيبة ، وما انضاف إلى ذلك من حُسن يوصف وجمال يُحمد ، زاد قدره عندي ، وإلا فهذان مالا بدلى منهما .

وكانت سنها لما كانت عند المأمون أربعة عشر سنة . وكان الواثق منحرفاً عنها ؛ لأنها كانت تكايدُه فيما يصوغُ من الألحان . وكان المعتصم منحرفاً عنها ؛ لأنه وجد لها كتاباً إلى العباس بن المأمون ، ببلد الروم : اقتل أنت العليج ، وكان يشتهرُ

بالليلي ، حتى أقتلَ أنا الأعورَ الليلي ههنا؛ تعني الواصل ، وكان المعتصم استخلفه
ببغداد .

قال أبو العنيس بن حمدون : غضبتُ عريبُ على بمض جواريتها ، فحُتَّتْ إليها
يوماً وسألها أن تعفو عنها ، فقالت في بمض ما تقول من تعداد ذنوبها : إن كنتَ
تشتهي أن ترى زنائِي وصفافَةَ وجهي وجُرأتِي على كل عزيمة أيامَ شبابي
فانظر إليها .

وكانت عريب في أيام شبابها يقدم إليها البرذون فتظفر^(١) عليه بلا ركاب .
تتأري المأمونُ وأبو علي يوماً في صوتٍ ، فقال المأمون : أين عريب ؟ فجاءت ،
وهي محومة ، فسألها عن الصوت ، فقالت فيه بملها ، فقال لها : غنّيه ، فولّتْ
لتجىء بالعود ، فقال لها : غنّيه بلا عود ، فاعتمدت من الحُمى على الحائط وغنت ،
فأقبلت عقرب فضربتْها في يدها مرتين أو ثلاثاً ، فارتفعت يدها ولا سكمت حتى
فرغ الصوت ، ثم سقطت وقد غشى عليها .

قالت تحفة جارية عريب : كانت عريبُ تجد في رأسها برداً ، وكانت تُلفُفُ
رأسها مكانَ الفسلة بستين مثقالاً من مسكٍ وعنبر ، وتفسله من جمعة إلى جمعة .
فإذا غسلته أعادته ، ويقتسم الجوارى غسالةَ رأسها بالقوارير ، وماتسرحُه بالميزان .
قال علي بن يحيى المنجم : دخلت يوماً على عريب مُسلِّماً ، فلما اطمانتُ جالسا ،
هطلت السماء بمطر عظيم ، فقالت : أقم عندي اليوم حتى أغنّيك أنا وجواريتي ،
وابعث إلي من أحببت من إخوانك ، فأمرتُ بدوابي فردّت وجلسنا نتحدث ،
فسألتنى عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة ، ومن كان يغنيننا ، وأى شيء استحسننا .

(١) يقال طفر يظفر ظفورا : وثب في ارتفاع كما يظفر الإنسان على الحائط أي يثب إلى ما
وراءه (وفي الأصل : يظفو عليه بالركاب) والتصويب عن الأغاني .

فأخبرتها أن صوتَ الخليفة كان لحنا صنعه بنان بن الماخوري فقالت : ما هو ؟
فقلت :

تُجَافِي نَمَ تَنْطَبِقُ جفونٌ حشوها الأرقُ
وذي كَلَفٍ بكي جزاءً وسفر القومِ منطلقُ
به قلقٌ يُمَلِّمُهُ وكان وما به قلقُ
جوانحه على خطرٍ بنار الشوق تحترقُ

فوجهتُ رسولا إلى بنان فحضر ، وقد بله المطر ، فأمرت بخلع فاخرة فخلعت
عليه وقدم له طعام ، فأكل وجلس يشرب معنا ، فسألته عن الصوت فغناها ،
فأخذت دواة ورقمة وكتبت فيها :

أجاب الوايلُ الغدقُ وصاح الترجسُ الفرقُ
وقد غنى بنانُ لنا جفونٌ حشوها الأرقُ
فهاه الكاسَ مترعةً كأن حبابها حدقُ

فما شربنا بقية يومنا إلا على هذه الأبيات .

قال الفضل بن العباس : زارتني عريبُ يوما ، ومعها عدةٌ من جواربها فوافقتنا
ونحن على شرابنا ، ففحادثنا ساعة ، وسألتها أن تقيم عندي . فأبت ، وقالت :
دعاني جماعة من إخواني ؛ أهل الفضل والأدب والظرف ، وهم مجتمعون في جزيرة
المريد ، وفيهم إبراهيمُ بن المدبر ، وسعيد بن حميد ، ويحيى بن عيسى ، وقد
عزمتُ على المصير إليهم ، فخلفت عليها فأقامت عندنا ، ودعت بقرطاسٍ ودواة
وكتبت إليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم - وكتبت في سطر واحد بعد البسملة ثلاث كلمات متفرقة

ولم ترد عليها وهي : أردت ، ولولا ، ولعلی .

ووجهت بها إليهم فلما وصلت الرقمة إليهم كتبوا تحت
أردت : ليت ، وتحت لولا : ماذا ، وتحت وليلي : أرجو
ووجهوا بالرقمة ، فلما وصلت إليها صَفَقَتْ وَنَمَرَتْ^(١) وشربت رطلا وقالت : أنا
أترك هؤلاء وأقدمُ عندكم إذا تركني الله من يديه ، ولكن أُخَلِّفُ عندكم من جَوَارِيٍّ
من يكفيسكم وأقوم إليهم ، وقامت وخلفت عندنا بعضَ جواريتها ، وأخذت معها
بعضهم وانصرفت .

عقب المأمونُ على عريبٍ فهجرها أياماً ، ثم اعتلتُ فمادها ، فقال : كيف وجدتِ
طعمَ الهجر ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لولا مرارةُ الهجرِ ما عُرِفَتْ حلاوةُ الوصلِ ،
ومن ذمَّ بدءَ الغضبِ حَمِدَ عاقبةَ الرضا ، فخرج المأمونُ إلى جلسائه فحدثهم بالقضية ،
ثم قال : أترى هذا لو كان من كلامِ النظمِ لم يكن كثيراً ؟

وجرى بين المأمون وبينها كلام ، فكلمها المأمونُ بشيءٍ غَضِبَتْ منه ، فهجرتَه
أياماً ، قال أحمد بن أبي دؤاد : فدخلت على المأمون يوماً ، فقال : يا أحمد أفضِ بيننا ،
فقات عريب : لا حاجة لي في قضائه ودخوله بيننا ، وأنشأت تقول :

وتخلِطُ الهجرَ بالوصالِ فلا تُدخِلُ في الصالحِ بيننا أحداً

قال حمدون : كنت حاضراً عند المأمونِ ، ببلاد الروم ، عند العشاء الآخرة ،
في ليلة ظلماء ، ذاتِ رعودٍ وبروقٍ فقال لي المأمون : اركب الساعةَ فرساً من النوبة ،
وسر إلى عسكر أبي إسحاق ، - يعني المعتصم - فأدِّ إليه رسالتي ، وهي كيت وكيت ،
فركبتُ ، فلم تلبثُ معي شعبة ، وسمعتُ وقعَ حافرِ دابة ، فرهبتُ ذلك ، وجعلتُ أتوقَّاهُ
حتى صكَّ ركابي ركابُه ، وبرقتُ برقةً فأصابني وجهَ الراكبِ ، فإذا عريبٌ ، قات :
عريب ؟ قالت : نعم ، حمدون ؟ فقلت : نعم ، ثم قلت لها : من أين أقبلت في هذا الوقت ،

(١) نعر الرجل ينعر : صاح وصوت بجيشومه .

فقلت : من عند محمد بن حامد ، فقلت : وما صنعتِ عنده ؟ فقلت : يا نكيس ،
عريبٌ تُحْيِي في مثل هذا الوقتِ من عند محمد بن حامد ، خارجةً من مضارب الخليفةِ
وراجعةً إليها ، تقول لها : إيش عملت ؟ صليت معه التراويح ، قرأت عليه أجزاء
من القرآن ، دارسته شيئاً من الفقه يا أحمق !! تعاتبنا وتجادنا واصطلحنا ، ولعبنا
وشربنا وغنينا وتنايكننا ، وانصرفنا ، فأخجلتني ، وغازقتني ، فسقت وتركتها ومضيت ،
فأديت الرسالة ، وعدتُ إلى المأمون ، وأخذنا في الحديث ، وتناشدنا الأشعار ، فهممت
أن أحدثه حديثها ، ثم هبته فقلت : أقدمُ قبل ذلك تعريضاً بشيء من الشعر فأنشدته :

الأحى أطلالا لقاطعة الحبل أوف تساوى صالح القوم بالنذل^(١)
فلو أن ما أمسى بجانب تلمعة إلى جبلي طي لساقطة الحبل
جلوس إلى أن يقصر الظل عندها لراحوا وكل القوم منها على وصل

فقال المأمون : اخفض صوتك ، لئلا تسمعك عريب ، فتغضب ، وتظن أننا
في حديثها ، فأمسكت عما أردتُ إلى آخره ، وخار الله لي في ذلك .

قال إبراهيم اليزيدي : كنت مع المأمون في بلد الروم ، فبينما أنا أسير في ليلة
مظلمة باردة ذات غيم وريح ، وإلى جانبي قبةٌ إذ برقت برقةٌ فإذا في القبة عريب ،
فقلت : إبراهيم ؟ فقلت : لبيك ؟ فقلت : قل أياتاً ملاحاً في هذا البرق لأعني فيها ،
فقلت :

ما بقلبي من ألم الخفق إذا رأيت لمعان البرق
من قبل الأردن أو دمشق لأن من أهوى بذاك الأفق
فإن فيه وهو أعز الخلق على والزور خلاف الحق
ذاك الذي يملك مني رقي ولست أبني ما حيت عتق^(٢)

(١) بالردل (أغانى) .

(٢) في ١ ، ب : عشقي . وفي الأغاني عتق وهى تقابل رقي في البيت .

فَتَنَفَّسَتْ نَفْسًا ظَنَنْتُهُ قَدْ قَطَعَ حَيَازِيمَهَا ، فَقُلْتُ : وَيْحَكَ عَلَيَّ مِنْ هَذَا النَّفْسِ ؟
فَضَحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : عَلَيَّ الْوَطْنُ ، فَقُلْتُ : هِيَهَاتَ لَيْسَ هَذَا كُلَّهُ عَلَيَّ الْوَطْنِ . فَقَالَتْ :
وَيْحَكَ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَسْبِيهُنَّ ، وَاللَّهِ لَقَدْ نَظَرْتُ نَظْرَةً مَرِيئَةً فِي مَجْلِسٍ ، فَادْعَاهَا مِنْ
أَهْلِ الْمَجْلِسِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ رَئِيسًا ، وَاللَّهِ مَا عَلِمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ أَيْنَ كَانَتْ إِلَى هَذَا
الْوَقْتِ .

وَقَعَ بَيْنَ عَرِيبٍ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدٍ شَرَفَتْ قَطَاعًا بِسَبَبِهِ ، وَكَانَ يَجِدُ بِهَا الْوَجْدَ
كُلَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهَا أَكْثَرُ مِمَّا فِي قَلْبِهِ ، فَلَقِيَتْهُ يَوْمًا ، فَقَالَتْ : كَيْفَ قَلْبُكَ يَا مُحَمَّدُ ؟
قَالَ : أَشَقُّ مَا يَكُونُ وَأَقْرَحُهُ : فَقَالَتْ : اسْتَبْدِلْ تَسْلُ ، فَقَالَ لَهَا : لَوْ كَانَتْ الْبَلْوَى
بِاخْتِيَارِي لَفَعَلْتُ ، فَقَالَتْ : لَقَدْ طَالَ إِذَا تَمَّيْتُكَ . فَقَالَ : وَمَا يَكُونُ ؟ أَصْبِرُ مُكْرَهَا ،
أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

تَعْبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ لَدَى الْمَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ فِي الْيَاسِ
لَوْلَا كَرَامَتُكُمْ لَمَا عَانَبْتُكُمْ وَلَكِنَّمُ عِنْدِي كَبْعُضِ النَّاسِ
قَالَ : فَذَرَفَتْ عَيْنَاهَا ، وَاعْتَذَرَتْ إِلَيْهِ ، وَاصْطَلَحَا ، وَعَادَا إِلَى أَفْضَلِ مَا كَانَا
عَلَيْهِ .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْفَرَاتِ : كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ الْمَأْمُونِ نَشْرَبُ ، وَعَرِيبٌ حَاضِرٌ
عِنْدَهُ ، إِذْ غَنَى بَعْضُ مَنْ كَانَ هُنَاكَ هَذَا الصَّوْتُ :

يَا بَدْرُ إِنَّكَ قَدْ كَسَيْتَ مَشَابِهَا مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ الْمُسْتَنْبِرِ الْوَاضِحِ
وَأَرَاكَ تَسْمُجُ بِالْحَقَاقِ وَحُسْنُهَا بَاقٍ عَلَى الْأَيَّامِ لَيْسَ بِنَسَارِحِ

فَضَحَكَتْ عَرِيبٌ وَصَفَّقَتْ ، وَقَالَتْ : مَا عَلَيَّ وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ يَعْرِفُ خَيْرَ هَذَا
الصَّوْتِ غَيْرِي ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مَنَّا عَلَى مَسْأَلَتِهَا غَيْرِي ، فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ : أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ
بِالْقِصَّةِ ، وَلَوْلَا أَنَّ صَاحِبَ الْقِصَّةِ قَدَّمَ مَاتَ لَمَا أَخْبَرْتُكُمْ . إِنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ قَدِمَ بَغْدَادَ ،

فنزّل بقرب دار صالح المسكين ، في خان هناك ، فاطلمت يوماً أم محمد بنت صالح فرأته
بيول ، فأعجبها أمره ، وأحبت مواصلته ، فجمعت لذلك علة بأن وجهت [إليه]
تفترض منه مالا ، وتعلمه بأنها في ضيقة ، وأنها تردّه [إليه] بعد جمعة ، فبعث إليها
عشرة آلاف درهم ، وحلف أنه لو ملك أكثر منها لبعث به ، فاستحسنت ذلك
فواصلته ، وجعلت القرض سبباً للوصلة ، وكانت تدخله إليها ليلاً ، وكنت أنا أغني
لها ليلة فشربنا في القمر ، وجعل أبو محلم ينظر إليها ثم دعا بدواة وكتب :
يا بدر إنك قد كسيت مشابهاً من وجه أم محمد ابنة صالح
والبيت الآخر . . .

وقال لي : غني فيه ، فغنيت فاستحسناه ، وشربنا عليه فقالت أم محمد في آخر
المجلس : يا أختي إنك قد غنيت في هذا الشعر وهو سيقى على فضيحة إلى آخر الدهر ،
فقال أبو محلم أنا أغيره ، تُفنى مكان : أم محمد ، ابنة صالح [من وجه ذلك المستنير
الواضح] .

فغنيتُه كما غيّرهُ ، وأخذهُ الناس عني ، ولو كانت أم محمد باقيةً لما أخبرتكم الخبر .
وأبو محلم هو النسابة ، واسمه عوف بن محلم .

كتبت عرباً إلى محمد بن حامد تستزيه ، فكتب إليها :

إني أخاف على نفسي ، فكتبت إليه :

إذا كنت تحذّر ما تحذّر وتزعم أنك لا تجسّر

فإلى أقيم على صبوتي ويوم لقاءك لا يُقدر

فصار إليها من وقته .

عبد الله بن الحسن بن الحسن (١)

ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

كنيته أبو محمد ، وأم عبد الله بن الحسن فاطمة بنت الحسين بن علي ، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأمها الجرباء بنت قسامة بن رومان من طي ، وسُميت الجرباء لمُسنِّها ، وكانت لا تقفُ إلى جانبها امرأةٌ ، وإن كانت جميلةً إلا استُقبِحَ منظرُها لجمالها ، فكان النساءُ يتحامين أن يقفنَ إلى جانبها ، فسميت الجرباء بالناقة الجرباء التي يتوقَّأها الإبلُ مخافة أن تُعديها .

وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش ، وأسوئهن خلقاً .

ويقال : إن نساء بني تميم كانت لهن حُظوةٌ عند أزواجهن على سوء أخلاقهن . ورُوي أن أم إسحاق كانت ربما حمَلتُ وولدتُ ، وهي لا تكلم زوجها ، وكانت أم إسحاق عند الحسن بن علي قبل أخيه الحسين ، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين ، فقال له : يا أخي ، إني أرضى هذه المرأة [لك] فلا تخزُجنَّ من بيوتكم فإذا انقضتْ عدتها فتزوجها .

فلما توفي الحسن تزوجها الحسين ، وهي كانت ولدت من الحسن ابنة طلحة بن الحسين . فهو أخو فاطمة وابن عمها . وقد درج طلحة ولا عقب له (٢) .

(١) الأغاني ١٨ : ٢٠٣ . ذب ٧ / ١٣٣ .

(٢) في الأصل : روج ولاحت له والتصويب عن الأغاني .

ومن ظريف أخبار النساء التميميات في حظوتهن وسوء أخلاقهن أن أم سلمة بنت محمد بن طلحة كانت عند عبد الله بن الحسن ، فكانت تقسو عليه وتُعَلِّظُ عليه ويفرِّقُ منها ولا يخالفها ، فرأى منها يوماً طيبَ نفس فأراد أن يشكو إليها قسوتها . فقال لها : يا بنت محمد قد أُحْرِقَ والله قلبي . فحدّدت إليه النظر ، وجمت وجهها ففقطع كلامه . فقالت : أُحْرِقَ قلبك ماذا ؟ نخافها ، ولم يُقدِّم علي أن يقول : سوء خُلُقِك ، فقال : حبُّ أبي بكر الصديق ، فأمسكت عنه .

وتزوج الحسنُ بنُ الحسنِ فاطمةَ بنتَ الحسين ، في حياة عمه ، وهو زوجة إياها ، لأنه خطبَ إلى عمه الحسين ، وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين : اختر يا بُنَيَّ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ ، فاستحيا الحسن ولم يُجِرْ جواباً ، فقال له الحسين : إني قد اخترت لك فاطمةَ ، فهي أكثرها شَبَهًا بِأبي فاطمةَ بنتِ رسولِ الله ، صلى الله عليه وسلم .

ويقال إنه لما خيَّرَه اختار فاطمةَ ، فكانوا يقولون : إن امرأة سكينته مردودتها^(١) لمنقطعة القرنين في الجمال .

لما حضرت الحسن بن الحسن الوفاة جَزِعَ ، وجمل يقول : إني لأجد كَرْبًا ليس منه كَرْبُ الموت ، فقال بعض أهله : ما هذا الجزع ؟ تقدمُ علي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو جدُّك وعليَّ عليٌّ والحسن والحسين وهم آباؤك ، قال : لعمري إن الأمر كذلك ، ولكني كأني بعمد الله بن عمرو بن عثمان حين أموت قد جاء في مخرجتين أو مُصْرَتَيْنِ وقد رَجَلَتْ مُجْمَتَهُ ، ويقول : أنا من بني عبدمناف ، جئت لأشهد ابن عمي^(٢) ، وما به إلا أن يُخَطِّبَ فاطمةَ بنتَ الحسين فإذا جاء

(١) في الأصل : (أمر بهي مردو لهما) وما صوبناه عن الأغاني .

(٢) في الأصل : لا أشهد أن عمي والصواب عن الأغاني .

فلا يدخلُ عليّ ، فصاحت به فاطمة : أسمع ؟ قال : نعم . قالت : كلُّ مملوكٍ لي حرٌّ وكل مالٍ لي صدقة إن تزوجتُ بمدكٍ أحداً أبداً . قال : فسكن الحسنُ فإتلفنا ولا تحرك ، حتى قضى ، فلما ارتفع الصياحُ أقبل عبدُ الله على الصفة التي ذكرها الحسن ، فقال بمض القوم : يدخل ، وقال بمض القوم : لا يدخل ، فقال قوم : ما يضرُّ من دخوله ، فدخل وفاطمةُ تصكَّ وجهها ، فأرسل إليها وصيفاً معه ، فجاء يتخطى الناس حتى دنا منها ، فقال : يقول لك مولاي : أبقى على وجهك فإن لنا فيه أرباباً ، فأرسلت يدها في كمها واحتمت فعرَف ذلك منها فلما لطمت حتى دُفن ، فلما انتقضت عدتها خطبها . قالت : كيف لي بنذرِي ويميني ؟ فقال : نُخلفُ عليك بكل عبدٍ عبدين وبكل شيءٍ شيئين ، ففعل وتزوجته .

وقيل إنه لما خطبها أبت فحلفت عليها أمها أن تزوجه ، وقامت في الشمس ، وآلت لا تبرح حتى تزوجه ، وكرهت فاطمة أن تُخرج أمها فتزوجته . وكان عبدُ الله بن الحسن بن الحسن شيخَ أهله ، وسيداً من ساداتهم ، مقدماً فيهم ؛ علماً وفضلاً وكرماً .

وحبسه أبو جعفر المنصورُ في الهاشمية بالكوفة ، لما خرج عليه ابنه محمدٌ وإبراهيم ، فمات في الحبس وقيل : سقط عليه وقيل غير ذلك . وكان يقال : من أحسن الناس ؟ فيقال : عبدُ الله بن الحسن . ويقال : من أفضل الناس ؟ فيقال : عبدُ الله بن الحسن .

وكان يقول : أنا أقربُ الناس إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولدني مرتين (١) .

وهو أول من اجتمع له ولادةُ الحسن والحسين ، رضوان الله عليهما .

(١) وفي الأغاني : ولدته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين .

وكان مكتسبا نوراً من قرّنه إلى قرّنه .

وقال مصعب الزبيري : انتهى الحُسنُ إلى عبدِ الله بنِ الحُسنِ .

لما بنى أبو العباس بناءً بالأنبار ، الذي يُدعى رصافةَ أبي العباس ، قال لعبدِ الله

ابنِ الحُسنِ : ادخل فانظر ، فدخل معه ، فلما رآه تمثل :

ألم تر حَوْشِباً بيني قصورا ليبقى نفعها لبني نَفَيْلِه

يَوْمَئِذٍ أَنْ يُعْمَرَ عُمرَ نوح وأمرُ الله يحدثُ كُلَّ لَيْلِه

كان أبو العباس قد كتب إلى عبدِ الله بنِ الحُسنِ في تغميبِ ابنيه ، فاحتمله

أبو العباس ولم يبلّيه بهما :

أُرِيدَ حَيَاتِهَ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مَرَادِ

فبِعَثُوا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَسْعُودٍ ، مَوْلَى أَبِي حُسَيْنٍ ، فَأَجَابَ عَنْهَا فَقَالَ :

وَكَيْفَ يَرِيدُ ذَاكَ وَأَنْتَ مِنْهُ وَزَنْدُكَ حِينَ يُقَدِّحُ فِي زِنَادِ

وَكَيْفَ يَرِيدُ ذَاكَ وَأَنْتَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ النَّيَاطِ مِنَ الْفَوَادِ

وَكَيْفَ يَرِيدُ ذَاكَ وَأَنْتَ مِنْهُ وَأَنْتَ لِهَاشِمٍ رَأْسٌ وَهَادِ

قال عبد الله بن الحُسنِ : بينا أنا في سَمَرِ أبي العباس ، وكان إذا تشاءب ، أو ألقى

المروحةَ من يده قننا ، فألقاها ليلة . فقمنا على الرسم ، فأمسكني ولم يُبقِ غيري ،

فأدخل يده تحت فراشه ، فأخرج إضبارةَ كُتُبٍ وقال : اقرأ يا أبا محمد . فإذا كتاب

محمدِ ابني إلى هشام بن عمرو التغلبي ، يدعوهُ إلى نَفْسِه ، فلما قرأته قلت : يا أمير المؤمنين

عهد الله وميثاقه ألا ترى منهما شيئاً تَسْكُرُهُ ما كانا في الدنيا .

قال عُقْبَةُ بْنُ سَلَمَةَ : دعاني أبو جعفر فسألني عن اسمي ونسبي . فقلت له : أنا

عقبة بن سلمة بن رافع . قال : إني لأرى الرهبة ، وإني أريدك لأمر أنا معني به .

قلت : أرجو أن أصدق ظنك يا أمير المؤمنين . قال : فأخف شخصك ، وأني

في يوم كذا ، فأتيته ، فقال : إن بني عمنا قد أبوا إلا كيداً لملكنا ، ولهم شيمة
بخراسان ، بقرية كذا وكذا ، يكتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات وألطف ، فأخرج
بكتبي وألطاني حتى تأتيهم متنكراً ، بكتاب أكتبه عن أهل القرية ، ثم تسير إلى
ناحيتهم ، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمت ذلك ، وإلا كنت على حذرٍ منهم ، حتى
تلقى عبد الله بن الحسن منتجعاً ، فإن جبهك ، وهو فاعل ، فاصبر وعاوده أبدأ
حتى يأمنك^(١) ، فإذا أظهر لك ما في قلبه فأعجل إلى . ففعل ذلك ، وتردد إليه ،
وخيبه عبد الله بن حسن ، فلم يزل به حتى أنس به ، فقال عقبة : الجواب ، فقال :
أما الكتاب فإني لا أكتبه ولكن أنت كتابي إليهم ، فأقرهم السلام ، وعرفهم
أن ابني خارج لوقت كذا وكذا ، فقدم عقبة على أبي جعفر وأخبره الخبر ، فلما
حج أبو جعفر جلس يتغدى بأوطاس^(٢) ، ومعه على المائدة عبد الله بن الحسن ،
وجاعة من بني العباس ، فأقبل على عبد الله بن الحسن ، وقال : يا أبا محمد ، محمد
وإبراهيم قد استوحشا من ناحيتي ، وإني لأحب أن يأنساني ويأتياني ، وأصلهما
وأزوجهما وأخبطهما بنفسي ، قال ، وعبد الله مطرق طويلاً ، ويقول : والله
يا أمير المؤمنين ؛ مالي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ، وقد خرجا عن يدي ؛
فيقول : لا تفعل ، يا أبا محمد ، فاكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك إليهما ،
وعبد الله يخاف أنه لا يعرف موضعهما ، وأبو جعفر يكرر عليه : لا تفعل يا أبا محمد ،
وكان أبو جعفر قد قال لعقبة بن سلمة : إذا فرغنا من الطعام ولحظتكم فامثل بين
يدي عبد الله فإنه سيمصرف عنك بصره فدر حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك ،
حتى يملأ عينه منك ، ثم حسبك . وإياك إياك أن يراك ما دام يأكل ، ففعل

(١) يأنس بك (أغاني) .

(٢) أوطاس واد بديار هوازن (مراسد) .

عقبه ذلك ، فلما رآه عبد الله وثبَ حتى جثا بين يدي أبي جعفر ، فقال :
يا أمير المؤمنين أقالك الله ، قال : لا أقالني الله إن أقلتك ، ثم أمر بحبسهِ .
وقيل : إنه لما سأل عبد الله عن ابنه قال : لا أعلم لي بهما ، حتى تغالطا ، فأمضه (١)
أبو جعفر ، فقال له : يا أبا جعفر ، بأى أمهاتى تمضنى (١) ؟ بمخديجة بنت خويلد ،
أم بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم بفاطمة بنت الحسين ، أم بأم
إسحاق بنت طلحة ؟ فقال : ولا بواحدة منهن (٢) ، ولكن بالجرباء بنت قسامة ،
فوثب المسيب بن زهير فقال : يا أمير المؤمنين ، دعنى أضرب عنق ابن الفاعلة ، فقام
زيد بن عبد الله ، فألقى عليه رداءه وقال : يا أمير المؤمنين هبه لى ، فأنا أستخرج
ابنيه ، فنجا منه .

وكان حج أبي جعفر فى سنة أربعين ومائة .

وتوفى عبد الله فى محبسه ، بالهاشمية فى سنة خمس وأربعين ومائة ، وسن

عبد الله إذ ذاك خمس وسبعون سنة .

ومن شعر عبد الله بن الحسن قوله :

يا هندُ إنك لو علمتِ

قالا فلم يُسمعَ لى

هندُ أحبُّ إلىَّ من

فلقد عصيتُ عوازلا

بماذَلَيْنِ

قالا فقلتُ بل اسمعا

أهلى ومالى أجمعا (٣)

وأطعت قلبا موجعا

وهندُ هذه التى عنها زوجته ، هندُ بنت أبى عبَّيدَةَ بن عبد الله بن زمعة (٤)

ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي .

(١) أمضه الأمر : أوجمه وشق عليه .

(٢) فى الأصل : (ولا وابوك جده محهدن) وما نقلناه عن الأغاني .

(٣) مالى وروحي فارجمعا (أغاني) .

(٤) فى الأصل ربعة ، والتصويب عن الأغاني . وجهرة الأنساب ١١٠ .

وكان أبو عبيدة جواداً سيّداً مُمدّحاً .

وأُم هند قرينة بنت يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمة بن الأسود بن المطلب .

وكانت هند قبل عبد الله بن الحسن تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان ،

فمات عنها . وكان عبدُ الملك زَوْجَ ولده عبد الله هذا هندا هذه ، وربطة بنتُ

عبد الله بن عبد المدان لما كان يقال إنه كائن في أولادها فمات عبدُ الله عن هند

أو طلقها ، فتزوجَ هندا عبدُ الله بن الحسن بن الحسن وتزوجَ رِبطةَ محمد بن علي

فجاءت بأبي العباس السفاح . وكانت هندٌ قد ورثت من عبد الله بن عبد الملك مالا ،

فقال عبد الله بن الحسن لأُمه فاطمة : اخطبي علي هندا فقالت : إذا ترُدك ، أنطمع

في هند ، وقد ورثت من عبد الله ما ورثته ، وأنت ترب لا مال لك (١) فتركها

ومضى إلى أبي عبيدة أبي [هند] فخطبها إليه ، فقال : في الرحب والسعة أما مني

فقد زوجتكَ ، ومكانك لا تبرح ، ودخل على هند فقال لها : يا بُنيّة هذا عبدُ الله

ابن الحسن قد أذاكِ خاطبا ، فقالت : فما قلت له ؟ قال : زوجتُه . فقالت : أحسنتُ

قد أجزتُ ما صنعت ، وأرسلت إلى عبد الله : لا تبرح حتى تدخل إلى أهلك ،

ونشرت له قبايا فبات مُعرّسا بها في ليلته ، ولا تشعر أمه ، فأقام سبعا ثم أصبح

يوم سابعه غاديا على أمه ، عليه ردع الطيب وهو في غير ثيابه التي تعرف . فقالت :

يا بُنّي أمر بك (٢) قال : من عند التي زعمت أنها تردني ولا تريدني .

ومن شعره فيها :

إن عيني تمودت كحل هند جمعت كفتها مع الفرق لينا

(١) وفي الأصل (وأنت ترب لا مال ترث إلى) .

(٢) يابني : من أين لك هذا ؟ (أغاني) .

علقمة الفحل (١)

هو علقمةُ بن عبدة بن النعمان بن ناشرة (٢) بن قيس بن عبد الله بن ربيعة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . وكان زيدُ مناة بن تميم ، هو ، وبكر بن وائل لدة في عصر واحد ، فوفدا على بعض الملوك .

وكان زيد مناة شهماً حسوداً . وكان بكرُ بن وائل خبيثاً داهيةً ؛ فخاف زيدُ مناة أن يحظى من الملك بفائدة ، ويقبل معها حظها ، فقال له : يا بكر لا تلق الملك بثياب سفرك ، ولكن تأهب للقائه ، وادخل إليه في أحسن هيئة . ففعل بكرٌ ذلك ، وسبقه زيدُ مناة إلى الملك . فسأله عن بكر ؟ فقال : ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدر (٣) لهن ، وقد حدث نفسه بالتصدر (٣) لبنت الملك ؟ فغاضه ذلك ؛ ونمى الخبرُ إلى بكر ابن وائل ؛ فدخل على الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة ؛ فصدقه واعتذر إليه . فلما كان من غد اجتمعا عند الملك [فقال الملك لزيد مناة : ما تحب أن أفعل بك ؟ فقال : لا تفعل بيكر شيئاً إلا فعلت بي مثليه] (٤) - وكان بكر أعور العين اليمنى ، أصابه ماء فذهبت . فكان لا يعلم من رآه أنه أعورٌ وأقبل على بكر بن وائل فقال له : ما تحب أن يفعل بك يا بكر ؟ فقال : تفقأ عيني [اليمنى] فتضعفُ لزيد مناة ؛ فأمر بعينه اليمنى فقُفئت ، وأمر بعيني زيد مناة ففقئتُ ؟ فخرج بكرٌ وهو أعورٌ بحاله ، وخرج زيدُ مناة وهو أعمى .

(١) الأغاني ٢١ / ١١١ - تجريد ٢١٧٦ مهذب ١٧٤ / ٢ .

(٢) في الأصل : (باسمه) والتصويب عن الأغاني وجهرة الأنساب .

(٣) (والتعرض) أغاني .

(٤) ما بين القوسين عن الأغاني وبه يتسق الحديث .

وسُمِّيَ علقمةُ الفحل - لأنه خَلَفَ على امرأةِ امرئ القيس لما حَكَمَتْ له على امرئ القيس بأنه أشمرٌ منه في صِفَةِ فرسه ؟ فطَلَّقَهَا ؛ فخلَّفه عليها . وما زالت العرب تسميه بذلك .

قال حماد الراوية : كانت العرب تَعرِض شعرها على قریش ؛ فما قَبِلوا منه كان مقبولاً ، وما رَدُّوا منه كان مردوداً ؛ فقدم عليهم علقمةُ الفحل فأنشدهم قصيدته :
هل ما علمت وما استودعت مكتومُ أم حبَّلها أن نأتك اليومَ مصرومُ
فقالوا : هذه سَمَطُ الدهر .

ثم عاد عليهم في العام المقبل فأنشدهم :
طحابك قلبٌ في الحسان طروبُ بُعَيْدَ الشباب عصرَ حان مَشِيبُ
قالوا : هاتان سَمَطَا الدهر .

كانت تحت امرئ القيس امرأةٌ من طَيْيُّ يُقال لها : أم جُنْدَب ، تزوجها حين حاور فيها ؛ فقدم عليهم علقمةُ بن عبدة التميمي . فقال كل واحد منهما لصاحبه :
أنا أشعر منك ؛ فتحا كما إليها . فأنشد امرؤ القيس قوله :

خليلي مُرًّا بي على أم جندب
حتى انتهى إلى قوله :

فلساقُ الهوبِ وللسوطِ درَّةٌ وللزجرِ منه وَقَعُ أهوجَ مُثَعِبِ
وأنشدها علقمةُ قوله :

ذهبت من الهجران في غير مذهب
حتى انتهى إلى قوله :

فأدرِكُ^(١) منه ثانياً من عِنايهِ بِمِرِّ كَمَرِ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ

(١) فأدرِكُن ثانياً . . . يعر كغيث رائِح متحلِب (أغانى) .

فقات له : علقمة أشعرُ منك . قال : وكيف ؟
قالت : لأنك زجرت فرسك وحررتكته بساقتك وضربتته بسوطك ، وأنه جاء
هذا الصيد ثم أدركه ثانيا من عنانه .
فغضب امرؤ [القيس] وقال : ليس كما قلت ، ولكنك هويته ، فطلقها ،
فتزوجها علقمة الفحل .

تحاكم علقمة بن عبدة التيمي والزبرقان بن بدر والخبل السعدى وعمر [بن]
الأهتم إلى ربيعة بن حذار^(١) الأسدى ، فقال :

- أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كالحم لا ينضج فيؤكل ، ولا يُترك نيتا فينتفع به .
- وأما أنت يا عمرو ، فإن شعرك كبرد حبرة ، يتلأأ في البصر وكلما أعدته
نقص .

- وأما أنت يا مخبل فإنك قصرت عن الجاهلية ، ولم تدرك الإسلام .
- وأما أنت يا علقمة ، فشعرك كزادة قد أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء .
مر رجل من مزينة على باب رجل من الأنصار ، وكان يتهم بامرأته ؛ فلما حاذى
بأبه تنفس يتمثل :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبيلها أن نأتك اليوم مصروم
فتعلق به الرجل ورفع إلى عمر^(٢) ، فاستعداه عليه . فقال له المتمثل : وما على
أن أنشدت بيت شعر ؟ فقال له عمر : ما لك لم تُنشدْه قبل أن تبلغ إلى بأبه ؟ ولكنك
عرضت به مع ما تعلم من القالة^(٣) فيك ؟ ثم أمر به فضرب عشرين سوطا .

(١) في الأصل : جدار والتصويب عن القاموس .

(٢) في الأصل : عمرو والمراد عمر بن الخطاب (ض)

(٣) في الأصل : ١ - ب (الساله) والتصحيح عن الأغاني .

عمر أبو حفص الشطرنجي^(١)

هو عمرُ بن عبد العزيز ، مولى بني العباس .

وكان أبوه من موالى المنصور ، وكان اسمه اسماً أعجمياً ؛ فلما نشأ أبو حفص وتأدب^(٢) غيرَه وسماه عبدَ العزيز .

ونشأ أبو حفص في دار المهدي ، مع أولاد مواليه ، وكان كأحدِهِم فتأدب ، وكان لاعبا بالشطرنج مشغولاً به ، فلُقِّبَ به لغلبته عليه .

ولما مات المهدي انقطع إلى عُلَيْتِه ، وخرج معها لما زُوِّجَتْ وعاد معها لما عادت إلى القصر . وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبني إخوتها من الخلفاء ، فتنتحلُّ بعضَ ذلك وتتركُ بعضه . ومما ينسب إليها من شعره :

تَحَبَّبَ فَإِنِ الْحَبِّ دَاعِيَةٌ الْحَبِّ	وكم من بعيدِ الدارِ مستوجبُ القُرْبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ عَتَبٌ وَلَا رِضًا	فأين حلالاتُ الرسائلِ والكَتَبِ
تَفَكَّرَ فَإِنِ حُدِّثْتَ أَنَّ أَخَا الْهَوَى	نجا سالماً فارَّجُ النجاةَ من الحبِّ
وَأَطِيبُ أَيَّامَ الْهَوَى يَوْمَكَ الَّذِي	تُرْوَعُ بِالتَّحْرِيشِ فِيهِ وَبِالْعَتَبِ

قال محمد بن الجهم البرمكي : رأيت أبا حفص الشطرنجي الشاعرَ ، فرأيت فيه إنساناً يُلهيك حضورُه عن كل غائب ، وتُسَلِّمُكُ مُجَالِسَتُهُ هُمُومَ الْمَصَائِبِ ، قُرْبُهُ عُرْسٌ ، وحديثُه أُنْسٌ ، جِدُّهُ لَمِيبٌ ، ولعبه جِدٌّ [خَلِيعٌ مَاجِرٌ دَيْنٌ]^(٣) إن لبسته على ظاهره لبست منه مَوْضُوفًا لَا تَمَلُّهُ ، وَإِن تَتَّبَعْتَهُ لَتَنْظُرَ خَيْرَهُ وَقَمْتَ^(٤) عَلَى مَرُوءَةٍ

(١) أغاني ١٩ : ٦٩ .

(٢) في الأصل : وقارب والتصويب عن الأغاني .

(٣) في الأغاني (دين ماجد إن لبسته على ظاهره لبست موموقا لا تمله) .

(٤) في الأغاني : لتستبطن خبرته وقتت .

ظاهرة ، لا تطير الفواحشُ بجوانبها . وكان ما عَلِمْتُهُ أَقْلُ ما فيه الشعر .
ومن شعره :

عَرَضَنْ لِلَّذِي تُحِبُّ بِحَبِّ ۖ ثم دعه يروضه إبليس
فلعل الزمانَ يُدْنِيكَ مِنْهُ إن هذا الهوى جليلٌ نَفِيسُ
صابرُ الحبِّ لا يُغَرِّنُكَ فِيهِ من حبيبٍ تحشُمُ وعبوسُ
وَأَقِلَّ اللِّجَاجَ وَأَصْبِرْ عَلَى الْجَهِّ فد فإن الهوى نعيمٌ وبوسُ

قال الأصبهي : ما رأيت قطُّ أترأ لنبيذ في وجه الرشيد إلا مرة واحدة ؛ فإنني
دخلت إليه أنا وأبو حفص الشطرنجي ، فرأيت الشُّكْرَ في وجهه ، فقال لنا : من أصاب
ماني نفسي فله عشرة آلاف درهم ؛ قال : فأشفقت ومنعنتني هيئته . فقال أبو حفص :
كلما دارت الزجاجةُ زادته اشتياقا وحرقةً ونكالا
فقال : أحسنت ، لك عشرة آلاف درهم .

قال : فزالت الهيبة عني فقلت :

لم بتلك البرحاء أن تحضريني وتجاقت أمْنِيَّتِي عن سواكِ
فقال : لله درك ، لك عشرون ألفا .

قال : وأطرق رأسه مَلِيًّا ثم رفع وقال لنا : والله استقي منكأثم قال :

فتمنيتُ أن يُغَشِّيَني اللَّـهُ هُ نَعُاسًا لعل عيني تراكِ

كان الرشيد يحب ماردةَ جاريتَه ، وكان خلفها بالرقَّةَ ، فلما قدم إلى مدينة السلام
اشتاقها فكتب إليها :

سلام على النازح المُغْتَرِبِ تحيةً صبِّ به مُكْتَسِبِ
غزالٌ مراتعه بالبليخ^(١) إلى دَيْرِزَكِيِّ^(٢) قَصْرِ الخَشْبِ

(١) البليخ : اسم نهر بالرقَّة .

(٢) دير بالرها - وقيل هو بالرقَّة قريب من الفرات (مرصد) .

أَيًّا مِنْ أَعَانِ عَلَى نَفْسِهِ بِتَخْلِيْفِهِ طَائِعًا مِنْ أَحَبِّ
سَأَسْتَرُ وَالسَّتْرُ مِنْ شِيْمَتِي هُوَى مِنْ أَحَبِّ بَيْنَ لَا أَحَبِّ

فلما ورد كتابه إليها أمرت أبا حفص فأجاب عنها الرشيد بهذه الأبيات :

أَتَانِي كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي وَفِيهِ الْمَجَائِبُ كُلُّ الْعَجَبِ
أَتَزْعُمُ أَنَّكَ لِي عَاشِقٌ وَأَنَّكَ بِي مَسْتَهَامٌ وَصَبٌ
فَلَوْ كَانَ هَذَا كَمَا لَمْ يَكُنْ لَتَقَرُّ كِنِّي نُهْزَةً لِلْكَرْبِ
وَأَنْتَ بِيْعِدَادَ تَرَعَى بِهَا نَبَاتَ اللَّذَازَةِ مَعُ مِنْ تَجِبِ
فِيَا مَنْ جَفَانِي وَلَمْ أَجْفُهُ وَيَا مَنْ شَجَانِي بِمَا فِي الْكُتُبِ
كِتَابُكَ قَدْ زَادَنِي صَبُوءً وَأَسْعَرَ قَلْبِي بِحَجْرٍ اللَّهَبِ
فَهَبْنِي ، نَعَمْ ، قَدْ كَتَمْتُ الْهُوَى فَكَيْفَ بِكَيْمَانِ دَمْعٍ سَرَبِ
وَلَوْلَا اتِقَاؤُكَ ^(١) يَا سَيِّدِي لَوَافَتَكَ بِي النَّاجِيَاتُ النَّجِبِ

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ خادما على البريد حتى حدرها إلى بغداد في الفرات ، وأمر المغنين فغنوا بهذا الشعر .

دخل أبو حفص الشطرنجي ^ش على يحيى بن خالد ، وعنده ابن جامع ، وهو يلقي على دنانير صوتا ، أمره يحيى بإلقائه عليها ، فقال لأبي حفص : قل في دنانير بيتين يُغنى بهما ابن جامع ، ولك بكل بيت مائة دينار - إن جاء كما أريد . فقال أبو حفص :

أَشْبَهَكَ الْمَسْكُ وَأَشْبَهْتَهُ قَائِمَةٌ فِي لَوْنِهِ قَاعِدَةٌ
لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمَا وَاحِدٌ أَنْكَا مِنْ طَيِينَةٍ وَاحِدَةٌ

فأمر له يحيى بمائتي دينار ، وغنى فيهما ابن جامع .

غضب الرشيد على عُمَيَّة فأمرت أبا حفص شاعرَها أن يقول شعرا يعتذرُ عنها
ويسأله الرضا عنها . فقال :

لو كان يمنع حسنُ العقلِ صاحبه من أن يسكون له ذنبٌ إلى أحدٍ
كانت عُمَيَّةُ أبرا الناس كلهمُ من أن تكافأ بسوءِ آخرِ الأبدِ
مالي إذا غبتُ لم أذكر بواحدة وإن سَقَمْتُ وطال السُّقْمُ لم أَعِدِ
ما أصعبُ^(١) الشيءَ تجوهُ فتُجرمه قد كنتُ أحسبُ أني قد ملأتُ يدي

فغنت بهم ، وألقت الغناء على جماعةِ جوارى الرشيد ، فغنيته إياه في أول
مجلس ، فبعث إليها فحضرت وقبالت رأسه واعتذرت فقبل عُذْرَها ، وسألها إعادة
الصوت ، فأعادته ، فبكي ، وقال : لا ، حسبه - أي : لا غضبتُ عليك أبدا
ما عشت .

قال أبو حفص الشطرنجيُّ : قال لي الرشيد يوما : يا حبيبي لقد أحسنتَ ما شئتَ
في بيتين قلمهما . قلت : وماها يا سيدي ؟ فن شرفهما استجسانك لهما ؛ قال : ها
قولك :

لم ألقِ ذا شَجْوٍ يَبُوحُ بِشَجْوِهِ^(٢) إلا حَسِبْتُكَ ذلكَ المَحبُوبَا
حَذراً عَلَيْكَ وَإِنِّي بِكَ وَائِقُ أَلَّا يَنَالَ سِوَايَ مِنْكَ نَصِيبَا
فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليسألي ، بل هما للعباس بن الأحنف . فقال : صِدْقُكَ ،
والله ، أَعْجَبُ إِلَيَّ وَأَحْسَنُ مِنْهُمَا حَيْثُ تَقُولُ :

إذا سرها أمرٌ وفيه مساءتي قضيت لها فيما تريد على نَفْسِي
وما مريومٌ أرتجى فيه راحةً فأذْكَرُهُ إلا بِكَيْتُ على أَمْسِي

(١) ما أعجب .

(٢) لم ألقِ ذا شجن يَبُوحُ بحبه (أغاني ١٩ : ٧٢) .

قال عبدُ الله بن الفضل : دخلت على أبي حفصِ الشطرنجِيِّ أَعُوذُهُ في عِلَّتِهِ التي
مات فيها ؛ جلست عنده ، فأشددني لنفسه :

ونادتك باسمِ سواك الخطوبُ	نعمي لك ظلَّ الشبابِ المشيبُ
فإن الذي هو آت قريبُ	فكن مستعداً لداءِ الفناءِ
تفني وتبقى عليها الذنوبُ	ألسن ^(١) ترى شهواتِ النفوسِ
فعاش المريض ومات الطيبُ	وقبلك داوى الطيبُ المريضَ
فكيف ترى حالَ من لا يتوبُ	يخاف على نفسه من يتوبُ

(١) ألسنا (أغاني) .

عبيدُ بن الأبرص^(١)

هو عبيد بن الأبرص بن جُشم بن عامر^(٢) بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث ابن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .
شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية - وجمله ابنُ سَلَّام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرنَ به طرفةً وعلقمةً بن عبدة وعديّ بن زيد .

قال أبو عبيدة : اجتمعتُ بنو أسد بعد قتلهم حُجر بن عمرو ، أبا امرئ القيس ابن حجر ، على امرئ القيس ابنه على أن يُعطوه ألفَ بعيرٍ ديةً أبيه ، أو يُقيدوه أيّ رجل شاء من بني أسد ، أو يمهّلهم سنة ؛ قال : أما الديةُ فما ظننتُ أنكم تعرّضونها على مثلي ، وأما القود فلو قيّد لي ألفُ رجل من بني أسد ما رضيتُهم ، ولا رأيتهم كفؤاً للحجر ، وأما النظرةُ فلنكم ، ثم إنكم ستعرفونني في فرسان قحطان أحكم ظبأ السيوف ، وشبا الأسنان حتى أشفي نفسي وأنال ثأري - فقال عبيد في ذلك :

ياذا الخوفنا بقة	ل أبيه إذلالا وحينما
أزعت أنك قد قتلت	ت سرّاتنا كذباً وميناً
هلا على حُجر بن أم ^(٣)	م قطام تبكي لاعلينا
إنّا إذا عض النقا	ف برأس صعدتنا لويتنا
نحمي حقيقةتنا وبه	ض الناس يسقط بين بيننا

(١) أغاني ١٩ : ٨٤ مهذب ٢/٢٠٣ .

(٢) ابن هر (جهرة الأنساب) .

(٣) في الأصل : قحطان ا - ب .

هَلَّاسَاتِ جُوعِ كَفِّ
أَيَّامِ نَضْرِبُ هَامَمِ
وَجَمِيعُ غَسَانِ الْمَلِ
نُحْفًا^(١) أَبَاطِلُهُنَّ قَدْ
نَحْنُ الْأَلَى فَاجْمَعْ جُوعِ
وَاعْلَمْ بِأَنْ جِيَادَنَا
وَلَقَدْ أَبْجَحْنَا مَا حَمِيدِ
هَذَا وَلَوْ قَدَّرَتْ عَلَيْهِ
حَتَّى تَنْوَشَكَ نَوْشَةَ^(٢)
نُفْلِي السَّبَاءِ بِكَلِّ عَا
وُنُهَيْفُ فِي لَدَاتِنَا
لَا يُدْرِكُ الْبَانِي أَنْ
كَمْ مِنْ رَيْسٍ قَدْ قَتَلَ
وَلرُبَّ سَيِّدٍ مَعَشَرِ
عَقْبَانُهُ بِظِلَالِ عِقْدِ
وَلَقَدْ تَرَكْنَا شِلْوَهُ
إِنَّا لَعَمْرُكَ مَا يَضَا
وَأَوَانِسُ مِثْلُ الدَّمَى

دَةَ يَوْمَ وَلَوْ أَيْنَ أَيْنَا
بِيَوَاتِرٍ حَتَّى انْحَنَيْنَا
لَكَ أَتَيْتُهُمْ وَقَدْ انْطَوَيْنَا
لِقَائِنَ أَسْفَارًا وَأَيْنَا
عَكَ ثُمَّ وَجَّهَهُمْ إِلَيْنَا
أَلَيْنَ لَا يَقْضِيَنَّ دِينَنَا
تَ وَلَا مُبِيعَ مَا حَمِينَا
كَ رِمَاحُ قَوْمِي مَا انْتَهَيْنَا
عَادَاتِهِنَّ إِذَا انْقَوَيْنَا
تَقِيَّةَ شَمُولٍ مَا حَوَّوْنَا
عُظْمَ التَّلَادِ إِذَا انْتَشَيْنَا
يَرْفَعُ دَعَائِمَ مَا بَنَيْنَا^(٣)
نَاهُ وَضَيْمٍ قَدْ أَيْدِنَا
ضَخْمَ الدَّسِيمَةِ قَدْ رَمَيْنَا
بِيَانٍ تَيْمَمُ مِنْ نَوَيْنَا
جَزَرَ السَّبَاعِ وَقَدْ مَصَّيْنَا
مُ حَلِيفُنَا أَبَدًا لَدَيْنَا
حُورُ الْعِيُونِ قَدْ اسْتَبَيْنَا

(١) في المهدب (لحقاً) أى قد لحقت الخواصر بالأصلاب. والأين : الإعياء .

(٢) في الأصل : ييوسك بؤسه . وهذه عن الأغاني .

(٣) رواية المهدب : لا يبلغ الباني ولو رفع الدعائم ما بيننا

كان المنذرُ بن ماء السماء قد نادَمَه رجلاَن من بني أسد ؛ أحدهما خالدُ بن المصَلَّل ،
والآخر عمرو بن مسعود بن كَلْدَةَ ، فأغضباه في بعض المنطق ، فأمر بأن يُحْفَر
لسكل واحدٍ حُفْرَةٌ في ظهر الحيرةِ ، ثم يجملان في تابوتَيْن ويُدْفنان في الحُفرتين ،
فَفِعِل ذلك بهما ، حتى إذا هو أصبح سأل عنهما ، فأخبر بهِلا كهما فنَدِمَ على ذلك
وهَمَّ ، وفيهما يقول شاعرُ بني أسد :

يا قبرُ بين قبور^(١) آل مُحَرِّقٍ جادت عليك رواعدُ وبروقُ
أما البكاءُ فقلَّ عنك كثيرُهُ ولئن بكيت فبالبكاءِ خليقُ

ثم ركب المنذرُ حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغريبتين^(٢) عليهما ، فُبِنيا وجمل
لنفسه يومين من السنة ، يجلس فيهما عند الغريبتين سَمى أحدهما يومَ نعيمٍ والآخرَ
يومَ بؤس . فأولُ من يطأُ عليه يومَ نعيمه يعطيه مائةً من الإبل سوداء ، وأول
من يطأُ عليه يومَ بؤسه يعطيه رأس ظربان أسود^(٣) ، ثم يأمر به فيذبح ويُفَرَى
بدمه الغريبان . فليث بذلك بُرْهَةٌ من دهره .

ثم إن عبيد بن الأبرص كان أول من أشرفَ عليه يومَ بؤسه . فقال : هلا كان
الذبح لغيرك يا عبيد ؟ فقال : أتتكَ بحائنٍ رجلاه . فأرسلها مثلا . فقال له المنذر :
أو أجَلُ بلغَ مداه .

ثم قال المنذر : أنشدني ، فقد كان شِعْرُكَ يُعْجِبُنِي . فقال : حال الجريضُ
دون القريض ، وبلغَ الحزامُ الطُّبْيَيْنِ . فأرسلها مثلا . وقال له بعض القوم :
هياتك أمك ، أنشد الملك . فقال : وما قولُ قائلٍ مقتولٍ ؟ فأرسلها مثلا .

(١) في الأصل : تقرأ يا فير ويفور .

(٢) الغريان مثني غري وهو البناء الجيد وهما بناءان مشهوران كانا قرب الحيرة .

(٣) في الأصل : ضربان وهذا بالصواب أشبه .

وقال له آخر : ما أشدَّ جَزَعَكَ من الموت ! فقال : لا يَرَحُلُ رَحْلَكَ من ليس معك .
فأرسلها مثلاً . فقال المنذر : قد أَمَلَّتَنِي فَأَرِحْنِي قَبْلَ أَنْ أَمُرَ بِكَ . فقال عبيد :
من عَزَّ بَزًّا . فأرسلها مثلاً . فقال له المنذر : أنشدني قولك :

أقفر من أهله ملحوب

فقال :

أقفرَ من أهله عبيدُ واليومَ لا يُبدي ولا يُعيدُ

فقال له المنذر : ويحك يا عبيد !! أنشدني قبل أن أذبحَكَ . فقال عبيد : والله
إن مِتُّ ما ضَرَّني ، وإن عشت ما عشتُ في واحدٍ . فقال له المنذر : إنه لا بدَّ
من الموتِ ، ولو أن النعمانَ عرضَ لي في يومِ بؤسٍ لذبَحْتُهُ ، فاختر إن شئت الأكل ،
وإن شئت الأجل ، وإن شئت الوريد . فقال عبيد : ثلاث خصالٍ كسحاباتٍ عادٍ ،
وارِدُها شرٌّ وارِدٌ ، وحاديها شرٌّ حادٌ ، ومعادُها شرٌّ معادٌ ، ولا خيرَ فيها من المرءِ نادٍ ،
وإن كنتَ لا محالةَ قاتلي فاسقِي الخمرَ حتى إذا ماتت مفاصلي ، وذَهَلَتْ لها ذواهلي ،
فشأنُكَ وما تريد . فأمر له المنذر بحاجته من النبيذ ، حتى إذا أخذت منه ، وطابت
نفسه ، دعا به المنذر ليقبله فلما مثل بين يديه أنشد يقول :

وخيرَني ذو البؤسِ في يومِ بؤسِهِ خصالاً أرى في كلها الموتَ قد برَقَ
كما خيرتَ عادٌ من الدهرِ مرَّةً سحائبَ ما فيها لذى خيرَةٍ أبْقُ
سحائبُ رِيحٍ لم تُوكَلْ ببلدةٍ فتتركها إلا كما ليلَةَ الطلِّقِ

فأمر به المنذر ففصِد فلما مات غرَّي بدمه الغريَّان ، فلم يزل كذلك حتى مرَّ به
رجل من طيء ، يقال له حنظلةٌ من بني عفرَاء . فقال له : أبيتَ اللعن ، إني والله
أنتبُك سائراً ، ولأهلي من خيرِك ماأرا ، فلا تكن ميرتُك قتلي . فقال له :
لا بد من ذلك ، فاسألني حاجتَكَ أقضها لك . فقال له : تُوجِّئني سنةً أرجعُ فيها
إلى أهلي وأحكمُ من أمرهم ما أريد . ثم أصيرُ إليك فتنفذَ في أمرِك . فقال :

وَمَنْ يَكْفُكُ حَتَّى تَعُودَ ، فَنظَرُ فِي وَجْهِهِ جُلُوسَاتِهِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرٍو
أَبَا الْحَوْفِرَانِ بْنِ شَرِيكَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يا شريك يا ابن عمرو
يا شريك يا ابن عمرو
يا أخا شيبان فُكَّ الـ
يا أخا كلِّ مضافٍ
إِن شيبان قَبِيلٌ
وأبوك الخَيْرُ عمرو
وقبال القوم في المَجْزِ
ما مِنْ المَوْتِ مَحَالَهُ
يا أَخَا مَنْ لا أَخَا لَهُ
يَوْمَ رَهْنًا قَدِ أُنِي (١) لَهُ
وَحَيًّا مِنْ لا حَيًّا لَهُ
أَكْرَمَ اللهُ رِجَالَهُ
وَشَرَّاحِيْلُ الْجَمَالِ
دُوفِي حَسَنِ المَقَالِ

فوثب شريك فقال : أبيت اللعن يدي بيده ، ودي بدمه ، إن لم يعد إلى أجله ، فأطلقه المنذر . فلما كان من قابلٍ جلس في مجلسه ، ينتظر حنظلة أن يأتيه فأبطأ ، فأمر بشريك فقرَّب ليقتله . فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم ، فتأمَلوه ، فإذا هو حنظلة قد طلع مُتَكَفِّئًا متحنطًا ، معه نادبةٌ تندُّ به وقد قامت نادبة شريك تندُّ به . فلما رآه المنذر عَجِبَ من وفأهما وكرمهما فأطلقهما ، وأبطل تلك السنة :

وعبيد القائل يخاطب حجرا أبا امرئ القيس :

أبلغ أبا كَرَبٍ عني وإخوتَه
لأعرفنك بعد الموت تندُّ بني
إن أمامك يوماً أنت مدرِكُه
فانظر إلى ظلِّ مُلِكٍ أنت تارِكُه
الخير يَبْقَى وإن طال الزمانُ به
قولا سيذهب غوراً بمدِّ إنجادِ
وفي حياتي ما زودتني زادي
لا حاضرٌ مفلتٌ منه ولا بادي
هل تُرسين أو أخيه بأوتادِ
والشرُّ أخبثُ ما أوَعيت من زادِ

(١) أنى : حان وقته .

قال سيف الكاتب : وليت ولاية ، فررت بصديق لي في بعض المنازل ، فنزلتُ به ، فلنا من الطعام والشراب ، ثم غلب علينا النبيذُ فقمنا ، فانتهت من نومي ، وإذا بكبٍ قد دخل على كلبِ الرجل فجعل يبشُّ به ويسلمُ عليه ، ولا أنكر من ذلك منهما شيئاً - ثم جعل الكلبُ الداخلُ عليه يجره على طريقه وطول شعره - ثم قال له : هل عندك شيء تطعمنيه فقال : قد بقي لهم في موضع كذا وكذا طعامٌ ليس عليه شيء . فذهبا إليه فكنت أسمع ولوغهما فيه - ثم سأله نبيذا فقال : نعم ، لهم نبيذٌ في إناء ليس عليه غطاء ، فذهبا إليه ، ثم شربا منه . ثم قال له هل تطربُني بشيء ؟ قال : إي وعيشك ، صوتُ كان أبو يزيد يغنيه فيُجيدُه ، ثم غناه في شعر عبيد الأبرص :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي لآلِ أسماء لم يُلمِمَ بميعاد
إني اهتديت لركب طال سيرهم في سبَسبِ بين ذكوالٍ وأعتادِ

فلم يزل يُغنيه هذا الصوتَ ويشربان مَلِيًّا حتى فَنِيَ ذلك النبيذ . ثم خرج الكلبُ الداخلُ ، ونخفت على نفسي أن أذكر ذلك لصاحبِ المنزل فأمسكتُ ، وما أذكر أني سمعتُ أحسنَ من ذلك الغناء .

عُبَيْدَةُ الطَّنْبُورِيَّةُ (١)

من المحسنات المتقدّماتِ في الصنعةِ والآدابِ . وكانت من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم صوتاً .

وكانت لا تخلو من عشق . ولم تُعرف قط امرأةٌ أعطر (٢) منها .

قال جحظة - وهب لي جعفرُ بن المأمون طنبورَ عبيدة ، فإذا عليه مكتوب بالأبنوس : « كل شيء - سوى الخيانة - في الحبُّ يُحتملُ » .

قال علي بن الهيثم الزبيدي :

كان إسحاقُ بنُ إبراهيم الموصلي يألُفني ويدعوني ، فر بي يوماً وأنا مُشرفٌ من جناحٍ لي ، فوقف عليّ وقال لي : هل تنشط اليوم للمصير إلى . فقلت : ما على وجه الأرض أحدٌ أحبُّ إلي من ذلك . ولكنني أخبرك بقصتي ، ولا أكتُم منها شيئاً . فقال : : هاها . فقلت : عندي اليوم عمرو بن مسعدة وهارونُ بن أحمد بن هاشم ، وقد دعونا عبيدة الطنبورية ، وهي حاضرةٌ ، والساعة يجيء الرجالان ، فامض في حفظ الله ، فإنني أجلسُ حتى تنقظم أمورهم وأروحُ إليك . فقال لي : هلا عرضت عليّ اللقائم عندك ؟ فقلت : لو علمتُ أن ذلك مما تنشطُ له لرغبنا إليك فيه . فإن تفضلتَ بذلك كان أعظمَ لمننتك . قال : افعل ، فإنني كنتُ أشتهي أن أسمع عبيدة ، ولكنني لي عليك شريطةٌ . فقلت : هاها قال : إنها إن عرفتني وسألتوني أن أغني بحضرتها لم يخفَ عليها أمرى ، وانقطعت ، ولم تصنع شيئاً ، فدعوها على جهلها . فقلت : افعل ما أمرتُ به . فنزل وردّ دابته ، وعرفتُ صاحبي ماجرى ، فكئامها أمره ، فأكلنا ما حضر وقُدّمَ النبيذُ فغنت لنا لها :

(١) الأغاني : ١٩ : ١٣٤ .

(٢) في الأصل ١ - ب أعطس وفي الأغاني (أعطر) .

قريبٌ غيرُ مقربٍ ومؤتلفٌ كمجتنبٍ
له وُدِّي ولى منه دواعي الهمِّ والكربِ
أواصلُهُ على سببٍ ويهجُرُنِي بلا سببٍ
ويظلمُنِي على ثقةٍ بأن إليه مُنقلَبِي

فطرب إسحاق وشرب نصفًا ، ثم غنّته وشرب ، ولم يزل كذلك حتى والى بين عشرةِ أنصافٍ ، وشربناها معه ، وقام ليصلي ، فقال لها هارون بنُ أحمد : ويحك يا عبيدة ، ما تُباليين متى مت ؟ قالت : ولم ؟ قال : أتدريين من المستحسنُ غناءك والشاربُ عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله . قال : إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فلا تُعرِّفيه أنك قد عرفته . فلما جاء إسحاق ابتدأت تغني فلحقها هيبه له واختلاط ، فنقصت نقصًا بينا . فقال لنا : أعرِّفتموها من أنا ؟ فقلت : نعم ، عرفها إياك هارون بنُ أحمد . فقال إسحاق : تقوم إذا فننصرف ، فإنه لا خير في عشرتك الليلة ، ولا فائدة لي ولا لكم ، وانصرف .

وكانت عبيدة بنتُ رجل يُقال له صباح مولى بن السمراء الغسانی^(١) وأبو السمراء أحد العشرة الذين وصلهم عبد الله بن طاهر في يوم واحد ، لكل رجل منهم مائة ألف درهم .

وكان الزبيدي الطنبوريُّ أخو فطين العمياء يختلفُ إلى أبي السمراء ، فإذا لم يصادفه أقام عند صباحِ أبي عبيدة ، وبات وشرب وغنى وأنس . وكان لعبيدة صوتٌ مديد ، وطبعٌ جيد ، فسمعتُ غناء الزبيدي ، فوقع في قلبها واشتهته ، وسمع الزبيديُّ صوتها ، وعرف طبعها ، فطمعها ، وواظب عليها ، ومات أبوها ، ورقَّت حالها ، وقد حدّقت على الغناء على الطنبور ، فخرجت تغني وتقعع باليسير .

(١) في الأصل ا - ب المغاني - وفي الأغاني الغسانی .

وكانت مليحةً مقبولةً خفيفة الروح فلم يزل أمرها يزيد حتى تقدمت وكبرَ حظُّها واشتهاها الناس ، ورغب فيها الأحداث الفتيان .

وكان أول من تمسَّتها على بن الفرَج البُرْجُمي أخو عمرو ، كان حسن الوجه ، كثير المال . ثم ولدت منه بنتا فحببها إلى حد^(١) ذلك ، وكانت تحتال في الأوقات بعلَّة الحَمَام وغيره فتلم بمن^(٢) كانت توده ويودها ، ثم ماتت بنتها ، وصادف ذلك نكبة البرجُمي وأهله واختلال أحوالهم فطلَّقها ؛ فخرجت فسكانت تخرج بدينارين في النهار ، ودينارين في الليل ، ونزات بعضَ دور أبي السمراء ، وتزوجت أمها بوكيل له ، فتعمَّقت غلاما من آل حمزة بن مالك يقال له شراخ ، وهو صاحب سابط شراخ يبعدها وكان يعنى بالمعرفة غناء مليحا ، وكان حسن الوجه لا عيبَ فيه إلا أنه كان مُتَغَيِّرِ النكبة ، وكانت شديدة العُلْمَة ، وكانت لا تحرم أحدا ، ولا تكترهه ، من حدالكهول إلى الطفل ، حتى تمسقت شابا يعرف بأبي كرب بن الخطاب^(٣) متدلى الوجه أفضس قبيح الأدمة ، فقيل لها : أى شئ رأيتِ في أبي كرب؟ فقالت : قد تمتعتُ بكل حَسَنٍ من الرجال إلا السودان ، فإن نفسى تنبهم . وهذا بين الأسود والأبيض ، وبيته خالٍ لما أريد ، وهو وكيلي إذا أردت ، وصفعاني إذا أردت .

وكان لها غلام يضرب عليها يقال له على ، ويلقب طيز عبيدة ، وكانت إذا اختلت في البيت وشبقت اعتمدت عليه . وقالت : هو بمنزلة بغل الطحان يصلحُ للحَمَل والطحنِ والرُكوبِ .

وماتت عبيدة من نَزَفِ أصابها . وأفرط حتى أنلفها .

وكان إسحاق يقول : الطنبورُ إذا جاوز عبيدة هَديان .

(١) لأجل ذلك (الأغاني) .

(٢) في الأصل فتلته ثم . وما ذكر عن الأغاني .

(٣) في الأغاني : ابن أبي الخطاب .

عليُّ بن عبد الله بن جعفر^(١)

عليُّ بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

وأمه ولادة بنت الحجل بن عيينة بن سعيد بن العاص بن أمية ، شاعر ظريف حجازي .

وكان عمرُ بن الفرج بن البرجي يأتي من الحجاز إلى سُرٍّ من رأى مع جُملةٍ من الطالبيين ، أيام حج المنصور ، فحبسه المتوكلُ معهم ، لأنه كان شيخ القوم وكبيرهم .

قال علي بن عبد الله : فسكث في الحُبسِ ، فدخل علي رجلٍ من الكتاب يوماً ، فقال : أريد هذا الجعفريَّ الذي تديت في شمرة ، فقلت : أنا هو . فمدل إلي وقال لي : جعلتُ فداك ، أحب أن تنشدني بيتيك اللذين تديت^(٢) فيهما فأنشدهته :

ولما بدا لي أنها لا تريدني وأن هواها ليس عني بمُنجلي

تمنيت أن تهوى سواي لعلها تذوق حراراتِ الهوى فترقُّ لي

فكتبتهما ؛ ثم قال لي : اسمع ، جعلت فداك بيتين قلتها في الغيرة . فقلت :

هاتهما فقال :

ربما سرتني صدودك عني في طلايبك وامتناعك مني

حذراً أن أكون مفتاحَ غيري فإذا ما خلوتُ كنتَ اليمنى

(١) الأغانى ١٩ : ١٤١ .

(٢) في الأصل تديب وتديت وهذا التصويب عن الأغاني .

ومن شعر علي بن عبد الله بن جعفر قوله :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخراً عنه ولا متقدماً
أجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك فليكني اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهمو
وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن بكرم

عينته بن مرداس^(١)

هو أحد بني كعب بن عمرو بن تميم .

شاعرٌ مُؤَلِّ غير معدود في الفحول ، مخضرم ، أدرك الجاهليةَ والإسلام . هجاءٌ خبيث اللسان ، معروفُ المرّة في جاهليته وإسلامه .

وإبنُ فسوةَ لقب لزمه في نفسه ، ولم يكن أبوه يُلقَّب فسوةَ وإنما لقب هو به . والسبب في ذلك أن عيينةَ كان فاحشا كثيرَ الشرِّ فأقبل ابنُ عم له من الحج ، وكان من أهل بيتٍ منهم ، يقال لهم بنو فسوة . فقال له عيينة : كيف أنت يا ابن فسوة ؟ فوثب مُغَضِّبا ، فركب راحلته ، وقال : بئس والله ، ما حيئتَ به ابنَ عمك ، قدم عليك من سَفَرٍ ، ونزل دارك . فقام إليه عيينةُ مستحجيا ، فقال : لا تغضب ، يا ابن عم ، فإنما مازحتك . فأبى أن ينزل - فقال له : انزل ، وأنا اشترى منك هذا الاسم ، فأتسمى به . وظنَّ أن ذلك لا يضرّه . فقال : لا أفعل أو تشتريه بمحض من المشيرة . قال : نعم . فجمعهم وأعطاهم بُرداً وحللاً وكبشا وقال لهم عيينةُ : اشهدوا أني قبلتُ هذا اللقب وأنقذتُ الثمن ، وأنا ابن فسوة ، فزالت عن ابن عمه يومئذ ، وغلبت عليه ، وعمراً طويلاً .

وكان أوصف الناس للإبل :

أنى عيينةُ بن مرداس عبد الله بن عباس ، وهو عاملُ لعل بن أبي طالب ، رضى الله عنهما ، على البصرة ، وتحتَه شَمِيلَة بنت جنادة^(٢) بن أبي أزره الزهرانية وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السُّلَمي ، فاستأذن عليه فأذن له . وكان لا يزال يأتي

(١) الأغاني : ١٩ : ١٤٣ . مهذب الأغاني ٢ : ١٥٥ .

(٢) في الأصل جناكره والتصويب عن الأغاني .

أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ، ويخافون لسانه ، فلما دخل على ابن عباس قال له : ما جاء إليك يا ابن فسوة ؟ قال : وهل عنك معدى ؟ جئتك لتعيني على مروءتى ، وتصل قرابتي . فقال له ابن عباس : وما مروءة من يمصى الرحمن ؟ ويقول الطغيمان^(١) ويقطع ما أمر الله به أن يوصل ؟ والله إن أعطيتك لأعتك على الكفر والطغيمان والمعيان . انطلق فأنا أقسم بالله إن بلغنى أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعن لسانك . فأراد الكلام ، فمنعه من حضر . وحبسه يومه ذاك ، ثم أخرجه من البصرة فوفد إلى المدينة بعد قتل علي كرم الله وجهه . فلقى الحسن ابن علي ، وعبد الله بن جعفر ، رضى الله عنهما ، فسألاه عن خبره مع ابن عباس ، فأخبرها فاشترى عرضة منه بما أرضاه . فقال يمدحهما ويلوم ابن عباس من قصيدة :

أثبتُ ابنَ عباسٍ فلم يقض حاجتي	ولم يرجُ معروفى ولم يحشْ مُنكرى
حُستُ فلم أنطقْ بعدرٍ لحاجةٍ	وشد خصاص البيت من كل منظرٍ
وجئتُ وأصواتُ الخصوم وراءه	كصوتِ الحمام فى القليبِ المغورِ
وما أنا إذ زاحمتُ مصراعَ بابِه	بذى صَوْلَةٍ ضارٍ ولا بجَزْوَرِ
ولو كنت فى زهران لم تنس حاجتى	ولكننى مولى جميل بن مَعَمَرِ
وبانت لعبد الله من دون حاجتى	شميلة تلهو بالحديث المُقْتَرِ
فليتَ قلوبى عُريت أو رحلتها	إلى حسنٍ فى وكرة وابن ^(٢) جعفرِ
إلى ابن رسولِ الله يأمرُ بالتقى	وبالدين يدعو والكتابِ المُطَهَّرِ

وقدم على عبد الله بن عامر بن كرز ، وكان جوادا ، فلما استؤذن له عليه أرسل

(١) الپهتان (أغانى - مهذب) .

(٢) فى الأغانى : داره - وابن جعفر ، وكانت فى الأصل : وأبى جعفر .

إليه : إنك والله لا تسأل بحسب ولا دين ولا منزلة ولا أرى لرجل من قريش شيئاً أو يأمر به [أن يعطيك]^(١) فقال ابن فسوة :

وكأن تخطت ناقتي وزميلها^(٢) إلى ابن كرز من نحوس وأسمد
وأعبر مسحول التراب ترى له حباً طردته الريح من كل مطرد
لعمرك إني عند باب ابن عامر لكالظبي عند الرمية المتردد
فلم أريوما مثله إن تكشفت ضابته عني ولم أفيده

فبلغ قوله ابن عامر نحاف لسانه ، وما يأتي [به] بمد هذا فلان ورجع ،
وأحسن القوم رفته ، وقالوا : هذا شاعر وفارس وشيخ من شيوخ قومه واليسير
يرضيه فقال : ردوه فردوه فقال : ياعيينة ! اردد على ما قلت . فقال : ما قلت إلا خيراً
فقال : هاته قال : فقلت :

أتعرف رسم الدار من أم معبد فيائك من شوق وياك عبرة
وكأن تخطت ناقتي وزميلها^(٢) نعم فرماك الشوق قبل التجلدي
سوابقها مثل الجمان المبدد إلى ابن كرز من نحوس وأسمد
فتي يشترى حسن الثناء بماله ويعلم أن المرء غير مخلص
إذا ما ملأت الأمور اعترينه^(٣) تجلي الدجى عن كوكب متوقد

فتبسم ابن عامر ، ثم قال : لعمرى ما كذا قلت ، ولكنه قول لسنا^(٤) نتقيه ،
وأعطاه حتى رضى ، وانصرف .

(١) في مهذب الأغاني : « وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئاً فأمر به فلـكـز وأهين قال »

(٢) في الأصل : (وكأن نخطب يا فتى ودمثلها) وما أنبتناه عن الأغاني .

(٣) اعتلته .

(٤) مستأف (أغاني) .

وكان عبد الله بن عامر بن كريز قد تزوج أخت بشر بن كهف أحد بني خزاعة ابن مازن ، وكان أثيراً عنده ، واستعمله على الحمى ، فسأله ابن فسوة أن يرعيه ، فأبى ومنعه ، وطرد إبله ، فقال في ذلك :

ومن يك أرعاه الحمى أخوانه
فألى من أخت عوانٍ ولا بكرٍ
وما ضرها أن لم تكن رعت الحمى
ولم تطلب الخير الممنوع من بشر^(١)
فإن تمنعوها^(٢) من حماكم فإنه
مباح لها ما بين أنبطن^(٣) فالكدر
إذا ما امرؤ أثنى بفضل ابن عمه
فلعنة رب العالمين على بشر

كان ابن فسوة قد نزل ببني سعد بن مالك ، من بني قيس بن ثعلبة ، وبات بهم ، وبعث جارية له يقال لها حوراء ، فسرقوا عيية له فيها ثيابُه وثيابُ جاريته ، فرحل عنهم ، فلما عاد إلى قومه أعلمهم بما فعله به بنو سعد بن مالك ، فركب معه فرسان منهم حتى أغاروا على إبل لبني سعد ، فأخذوا منها صرمةً فاستاقوها ، ودفعوها إليه ، فقال يمدح قومه ويهجو بني سعد :

جزى الله قومي من شفيحٍ وشاهدٍ
جزاء سليمان النبي الكرم
هو القوم لا قوم ابن دارة سالمٍ
ولا ضابئٍ إن أسلما شرَّ مسلمٍ
وما عيبة الحوزاء إذ غدرت بها
سراة بني قيس بسيرٍ مكرمٍ
إذا ما لقيت الحمى سعد بن مالك
على زمٍّ فانزل خائفاً أو تقدّم

(١) بعده :

متى ما نحا يوماً من المال وارثي
يجد قبض كف غير ملائى ولا صفر
يجد ماهرة مثل القناة طمرة
وعضبا إذا ما هز لم يرض بالهبر
(أغانى)

(٢) فإن تمنعوا منها (أغانى)

(٣) أنبطن بوزن أمد وأحد موضع في ديار كلب بن وبرة .

أناس أجارونا فكان جوارهم
لقد دُنِّتْ أَعْرَاضُ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ
لَهُمْ نِسْوَةٌ طَلَسُ الثِّيَابِ مُوَاجِئُ
إِذَا أَيْتُ قَنِسِيَّةً بِمَدِّ بَعْلِهَا
تَمْشَى قَرِيشٌ بَيْنَهُنَّ مُقَابِلًا (١)
إِذَا رَاحَ مِنْ أَيْمَاتِهِنَّ كَأَنَّهَا
شِعَاعًا كَلْحَمِ الْجَازِرِ الْمُتَقَسِّمِ
كَأَنَّ دُنِّتَ رِجْلِ الْبَغِيِّ مِنَ الدَّمِ
يُنَادِينَ مِنْ يَبْتِغَى قِرْدًا بِدَرِّهِمْ
وَكَانَ لَهَا جَارٌ فَلَيْسَتْ بِأَيْمٍ
بِأَيْرِ كَأَيْرِ الْأَحْجَرِيِّ (٢) الْحَرَمِ
طَلَيْتُ بِتَنُومٍ قَفَاهُ وَخَمِخِمِ

(١) يمشى ابن بشر بينهما مقابلا (أغاني) .
(٢) الأرجعي الحزمي (أغاني) .

عبد الله بن العجلان النهدي^(١)

هو عبد الله بن العجلان بن الأحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد ابن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة .

شاعر جاهلي ، أحد المتيمين [من الشعراء] ومن قتله العشق منهم .
وكانت زوجته يقال لها هند ، فطلقها ، ثم ندم على ذلك فزوّجت غيره فمات أسفاً عليها .

وكان سيدياً في قومه وابن سيّد من ساداتهم .
وكان أبوه أكثر بني نهد مالا .

وكانت امرأته هند من قومه ، وكانت أحبّ الناس إليه ، وأحظاهم عنده ، فبقيت معه سنين سبعا ، أو ثمانيا ، لم تلد . فقال له أبوه : إنه لا ولد لي غيرك ، ولا ولد لك . وهذه المرأة عاقر فطلقها ، وتزوّج غيرها ، فأبى ذلك عليه ، فألّى لا يكلمه حتى يطلقها . فأقام على أمره ثم عمّد إليه يوماً ، وقد شرب الخمر حتى سكر ، وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه : أن صرّ إليّ . فقالت له هند : لا تمضّ إليه ، فوالله ما يريدك خير ، وإنما يريدك لأنه بلغه أنك سكران فطمع فيك أن يقسم عليك فتطلقني ، فنمّ مكانك ولا تمض . فأبى وعصاها وتعلّقت بثوبه فضربها بمسواك ، فأرسلته . وكان في يدها زعفران فأثر في ثوبه مكان يدها ، ومضى إلى أبيه ، فعاوده في أمرها ، وجمع عليه مشيخة الحىّ وفتيانهم فنالوه بالسنتهم ، وعيروه بشغفه بها وضعف حزمه ، ولم يزالوا به حتى طلقها . فلما أصبح أخيراً بذلك ، وعلمت به هند فاحتجبت عنه ، وعادت إلى أبيها . فأسف عليها أسفاً شديداً .

(١) الأغاني ١٩ : ١٠٢ .

فلما عادت إلى أبيها خطبها رجل من بني مُنَمِّر فزوجها أبوها منه ، فبني بها عندهم .
وأخرجها إلى بلده ، فلم يزل عبدالله دَنِفًا سقيًا ، يقول فيها الشعر ويبيكها حتى مات ،
أسفا ، وعرضوا عليه فتياتِ الحَيِّ جميعا فلم يقبل واحدة منهن .

وقال في طلاقها :

فأرقتُ هنـدا طائـما	فندمتُ عند فراقها
فالعينُ تـذرفُ دمـمها	كالدر في آماقها
مُحَلِّياً فوق الرداء	يجول من رَقاقها
خُود رَداحُ طفلةٌ	ما الفحشُ من أخلاقها
ولقد أَلدُّ حديثها	وأمرٌ عند عناقها

[وفي هذه القصيدة يقول] (١) :

أن كنت ساقية بيد	ل الأدم أو بحقاقها
فأسقى بني نهد إذا	شربوا خيارَ زقاقها
فالحيلُ تعلم كيف ألد	حَقَّقها غداة لحاقها
بأسنَّةِ زُرُقٍ صَبَحَـ	نا القومَ حدَّ رِقاقها
حتى ترى قَصْدَ القنـا	والبيضَ في أعناقها

قالوا : ولما طلق عبدُ الله هندا تزوجها رجل من بني عامر ، وكان بينهم وبين
نَهْدٍ مُناوراتٌ فجمع بنو عامر مرَّةً لبني نهد ، فقالت هندُ امرأةَ عبدِ الله بنِ العجلان ،
التي كانت ناكحاً فيهم ، لعلام فقيرٍ من بني عامر : هل لك في خمس عشرة ناقةً
على أن تأتي قومي فتُنذِرهم قبل أن تأتيهم بنو عامر . فقال : أفعل ، فحَمَلتُه على ناقةٍ
لزوجها ناحيةً وزودته تماًرًا ووطبًا من لبن . فركب وجدَّ في السير ، وفني اللبن
وأناهم ، والحى خُوفٌ ، في عَزْوِ مرَّةٍ ، فنزل بهم ، وقد يبس لسانُه ، فأمر خراشُ

(١) ما بين القوسين عن الأعاني .

ابن عبد الله بلبن وسَمْنٍ فَسَخَّنَ ، وسقاه إياه ، فأقبل لسانه ، وتسكلم ، فقال لهم :
أنا رسول هند إليكم تَنْذِرُكُمْ ، فاجتمع بنو نهد ، واستعدوا ، وواقفهم بنو عامرٍ
فلقوهم على الخليل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو عامر ، وقال عبد الله
ابن العجلان في ذلك شعرا .

ولما اشتد ما به من السَّقمِ خرج سرا من أبيه ، مخاطرا بنفسه ، حتى أتى أرضَ
بني عامر ، لا يرهبُ ما بينهم من الشر ، حتى نزل ببني نمر ، وقصد خباء هند ،
فلما قاربه رآها وهي جالسةٌ على الحَوْضِ وزوجها يزود الإبلَ عن مائه ، فلما نظر إليها
ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره ، وأقبل يشتمُّ إليها مُسرِّعا ، فأقبلت تشتمُّ إليه ،
واعتنقا وجملا يبيكان وينتجان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما . وأقبل
زوج هند لينظر ما حالهما ، فوجدهما ميتين .

وقيل : إن أباه خَوَّفَهُ من التفريرِ بنفسه ، ووعده أن يجتمع معهم في الشهر الحرام
بمكاظ أو بمكة ، وجاء الوقت ، وحج أبوه معه ، فنظر إلى زوج هند ، وهو يطوف
بالبيت ، وأثر كَفَّها في ثوبه بمخلوق^(١) ، فرجع إلى أبيه فأخبره بما رأى ، ثم سقط
على وجهه فمات .

قال ابن سيرين : وما سمعتُ أحداً مات من المشق غير هذا .

ومن جيد شعره فيها :

ولا تأمنا من دارِ ذى لطفِ بمدا	خليلٍ زورا قبلَ شَحَطِ النَّوى هندا
أعمىً يلاقى فى التَّعَجُّلِ أم رُشدا	ولا تعجلا لم يَدُرْ صاحبُ حاجة
وإن لم تكن هندٌ لوجْهِكما قَصدا	ومرّاً عليها بآرك الله فيكما
ولكننا جُزْنا لنلقاكمُ عمدا	وقولا لها ليس الطريقُ أَجَازنا
وتردادُ دارى من دياركمُ بمدا	غدا يكن الباكون منا ومنكمُ

(١) المخلوق : ضرب من الطيب .

العُدَيْلُ بنُ الفَرَّخِ (١)

هو العُدَيْلُ بنُ الفَرَّخِ بنِ مَعْنِ بنِ الأَسْوَدِ بنِ عُرْوَةَ بنِ عَوْفِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ جَابِرِ
ابنِ ثَعْلَبَةَ بنِ شَيْبَةَ بنِ الحَارِثِ ، وهو العَبَابُ بنِ رَبِيعَةَ بنِ عَجَلِ بنِ لَجِيمِ بنِ صَعْبِ
ابنِ عَلِيِّ بنِ بَكْرِ بنِ قَاسِطِ بنِ هَنْبِ بنِ أَفْصَى بنِ دُعَيْمِ بنِ جَدِيلَةَ بنِ أَسَدِ بنِ رَبِيعَةَ
ابنِ نَزَارِ .

وكان العباب اسمَ كلبٍ للحارثِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ عَجَلِ ، فَلَقَّبَ بِاسْمِ كَلْبِهِ
وَعَلَّبَ عَلَيْهِ .

وكان عَجَلٌ من مُحَمَّمَتِي العَرَبِ ، قِيلَ لَهُ : إِنْ لَكُلِّ فَرَسٍ جَوَادٍ اسْمَا ،
وَإِنْ فَرَسِكَ هَذَا جَوَادٌ سَابِقٌ فَسَمِهِ . ففَقَأَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ وَقَالَ : سَمَيْتُهُ الأَعْوَرَ .

وفيه يقول الشاعر :

رَمَتْنِي بِنَوِ عَجَلٍ بِدَاءِ أَيْبِهِمْ وَهَلْ أَحَدٌ فِي النَّاسِ أَحَقُّ مِنْ عَجَلٍ
أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عَارِ عَيْنِ جَوَادِهِ وَسَارَتْ بِهِ الأَمْثَالُ فِي النَّاسِ بِالْجُهْلِ
وَالْعُدَيْلُ شَاعِرٌ مُقَلِّدٌ مِنْ شِعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ لَهُ ثَمَانِيَةٌ إِخْوَةٌ ، وَأُمَمُهُمْ
جَمِيعًا مِنْ بَنِي شَيْبَانَ .

فَمِنْهُمْ كَانَتْ مِنْهُمْ شَاعِرًا فَارِسًا : أَسْوَدُ وَسَوَادَةُ وَسَمَلَةٌ - وَقِيلَ : سَلَمَةٌ -
وَالْحَارِثُ ، وَكَانَ يُقَالُ لِأُمَمِهِمْ دَرْمَنَا .

وَكَانَ لِلْعُدَيْلِ وَإِخْوَتِهِ ابْنُ عَمٍّ يُسَمَّى عَمْرًا ، فَتَزَوَّجَ بِنْتِ عَمِّ لَهَا بَغِيرَ أَمْرِهِمْ (٢)

(١) الأغانى ٢٠ : ١١ - مهذب ٣ : ٢٢٦ .

(٢) فى الأصل عمرا من تيم (وما أنبتناه عن الأغانى والمهذب) .

فغضبوا فرصدوه ليضربوه ، وخرج عمرو ومعه عبد له يسمى دابغا فوثب العديلي وإخوته فأخذوا سيوفهم فقالت أمهم : إني أعوذ بالله من شركم . فقال لها ابنها الأسود : وأي شيء تخافين علينا ؟ والله لو حملنا أسيافنا على أهل الحنو ، حنو قرافر ، لما قاموا لنا . فانطلقوا حتى أتوا عمراً ، فلما رأهم ذعر منهم ، وناشدهم فأبوا ، فلما أبوا حمل عليه سواده فضرب عمراً ضربة بالسيف وضربه عمرو فقطع رجله فقال سواده :

الامن يشتري رجلاً برجلٍ تأتي للقيام فما تقوم

وقال عمرو لدابغ : اضرب وأنت حر . فحمل دابغ فقتل رجلاً منهم [وحمل عمرو فقتل آخر] وتداولاهم^(١) وصاولاهم فقتل منهم أربعة نفر ، وضربا العديلي على رأسه ، ثم تفرقوا وهرب دابغ حتى أتى الشام ، فداوى ربضة بن النعمان الشيباني للعديلي ضربته ، ومكث مدة ، ثم طرح عليه العديلي الرصد حتى إذا خرج دابغ ركب العديلي راحلته وهو متلثم ، فانطلق معه حتى لقيه خلف الركب يحدو بشعر العديلي :

يادار سلمى أقرت من ذى قار وهل ياقفار الديار من عار
وقد كسين عرقاً مثل القار يخرج من تحت ظلال الأوتار^(٢)

فلقية العديلي فبس عليه بعيره ، وهو لا يعرفه ، وسار رويدا ودابغ يمشي رويدا ، وتقدمت إبله وذهبت ، وإنما يريد أن يباعده عنها بوادي حنين - ثم قال العديلي : والله لقد استرخى حقب^(٣) رحلي ، انزل فأغبر الرحل وتميننى . فنزل وغير الرحل وجعل يمينه حتى إذا شد الرحل أخرج العديلي السيف وضرب به دابغا حتى برد . ثم ركب راحلته وأنشأ يقول :

(١) في الأصل : (واحتر وصار لاهم) وما أثبتناه عن الأغاني .

(٢) يخرج من تحت خلال الأوبار (أغاني) .

(٣) الحقب : الحزام الذي يلي حقو البعير .

ألم تَرِنِي جَلَّتْ بالسيف دابنا وإن كان ثارا لم يُصَبه غليل
بوادى حُنَيْنٍ ليلة البدر رُعبه بأبيض من ماء الحديد صَقيل
وقلت لهم هذا الطريقُ أَمَامكم ولم أكُ أن ساروا لهمُ بدليل

وكان المُدبِل هجا جُرثومة [العنزى الجلانى فقال فيه :

أهاجى بنى جلان إذا لم يكن لها حديث ولا فى الأولين قديم
فأجابه جرثومة فقال: ^(١)

إن امرءاً يهجو الكرام ولم ينل من النار إلا دابنا للثيم
ثم إن مولى دابغ استعدى على العديلِ الحجاجَ بن يوسف ، وطالبه بالقودِ ،
فهرب العديلُ من الحجاجِ إلى ملكِ الرومِ ، ولجأ إلى قيصر ، فأمنه فقال فى الحجاجِ :
ودون يدِ الحجاجِ من أن ينالني بساط لأيدى الناعجات عريضُ
مهامه أشباهُ كأن سرايها مُلأ بأيدى الغانيمات ^(٢) رحيضُ
فبلغ شعره الحجاجَ فكتب إلى قيصر : لتبعن به أو لأغزيتك جيشا يكون
أوله عندك وآخره عندى . فبعث به قيصر إلى الحجاج ، فقال له الحجاج لما دخل
عليه : أنت القائل :

ودون يدِ الحجاجِ من أن ينالني
فكيف رأيتَ أمكنَ الله منك ؟ قال : بل أنا القائلُ أيها الأمير :
إذا ذُكِرَ الحجاجُ أضمرتُ خيفةً لها بين أنباء الضلوعِ نَفِيسُ
فتبسم الحجاج وقال : أولى لك - وعفاعة [وفرض له] .

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٢) الراحضات (أغاني) . والرحيض المغسول من رخص الثوب إذا غسله .

خرج المديلُ يريد الحجاجَ ، فلما صار بيابه حجبته الحاجب ، فوثب عليه
المديل ، وقال له : لن يدخل على الأمير بعدَ رجالاتِ قريشٍ أكرمُ مني ولا أولى
بهذا الباب ، فنازعه الحاجبُ السلامَ فأحفظه ، وانصرف المديلُ إلى باب يزيدَ بن
المهلبِ ، فلما دخل عليه ، أنشأ يقول :

لئن أرتجَحَ الحجاجُ بالبُخلِ بابَه	فبابُ الفتى الأزديِّ بالعرفِ يُفتحُ
فتى لا يبالي الدهرَ ماقل ما له	إذا جعلت أيدى المكارم تسبحُ
يداه يذُ بالعرفِ تُنهبُ ما حوتُ	وأخرى على الأعداء تسطو وتجرحُ
إذا ما أتاه المُرْملون تيقنوا	بأن الفتى فيهم وشيكا سيَسرحُ
أقام على العافين حُرَّاس بابَه	ينادونهم والحُرُّ بالحُرِّ يفرحُ
هلما إلى سيب الأميرِ وعُرفِه	فإن عطاياه على الناس تفسحُ
وليس كعلج من ثمود بكفه	من الجود والمعروف جِذم مُطوحُ ^(١)

فقال له يزيد : عرضت بنا وخاطرت بدمك ، وتالله لا يصل إليك وأنت في
حَيْرِي ، فأمر له بخمسين ألفَ درهم ، وحمله على فرس ، وقال له : الحق بعلياؤ نجد
واحذر أن تَمَلِّقَكَ حبائلُ الحجاج أو تحتنك محاجنه وابعث إلى في كل عام ، ولك
مثلُ هذا ، فارتحل . وبلغ الحجاج خبره فأحفظه ذلك على يزيد وطلب المديلَ ففاته
وقال لما نجا بيته الضاديين :

ودون يد الحجاج

وبالغ الحجاجُ في طلبه فلفظته الأرض ، ونبا به كلُّ مكان هربا منه ، فأتى بكر
ابن وائل ، وهم يومئذ بادون ، فشكا إليهم أمره ، وفيهم بنو شيبان وبنو عجل
وبنو بكر ، وقال لهم : أنا مقتولٌ أقتسموني هكذا ، وأنتم أعز العرب ؟ فقالوا له :

(١) الجذم : الأصل والمنبت - وفي الأغاني : حزم مطرح .

لا والله ، ولكن الحجاج لا يرغم ، ونحن نستوهبك منه ، فإن أجابنا فقد كُفيت ، وإن حادنا في أمرك منعناك ، وسألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا ، فأقام فيهم واجتمعت وجوه بكر بن وائل ، فقالوا له : أيها الأمير ، إنا قد جنينا جميعا عليك جناية ، [لا يعترف مثلها] ^(١) وها نحن قد استسلمنا ، وألقينا بأيدينا إليك ، فأما إن وهبت فأهل لذلك أنت ، وإن عاقبت فأنت المسلّطُ الملكُ العادلُ . فتبسم وقال : قد عفوت عن كل جرم إلا جرم الفاسق العديل ، فقاموا على أرجلهم ، فقالوا : مثلك أيها الأمير لا يستثنى على أهل طاعته وأوليائه في شيء ، فإن رأيت ألا تُكدّر مَنك باستثناء ، وأن تهب لنا العديل في أول ما تهب . فقال : قد فعلتُ فأتوه قبحه الله ، فأتوه به فلما مثل بين يديه أنشد :

فلو كنت في سلمى أجاوشما بها	لكان لحجاجٍ على سبيلُ
خليلُ أمير المؤمنين وسيفه	لكل إمامٍ صاحبٌ وخليلُ
بني قبة الإسلام حتى كأنها	هدى الناس من بعد الضلال رسولُ
إذا جارَ حُكْمُ الناس الجأ حُكْمه	إلى الله قاضٍ بالكتابِ فمقولُ
به نصر الله الخليفة منهمو	وثبت مُلكا كاد عنه يزولُ
فأنت كسيفِ الله في الأرض خالدٌ	يصولُ بمون الله كيف يصولُ
وجازيت أصحابَ البلا ببلادهم	فما منهمو عما تُحب نكولُ
وصلت بمرّاقِ العراق فأصبحت	منزلاً كيهما للوطء وهي ذلولُ
أذقت الحمام ابني عباد فأصبحتا	بمنزل مؤهون الجفاح نكولُ
ومن قطري نلت ذلك وحوله	كتائبُ من رجاله وخيولُ
إذا ما أت باب ابن يوسف ناقتي	أت خيراً منزول به وتزِيلُ

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

وما خفتُ شيئاً غيرِ ربِّي وحدهُ إذا ما انتَحَيْتُ النفسَ كيفَ أقولُ
ترى الثَّقَلَيْنِ الجَنِّ والإِنْسَ أصبَحَا على طاعةِ الحِجَاجِ حينَ يقولُ
فقال له: أوَّلَى لك ، لقد نَجوت ، وفرض له وأعطاه عطاءه .

فقال يمدح سائرَ قبائلِ وائلٍ ، ويذكر دُفْعَها عنه ، ويفتخرُ بها - قصيدته التي
أولها :

صَرَمَ الغَوَانِي وَاسْتِرَاحَ عَوَازِلِي وَصَوْتُ بَعْدَ صَبَابَةٍ وَتَمَائِلِي
وَذَكَرْتُ يَوْمَ لَوِي عَقِيقِ نِسْوَةٍ يَخْطُرُنَ بَيْنَ أَكَلَةٍ وَمَرَا حِلِي
لَعِبِ النَّعَامِ^(١) بَهِنَ فِي أَطْلَالِهِ حَتَّى لَبَسْنَ زَمَانَ عَيْشِ غَافِلِي
يَأْخُذْنَ زِينَتَهُنَّ أَحْسَنَ مَا تَرَى فَإِذَا عَطَلْنَ فَهِنَّ خَيْرُ عَوَاطِلِي
وَإِذَا خَبَّانَ خُدُودَهُنَّ أُرَيْنَا حَدَقَ الْمَهَا وَأَرْزِينَ سَهْمَ الْقَاتِلِي
وَرَمَيْتَنِي لَا يَسْتَمْتِرَنَّ بِجُنَّةٍ إِلَّا الصَّبَا وَعَلِمَنَّ أَيْنَ مَقَاتِلِي
وَإِذَا تَطَاوَلَتِ الْجِبَالُ رَأَيْتَنَا بِفُرُوعِ أُرْعَنَ فَوْقَهَا مُتَطَاوِلِي
وَإِذَا سَأَلْتَ ابْنَ نَزَارٍ يُبْنِئُنَا عَنِّي^(٢) وَمَنْزِلَتِي مِنْ ابْنِي وَائِلِي
حَدَّبَتْ بَنُو بَكْرٍ عَلَيَّ وَفِيهِمْ مَوَاطِلِي كَلُّ الْمَكَارِمِ بِالْعَدِيدِ الْكَامِلِي
خَطَرُوا وَرَكِبُوا بِالْفَنَاءِ وَتَجَمَّعُوا^(٣) مِنْهُمْ قِبَائِلُ أُرْدِفُوا بِقِبَائِلِي

وَفَخَّرَ فِيهَا بِقِبَائِلِهِ . قَالَ أَبُو النَّجْمِ لِلْعَدِيلِ : أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ :

فَإِنَّ تَكَ مِنْ شَيْبَانَ أُمِّي فَإِنِّي لِأَبْيَضَ عَجَلِي عَرِيضُ الْفَارِقِي

(١) التعيم (أغاني) .

(٢) بينا . . مجدى (أغاني) .

(٣) رواية الأغاني :

أكنتَ شاكاً في شمرِك حين قلتَ هذا؟ فقال له العدِيل : أشككتَ أنتَ في نفسك ، وفي شمرِك حين تقول :

أنا أبو النجمِ وهذا شمرى لله درى ما يجنُّ صدرى
فأمسك أبو النجمِ واستحيا .

كان حوشبُ بنُ يزيدَ بنِ الحارثِ الشيباني وعكرمةُ بنُ رُبَيْعِ البكرى يتنازعاَنِ الشرفَ وتبَاريانِ في إطعامِ الطعامِ ، ونَحَرَ الجُرُورِ في عسكرِ مُصعَبِ فكان حوشبُ يغلبُ عكرمةَ لِسعةِ يده ، وقدمَ عبدُ العزيزِ بنُ بشارِ^(١) بسقاءً^(٢) من دقيقٍ ، فأناه عكرمةُ فقال له : اللهُ اللهُ فيّ ، كاد حوشبُ أن يغلبني ويسْغلبني^(٣) بماله ، فبِعتني هذا الدقيقُ بناجزَ ولكَ فيه مثلُ ثمنه ربِحاً فقال : حُذِه وأعطاه إياه ، فدفعه إلى قومه وفرَّقه فيهم ، وأمرهم بمجنِّه فمجنَّوه ، ثم جاء بالمعجينِ كله فجمعه في هُوَّةٍ عظيمةٍ ، وأمر به ففطِنَ بالحشيشِ ، وجاءوا برَمَكَّة^(٤) فقرَّبوها إلى فرسِ حوشبِ ، حتى ألقوها في ذلكِ المعجينِ ، ومعهما الفرسُ ، حتى تورطَا في ذلكِ المعجينِ ، وبقيا فيه جميعاً ، وخرج قومُ عكرمةَ يصيحون في العسْكَرِ : يا معشرَ المسلمينِ أدركوا فرسَ حوشبِ قد غرقَ في خميرةِ عكرمةِ ! فخرجَ الناسُ يتمجبون من ذلكِ أن تكونَ خميرةٌ يفرقُ فيها فرسٌ ، فلم يبقَ في العسْكَرِ أحدٌ إلا رَكِبَ لينظرَ ، فجاءوا إلى الفرسِ وهو غريقٌ في المعجينِ ، ما يبينُ منه إلا رأسُه وعنقُه ، فما خرجَ إلا بالعمدِ والحبالِ ، وغَلَبَ عليه عكرمةُ وافترضَ حوشبِ فقال العدِيلُ يمدحهما ويفخرُ بهما :

(١) الأغاني (يسار) ١٨ .

(٢) بسفائن (أغاني) وأما السقاء فهو وعاء من جلد للماء واللبن ونحوهما .

(٣) في الأغاني : « يستعلبني » .

(٤) الرمكة : الفرس أو البرذونة تتخذ للنسل .

وعكرمة الفياضُ فينا وحوشبُ
ها فتيا الناس اللذا لم ينأهما
وفي حوشب هذا يقول الشاعر :

وأجودُ بالمال من حاتم
وأنحرُ للجُزُر من حوشبِ

قدم العديلُ البصرة ، ومدح مالك بن مسمع الجحدريّ فوصله ، فأقام بالبصرة
واستطابها ، وكان مقياً بها عند مالك ، فلم يزل بها حتى مات . وكان ينادم الفرزدق
فقال يرثيه :

ما ولدتُ مثلَ العديلِ حليمةً
وما زال منذ شدتْ يدها إزاره
قديمًا ولا مُستحدّثاتُ الحلائلِ
به تفتحُ الأبوابَ بكرُبنِ وائلِ

عمرو ذو الكلب

هو عمرو بن العجلان بن عامر بن بُرد بن مُنبه ، أحد بني كاهل بن حيان ابن هذيل .

وسُمِّيَ ذوالكَلْبِ لأنه كان خرج غازيا ، ومعه كلب يصطاد به ، فقال له أصحابه : يا ذا الكلب ، فنبئت عليه .

وقيل : من الناس من يقول عمرو الكلبُ - ولا يقول ذو الكلب . وكان من رجالات هذيل .

وكان يغزو بني فَهْمَ غزوا متصلا ، فنام ليلةً في بعض غزواتهم فوثب عليه زمران فأكلاه ، فادعت فهِمٌ قتلَهُ .

وكان علق امرأةً من فهِمٍ يقال لها أم خلنجة فأحبها وأحبته . وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه ، فطلبوا دمه - إلى أن جاءها عاما من ذلك ، فنذروا به ، وخرجوا في أثره ، وخرج هاربا ، فتبعوه يومهم ذلك ، وهم على أثره حتى أمسى ، وهاجت ريحٌ شديدةٌ في ليلة ظمأ ، فبينما هو يسير على ظهر الطريق إذ رأى ناراً عن يمينه ، فقال : أخطأت الطريق ، فحار وشكّ وقصد النار حتى أتاها ، وقد كاد يُصبح فإذا رجلٌ قد أوقد ناراً ، ليس معه أحد . فقال له عمرو : من أنت ؟ فقال : أنا رجل من عدوان . قال : فما اسم هذا المكان ؟ قال : السد . فعرف أنه قد هلك ، وأخطأ . . . والسد شيء لا يُجَاوز . فقال : ويحك لم أوقدت ؟ فوالله ما تشتموني ولا تصطلي ، وما أوقدت إلا لِنِيمةِ عمرو الشقِّ ، هل عندك شيء تطعمنيه ؟ فأخرج له تمرات قد بقاها في يده فقال لما رآها في يده : تمراتٌ تتبعها عبرات من نسوة خفّرات ،

ثم قال : استقني . قال : ما ذا ؟ ألبنا ؟ قال : لا ولكن ماء فإني مقتولٌ صباحا ، ثم انطلق فاستدّ في السدّ ، ورأى القومَ الذين جاءوا في طلبه حيث أخطأ ، فاتبعوه حيث وجدوه ، وقد دخل غارا في السدّ ، فلما ظهروا على السدّ علموا أنه في الغار فنادوه ، وقالوا : يا عمرو ! فقال عمرو : ما تشاءون ؟ قالوا : اخرج . قال : فلم دخلتُ إذأ ؟ قالوا : بلى ، فاخرج . قال : لا أخرج . قالوا : فأنشدنا قولك :

ومقعدِ كُرْبَةٍ قد كنت منها مكان الأصبعين من القبائل^(١)

قال : هاهي ذِه أنا فيها . قال : وعنّ له رجل من القوم ، فرماه عمرو فقتله . فقالوا : قتلتَه يا عدوَّ الله . قال : أجل ، ولقد بقيتُ مئ أربعة أسهم كأنها أنياب أم خننجة ، لا تصلون إليّ أو أقتل بكل منهم^(٢) واحداً منكم . فقالوا لعبيدهم : يا أبا نجاد ، ادخل إليه وأنت حر . فتهيا أبو نجاد ليَدْخُلَ عليه ، فقال له عمرو : ويحك يا أبا نجاد ، ما ينفعُك أن تكون حراً إذا قُتِلت ، فنكص عنه .

فلما رأوا ذلك صعدوا فنقبوا عليه ، ثم رموه حتى قتلوه ، وأخذوا سلبه ، فرجعوا به إلى أم خننجة ، فإذا هي تتشوّف ، فلما رأوها ، قالوا لها : يا أم خننجة ما رأيك في عمرو ؟ قالت : أرى أنكم طلبتموه سريعا ، ووجدتموه منيعا ، ووصفتموه مريعا قالوا : قد والله قتلناه ، فقالت : والله ما أراكم فعلتم ، وإن كنتم فعلتم لرُبّ تدبي منكم قد افترشه وضبّ منكم قد احترشه ، فطرحوا إليها ثيابه ، وقالوا لها : دونك ثيابه ، فأخذتها فشممتها وقالت : ريح عطر وثوب عمرو ، والله ما وجدتموه ذا حُجْزَةٍ جافية ولا عانةٍ وافية ، ولا ضالة كافية .

(١) القبائل من النعل زمامها .

(٢) بكل سهم منها واحدا (الأغانى) .

وقالت أخته ربيعة تربيته :

كل امرئ بمحال العيش مكروبٌ
وكلُّ حيٍّ وإن عَزُّوا وإن سَلِمُوا
أَبْلَغُ هُدَيْلًا وَأَبْلَغُ مِنْ يُبَلِّغُهَا
بأن ذا الكلبِ عمراً خَيْرٌمْ نَسِبا
الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ يَتَّبِعُهَا
والتاركُ القرنَ مُصَفِّراً أَنَامِلُهُ
تمشى النسورُ إليه وهى لاهيةٌ
والمخرجُ العاتقَ العذراءَ مُدْعِنَةٌ
وكل من غالب الأيام مغلوبٌ
يوما طريقهمو في الشر رعبوبٌ
عنى رسولا وبعض القول تكذيبٌ
بيطن شريان يموى حوله الذيبُ
مُتَمَنِّجِرٌ^(١) من نجيع الجوفِ أُسْكوبُ
كأنه من نجيع الجوفِ مَحْضوبُ
مشى العذارى عليهن الجلايبُ
فى السَّبِيّ يَنْفَحُ من أردانها الطيبُ

(١) المتعجّر: السائل من ماء أو دمه أو غيره .

عنان الناطقية^(١)

مولدةً من مولدات اليمامة ، وبها نشأت وتأدبت ، واشتراها الناطقي ، وربّاها .
 وكانت صفراء مليحة الوجه ، والأدب والشعر ، سريعة البديهة .
 وكان فحولُ الشعراء يساجلونها ويقارضونها فتنتصفُ منهم .
 دخل أبو نواس يوماً على عنان فتحدّثنا ساعة ، ثم قال لها : قد قلت أبياتا .
 قالت : هات . فقال :

إن لي أيراً خبيثا	عارِمَ الراسِ فَلُوتَا
لورأى في الجوصدعا	لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا
أورآه حول سَقْفِ	صار فيه عنكبوتا
أورآه جوف بَحْرٍ	خِلْتَه في البحر حُوتَا

قال : فما لبثت أن قالت :

زَوَّجُوا هَذَا بِالْفِ	وأظنُّ الألفَ قوتا
إنني أخشى عليه	إن تمادى أن يموتا
مادروا ما حلّ بالمس	كبينِ خوفاً أن يقوتا
قبل أن ينتكس الداء	فلا يأتي ويوتو

فأخجلته ، ثم قال لها مولاها : اعتذري إليه . فقال : لا تعتذري لا أعذر الله
 من عذرِك ، ثم تفارقا بعد ذلك . وكان كلُّ واحد منهما لا يصبر عن صاحبه :
 ودخل عليها يوماً فقال لها :

ماذا ترين لصبِّ

يريدُ منكِ قُطَيْرَةَ

فأجابته :

إياي تعنى بهذا عليك فأجلد عميرَه

فقال لها :

أريد هذا وأخشى على يدي منك غيرَه

فحجّلت وقالت : تمست وتمس من يغارُ عليك .

قال مروان بن أبي حفصة : لقيني الناطفاني فدعاني إلى عِنان ، فانطلقت معه ، فدخل إليها قبلي ، فقال لها : قد جئتُك بأشمرِ الناسِ مروان بن أبي حفصة . فوجدها عليلة . فقالت له : إني عن مروان في شغل ، فأهوى إليها بسوطٍ فضرَبها به ، وقال لي : ادخل ، فدخلت ، وهي تبكي ، فرأيت الدموعَ تتحدر من عينيها فقلت :

بكت عِنانُ فجَرى دمعها كالدرِّ إذ يسَّان من خيطه

فقلت وهي تبكي :

فليت من يضربها ظالما تيمسُ يميناه على سوطه

فقلت له : عتق مروان ما يملكه إن كان في الجنِّ والإنسِ أشمرُ منها .
ودخل بعضُ الشعراء على عِنانٍ فقال لها مولاها : ساجليه فقالت :

سَقيا لبغدادَ لا أرى بلداً يسكنُه الساكنون يشبهُها

فقال :

كانها فِضةٌ مموهَةٌ أخلصَ تمويهها مموهها

فقلت :

أمنٌ وخفضٌ ولا كبهجتِها أرغدُ أرضِ عيشا وأرفهها

فانقطع .

قال بعضهم : تصفحت كتباً فوجدتُ فيها بيتاً جهدتُ جهدي أن أجد من يُجيزُه

فقال لي صديقٌ لي : عليك بمنان الناطفانية فحُثها فأنشدتها :

وما زال يشكو الحب حتى رأيتُه تنقَسَ من أحشائه وتكلم

فلم تلبث أن قالت :

وَيَبِيكِ فَأَبِيكِ رَحْمَةً لِبِكَائِهِ إِذَا مَا بَكَى دَمْعاً بَكَيتُ لَهُ دَمَا

قال الأصمى : بعثت إلى أم جعفر أن أمير المؤمنين قد لهجَ بهذه الجارية عنانٍ

خِانٍ صَرَفْتَهُ عَنْهَا فَلَكَ حُكْمُكَ .

قال : فكنت أتوقع لأن أجدَ للقول فيها موضعاً ، فلا أجدهُ ، ولا أقدم عليه

هيبَةً له . فدخلت يوماً فرأيت في وجهه أثرَ الغضبِ ، فأنخزلت . فقال لي : مالك

يا أصمى ؟ فقلت : رأيت في وجه أمير المؤمنين أثرَ الغضبِ ، فلعن الله من أغضبه .

فقال : هذا الناطقي ، والله لولا أني لم أجُرْ في حكمٍ قطُّ متعمداً لجعلت على كل جبلٍ

منه قطعةً ، وما لي في جاريته من أربٍ غير الشعرِ . فذكرت رسالة أم جعفر ،

فقلت : يا أمير المؤمنين ، واحدةٌ ما فيها غيرُ الشعرِ ، أفْتَسَّرَ يا أمير المؤمنين

أن تنميك الفرزدق ؟ فضحك واستلقى ، واتصل قولي بأم جعفر ، فأجزأت الجائزة .

وكان الرشيدُ استامَ من الناطقي جاريته ، فأبى أن يبيعها بأقلَّ من مائة ألف

دينار ، على أن يأخذ بالدينار تسعةَ دراهم ، فامتنع عليه ، فأمر بأن تُحْمَلَ فدخلت

مَجْلِسَهُ في هيأتها تَنْتَظِرُهُ ، فدخل عليها ، فقال لها : وبلك !! إن هذا قد اشتطَّ عليَّ

في أمرِك ، فقالت : وما يمنعك أن تُرضيه وتؤمِّنه ؟ فقال : ليس يَقْنَعُ بما أعطيه ،

وأمرها بالانصراف .

فيقال إن الناطقي تصدَّقَ بثلاثين ألفَ درهم ، حين رجعت إليه . فلم يزل

في قلب الرشيد منها شيءٌ ، حتى مات مولاها .

فلما مات بعث مسرور الكبير فأخرجها إلى باب الكرخ ، وأقامها على سرير ،

وعليها رداء رشيدى قد جلها ، فنوِّدى عليها فيمن يزيد ، بعد أن شاور الفقهاء فيها ،

وقال : هذه لبدة رطبة ، وعلى الرجل دين . فأشاروا ببيعها ، فكانت تقول وهي في المصطبة : أهان الله من أهانني وأردل من أردلني . فلكرها مسرورٌ بيده ، وبلغ بها مسرورٌ مائتي ألف درهم ، فجاء رجل فقال : على زيادة خمسة وعشرون ألفاً فلكره مسرورٌ وقال : أتزيد على أمير المؤمنين ؟ ثم بلغ بها مائتين وخمسين ألفاً ، وأخذها له ، ولم يكن فيها شيءٌ تعاب به ، وطابوا لها عيماً لثلاثاً تصيبها العين فوضعوا بخصرها في ظفر رجلها سناً . وأولدها اثنين . وأظنهما ماتا صغيرين ، ثم خرج إلى خراسان ، ومات هناك ، وماتت عنان بعمه .

وقال أبو نواس من قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد وشبب فيها بعنان :

عنان يا من تشبه العينا أنت على الحب تلومينا^(١)
حسنك حسن لا أرى مثله قد ترك الناس مجانينا

لما ساوم الرشيدُ بعنانٍ بلغ أم جعفرٍ ذلك ، فشقَّ عليها فدست إلى أبي نواس

أن يحتال في أمرها ، فقال يهجوها :

إن عنان النطافِ جاريةٌ أصبح جرُّها للننيك ميدانا
ما يشتريها إلا ابن زانية أو قَلْطُبَانٌ يكون من كانا

فبلغ شعره الرشيد ، فقال : لعن الله أبا نواس وقبحه ، فلقد أفسد على لذتي

في عنان بما قال ، ومنعني من شرائها .

(١) أتم على الحب تلومونا (ديوان ٣٩٨) .

على بن أمية بن أبي أمية^(١)

كان أبوه يكتب للمهدى على ديوان بيت المال ، وديوان بيت الرسائل والخاتم .
وكان هو منقطعا إلى إبراهيم بن المهدي ، وإلى الفضل بن الربيع .

ولما قال على بن أمية هذه القصيدة :

يا ربحُ ما تصنعين بالدمنِ	كم لك من محوٍ منظرٍ حسنِ
محوتِ آثارنا وأحدثتِ آ	ثارا بربعِ الحبيبِ لم تكنِ
إن تكِ ياربُّعُ قد بليت من الر	يحِ فإني بالٍ من الحزنِ
قد كان ياربُّعُ فيك لي سَكَنٌ	فصرتِ مُذْ بانَ بعده سَكَنِي
شبهتُ ما أبليتِ الرياحُ من آ	ثارِ حبيبي النَّائِي بِلِي بَدَنِي
حاشاك ياربُّعُ أن تسكون على ال	ماشق عَوْنًا لحادثِ الزَّمَنِ
ياربُّ خذني وخذ عليا [وخذ]	يا ربح ما تصنعين بالدمنِ
عَجَلٌ إلى النارِ بالثلاثةِ وال	رابعِ عَمْرٍو الغَزَالِ في قَرَنِ

ندم وقال : هؤلاء أهلُ بيتٍ ، وهم إخوتي ، ولا أحبُّ أن تشب بيني وبينهم
عداوةً وشرًّا ، فأنى أمية فقال : إني أذنبتُ فيما بيني وبينكم ذنبا ، وقد جئت
مستجيرا بك من فتيانك ، فدعا بلي بن أمية ، فقال : هذا عمك ، أبو موسى ،
قد أناك مستعيذا^(٢) من الشعر الذي قاله . قال : وما هو ؟ فأنشده ، فقال : قد ضجرنا
[نحن] والله منه كما ضجرت [أنت] وأكثر وأنت آمن أن يكون منا جواب .
وأني محمد بن أبي أمية فقال له مثل ذلك .

(١) الأغاني ٢٠ : ٦٣ .

(٢) ممتذرا (أغاني) .

ومضى أبو أمية ، فأخذ علي بن أمية رقعة وكتب فيها :

كَمْ شَاعِرٍ عِنْدَ نَفْسِهِ فَطِنٌ لَيْسَ لَدَيْنَا بِالشَّاعِرِ الْفَطِنِ
قَدْ أُحْرِجَتْ نَفْسُهُ بِنُصَّتِهَا يَارِيحُ مَا تَصْنَعِينَ بِالْدَمَنِ

ودفع الرقعة إلى غلام له ، وقال : اذهبها إلى غلام أبي موسى ، وقل له : يقول لك مولاك : اذ كرني بهذه الرقعة إذا انصرفت إلى المنزل ، فلما انصرف إلى المنزل أتاه غلامه بالرقعة ، فقال له : هذه الرقعة التي بعثت بها إلي قال : والله ما بعثت إليك رقعة وأظن الفاسق قد فعلها .

ثم دعا ابنه فقرأها عليه ، فلما سمع ما فيها قال لي : يا غلام لا تنزع عن البغلة ، فراجع إلى علي بن أمية فقال : نشدتك الله أن تزيد علي ما كان . فقال له : أنت آمن .

كان عبيد الله بن جعفر بن المنصور محبا لعمر والغزال . وكان عمرو يستحق ذلك بكل وجه ، إلا من طريق^(١) صنعة الغناء ، فإنه كان ظريفا أديبا حسن الوجه واللباس ، معه من كل شيء من آلة الفتوة ، وكان عبيد الله قليل الفهم بصناعة الغناء فكان يظن أنه قد ظفر منه بكنز من الكنوز . وكان أحظى الناس عنده من استحسن غناء عمرو والغزال وصنمته . فكان من يحضر مجلسه ممن يفهم هذه الصناعة يشقى بنم ، ويتفكد من لسانه .

وكان الرشيد قد استحضره وسمع غناؤه :

يَارِيحُ مَا تَصْنَعِينَ بِالْدَمَنِ

وكان صوتا مليحا خفيفا ، فأطربه ووصله بألف دينار ، وأخذه إليه باتفاق غريب . وذلك أن عيسى أخا عبيد الله بن جعفر كان يطعن في عقل أخيه ، عبيد الله ،

(١) إلا ما يدعيه من طريق (أغانى) .

عند الرشيد ، ويقع فيه لديه ، فسمعه يوما عيسى ، فأظهر من السرور والطرب أمراً عظيماً ، ليزيد بذلك عبید الله رغبة فيه ، ويجعله سبباً قويا عند الرشيد إذا سمعه بضَعْفِ عقله .

فلما سمعه الرشيد كان أول ما سمع منه :

ياربح ما تصنعين بالدمن

فاستخَفَّهُ وصار في عداد مغنیه ، فاتفق أن عبید الله بن جعفر انصرف يوما من الشَّماسِيَّة^(١) فلقبه الخضرُ بن جبريل . وكان فتى الناس في العسكر ، فعاتبه عبید الله على تَرَكِّه ، وانقطاعه عنه . فقال : والله ما أفعلُ هذا جهلاً بحقِّك ، ولا إخلالاً بواجبك ، ولكننا في طريقين متباينين ، ولا يمكن معهما اجتماعُ فقال : وما هما ؟ قال : إنك على نهاية السَّرَفِ في أمرِ عمرو الغزَّال وجهه ، وأنا على نهاية السَّرَفِ في بُغْضه ، وأنت تتوهم أنك لا يطيبُ عيشُك إلا به ، وأنا أتوهم أنني إن عاشرتَه ساعةً مِتُّ وتقطعت نفسي غيظاً وكهداً ، فما يستقيمُ بيننا مع هذا عِشْرَةَ أبدأ .

فقال له عبید الله : إذا كان هذا على هذه الصورةِ فأنا أُعْفِيكَ منه إذا زُرْتَنِي ، فصر معي الآن آمناً ، ففعل ، ولم يجلس عبید الله حتى قال لحاجبه : لا تُدْخِلْ عَلَيَّ اليوم أحداً ، ولا تستأذنْ عليّ لخلقِ ألبتة ؛ ودخل .

فلما وُضِعَت المائدة لم يَسْتَقِرَّ حتى دخل الحاجبُ ، فوقف بين يديه وأقبل عمروُ الغزَّالُ خلفه يراه من أقصى الصحن . فقال له عبید الله : نَكَلْتُكَ أُمَّكَ ، ألم أقل لك لا تُدْخِلْ عَلَيَّ أحداً من خلقِ الله ؟ فقال له الحاجب : امرأته طالق إن [كان] عنده إن عمراً عندك في هذا المَجْرَى ، ولو كان الملائكةُ لم يدخلوا عليك إلا بإذنِ سوى عمرو ومن قبل امرتني ألا أستأذنُ له خاصَّةً ، وأن يدخل متى شاء على كل حال .

(١) الشماسية : صحراء كانت بأعلى بغداد يسب إليها باب من أبوابها .

ولم يفرغ الحاجب من كلامه حتى دخل عمرو فجلس على المائدة ، وتغير وجه الخضر وبانت الكراهية فيه فما أكل أكلا فيه خير . وتبين عبيد الله ذلك فرفعت المائدة ، وقدم النبيذ ، فجعل الخضر يشرب شربا كثيرا شديدا لم يُعهد بِشربِ مثله ، فظن به أنه يريد بذلك أن يستريح من عمرو الغزال ، وعمرو يُغنى لا يفتر وكلما تَغنى قال له عبيد الله : لمن هذا الصوت يا حبيبي ؟ فيقول : لى ، وفي المجلس جوار مطربات محسنات ، وعمرو يَقطعُ غناءهن بغناؤه ، وتبين في وجه الخضر العريضة إلى أن قال عمرو ، عَقِبَ صوتِ غنائه : هذا لى ، فوثب الخضر فكشف استه وخرى في وسط المجلس على بساط خَزٍ لم يُرَ مثله لأحد ، ثم قال : إن كان هذا الغناء لك فهذا الخراء لى . فغضب عبيد الله وقال : يا خضر أكنت تستطيع تفعل أكثر من هذا ؟ قال : أى والله ، أيها الأمير ، ثم وضع رجله على سَلجِه ومشى على البساط مقبلا ومدبرا ، وهو يقول : وهذا لى ، وهذا لى ، وتفرق الجماعة على أسوأ حال ، وشاع الخبرُ ووصل إلى الرشيد ، فضحك حتى غلب عليه ودعا بالخضر فجعله في ندمائه منذ يومئذ . وقال : هذا أطيبُ خلقِ الله ، وانكشف عنه عوارُ عمرو الغزال وحُجب ، فسقط منذ يومئذ وسقط غناؤه فلم يُذكر منه حرف إلا غناؤه :

يا ربحُ ما تصنعين بالدمن

قال أبو هفان : كنا في مجلس ، وعندنا مغنيةٌ تغنينا ، وصاحب المجلس يهواها ، فجعلت تكايدُه وتوى إلى غيره بالمرح والتجميش ، وتميظُه بجهدِها ، وهو يكاد يموت قلقًا وهما ، وتنغص عليه يومه وألحَّت في أمرها ، ثم سقط المضربُ من يدها ، فأكبَّت على الأرض ، فضرطت ضرطَةً سمِعها جميعُ من حضر ، وخجلت فلم تدر ما تقول ، فأقبَلت على عشيقتها فقالت له : أى شىء تشتهى أن أغنى لك ؟ قال : غنى :

يا ربحُ ما تصنعين بالدمن

فَحِجَلَتْ ، وضحك القومُ حتى أفرطوا فَبَكَتْ ، وقامت من المجلس ، وقالت :
أَنْتُمْ قَوْمٌ سَفَلٌ ، فلمنةُ الله على من يعاشِرُكم ، وغضبت ، وخرجت ، وانقطع ما بينهما .
قال الحسين بن الضحاك :

كنتُ في مجلسٍ قد دُعينا إليه ، ومعنا علي بن أمية ، فعلمتُ نَفْسُهُ بِقِيَمَةِ دُعِيَّتِ
يومئذٍ إلى مجلسنا فأقبل عليها ، فقال : أُنْغِنِي :

خَبَّرَنِي مَنْ الرِّسُولُ إِلَيْكَ واجعليه من لا يَنْبَهُ عَلَيْكَ
وَأَشِيرِي إِلَى مَنْ هُوَ بِاللَّحْظِ لِيَخْفَى عَلَى الَّذِينَ لَدَيْكَ
فَقَالَتْ : نَعَمْ وَغَنَّتْهُ لَوْقَتَهَا وَزَادَتْ فِيهِ [هَذَا الْبَيْتَ] :

وأقل المزاح في المجلس اليـوم فإن المزاح بين يديك
ففطن لما أرادت ، وسرَّ بذلك ، ثم أقبلت على خادم واقف ، فقالت له :
يا مسرور اسقني ماء فسقاها ، ففطن ابنُ أبي أمية أنها أرادت أن تُعلمه أن مسرورا
هو الرسولُ ، فخاطبه فوجدَه كما يريد ، وما زال ذلك الخادم يتردد في الرسائل بينهما .

عبدُ الله بن يحيى الكندى^(١)

أحدُ بنى عمرو بن معاوية ، من حضرموت ، وكان مجتهداً عابداً ، فكان يقول قبل أن يخرج : لقينى رجلٌ فأطال النظرَ إلى . وقال : ممن أنت ؟ قلت : من كِنْدَةَ قال : من أيهم ؟ قلت : من بنى سَيِّبان^(٢) قال : والله لَتَمَلِكَنَّ وَلَتَبْلُغَنَّ خَيْلِكَ وادى القرى . وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك ، فقد ذهبت وأنا أتخوفُ ما قال ، وأستخيرُ الله عز وجل .

ورأى باليمنِ جوراً ظاهراً ، وعسفاً شديداً ، وسيرةً في الناسِ قبيحةً . فقال لأصحابه : ما يحلُّ لنا المقامُ على ما نرى ، ولا يسعُنَا الصبرُ عليه ، وسنكتبُ إلى أبي عبيدة ومسلحة بن أبي كريمة الذي يقال له كودين مولى بنى تميم ، وكان يسزل في الأزدي ، وإلى غيره من الأباضية في البصرة ، ليشاورهم في الخروج . فكتبوا إليه : إن استطعتَ ألا تقيم يوماً واحداً فافعل ، فإن المبادرةَ بالعملِ الصالحِ أفضلُ ، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك ، والله خيرةٌ من عباده يبعثهم متى شاء لنصرِ دينه ويختصُّ بالشهادة منهم من يشاء ، وشخصُ إليه أبو حمزة المختارُ بن عوف الأزدي أحدُ بنى سلمةَ وبلج بن عُقبَةَ في رجالٍ من الأباضية ، فقدموا عليه حضرموت ، فحثَّوه على الخروج ، وأنَّوه بكتبِ أصحابه ، وفيها : إذا خرجتم فلا تملوا ولا تغدروا واقتدوا بسلفِكُم الصالحين وسيروا سيرَتهم .

فدعا أصحابه فبايعوه ، وقصدوا دار الإمارة بحضرموت سنة ثمان وعشرين ومائة ، فدخلها ، وأقام بها أشهراً ، فكثرتُ جمعه ، وسموه طالبَ الحق ، وكان على حضرموت

(١) الأغاني ٢٠ : ٩٧ .

(٢) في الأصل (سهامات) والتصويب عن الجمهرة والقاموس .

إبراهيمُ بنُ جبلةَ بنِ مَخْرَمَةَ الكِنْدِيُّ فَأَخَذُوهُ وَحَبَسُوهُ يَوْمًا ، ثُمَّ أَطْلَقُوهُ فَأَتَى صَنْعَاءَ ،
ثُمَّ كَتَبَ إِلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ بِصَنْعَاءَ : إني قادم عليكم ، واستخلفَ على حضر موتَ
عبدَ الله بنِ سعدِ الحضرميَّ ، وتوجهَ إلى صنعاءَ سنةَ تسعٍ وعشرينَ ومائةً ، في ألفينَ .
وبلغَ الخبرُ القاسمَ بنَ عمرو ، وأخا يوسفَ بنَ عمرو ، وهو عاملُ مروانَ بنِ محمدٍ على
صنعاءَ ، فالتقيا ليلا على مسيرةِ يومينَ من صنعاءَ ، فقالَ الناسُ للقاسمِ : أيها الأميرُ
لا تُقاتلُ الخوارجَ ليلا ، قالَ : فقاتلَهُمْ ، فقتلُوا من أصحابه كثيرا ، وانهمزَ ليلا ،
فربمسكره ، فأمرهم بالرحيلَ ، ومضى إلى صنعاءَ ، فأقامَ يوما ، ثم خرجَ فمسكرَ قريبا
من صنعاءَ ، فخذقَ ، وخلفَ بصنعاءَ الضحَّاكُ بنُ زيدٍ . فأقبلَ عبدُ الله بنُ يحيى
فنزَلَ على مِيلينَ من عسكرِ القاسمِ فوجَّهَ القاسمُ يزيدَ بنَ الفَيْضِ ، في ثلاثةِ آلافَ
من أهلِ الشامِ وأهلِ اليمنِ فكانتَ بينهم مناوشةٌ ثم تهاجروا ، فرجعَ يزيدُ إلى القاسمِ ،
فاستأذنه في بيأتهم فأبى أن يأذنَ له ، فقالَ له يزيدُ : لئن لم تُبَيِّتَهُمْ لَيُغَمِّمَنَّكَ . فأبى ،
فأقاموا يومينَ لا يلتقونَ ، فلما كان في الليلةِ الثالثةِ أقبلَ عبدُ الله بنُ يحيى ، فوافاهُ مع
طلوعِ الفجرِ ، فقاتلَهُم الناسُ على الخندقِ ، فغلبتَهُم الخوارجُ عليه ، ودخلوا عسكرَهُمْ ،
والقاسمُ يصلي ، فركبَ وقاتلَهُم الصلتُ بنُ يوسفَ ، فقتلَ في المعركةِ . وقامَ بأمرِ الناسِ
يزيدُ بنُ الفَيْضِ ، وقاتلوا حتى ارتفعَ النهارُ ، فانهزمَ أهلُ صنعاءَ فأرادَ أبرهةُ بنُ الصَّبَّاحِ
اتباعَهُمْ فمنعه عبدُ الله بنُ يحيى ، واتبَعَ يزيدُ بنُ الفَيْضِ القاسمَ بنَ عمرو ، وأخبره
الخبرُ ، ودخلَ عبدُ الله بنُ يحيى صنعاءَ ، وأخذَ الضحَّاكُ بنُ زيدٍ وإبراهيمَ بنَ جبلةَ
ابنِ مَخْرَمَةَ فبسهما ، وجمعَ الخزائنَ والأموالَ فأحرزَها ، ثم أطلقَ الضحَّاكُ
وإبراهيمَ . وقالَ : إنما حبستكما خوفا عليكما من العامةِ ، وليس عليكما مكروهٌ ، فأقبيا
إن شئتما أو اشخصا ، فخرجا .

ثم إن عبدَ الله بنَ يحيى لما استولى على اليمنِ خطبَ الناسَ ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ،
وصلى على نبيه ، محمدَ صلى الله عليه وسلم ، وحذَرَ ووعظَ وذكَّرَ ، ثم قالَ :

إنا ندعوكم إلى كتاب الله ، عز وجل ، وسنة نبيه ، وإجابة من دعا إليهما . الإسلامُ ديننا ، ومحمدٌ صلى الله عليه وسلم نبيُّنا ، والكتبُ قبلتنا ، والقرآنُ إمامنا ، رضينا بالحلالِ حلالاً لا نبتغي به بدلاً ، ولا نشترى به ثمناً ، وحرَّمنا الحرامَ ، ونبذناه وراءَ ظهورنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى ، وعليه المَعولُ . من زنى فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، ومن شرب الخمرَ فهو كافر ، ومن شكَّ في أنه كافر فكافر . ندعوكم إلى فرائضَ بيِّنات ، وآياتٍ محكماتٍ ، وآثارٍ تقضى بها ، ونشهد أن الله صادقٌ فيما وعد ، عدلٌ فيما حكم ، وندعو إلى توحيد الربِّ ، واليقينِ بالوعيدِ والوعدِ ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والولايةِ لأهل ولاية الله ، والعدواة لأعدائه .

أيها الناس ، إن من رحمة الله أن جعل في كلِّ فترةٍ بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضلَّ إلى الهدى ، ويصبرون على الألم في جنب الله ، يُقبلون على الجدِّ في سالفِ الدهور ، فلم ينسهم ربُّهم « وما كان ربُّك نسيماً » .
أوصيكم بتقوى الله ، وحسن القيام على ما وكلكم به ؛ فأبلوا في الله بلاء حسناً بالقيام في أمره وزجره .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وأقام عبد الله [بن يحيى] بصنماء أشهراً ، يحسن السيرة فيهم ، ويُلينُ بالقيام جانبَهُ لهم ، ويكف عن الناس فكثراً جمُّه ، وأتته الشراة من كل جانب .
فلما كان وقت الحج ، وجه أبا حمزة ، المختار بن عوف ، وبلج بن عقبة وأبرهة ابن الصباح إلى مكة في ألف^(١) رجل ، وأمره أن يقيم بمكة إذا صدر الناس ، ويوجه بلجاً إلى الشام . فأقبل المختار إلى مكة فقدمها يوم التروية ، وعليها عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك وأمه بنت عبد الله بن خالد بن أسيد فكره قتالهم .

(١) في تسعمائة وقيل بل في ألف ومائة (أغانى) .

وكان أول أمر المختار بن عوف الأزدي السلمي من أهل البصرة أن كان يوافي كل سنة يدعو إلى خلافة مروان ، فلم يزل يَحتَافُ في كل سنة حتى وافى عبد الله ابن يحيى في سنة ثمان وعشرين ومائة، فقال له : يارجل . إني أسمعُ كلاما ، وأراك تدعو إلى الحق ، فانطلق معي ، فإني رجلٌ مطاع في قومي^(١) فبايعه على الخلافة .

وخرج في سنة تسع وعشرين ومائة حتى أتوا مكة يوم التروية ، فلم يشعر الناسُ وهم بعرفة حتى طلعتْ أعلامُ سود في رءوس الرماح ، ففزع الناس حين رأوهم ، وقالوا لهم : مالكم وما حالكم ؟ فأخبروهم بخلعهم مروان ، وآل مروان والتبري منهم ، فراسلهم عبد الواحد بن سليمان يومئذ ، وهو على المدينة ومكة ، والموقف ، ودعاهم إلى الهدنة ، فقالوا : نحن لحيجنا أضونُ ، وعليه أشحُّ . فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون ، بعضهم من بعض ، حتى ينفر الناس النفر الأخير ، وأصبحوا من غدٍ فوقفوا بعرفة ، ودفع عبد الواحد بالناس ، فلما كانوا بمعي ، قالوا لعبد الواحد : قد أخطأت فيهم ، ولو حمل عليهم الحاج ما كانوا إلا أكلة رأس ، فنزل أبو حمزة بقرن^(٢) الثعالب من منى ونزل عبد الواحد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر ورجال من أمثالهم فلما دنوا من قرن الثعالب لقيهم مشايخُ أبي حمزة فأخذوهم ، فدخلوا بهم على أبي حمزة ، فوجدوه جالسا ، وعليه إزار قطريٌّ ، فلما دنوا منه تقدم إليه عبد الله بن حسن ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فنسبهما ، فلما انتسبا عبس في وجوههما ، وأظهر الكراهة لهما ، ثم تقدم بعدها البكريُّ والعمرىُّ فنسبهما ، فلما انتسبا هس لهما وتبسم في وجوههما ، وقال لهما : ما خرجنا إلا لنسيرَ بسيرة أبييُكنا . فقال له

(١) فخرج حتى ورد حضرموت (أغانى) .

(٢) قرن الثعالب هو قرن المنازل ، ميقات أهل نجد تلقاء مكة ، على يوم وليلة (مراصد)

وكانت قرن في الأصل قرى .

عبدُ الله بن حسن : ما جئناك لتفاضل^(١) بين أبويننا ، ولكن بعثنا الأمير إليك برسالة ، وذكروا له نقضَ العهد . قال بليح وأبرهة : الساعة الساعة ، فأقبل عليهما أبو حمزة ، فقال : معاذ الله أن ننقضَ العهد ، وأن نبخسَ به ، والله لا أفعلُ ولو قُطعت رقبتي هذه ، ولكن تنقضى هذه الهدنة بيننا وبينكم ، فلما أبى عليهم خرجوا ، فأبلفوا عبدَ الواحد ، فلما كان النفرُ الأولَ نفرَ عبدِ الواحد ، وخلت مكة لأبي حمزة ، فدخلها بغير قتال ، فقال بعض الشعراء يهجو عبدَ الواحد بن سليمان :

وأرى الحجيجَ عصابةً قد خالفوا دينَ الإلهِ ففراً عبدُ الواحدِ
ترك الإمارةَ والحلائلَ هاربا ومضى يخبطُ كالبعيرِ الشاردِ
لو كان والدهُ تَخَيْرَ أمه لصقتَ خلائله بمرقِ الوالدِ

ثم مضى عبدُ الواحد فدخل المدينة ، وضرب على الناسِ البعثَ وزادهم في المطء عشرةً عشرةً ، واستعمل على الناس عبدَ العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وخرجوا ، فلما كانوا بالحرّة لقيتهم جُرُزٌ منحورة ، فضوا ، فلما كانوا بالمعيق تعلق لوائهم بسمرة ، فانسكس الرمح ، وتشاءم الناس بالخروج ، ثم ساروا حتى نزلوا قديداً ، ليلاً ، فنزل قوم يتعمثون ، ليسوا بأصحاب حرب ، فلم يرعهم إلا والقوم قد خرجوا عليهم .

وقيل : إن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم ، فأدخلوهم عليهم فقتلوهم ، وكانت المقلّةُ على قريش ، وكانوا أكثرَ الناس فيهم ، ولهم كانت الشوكة . فأصيب منهم عدد كثير .

ثم ورد الخبرُ إلى المدينة ، وبكى الناس قتلاهم ، فكانت المرأة تقيم على حميمها النوايح ، والنسوة عندها ، فيأتي النسوة أيضاً خبر حميمهن فينصرفن حتى لا يبقى إلا صاحبةُ الماتم .

(٢) في الأصل : (إلا لتفاضل) وظاهر الكلام يقتضى حذف إلا .

وكانت الواقعة يوم الخميس لسبع خَلَوْنَ من صفر سنة ثلاثين ومائة .
وبلغت قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلا ، منهم من قریش أربعة وخمسون
رجلا ، ومن الأنصار ثمانون رجلا ، ومن الموالي والقبائل ألف وتسعمائة رجل .
ودخل بلجُ المدينة بغير حرب ، فدخلوا في طاعته ، وكفَّ عنهم ، ورجع
أبو حمزة إلى مكة ، وكان على شُرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سُراقة ،
من بني عَدِيّ ، فكان أهلُ المدينة يقولون : لعن الله السُّراقيَ ولعن بلجًا العراقيَّ .

وقالت نائحة أهل المدينة تبكيهم :

ما للزمان وما ليه أفنّت قديدُ رجاليه
فلا بكيين^(١) سريرة ولأبكيين^(١) علانيه
ولأبكيين^(١) إذا خلوت مع الكلاب العاويه
ولأثنين^(٢) على قديد بسوء ما أبلانيه

وقال عمرو بن الحُصَيْنِ الأَباضيُّ الكوفيُّ ، مولى بني تميم ، يذكر واقعة قديد
وأمرَ مكة ، وأنشدها الأَخفشُ عن السُّكْرِيِّ^(٣) والأحول وتعلب وكان يستجيدها
ويفضلها :

ما بالُ هَمَّكَ عنك ليس بمازبِ تمرى سوابقُ دَمِمْكَ المتساكبِ
وتبيت تكتلي في النجومِ بمقلَّةِ عبرى تُسرُّ بكلِ نجمِ آيبِ
حذرَ النمية أن تجيءَ بداهةً لم أقض من بيعِ الشُّراةِ مكاربِ

(١) في الأصل فلا تكن في ا - ب ، وما ذكرناه عن الأغاني .
(٢) في الأصل : (ولا يدي) .. والشطر الثاني بياض في الأصل ثم (ابلانيه) والتصويب عن الأغاني
(٣) في الأصل : البشكري وفي الأغاني ما ذكرناه .

فَأَقُودُ فِيهِمْ لِلْعِدَا شَنْجِ النَّسَاءِ^(١)
فِي فِتْيَةٍ صُبِرَ الْفَهْمُ بِهِ
فَتَسُدُّورُ عَنْ وَهْمٍ وَفِيهِمْ بَيْنَنَا
فِيظَلُّ بِسِقْمِهِمْ وَيَشْرَبُ مِنْ قَنَا
بَيْنَا كَذَلِكَ نَحْنُ حَارَتُ طَعْمَةٍ
جَوْفَاءَ مَهْرَةٍ تَرَى تَامُورَهَا^(٢)
وَمُبْرِّزِينَ مِنَ الْمَقَابِ^(٣) أَحْرَزُوا
هَزُوا صَوَارِمَ لِلْجِلَادِ وَبَاشَرُوا
نَاطُوا أُمُورَهُمْ بِأَمْرٍ أُخْرٍ لِهِمْ
مُتَسَرِّبِي حَلْقِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ
قِيدَتْ [مِنْ] أَعْلَى حَضْرَمُوتَ فَلَمْ تَزَلْ
تَحْمِي أَعْنَئَهَا وَتَحْمِي نَهَبَهَا
حَتَّى وَرَدْنَ حِيَاضَ مَكَّةَ قَطْنَا
مَا إِنْ أَتَيْنَ عَلَى أُخَى جَبْرِيَّةِ
فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ لَهَا مِنْ هَامِمِهِمْ
سَائِلِ بِيَوْمٍ قَدِيدَ عَنْ وَقَعَاتِهِمْ
وَدَخَلَ أَبُو حَمْزَةَ الْمَدِينَةَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةَ .

ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشام ، فرقى أبو حمزة المنبر فحمد الله تعالى
وأثنى عليه .

(١) الشنج محرّكة: تقبض في الجلد وقرس وشنج النساء مدح لأنه إذا شنج لم تسترخ رجلاه، قاموس
(٢) التامور: النفس وحياتها والقلب وحبته وحياته والدم .
(٣) في الأغاني (ومبرئين من المعايب) .

ثم بكت أهل مكة وأهل المدينة بما فعلوه حرفا حرفا ، وما فعله بهم بنو مروان ،
وذمهم وذم سيرتهم ، ومدح أصحابه وأئني عليهم .
ففعل ذلك في غير مرة في كلها ، ذلك دأبه .
ثم رقى المنبر يوما فحمد الله وأئني عليه ، وقال :

تعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولا بطرا ولا عبثا
ولا لهوا ، ولا لدولة مُلكٍ زبید أن نخوض فيه ولا لثأر قديم نيل منا ، ولكننا
لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت ، وعنف القائلُ بالحق ، وقُتِلَ القائم بالقسط ،
ضاعت علينا الأرضُ بما رحبتُ وسمِعنا داعيا يدعو إلى طاعةِ الرحمن ، وحُكِمَ القرآنُ ،
فأجبنا داعي الله « وَمَنْ لَا يُجِيبُ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ » فأقبلنا
من قبائل شتى النفر منا على بعير واحد ، عليه رداؤهم وأنفسهم يتعاورون لحافا
قليلون مستضعفون في الأرض فأوانا الله عز وجل وأيدنا بنصره فأصبحنا - والله حميد -
بنعمته إخوانا ، ثم لقمنا رجالكم بقديد ، فدعوناهم إلى طاعةِ الرحمن ، وحُكِمَ
القرآن ، ودعونا إلى طاعةِ الشيطان ، وحكم مروان وآل مروان ، فشتان ، لعمركم الله ،
ما بين الغيِّ والرُّشد .

ثم أقبلوا يهرعون ويزقون ، فضرب الشيطان عليهم بجراته وغلت بدمائهم
مراجله ، وصدق عليهم ظنه ، وأقبلت أنصارُ الله عصائبَ وكعائبَ ، بكل مهند ذى
رؤنق ، فدارت رحانا ، واستدارت رحاهم ، بضرب يرتابُ منه المبطون .

وأنتم يا أهل المدينة ، إن تنصروا مروان وآل مروان يُصِيبْكُمْ اللهُ بعذاب من
عنده ، أو بأيدينا ، ويشف صدور قوم مؤمنين .

يا أهل المدينة ، أوَّلُكم خيرُ أوَّل ، وآخرُكم شرُّ آخر .

يا أهل المدينة ، الناس مِنَّا ونحن مِنهم إلا مشركا أو عابداً وثن ، أو كافرا
من أهل الكتاب ، أو إماماً جائرا .

يا أهل المدينة ، من زعم أن الله كَافَّ نفسه فوق طاقتها ، أو سألها عما لم يُؤْتِها
فهو لله عَدُوٌّ ، ولنا حَرْبٌ .

يا أهل المدينة ، أخبروني عن ثمانية أسهمٍ فَرَضَها الله في كتابه على القوى
والضعيف ، فجاء التاسعُ ، وليس له منها ولا سهمٌ واحدٌ ، فأخذ جميعها لنفسه ،
مكابراً جأراً ، محاربا لربه ، فما تقولون فيه وفيمن عاونته على فعله ؟

يا أهل المدينة ، بلغني أنكم تَنتمَصون أصحابي ، قلتم: هم شبابٌ أحداثٌ وأعراب
جفاة .

وَيَحْكُم يا أهل المدينة ، وهل كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
إلا شبابا أحداثا !!

شبابٌ والله مُلهمون^(١) في شبابهم ، غضيضةٌ عن الشر أعينهم ، ثقيلةٌ عن
الباطل أقدامهم ، قد باعوا أنفسهم غداً بأنفس لا تموت أبدا .

قد خَلَطُوا كَلالَهُمْ بِكَلالِهِمْ ، وقيامَ ليلِهِمْ بصيامِ نهارِهِمْ ، منحنيةٌ أصلابهم
على أجزاء القرآن ، كلما مروا بأيةٍ خَوْفٍ شَهَقُوا خوفا من النار ، وإذا مروا بأيةٍ
شَوْقٍ شَهَقُوا شوقا إلى الجنة ، فلما نظروا إلى السيوف انتَضَبَتْ ، وإلى الرماح
أُسْرِعَتْ ، وإلى السهام فُوِّقَتْ ، وأرعدت الكتابُ بصواعقِ الموت ، استخفوا
وعيدَ الكتيبة عند عيد الله عز وجل ، ولم يستخفوا وعيدَ الله ، عز وجل ، عند
وعيدِ الكتيبة . فطوبى لهم وحسنُ مآب .

فكفم من عَيْنٍ في منقارِ طائرٍ^(٢) طالما بكى صاحبها من خشية الله .

(١) مكتهلون (أغانى) .

(٢) في الأصل طار والتصويب عن الأغاني .

وكم من يد أُبَيِّنَتْ عن سَاعِدهَا ، طالما اعتمد عليها صاحبُهَا رَاكِعًا وَسَاجِدًا .
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي تَقْصِيرِنَا .
وَمَا تَوْفِيقُنَا إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .
وَرَقِيَ النَّبْرَ مَرَّةً أُخْرَى ، وَهُوَ مُتَنَكِّبٌ قَوْسًا عَرَبِيَّةً ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ أَنْتَنِي عَلَيْهِ
ثُمَّ قَالَ :

قَدْ بَلَغَنِي مَقَالَتِكُمْ فِي أَصْحَابِي ، وَلَوْلَا مَعْرِفَتِي بِضَعْفِ رَأْيِكُمْ وَقِلَّةِ عَقُولِكُمْ
لَأَحْسَنْتُ آدَابِكُمْ ، بِحُكْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ،
وَوَبَّيَّنَ لَهُ فِيهِ السَّيْرَ ، وَشُرِعَ فِيهِ الشَّرَائِعُ ، وَوَبَّيَّنَ لَهُ فِيهِ مَا يَأْتِي وَمَا يَدَّرُ ، فَلَمْ يَكُنْ
يَتَقَدَّمُ ^(١) وَلَا يُخْجِمُ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَدْ آدَى
الَّذِي عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَدَّعِكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ فِي شُبُهَةٍ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَخَذَ بِسُنَّتِهِ ،
وَقَاتَلَ أَهْلَ الرُّدَّةِ ، وَشَتَرَ فِي أَمْرِ اللَّهِ ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ . وَالْأُمَّةُ عَنْهُ رَاضُونَ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَغْفِرَتُهُ .

ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ عُمَرُ ، فَأَخَذَ بِسُنَّةِ صَاحِبِهِ ، وَجَنَدَ الْأَجْنَادَ ، وَمَصْرَ الْأَمْصَارَ ، وَجَبَى
النِّقْيَ ، وَقَسَمَهُ بَيْنَ أَهْلِهِ ، وَشَتَرَ عَنْ سَاقِ اجْتِهَادِهِ ، وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعِهِ ، وَضَرَبَ
فِي الْخَمْرِ ثَمَانِينَ ، وَقَامَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَغَزَا الْعُدُوَّ فِي بِلَادِهِمْ ، وَفَتَحَ الْمَدَائِنَ
وَالْحِصُونَ ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ ، وَالْأُمَّةُ عَنْهُ رَاضُونَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ .
ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ عُمَانُ بْنُ عِفَانَ ، فَعَمِلَ فِي سِتِّ سِنِينَ بِسُنَّةِ صَاحِبِيهِ ، ثُمَّ أَحْدَثَ
أَحْدَاثًا ، أَبْطَلَ الْآخِرُ مِنْهَا الْأَوَّلَ ، فَاضْطَرَبَ حَبِلُ الدِّينِ مَعَهُ ^(٢) وَطَلَبَهَا كُلُّ أَمْرِيءٍ
لِنَفْسِهِ ، وَأَسْرَكَ كُلُّ رَجُلٍ سِرِيرَةً ، وَأَظْهَرَهَا اللَّهُ وَأَبْدَاهَا ، حَتَّى مَضَوْا عَلَى ذَلِكَ .

(١) إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ وَلَا يَحْجِمُ إِلَّا عَنِ أَمْرِ اللَّهِ (أَغَانِي) .

(٢) بَعْدَهَا (أَغَانِي) .

ثم وَلِيَّ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ^(١) - فَضَعَّفَهُ وَذَكَرَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا تَقَبَّرَ عَنْ حِكَايَتِهِ .
ثم ولى معاويةُ بنُ أبي سفيانٍ لِعَيْنُ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَابْنُ
لَعِينِهِ ، وَجَلَّفُ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَبَقِيَّةً مِنَ الْأَحْزَابِ ، مَوْافٍ طَلِيقٍ ، فَسَفَكَ الدَّمَ
الْحَرَامَ ، وَاتَّخَذَ عِبَادَ اللَّهِ حَوَالًا ، وَمَالَ اللَّهِ دَوْلًا ، وَبَنَى دِينَهُ عِوَجًا ، وَدَخَلَ^(٢) ،
وَأَحْلَى الْفَرَجَ الْحَرَامَ ، وَعَمِلَ بِمَا يَشْتَهِيهِ ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ فَعَلَّ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ .
ثم ولى بعده يزيدُ الحُمُورِ ، يَزِيدُ الصَّقُورِ ، يَزِيدُ الْفُهُودِ ، يَزِيدُ الصِّيُودِ ، يَزِيدُ
الْقُرُودِ ، يَخَالِفُ الْقُرْآنَ ، وَاتَّبَعَ الْكُهَّانَ وَنَادَمَ الْقُرْدَ^(٣) وَعَمِلَ بِمَا يَشْتَهِيهِ ، حَتَّى مَضَى
لِسَبِيلِهِ ، فَعَلَّ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ .

ثم ولى مروان بن الحكم ، فضييض^(٤) لعنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
وَابْنُ لَعِينِهِ ، فَاسْقُ بَطْنَهُ وَفَرِّجِهِ ، فَالْعَنُوهُ وَالْعَنُوا آبَاءَهُ .
ثم تداولها بنو مروان بعده ، أهلُ بيتِ اللعنة وطرده رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وَقَوْمٌ مِنَ الطَّلَقَاءِ لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَلَا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَا التَّابِعِينَ
يُحْسِنَانِ ، فَأَكَلُوا مَالَ اللَّهِ أَكْلًا ، وَاعْبَوْا بَدِينَ اللَّهِ أَمْبِيًّا ، وَاتَّخَذُوا عِبَادَ اللَّهِ عِبِيدًا ،
يُورِثُ الْأَكْبَرُ مِنْهُمْ الْأَصْغَرَ ، فَيَالِهَا مِنْ أُمَّةٍ مَا أَضِيعَهَا وَأَضْعَفَهَا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ .

ثم مَضَوْا عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَاسْتَخَفَّافَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، يَنْبِذُونَهُ
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، فَالْعَنُوهُمْ كَمَا يَسْتَحِقُّونَ .
وقد وَلِيَ مِنْهُمْ عَمْرُ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَبَلَغَ وَلَمْ يَكْدُ ، وَعَجَزَ عَنِ الَّذِي أَظْهَرَ ،
حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ - وَلَمْ يَذْكُرْهُ بِخَيْرٍ وَلَا شَرٍّ .

(١) فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ومضى . . . (أغانى) .

(٢) دغلا (أغانى) .

(٣) فى الأصل : ونادى القود، وما ذكرناه عن الأغانى .

(٤) طريد (أغانى) .

ثم ولي يزيد بن عبد الملك ، غلام ضعيف سفيه ، غير مأمون على شيء من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشده ، ولم يؤنس رُشدُه ، وقد قال الله عز وجل : « فَإِن آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ » فأمرُ أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، في أحكامها وفروجها ودمائها أعظمُ من ذلك كله ، وإن كان ذلك عند الله عظيماً .

مأبونٌ في بطنه وفرجه ، يشربُ الحرامَ ويأكلُ الحرامَ [ويلبسُ الحرامَ] .
يلبسُ بُرْدَيْنِ قد حيكاه ، فققوْماً على أهلِهما بألف دينار ، وأكثر وأقل ، وأخذت من غير حِلِّها ، وصرفت في غير وَجْهِها ، بعد أن ضُرِبَتْ فيها الأُبشار ، وحُلِّقَتْ فيها الأُشعار ، واستحِجَلْ ما لم يحِلَّ لمبيدٍ صالحٍ ولا لنبيٍّ مرسلٍ ، ثم يجلسُ - حَبَابَةَ عَنِ يَمِينِهِ ، وَسَلَامَةَ عَنِ يَسَارِهِ ، يُفَنِّيَانَهُ بِمِزَامِيرِ الشَّيْطَانِ ، ويشربُ الخمرَ الصُّرَاحَ المَحْرَمَةَ نصاً بيمينها ، حتى إذا أخذت مأخذها وخالطت دمه وروحه ، وغلبت سورتها على عقله مزق حُلَّتْه ، ثم التفت إليهما وقال : أتأذنان لي أن أطير ؟ نعم فطر إلى النار ، إلى لعنة الله ، حيث لا يرُدُّك الله .

ثم ذكر بنى أمية وأعمالهم وسيرتهم فقال :

أصابوا إمارةً ضائعةً ، وقوماً طغاماً جهالاً ، لا يقومون لله بحق ، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ، ويرون أن بنى أمية أربابهم ، فلكوا الأمر ، وتسلطوا فيه تسلط ربوبية ، بطشهم بطشُ الجبارة ، على الهدى ^(١) ، يقتلون على الغضب ، ويأخذون بالظن ، ويمطؤون الحدودَ بالشفاعات ، ويأتمنون الخونة ، ويقصون ذوى الأمانات ، ويأخذون الصدقةَ من غير فرضها ، ويضعونها في غير موضعها .

فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله عز وجل ، فالمنوهم لعنهم الله .
وأما إخواننا من هذه الشيعة وليسوا بإخواننا في الدين الذين سمعت الله عز وجل قال في كتابه : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ » .

(١) يحكون بالهوى (أغانى) .

شيمَةً ظاهرين بكتاب الله فأعلنت الفرية على الله ، لا يرجعون إلى نظرٍ نافذٍ في القرآن ، ولا عقلٍ بالغٍ في الفقه ، ولا تفكيرٍ عن حقيقة الصواب ، قد قلّدوا أمرهم أهواءهم ، وجعلوا دينهم عصبيةً لحزبٍ لزموه . وأطاعوه ، في جميع ما يقوله لهم ، غيًّا كان أو رُشدًا أو ضلالةً أو هدى ، ينتظرون الدول في رجعة الموتى ، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ، ويدّعون علمَ الغيبِ للمخلوقين ، لا يعلمُ أحدهم ما في داخل بيته ، بل لا يعلمُ ما ينطوى عليه ثوبه ، أو يحويه جسمه ، يَنْقِمُونَ المعاصيَ على أهلها ، ويعملون إذا ظهروا بها ولا يعرفون المَخْرَجَ منها .

جفاةٌ في الدين ، قليلةٌ عقولهم ، قد قلّدوا أهلَ بيت من العربِ ذمتهم وزعموا أن مواليتهم لهم تُمنّهم عن الأعمالِ الصالحة ، وتُنَجِّبهم من عقاب الأعمالِ السيئة . قاتلهم الله أنى يُؤفكُون .

فأى هؤلاء الفرقِ يا أهل المدينة تتّبعون ؟

أو بأى مذاهبهم تتقدّون ؟!

ثم إنَّ مروانَ بعثَ من عسكره بأربعة آلاف ، لينجّهم واستعمل عليهم ابنَ عطيّة ، وأمره بالجدِّ في السير ، وأعطى كلَّ رجلٍ من أصحابه مائة دينار ، وفرسا عربية وبغلا لثقله ، وأمره أن يمضيَ فيقاتلهم .

وقيل : بعثَ معهم ألفَ رجلٍ من أهل الجزيرة ، فشرطوا على مروان أنهم إن قتلوا عبدَ الله وأصحابه رجعوا إلى الجزيرة ، ولم يقيموا بالحجاز . فأجابهم إلى ذلك . فخرج حتى نزل بالعلاء^(١) فكان رجلٌ من أهل المدينة يقال له العلاء بن أفلح مولى لأبي الغيث^(٢) يقول :

(١) بالمعلّى (أغانى) .

(٢) في الأصل لبني العيث ، وما أثبتناه عن الأغانى ، ويؤيده ما جاء بعد ذلك بقليل ، وإن كانت

العبث كررت ، وهى الغيث .

لقيني ، وأنا غلام ، رجلٌ من أصحابِ ابنِ عطية ، فسألني : ما اسمُك يا غلام ؟ قلت : العلاء . قال : ابنُ مَنْ ؟ قلت : ابنُ أفلح . قال : عربي أم مولى ؟ قلت : مولى . قال : مولى مَنْ ؟ قلت : مولى أبي الغيث . قال : فأين نحن ؟ قلت : بالعلاء . قال : وأين نحن غدا ؟ قلت : بغاب ، فما كلمني حتى أردفني خلفه ، ثم مضى بي حتى أدخلني على ابنِ عطية . فقال : سل هذا [الغلام] عن اسمه فرددت عليه القول كالذي قلتُ فسُرَّ بذلك ، ووهب لي دراهم .

فبعث أبو حمزة بلجاً في سبائة رجل ، ليقاتل ابنَ عطية ، فلقيه بوادي القرى لأيام حلت [من جمادى الأولى]^(١) سنة ثلاثين ومائة . فتوافقوا ، ودعاهم بلج إلى الكتاب والسنة ، وذكروا بني أمية وظلمهم ، فشمهم أهل الشام ، وقالوا : أنتم يا أعداء الله بهذا أحقُّ ممن ذكركم . فحمل عليهم بلجٌ وأصحابه ، فانكسرت^(٢) طائفةٌ من أهل الشام ، وثبت ابنُ عطية في عصبه ، صبروا معه ، فنادى أهل الشام : يا أهل الحفاظِ ناضلوا عن دينكم وأميركم ! فكفروا وصبروا صبراً حسناً ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، فقتل بلجٌ وأكثر أصحابه ، وانحازت قطعةٌ من أصحابه ، نحو المائة ، إلى جبل فاعتصموا به . فقاتلهم ابنُ عطية ثلاثة أيام ، فقتل منهم سبعين رجلاً ، ونجا ثلاثون ، فرجعوا إلى أبي حمزة ، ونصب ابنُ عطية رأسَ بلجٍ على رُمح ، وجزع الذين انهزموا إلى أبي حمزة ، فقال لهم أبو حمزة : لا تجزعوا ، فأنا لكم فئة ، وإلى انحرزتم .

وخرج أبو حمزة من المدينة إلى مكة ، واستخلف عليها رجلاً يقال له المعضل فقام عليه أهل المدينة ، فقتل جماعةً من أهل بيته ، وهرب الباقون ، فلم يبق منهم بالمدينة أحد .

(١) ما بين القوسين ، يابض بالاصل ، وهو عن الأغاني .

(٢) فانكسفت (أغاني) .

ولما قدم ابن عطية المدينة أقام بها شهراً ، وأبو حمزة مقيمٌ بمكة ثم توجه إليه فقدمها فصير أصحابه فرقتين ، ولقي الخوارج من وجهين فانهزم أهل الشام إلى عقبة مئى ، فوقفوا عليها . ثم كرّوا^(١) وقاتلوه . فقتل أبو حمزة وأبرهة بن الصباح وتفرق الخوارج وتبعهم أهل الشام يقتلونهم^(٢) حتى دخلوا المسجد . وأسر أهل الشام منهم أربعمائة غلام . فدعاهم ابن عطية فقال : ويلكم ، ما دعاكم إلى الخروج مع هذا ؟ قالوا : ضمن الكنة - يريدون : الجنة [وهى لغتهم]^(٣) فقتلهم وصلب أبا حمزة وأبرهة وصلب معهما غيرهما على فم شعب^(٤) .

وبعث برأس أبي حمزة إلى مروان مع عروة بن عطية ولم يزالوا مصلوبين حتى أفضى الأمر إلى بنى العباس .

وحج مهلهل الهجيمي فأنزل أبا حمزة ليلا فدقنه ، ودفن خشبه .

ولما بلغ قتل أبي حمزة عبد الله بن يحيى بصنعاء أقبل ومعه أصحابه ، يريد قتال ابن عطية ، وشخص إليه ابن عطية ، فالتقوا وأكثر أهل الشام القتل فيهم ، وأخذوا أنفالهم وأموالهم ، وتشاغلوا بالنهب ، فركب عبد الله بن يحيى فكشفهم ، وقتل منهم نحو مائة رجل ، وقتل قائداً من قوادهم ، يقال له يزيد بن حمل القشيري ، وأمساوا ، فكف بعضهم عن بعض .

ثم التقوا من الغد في موضع كثير الشجر والكرم والحيطان ، وطال القتال بينهم وكثرت^(٥) القتل في الشراة فترجل عبد الله بن يحيى في ألف رجل فقاتلوا حتى

(١) فى الأصل ذكروا .

(٢) فى الأصل يقتلوه .

(٣) ما بنى القوسين عن الأغاني .

(٤) الشعب ، شعب الحيف (أغاني) .

(٥) استعجر (أغاني) .

قُتِلُوا جَمِيعًا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ ، فَتَفَرَّقُوا فِي كُلِّ وَجْهِ وَنَجَا (١) مِنْ نَجَا
مَنْهُمْ بِصَنْعَاءِ .

فَقَالَ أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِيُّ :

قَتَلْنَا دَعِيسَا وَالَّذِي يَكْتَبِنِي الْكُنْيَ أبا حمزة الغاوي المضلَّ اليمانيَا
وَأَبْرَهَةَ الْكِنْدِيَّ خَاضَتْ رِمَاحُنَا وبلجا صبَحْنَا الحتوفَ القواضيا
وَمَا تَرَكْتُ أَسْيَافُنَا مِنْذُ جُرِّدَتْ لمروانَ ختَّارًا (٢) مِنَ الأَرْضِ عَادِيَا

ثم بعث عبدُ الملك بنُ عطيةَ رأسَ عبدِ الله بنِ يحيى مع ابنه يزيد بن عطية
إلى مروان .

وقال عبدُ الله بنُ الحُصَيْنِ ، وَيُقَالُ الْحَسَنُ الْعَتَرِيُّ ، مَوْلَى لَهُمْ ، يَرْتِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

يُحْيَى وَأَبَا حَمْزَةَ ، مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْهَا :

هَبَّتْ قُبَيْلَ تَبَلُّجِ الْفَجْرِ هَبَّتْ قُبَيْلَ تَبَلُّجِ الْفَجْرِ
إِذَا بَصُرْتَ عَيْنِي وَوَاكِفَهَا (٣) إِذَا بَصُرْتَ عَيْنِي وَوَاكِفَهَا (٣)
أَتَى اعْتِرَاكَ وَكُنْتَ عَهْدِي لَا أَتَى اعْتِرَاكَ وَكُنْتَ عَهْدِي لَا
أَفْذَى بَعِينِكَ لَا يَفَارِقُهَا أَفْذَى بَعِينِكَ لَا يَفَارِقُهَا
أَمْ ذِكْرُ إِخْوَانٍ فُجِعَتْ بِهِمْ أَمْ ذِكْرُ إِخْوَانٍ فُجِعَتْ بِهِمْ
فَأَجَبْتُهَا بِلِ ذِكْرُ مَضْرَعِهِمْ فَأَجَبْتُهَا بِلِ ذِكْرُ مَضْرَعِهِمْ
يَا رَبُّ اسْلِكْنِي سَبِيلَهُمْ يَا رَبُّ اسْلِكْنِي سَبِيلَهُمْ
فِي فَتْيَةٍ صَبَرُوا نَفْسَهُمْ فِي فَتْيَةٍ صَبَرُوا نَفْسَهُمْ
تَاللَّهِ أَلْتَقَى الدَّهْرَ مِثْلَهُمْ تَاللَّهِ أَلْتَقَى الدَّهْرَ مِثْلَهُمْ

(١) ولحق (أغانى) .

(٢) الختار : الغادر - وفي الأغاني جبار .

(٣) مدامعها . . . ينهل واكفها . . .

أَوْفَى بِدِمَّتِهِمْ إِذَا عَقَدُوا
 مَتَاهِلِينَ لِكُلِّ صَالِحَةٍ
 كَمِ مَنْ أَخِيكَ قَدْ فُجِعَتْ بِهِ
 وَمُبْرَأٍ مِنْ كُلِّ سَيِّئَةٍ
 مِتَاوَهُ يَتَاوَى قَوَارِعَ مِنْ
 تَكْلِيلِكَ الْخِتَارِ أَوْلَى بِهِ
 خَوَاضِ غَمْرَةٍ كُلِّ مِتْلَفَةٍ
 وَابْنِ الْخُصَيْنِ وَهَلْ لَهُ شَبَهُ
 وَمُخَالِطِي بَلَجٍ وَخَالِصِي
 وَأَخِيكَ أَبْرَهَةَ الْهَجَانِ أَخِي أَلِ
 وَوَلِي حِلْمِهِمْ^(٢) فُجِعَتْ بِهِ
 وَمُسَيَّبٍ فَازْدَكُرْ وَصِيَّتَهُ
 فِي مُحْسِنِينَ^(٤) وَلَمْ أُسْمِهِمْ

وَأَعْفَ^(١) عِنْدَ الْيُسْرِ وَالْعَسْرِ
 نَاهِينَ مِنْ لِقَاوَا عَنِ النُّكْرِ
 قَوَامٍ لَيْلَتِهِ إِلَى الْفَجْرِ
 عَفَّ الْهَوَى ذِي مِرَّةٍ شَزَّرَ
 آيَ الْكِتَابِ مُفْرَعِ الصَّدْرِ
 مِنْ مَفْتَدٍ فِي اللَّهِ أَوْ مَسْرِ
 فِي اللَّهِ تَحْتَ الْعَشِيرِ الْكَدْرِ
 فِي الْعُرْفِ أَنْتَى كَانَ وَالنُّكْرِ
 سُمِّ الْعِدَاةِ وَجَابِرُ الْكَسْرِ
 حَرْبِ الْعَوَانِ مُلْفَحِ الْجَمْرِ
 عَمْرُو فَوَانْدِي^(٣) عَلَى عَمْرُو
 لَا تَنْسَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا ذُكْرِ
 كَانُوا يَدِي وَهُمْ أَوْلُو النَّصْرِ

وكتب مروان إلى ابن عطية يأمره بالسير إلى صنعاء ، ليقاتل من بها من الخوارج ، فاستخلف ابنه ، محمد بن عبد الملك ، على مكة وتوجه إلى صنعاء ، ورجع أهل الجزيرة جميعا إلى بلدهم ، كما كان مروان شرط لهم .

فلما قرَّبوا من صنعاء هرب عاملُ عبدِ الله بن يحيى منها ، وأخذ أهل صنعاء أثقاله وحمليين من مال ، كانوا معه ، وسلموا ذلك إلى ابن عطية ، وتبع أصحاب

(١) في الأصل وألف .

(٢) حكاهم (أغانى) .

(٣) فواكبدى (أغانى) .

(٤) مخبتين (أغانى) .

عبد الله بن يحيى فى كل موضع يقتلهم ، وأقام بصنماء أشهراً - وخرج عليه عدّة
تفرّ من الخوارج وظفر بهم .

ثم ورد عليه كتاب مروان يأمره بالتعجيل إلى مكة ، ليحج بالناس ، فصالح
أهل حضر موت على أن يرُدّ عليهم ما عرفوا من أموالهم ، ويؤكّل عليهم من
يختارون ، ويسالموه ، فرضى بذلك وصالحهم .

وشخص إلى مكة متمجلاً - ولما نفذ مروان الكتابَ ندم بعد ذلك بأيام ، وقال :
إنّا لله ، قتلت ، والله ، ابن عطية ، فإنه الآن يخرج مخفياً متمجلاً ليلحق الحج
فتقتله الخوارج ، فكان كما قال . تمجّل فى بضعة عشر رجلاً ، فلما كان بأرض مرادٍ
تلفّت عليه جماعةٌ فمن كان فى تلك الجماعة أباضياً عرفه فقالوا : ما نتظرُ بهذا
أن ندرك نأراً أصحابنا فيه ، ومن لم يكن أباضياً ظنّه منهم ، فلما علم أنهم يريدونه
قال لهم : ويلكم ، إني عاملُ أمير المؤمنين على الحج ، فلم يلتفتوا إليه وقتلوه ،
ونصبت الأباضية رأسه ، فلما قتشوا متاعه وجدوا فيه الكتاب بولايته ، فأخذوا
من الأباضية رأسه ودفنوه مع جسده .

عبد الله بن أبي معقل (١)

هو عبدُ الله بن أبي معقل بن نهيك بن أساف بن عدى بن زيد بن جشم بن حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو وهو النبيت بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن النوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
حجازيٌّ شاعرٌ مقلٌّ من شعراء الدولة الأموية .

وكان يقال لأبيه مُنهبُ الورق .

وقيل : بل جدُّه المسمى بذلك لأنه كَسَبَ مالا فعَجِبَ أهل المدينة من كَثْرَتِهِ ، فأباحهم إياه ، فنهبوه .

وكان عَبَّادُ بنُ نهيك بن أساف عمُّ أبيه أدرك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وصحبه وصلى معه إلى القبلتين ، وصلى معه الظهر ، وصلى ركعتين منها إلى البيت المقدس ، وركعتين إلى الكعبة .

وأدرك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو شيخ كبير لا فضل عنده ، فوضع عنه الغزو .

وكان نهيك بن أساف يهاجى أبا الخضر الأشهلي في الجاهلية ، وأشعارها موجودة في أشعار الأنصار .

وكان ابنُ أبي معقل محسودا في قومه ، يجاهرونه بالعداوة ، ليساره وسعة ماله ، ويحسدونه .

وكان بنى قصرًا في بني حارثة وسماه مرغما . فقال له قائل : ما لك ولِقَوْمِكَ ؟

فقال : ما لي لهم ذنبٌ إلا أني أثريتُ ، وكنت معدما ، فبنيتُ مُرُغما ، وأنكحت
مريم ومريما - يعني : ابنته وابنة ابنه .

فأما ابنته مريم فتزوجها حبيبُ بن الحكم بن أبي العاص بن أمية . وبنْتُ ابْنِه
تزوجها محمد بن خالد بن الزبير بن العوام .

وكان حبيبُ بن الحكم ومحمدُ بن خالد قد خطبا إلى عبد الله بن أبي مَعْقِل
ابنته مريمَ فأرغبه حبيبُ في الصداق فزوجه إياها .

ثم سبَّت مريمُ بنت مسكين بن عبد الله بن أبي مَعْقِل ، فرغب في جمالها فلَقِيَ
محمدَ بن خالد ، فقال له : يا ابن خالد إن تكن مريمُ قد فانتك فقد يَفَعَت مريمُ
بنتُ أخيها ، وما هي بدونها في الجلال ، وقد آثرْتُك بها - قال : فتزوجها على عشرين
ألفا .

وكان ابن أبي مَعْقِل كثيرَ الأسفار في طلب الرزق ، فلامته امرأته أم نهيك ،
وهي بنت عمه على ذلك ، وقد قدم من مصر ، فلم يلبث أن قال : جَهَّزْنِي إلى الكوفة ،
إلى المغيرة بن شُعبة ، فقد وِليها ، وهو صديقي ، فَجَهَّزَتْهُ ثم قالت له : لم تَرَ لُ
في أسفارِكَ هذه تترددُ حتى تموتَ فقال لها : أو أثري ، ثم أنشأ يقول :

أُمُّ نَهْيِكَ ادْفِي الظَّمْنَ (١) صَاعِدَا
سِيغْنِيكَ سَيْرِي فِي الْبِلَادِ وَمَطْلَبِي
فَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى
فَمَنْ تَحْرِيكُ الْكَمِيتِ عِنَانَهُ
وَمَنْ سَبَقُ الْمَادَلَاتِ بَشْرِيَّةً
وَمَنْ تَحْرِيكُ الْأَوَانِسِ كَالدُّمَى
وَلَا تِيَامِسِي أَنْ يُثْرِي الدَّهْرَ بَائِسُ
وَبَعْلُ الَّذِي لَمْ يَخْطُ فِي الدَّارِ جَالِسُ
وَجَدَّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ رَامِسُ
إِذَا ابْتَدَرَ النَّهْبَ الْبَعِيدَ الْفَوَارِسُ
كَأَنَّ أَخَاهَا وَهُوَ يَقْظَانُ نَاعِسُ
إِذَا ابْتَدَرَ عَنْ أَكْفَالِهِنَّ الْمَلَابِسُ

(١) ارفعى الطرف (أغاني) .

سَأَكْسَبُ مَالًا أَوْ تَبَيِّنَ لِي سَلَةً بِصَدْرِكَ مِنْ وَجْدٍ عَلِيٍّ وَسَاوِسٍ^(١)
وَمَنْ يَطْلُبُ الْمَالَ الْمُمْنَعَةَ بِالْقَنَاءِ يَعْشُ مُثْرِيًّا أَوْ يُوَدِّ فِيهَا يُهَارِسُ
ثم قدم المدينة فلم يزل مقيما بها حتى ولي مصعبُ بن الزبير العراقَ فوفد إليه ،
ولقيه ، فدخل إليه وهو يندُبُ الناسَ إلى غزوة زَرَنْجٍ^(٢) ويقول: مَنْ لها؟ فوثب
عبدُ الله بن أبي معقل ، وقال : أنا لها . فقال له مصعب : اجلس ، ثم ندبَ الناسَ ،
فانتدبَ لها مرّةً ثانيةً . فقال له مصعب : اجلس . ثم ندبَ الناسَ ثالثةً فقال
عبدُ الله : أنا لها ، فقال له : اجلس ، فقال : له أَدْرِنِي حَتَّى أُكَلِّمَكَ ، فأدناه ، فقال
له : قد علمتُ أنه لا يَنْعَمُكَ مِنِّي إِلَّا أَنْكَ تَعْرِفُنِي ، ولو انتدبَ لها رجلٌ ممن لا تعرفُهُ
لَبَعَثْتَهُ ، فلملك تجدني^(٣) أن أُصيبَ خيرا أو أسنَشهدَ فاستريحَ من الدنيا والطلب لها ،
فأعجبه قوله وجزالته فولاه ، فأصاب في وجهه ذلك مالا كثيرا ، وانصرف إلى
المدينة ، فقال لزوجته : أَلَمْ أُخْبِرْكَ فِي شِعْرِي أَنَّهُ :

سَيُفْنِيكَ سَيْرِي فِي الْبِلَادِ وَمَطْلَبِي وَبِعَلُّ التِّي لَمْ يَخْطُ فِي الدَّارِ جَالِسُ
فَقَالَتْ : بَلَى !! وَاللَّهِ قَدْ أَخْبَرْتَنِي ، فَصَدَقَ خَبْرُكَ .

وفي الغزاة يقول ابن قيس الرقياتي :

إِنْ يَعْشُ مَصْعَبٌ فَنَحْنُ بِخَيْرٍ قَدْ أَنَا نَا مِنْ عَيْشِنَا مَا نُرْجِي
مَلِكٌ يَطْعَمُ الطَّعَامَ وَيَسْتَقِي ابْنُ الْبُخْتِ فِي عَسَاسِ الْخَلْنَجِ
جَلَبَ الْخَلِيلَ مِنْ تَهَامَةٍ حَتَّى بَلَّغَتْ خَيْلُهُ قُصُورَ زَرَنْجِ

(١) في الأصل : ملابس .

(٢) زرنج : مدينة هي قصبة سجستان .

(٣) تحسدني (أغاني) .

عمير القطامي (١)

هو عمير بن شميم وكان نصرانيا - وهو إسلامي .
شاعرٌ فحلُّ مُقلِّ مجيد .

قال عبد الملك بن مروان للأخطل : يا أبا مالك أتحب أن يكون لك بشمرك شعراً
شاعراً من العرب ؟ قال : اللهم لا ، إلا شاعر منا مغدق القناع خامل الذكرك ، حديث
السنن ، إن يكن في أحدٍ خيرٌ فسيكون فيه ، ولوددت أني سبقت إلى قوله :

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مِنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بِإِدَى
فَهِنْ يَمِيدَنْ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُنْ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادَى
كان القطاميُّ أول من لقبَ صريعَ الغواني بقوله :

صريعُ غوانٍ راقهن ورقنه لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سَوْدُ الذَّوَائِبِ

نزل القطاميُّ ببعض أسفاره بامرأةٍ من محاربِ قيس ، فنسبها . فقالت :
أنا من قومٍ يشوون القِدَّ من الجوع ، قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب ،
ولم تُقره ، فبات عندها بأسوأ ليلة . فقال فيها قصيدته التي أولها :

نَأْتِكُ بِلَيْلِي نَيْيَةً لَمْ تُقَارِبِ وَمَا حُبُّ لَيْلِي مِنْ فَوَادِي بَذَاهِبِ
وَلَا بَدَأَ أَنْ الضَّيْفَ يُخْبِرَ مَا جَرَى مُخَبِّرٍ أَهْلٍ أَوْ مُخَبِّرٍ صَاحِبِ
سَأخْبِرُكَ الْأَنْبَاءَ عَنْ أُمَّ مَنَزِلِ تَضَيَّقَتْهَا بَيْنَ الْعُدَيِّبِ فِرَاسِبِ
تَلَفَعْتُ (٢) فِي طَلِّهِ وَرِيحِ تَلَفُنِي وَفِي طَرْمَسَاءِ (٣) غَيْرِ ذَاتِ كَوَاكِبِ

(١) أغاني ٢٠ : ١١٨ .

(٢) تلفعت (ابن قتيبة) .

(٣) الطرمساء : الظلمة الشديدة .

إلى حَبِزُونَ تَوْقِدُ النارِ بَعْدَ ما
تَصَلَّى بِهِ بَرْدَ الشِّتَاءِ وَلَمْ تَكُنْ
فَما راعِها إِلَّا بُغامَ مَطِيَّةٍ
تَقولُ وَقَدِ قَرِبتُ كُورِي وَناقتِي
فَلما تَنازَعنا الحَدِيثَ سَأَلتُها
مِنَ المُشْتَوِينِ القِدَمَ مَما تَراهُمُ
فَلما بَدأ حَرمانُها الضَّيْفَ لَمْ يَكُنْ
كَانَ أَوَّلَ ما حَرَّكَكَ مِنَ القُطامِي وَرَفَعَ ذِكرَهُ أَنَّهُ قَدِمَ في خِلافَةِ الوَليدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ
دَمَشقَ لِمِداحِهِ ، فَقِيلَ لَه : إِنَّهُ بِحَيلٍ لا يَعطى الشُّعراءُ .

وقيل : بل قَدِمَها في خِلافَةِ عَمَرَ بنِ عَبْدِ العَزيزِ ، فَقِيلَ لَه : إِنْ الشُّعراءَ لا يَنفُقُ عَندَ
هَذا ، وَلا يَعطى عَلَيهِ شَيْئاً . وَهَذا عَبدُ الوَاحِدِ بنِ سَليمانَ ، فامْتَدَحَهُ فَمَدَحَهُ بِقَصيدَةٍ :

إِنا مَحيوكَ فَاسَلَمَ أَيها الطَّلَلُ وَإِنْ بَلِيتَ وَإِنْ طالَتِ بِكَ الطَّيْلَلُ
يَعمِشِينَ زَهِواً فَلا الأَعمَاجُ خاذِلَةٌ وَلا الصُّدورُ عَلى الأَعمَاجِ تَتَكَلَّمُ
فَقالَ لَه : كَما أَمَلتَ مِنَ أميرِ المُؤمِنينَ ؟ قالَ : أَمَلتُ أَنْ يُعَطيَنِي ثَلاثينَ نَاقَةً .
قالَ : قَدِ أَمَرْتُ لَكَ بِخَمسينَ نَاقَةً ، وَأَنْ تُوقِرَ لَكَ بُرّاً وَعَمراً وَثِياباً . ثُمَّ دَفَعَ ذَلِكَ إِلَيهِ .
قالَ أَبُو عَمرو وَالشَّيبانِيُّ : لو قالَ القُطامِيُّ بَيتَهُ :

يَعمِشِينَ زَهِواً فَلا الأَعمَاجُ خاذِلَةٌ وَلا الصُّدورُ عَلى الأَعمَاجِ تَتَكَلَّمُ
في صِفةِ النِّساءِ لَكانَ أَشعَرَ النِّساءِ .
وَلو قالَ كَثيراً بَيتَهُ :

فَقَلتُ لَها يا عَزُّ كُلِّ مَصبِيَةٍ إِذا وَطَنتِ يَوما لَها النِّفَسُ ذَلَّتْ
في مَراثِيَةٍ أَوْ صِفةِ حَربٍ لَكانَ أَشعَرَ النِّساءِ .

حدث رجل كان يُدِيم الأسفارَ قال : سافرت مرة إلى الشام فمَثَلت بهذا البيت :
قد يدركُ المتأَنَّى بِمِضِّ حَاجَتِهِ وقد يكون مع المستعجل الزال
ومى أعرابي قد استأجرتُ منه مَرَكَبِي . فقال لي : ما زاد قائل هذا الشعر
على أن تُبَيِّطَ النَّاسَ عَنِ الحِزْمِ ، فَهَلَا قال بِمَدِّ بَيْتِهِ هَذَا :
وربما ضُرَّ بِمِضِّ النَّاسِ رِيثُهُمْ وكان خيراً لهم لو أنهم عَجَلُوا

عبد الله بن صخر الهذلي^(١)

هو عبدُ الله بن سلمَ السَّهْمِيُّ أحدُ بني مُرْمِضَ .
شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراءِ الدَّولةِ الأمويةِ .
وكان مواليا لهم مُتَمَصِّبًا لهم .

وله في عبدِ الملكِ بنِ مروانِ عدَّةُ مدائحٍ ، وفي أخيه عبدِ العزيزِ^(٢) في الحُبْسِ
إلى أن قُتِلَ .

لما ظهر عبدُ الله بنُ الزبيرِ بالحِجازِ ، وغَلَبَ عليها بعد موتِ يزيدَ بنِ معاويةِ ،
وتشاغلَ بنو أميةَ بالحربِ [بينهم] في مرجِ راهطٍ وغيره ، دخلَ عليه أبو صخرِ
الهذليُّ في هُدَيْيلَ ، وقد جاءوه ليَقْبِضُوا عطاءَهم ، وكان عارفاً بهواه في بني أميةَ ،
فمنعه عطاءه . فقال : علامَ تمنعني حقِّي ، وأنا امرؤُ مسلمٍ ما أحدثتُ في الإسلامِ
حدثاً ، ولا أخرجتُ من طاعةِ يدا ؟ قال : عليكِ ببني أميةَ ، فاطلبْ عندهم عطاءك .
قال : إذا أجدتهم سباطاً أ كَفَّهم سَمْحَةً أنفُسَهم ، بَدَلًا لأموالِهِم ، وها بينَ لُجَّتَدِيهِم ،
أكرِمةَ أعرافِهِم ، شريفةَ أصولِهِم ، زاكيةَ فروعِهِم ، قريباً من رسولِ الله ، صلى اللهُ
عليه وسلم نَسَبُهُم ، وسببُهُم ، ليسوا إذا نَسَبُوا بأذنانٍ ولا وشائظَ ولا أتباعٍ ،
ولا هم في قريشٍ كَقَفْعَةِ القاعِ ، لهم السُّودُودُ في الجاهليةِ ، والملكُ في الإسلامِ ،
لا كَمَن لا يُعَدُّ في عِيْرِها ولا نَقِيرِها ، ولا حَكَمَ أولوه^(٣) في نَقِيرِها ولا قَطْمِيرِها

(١) الأغاني ٢١: ٩٤ - المهذب ٦ : ٩٢ (هو أبو صخر الهذلي) .

(٢) رواية الأغاني والمهذب (وفي أخيه عبد العزيز وعبد العزيز بن خالد بن أسيد ، وحجسه

ابن الزبير إلى أن قتل) .

(٣) آباؤه (أغاني)

ليس من أحلافها المطيِّين ، ولا من ساداتها المطعمين ، ولا من جودائها الوهايين
ولا من هاشمها المنتخبين ، ولا من عبد شمسها المسوِّدين .

وكيف تقاس الرءوسُ بالأذنان ، وأين النصلُ من الجفنِ والسنانُ من الزجِّ
والذنانِ من القدامي .

وكيف يُفضَّلُ الشحيحُ على الجواد ، والسوقةُ على المَلِكِ ، والمجيعُ ^(١) بُخلاً
على المطعمِ فضلاً .

فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائضه وعرَّقَ جبينه واهترَّ من قرنه إلى قدميه
وامتقع لونه وقال :

يا ابن البوالة على عقبيها ، يا جلفُ ، يا جاهلُ ، أما والله لولا الحرماتُ الثلاثُ :
حرمةُ الإسلام ، وحرمةُ الحرم ، وحرمة الشهرِ الحرامِ لأخذتُ الذي فيه عيناك .
ثم أمر به إلى سجنِ عارم فسجن به مدة ، ثم استوهبته قريشٌ وهذيلٌ ومن له
من قريش خثولةٌ في هذيل ، فأطلقه بمدسنة ، وأقسم ألا يعطيه عطاءً مع المسلمين أبداً .
فلما كان عامُ الجماعة ، وولى عبدُ الملك ، وحج ، لقيه أبو صخر ، فلما رآه
عبدُ الملك قرَّبه وأدناه ، وقال له : لم يخفَ على خبيرك مع المُلحدِ ، ولا ضاع لك عندي
هواك ومُوالاؤك ، فقال له : أما إذ شفى الله نفسي منه ورأيتَه قتيلاً سيقك ،
صريعَ أولياؤك ، مصلوباً مهتوكِ السِّترِ مفرقِ الجماعة ^(٢) ، فما أبالي ما فاتني
من الدنيا .

ثم استأذنه في الإنشاد ، فأذن له ، فمثل قائماً وأنشد :

عفت ذات عرق عضلها فرئامها فصحياؤها وحش قد أجلي سوامها

(١) والجامع (أغانى - مهذب) .

(٢) الجمع (أغانى - مهذب) .

فلما فرغ منها أمر له عبدُ الملك بما فاته من عطائه ، ووصله بمثله من ماله ،
وكساه ، وحمله .

وكان أبو صخر منقطعاً إلى أبي خالدٍ عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد
مداحاً له ، فقال له يوماً : ارثني وأنا حي ، أسمع كيف تقولُ وأين مرأيتك لي بعدى
من مدحك إياي في حياتي . فقال : أعيدك بالله أيها الأمير ، بل يُبقيك الله ،
ويُقدّمني قبلك . فقال : ما من ذلك بد .

فرثاه بقصيدته التي يقول فيها :

أبا خالدٍ نفسي وقت نفسك الردي
لتبكك يا عبد العزيز قلانسُ
سمون بنا يحنن كل تنوفاً
فما قدمت حتى تواتر سَيْرُها
ففرج عن ركبنا ألهم والطوى
أخوشتوات^(١) تقتل الجوع داره
فلا يهني الفتيان بمدك لذة
وإن تمس رمسا^(٢) بالرصافة ناويا
وذى ورق^(٤) من فضل مالك ماله
فأضحى^(٥) مريحا بعد ما قد يؤوبه
فأضف له عبدُ العزيز جازته ووصله .

(١) في الأصل : سنوات .

(٢) في الأصل : رمسى .

(٣) في الأصل : الفيض .

(٤) في الأصل : (رزق) .

(٥) في الأصل : فامسى .

وكان لأبي صخر ولد يقال له دَاوُدُ ، ولم يكن له غيره فمات فجزع عليه جزعاً شديداً حتى خُوِلَطَ عقله وقال يرثيه :

لقد هاجني طيفٌ لداود بعدما
ولولا يقيني أنما الموتُ عَزَمَةٌ
لقلت له لما أَلَمَ بِرَمْسِهِ (٣)
هل أنت غداً غادٍ معي فُصاحبي
وكان أبو صخر يهوى امرأة من قضاة مجاورةً فيهم ، يقال لها لَيْلَى بنتُ
سعد ، وتكنى أمَّ حَكِيمٍ ، وكانا يتواصلان بُرْهَةً من دهرهما ثم تزوجت ورحلَ
بها زوجها إلى قومه فقال فيها أبو صخر :

ألم خيالٌ طارقٌ متأوَّبُ
وقد دنت الجوزاء وهي كأنها
فبات سرار في المنام مسع المني
قضاة أذنى ديارٍ تحلُّها
دميشةٌ ما تحت الثياب عميمةٌ
تملقها خَوْداً لذيذاً حديثها
فكان لها ودى ومحض (٧) علاقتي
فلم أر مثلي أياستُ بعد علمها

لأم حَكِيمٍ بعد ما نمت مُوصِبُ
ومِرْزَمُها (٤) بالغورِ ثورٌ وربُّ
عريض لمن يسعى من الحزن أشيب (٥)
قناةٌ وأنا من قناةِ الحَصْبِ
هضيم الحشا بكر المجسة ثيبُ
ليالي لا تحمى (٦) ولا هي تُحجَبُ
وليدا إلى أن راسى اليومَ أشيبُ
بودى ولا مثلى على اليأس يطْلَبُ

(١) في الأصل : باكيات .

(٢) للمحاسب (أغاني - مهذب)

(٣) فيما ألم برمسه (أغاني - مهذب) .

(٤) المرزمان : نجمان مع الشعريين .

(٥) رواية الأغاني والمهذب : فبات شرابي ... غريض المني يشفي جوى الحزن أشنب .

(٦) لا تعدى (مهذب) .

(٧) وريعة ميعتى (مهذب) .

ومن دون رمسنا من الأرض سبب
لصوت صدى ليلى يهش ويترب

وأخرى بذات الخيس آياتها سطر
صدفت وعيني دمعها سرب همر
يبين ما أخفى كما بين البدر
عجاري (٣) تأتي دونها غلب الصبر
سوى ذكري شيء قدمضى درس الذكر
نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر
كما انتفض العصفور بالله القطر
وزرتك حتى قيل ليس له صبر
تباريح حب خامر القلب أو سحر
أما وأحيا والذي أمره الأمر
ألفين منها لا يرؤعهما الدغر
وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر
ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
لنا أبدا ما أوزق السلم النضر

ولو تلتقى أصدأنا بعد موتنا
لظل صدى رسى (١) ولو كنت رمة
ومن مختار شعر أبي صخر قوله :
لليلى بذات العرق (٢) دار عرفتها
وقفت برسميها فلما تنكرا
وفي الدمع إن كذبت بالحب شاهد
صبرت فلما غال نفسي وشقها
إذا لم يكن بين الخليلين (٤) ردة
إذا قلت هذا حين أسلو يهيجني
وإني ليمروني لذكراك هزة
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى
صدقت أنا الصب المصاب الذي به
أما والذي أبكى وأضحك والذي
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى
فيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى
ويا حبها زدني جوى كل ليلة
عجبت لسمى الدهر بيني وبينها
وليست عشيات الحمى برواجه

(١) صوتي .

(٢) الجيس (أغانى) - البين (مهذب) .

(٣) عجاري : حوادث .

(٤) الجيبين (أغانى) .

وإني لآتيها لكما تبييني
فما هو إلا أن أراها فجاءةً
تكاذي يدي تندی إذا ما لمستها
ومن شعر المهذلي:

بيد الذي شغف الفؤاد بكم
همٌّ من أجلك ليس يكشفه
ولما بقيت لبيقين جوى
قد كان صرم في المات لنا
ويقر عيني وهي نازحة
أطلال نعمٍ إذ كلفتُ بها
ولو اني أسق على سقمي
ولقد عجبت لنيلٍ مُقْتَدِرٍ
يرى فيجرخني برميته
فاستيقني أن قد كلفت بكم

تفريح^(٢) ما ألقى من الهمِّ
إلا مليكٌ جائرُ الحكمِ
بين الجوانح مُسَقِمُ الجسمِ
فعلجت قبل الموتِ بالصرمِ
داري وليس كذا أخو الحكم^(٣)
بادين هذا القلبِ من نعمِ
بلمى عوارضها شفت سقمي
بسِطُ الفؤادِ بها ولا يُدِي
فلو اني أرزى كما يرزى
ثم افعلي ما شئت عن علمِ

(١) رواية الأغاني والمهذب :

(... لآتيها وفي النفس هجرها بتاتا لأخرى الدهر ما وضع الفجر)

(٢) فرج الذي .

(٣) ما لا يقر بعين ذى الحلم (أغاني - مهذب).

فهرست تراجم الكتاب

- | | | |
|----------|---------------------------------------|--|
| ۱۶۳-۱۵۵ | ۲۰- دِيكِ الحِنِّ | ۱- ذَكَرَ عُبيدُ اللَّهِ بنِ قيسِ |
| ۱۷۰-۱۶۴ | ۲۱- عَلِيٌّ بنِ الخَلِيلِ | الرَّقِيَّاتِ ۳- ۱۳ |
| | ۲۲- أَبُو الشُّبَّيلِ عَصَمَةَ بنِ | ۲- ذَكَرَ عبدُ الرَّحْمَنِ دَخَانَ ۱۴- ۱۷ |
| ۱۷۴-۱۷۱ | وَهَبُ البُرْجُمِيِّ | ۳- ذَكَرَ عبدُ الرَّحْمَنِ أَعشى |
| | ۲۳- عبدُ اللَّهِ بنِ الزَّبيرِ | هَمْدانِ ۱۸- ۲۳ |
| ۱۸۸-۱۷۵ | الأَسَدِيِّ | ۴- ذَكَرَ عمرُ بنِ عبدِ العَزيزِ ۲۴- ۳۵ |
| | ۲۴- عبدُ الرَّحْمَنِ بنِ حَسَّانِ | ۵- ذَكَرَ عَدِيٌّ بنِ الرِّقَّاعِ ۳۶- ۴۰ |
| ۱۹۶-۱۸۹ | ابنِ ثابِتِ | ۶- ذَكَرَ عُلَيَّةُ بنتُ المَهدي ۴۱- ۵۰ |
| ۲۰۱-۱۹۷ | ۲۵- عامرُ أَبُو الطُّفَيْلِ | ۷- ذَكَرَ عَلِيُّ بنِ الجَهْمِ ۵۱- ۶۸ |
| | ۲۶- عمروُ بنِ مَعديكَرِبِ | ۸- ذَكَرَ عبدُ اللَّهِ بنِ العَترِ ۶۹- ۷۲ |
| ۲۲۰-۲۰۲ | الزَّيْدِيِّ | ۹- ذَكَرَ عَملاقُ المَلِكِ وَعَفيرةُ ۷۳- ۷۷ |
| | ۲۷- عمروُ بنِ بانَةَ | ۱۰- ذَكَرَ عائِشةُ بنتُ طَلحَةَ ۷۸- ۸۳ |
| ۲۲۲، ۲۲۱ | ۲۸- عمروُ بنِ عُبيدِ الحَزينِ | ۱۱- ذَكَرَ عَلُوَيْهَ ۸۴- ۹۴ |
| ۲۲۹-۲۲۳ | ۲۹- عَنترَةُ بنِ شَدَّادِ | ۱۲- عبدُ اللَّهِ بنِ الحِشْرَجِ ۹۵- ۹۸ |
| ۲۳۴-۲۳۰ | ۳۰- عيسىُ بنِ موسى | ۱۳- عبدُ اللَّهِ بنِ جَعفَرِ الطَّيَّارِ ۹۹- ۱۰۲ |
| ۲۳۶، ۲۳۵ | ۳۱- عامرُ بنِ الطُّفَيْلِ وَعَلقَمَةُ | ۱۴- عبدُ اللَّهِ بنِ مَعاوِيَةَ بنِ |
| | ابنِ عَلانَةَ ۲۳۷- ۲۴۸ | عبدِ اللَّهِ بنِ جَعفَرِ الطَّيَّارِ ۱۰۳- ۱۱۰ |
| ۲۵۵-۲۴۹ | ۳۲- عبدُ يَفوْثِ | ۱۵- عَقِيلُ بنِ عَلَفَةَ ۱۱۱- ۱۲۰ |
| ۲۶۱-۲۵۶ | ۳۳- عبدُ اللَّهِ بنِ الدُّمَيْنَةَ | ۱۶- العُجَيرِ السُّلُوِّيَّ ۱۲۱- ۱۲۵ |
| ۲۶۸-۲۶۲ | ۳۴- عَزَّةُ المِياذِ | ۱۷- عبدُ اللَّهِ بنِ الحِجَّاجِ ۱۲۶- ۱۳۴ |
| ۲۷۰، ۲۶۹ | ۳۵- عُروَةُ بنِ الزُّبيرِ | ۱۸- عبدُ الصِّمدِ بنِ العَدَدَلِ ۱۳۵- ۱۴۷ |
| | | ۱۹- عبدُ الرَّحْمَنِ بنِ الحَكَمِ ۱۴۸- ۱۵۴ |

- ٣٧٦-٣٧٠ - أبي طالب رضى الله عنه
٥٣- ٣٧٩-٣٧٧ - علقمة الفحل
٥٤- ٣٨٤-٣٨٠ - عمر أبو حفص الشَّطْرَنَجِيّ
٥٥- ٣٩٠-٣٨٥ - عبيد بن الأبرص
٥٦- ٣٩٣-٣٩١ - عُبَيْدَةُ الطَّنْبُورِيَّةُ
٥٧- ٣٩٥، ٣٩٤ - علي بن عبد الله بن جعفر
٥٨- ٤٠٠-٣٩٦ - عُمَيْدَةُ بن مرداس
٥٩- عبد الله بن العجلان
٤٠٣-٤٠١ - النهديّ
٦٠- المُدَيْل بن الفرخ ٤١١-٤٠٤
٦١- عمرو ذو الكلب ٤١٤-٤١٢
٦٢- عنان الناطقية ٤١٨-٤١٥
٦٣- علي بن أمية بن أبي أمية ٤٢٣-٤١٩
٦٤- عبد الله بن يحيى الكِنْدِيّ ٤٤١-٤٢٤
٦٥- عبد الله بن أبي معقل ٤٤٤-٤٤٢
٦٦- عمير القطاىّ ٤٤٧-٤٤٥
٦٧- عبد الله بن صخر الهدليّ ٤٥٣-٤٤٨

- ٣٦- عبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق رضى الله عنه ٢٧٥-٢٧١
٣٧- عمران بن حِطَّان ٢٨٢-٢٧٦
٣٨- عمارة بن الوليد ٢٨٨-٢٨٣
٣٩- عبد الله الأعشى ٢٩١-٢٨٩
٤٠- عمرو بن قميئة ٢٩٤-٢٩٢
٤١- عُرْوَةُ بن أذينة ٢٩٨-٢٩٥
٤٢- أبو محجن الثقفيّ ٣٠٦-٢٩٩
٤٣- عُوفٍ القوافي ٣١٣-٣٠٧
٤٤- عبد الله بن جَحْش ٣١٦-٣١٤
٤٥- عبد الله بن العباس الرِّبِّيّ ٣٢٦-٣١٧
٤٦- عبد الله بن الحياط ٣٢٨، ٣٢٧
٤٧- علي بن جبلة ٣٤١-٣٢٩
٤٨- عبد الله التيميّ ٣٤٨-٣٤٢
٤٩- عمرو بن أبي الكَنَنَات ٣٥٠، ٣٤٩
٥٠- عبدة بن الطبيب ٣٥٢، ٣٥١
٥١- عَرِيب ٣٦٩-٣٥٣
٥٢- عبد الله بن الحسن